قائمیه اصفهان
مرکز تحقیقات رایانه ای

السلام علیک یا صاحب الزمان

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي

الجزء السابع

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۷

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين علیه السلام و أوامره

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحیمِ

تتمه خطبه نودم

الفصل السادس

اشاره

منها فی صفه الارض و دحوها علی الماء کبس الأرض علی مور أمواج مستفحله، و لجج بحار زاخره، تلتطم أو اذیّ أمواجها، و تصطفق متقاذفات أثباجها، و ترغو زبدا کالفحول عند هیاجها، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها، و سکن هیج ارتمائه إذ وطئته بکلکلها، و ذلّ مستخذئا إذ تمعّکت علیه بکواهلها، فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجیا مقهورا، و فی حکمه الذّلّ منقادا أسیرا، و سکنت الأرض مدحوّه فی لجّه تیّاره، و ردّت من نخوه بأوه و اعتلائه، و شموخ أنفه و سموّ غلوائه، و کعمته علی

ص:۲

كظّه جريته، فهمد بعد نزقاته، و لبد بعد زيفان و ثباته، فلمّا سكن هيج الماء من تحت أكنافها، و حمل شواهق الجبال البذّخ على أكتافها، فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها، و فرّقها فى سهوب بيدها و أخاديدها، و عدّل حركاتها بالرّاسيات من جلاميدها، و ذوات الشّناخيب الشّمّ من صيا خيدها، فسكنت من الميدان برسوب الجبال فى قطع أديمها و تغلغلها، متسرّبه فى جوبات خياشيمها و ركوبها أعناق سهول الأرضين و جراثيمها، و فسح بين الجوّ و بينها، و أعدّ الهواء متنسّما لساكنها، و أخرج إليها أهلها على تمام مرافقها، ثمّ لم يدع جرز الأرض الّتى تقصر مياه العيون عن روابيها، و لا تجد جداول الأنهار ذريعه إلى بلوغها، حتّى أنشأ لها ناشئه سحاب تحيي مواتها، و تستخرج نباتها، ألّف غمامها بعد افتراق لمعه، و تباين قزعه، حتّى إذا تمخّضت لجّه المزن فيه، و التمع برقه فى كففه، و لم ينم و ميضه فى كنهور ربابه، و متراكم سحابه، أرسله سحّا متداركا قد أسف هيدبه، تمريه الجنوب درر أهاضيبه، و دفع شئابيبه، فلمّا ألقت السّحاب برك بوانيها، و بعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها، أخرج به من هو امد الأرض النّبات، و من زعر الجبال

الأعشاب فهى تبهج بزينه رياضـها، و تزد هى بما ألبسـته من ريط أزاهيرها، و حليه ما سـمّطت به من ناضر أنوارها، و جعل ذلک بلاغا للأنام، و رزقا للأنعام، و خرق الفجاج فى آفاقها، و أقام المنار للسّالکين فى جوادّ طرقها.

اللغه

(دحا) اللّه الأرض يـدحوها دحوا بسـطها و دحيا لغه و (کبس) الرّجل رأسه فى قميصه اذا أدخله فيه و کبس البئر و النهر اذا طنّها بالتراب و فى شـرح المعتزلى کبس الأرض أى أدخلها الماء بقوّه و اعتماد شديد و (استفحل) الأمر تفاقم و اشتدّ و (اللّجج) جمع اللّجه و هى معظم الماء قال سبحانه:

«فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ » و (الأواذى) جمع الآذى بالمدّ و التشديد و هو الموج الشديد و (الصـفق) الضـرب يسـمع له صوت و الصـرف و الرّد و (الثبج) بتقديم الثاء المثلّثه على الباء الموحّده معظم البحر و الجمع أثباج کسـبب و أسباب و فى شرح المعتزلى أصـل الثبـج مـا بين الکاهل الى الظهر و المراد أعالى الأمواج و (ترغو زبـدا) من الرغا و هو صوت الابل و قيل من الرّغوه مثلّثه و هى الزّبد يعلو الشـىء عند غليانه يقال: رغا اللّبن أى صارت له رغوه ففيه تجريد و (جماح) الماء غليانه من جمح الفرس اذا غلب فـارسه و لم يملکه و (هيـج) المـاء ثورانه و فورته و (الارتمـاء) الترامى و التقـاذف و أصل (الوطى) الـدّوس بالقـدم و (الکلکل) بالتخفيف الصدر قال امرء القيس:

فقلت له لما تمطّى بصلبه و أردف اعجازا و ناء بکلکل

و ربما جاء فى ضـروره الشّـعر بتشديد اللام الثانيه و (ذلّ) أى صار ذليلا أو ذلو لا ضدّ الصّـعب و فى بعض النسخ کلّ أى عرض له الکلال من کلّ السّيف اذا لم يقطع و (المستخذى) بغير همز کما فى النسخ الخاضع و المنقاد و قد يهمز على الأصل

ص:۴۰

و (تمعّكت) الـدابه تمرّغت فى الـتراب و (الكاهـل) مـا بين الكتفين و (الاصـطخاب) افتعـال من الصـخب و هـو كـثره الصّـِياح و اضـطراب الأـصوات و (الحكمه) محرّكه وزان قصـبه حديـده فى اللّجـام تكون على حنـك الفرس تـذلّلها لراكبهـا حـتّى تمنعها الجماح و نحوه مأخوذه من الحكم و هو المنع يقال: حكمت عليه بكـذا اذا منعته من خلافه فلم يقـدر على الخروج منه و (التيّار) الموج و قيل أعظم الموج، و لجّته أعمقه و (النخوه) الافتخار و التعظم و الانفه و الحميه و (البأو) الكبر و الفخر يقال بأى كسـعى و كـدعا قليل بأوا و بأواء فخر و تكبّر و نفسه رفعها و فخربها و (شـمخ) الجبل شـموخا علا و طال و الرّجل بأنفه تكبّر و (الغلواء) بضم الغين المعجمه و فتـح اللاّم و قـد تسـكن الغلو و أوّل الشّـباب و سـرعته و مثله الغلوان بالضمّ و (كعمت) البعير من باب منع شـددت فـاه بالكعـام و هو على وزن كتـاب شـىء يجعل فى فيه اذا هاج لئلاّ يعضّ أويأ كل و (الكظه) شـىء يعترى الممتلى من الطعـام يقول: كظه الطعـام ملأه حتى لا يطيق التنفس و اكتظّ المسـيل بالماء ضاق به لكثرته أو هو من الكظاظ وزان كتاب و هو الشـدّه و التّعب و طول الملازمه و (الجريه) بكسـر الجيم مصـدر جرى الماء أو حاله الجريان و (همـدت) الريـح سـكنت و همود النار خمودها و (نزق) الفرس من باب نصـر و ضـرب و سـمع نزقا و نزوقا نزى و وثـب و النزقات دفعاته و (لبـد) بالأرض من باب نصر لبودا لزمها و أقام بها و منها اللبد وزان صرد و كتف لمن لا يبرح منزله و لا يطلب معاشا و (زاف) البعير يزيف زيفا و زيفانا تبختر فى مشـيته و فى بعض النسخ بعد زفيان و ثباته بتقديم الفاء على الياء و هو شدّه هبوب الريح يقال: زفت الريح السـحاب اذا طردته و (الوثبه) الطفره و (الأكنـاف) بالنون جمع الكنف محركه كالأسـباب و السـبب و هو الجانب و الناحيه و (شواهق) الجبال عواليها و (البـذخ) جمع الباذخ و هو العالى و (الينبوع) ما انفجر من الأرض من الماء و قيل الجدول الكثير الماء و (عرنين الانف) أوّله تحت مجتمع الحـاجبين و (السّبـهب) الفلاه البعيـده الأكناف و الأطراف و (البيـد) بالكسـر جمع بيـداء و هى الفلاه التى تبيد سالكها

أى ينقطع و يهلك و (الأخاديد) جمع الأخدود و هو الشقّ فى الأرض قال تعالى:

«قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ ».

و (الراسيات) جمع الراسيه من رسى السّفينه وقفت على البحر و ارسيته قال تعالى:

«بِسْمِ اللّهِ مَجْراها وَ مُرْساها ».

و (الجلاميد) جمع جلمدوزان جعفر و هو الصخر كالجلمود بضمّ و (الشناخيب) جمع شنخوب بالضّم أيضا و هو أعلى الجبل و (الشم) جمع الشميم أى المرتفع و (الصياخيد) جمع الصّيخود و هى الصخره الصلبه (فى قطع) اديمها فى بعض النسخ وزان عنب جمع قطعه بالكسر و هى الطائفه من الشىء تقطع و الطائفه من الأرض اذا كانت مفروزه و فى بعضها بسكون الطاء وزان حبر و هى طنفسه(۱) يجعلها الراكب تحته و يغطى كتفى البعير و جمعه قطوع و أقطاع و (أديم) الأرض وجهها و الأديم أيضا الجلد المدبوغ و (التغلغل) الدخول و (السّرب) محركه بيت فى الأرض لا منفذله يقال: تسرب الوحش و انسرب فى جحره أى دخل و (الجوبه) الحفره و الفرجه و (الخيشوم) أقصى الانف و (جرثومه) الشىء أصله و قيل التراب المجتمع فى اصول الشجره و هو الأنسب و (فسح) له من باب منع أى وسّع و (المتنسّم) موضع التنسّم و التّنفس من تنسّم اذ اطلب النسيم و استنشقه و (مرافق) الدّار ما يستعين به أهلها و يحتاج اليه فى التعيش و فى القاموس مرافق الدار مصاب الماء و نحوها و (الجرز) بضمتين الأرض التى لانبات بها و لا ماء و قال تعالى:

«أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ » و (الرابيه) ما ارتفع من الأرض و كذلك الربوه بالضمّ و (الجدول) وزان جعفر النهر الصغير و (ناشئه) السّحاب أوّل ما ينشأ منه أى يبتدء ظهوره، و يقال: نشأت

۱- (۱) الطنفسه مثلثه الطاء و الفاء و بكسر الطاء و فتح الفاء و بالعكس واحده الطنافس للبسط و الثياب

السّحاب اذا ارتفعت و (الغمام) جمع غمامه بالفتح فيهما و هى السحابه البيضاء و (اللّمع) على وزن صرد جمع لمعه و هى فى الأصل قطعه من النبت اذا اخذت فى اليبس كأنها تلمع و تضىء من بين ساير البقاع و (القزع) جمع قزعه بالتحريك فيهما و هى القطعه من الغيم و فى الحديث كأنهم قزع الخريف و (تمخضت) أى تحركت بقوّه من المخض و هو تحريك السقاء الذى فيه اللّبن ليخرج زبده و (المزن) بضم الميم جمع مزنه و هى السحابه و (كففه) حواشيه و جوانبه و طرف كل شىء كفه بالضمّ و عن الاصمعى كلّ ما استطال كحاشيه الثوب و الرّمل فهو كفه بالضمّ و كلّ ما استدار ككفه الميزان فهو كفه بالكسر و يجوز فيه الفتح و (و ميض) البرق لمعانه و (الكنهور) وزان سفرجل قطع من السحاب كالجبال أو المتراكم منه و (الرباب) السّحاب الأبيض جمع ربابه و فى شرح المعتزلى يقال: أنه السحاب الذى تراه كأنه دون السحاب و قد يكون أسود و قد يكون أبيض و (المتراكم) و المرتكم المجتمع و (السحّ) الصب و السّيلان من فوق و (تدارك) القوم اذا لحق آخرهم أولهم و (اسفّ) الطائر دنا من الأرض و (الهيدب) السحاب المتدلى أو ذيله من هدبت العين طال هدبها و تدلّى أشفارها و (تمريه) الجنوب من مرى الناقه يمريها اى مسح ضرعها فامرت هى أى درّ لبنها و عدّى ههنا إلى مفعولين و فى بعض النسخ تمرى بدون الضمير هكذا قال فى البحار و الأنسب عندى أن يجعل تمرى على تقدير وجود الضمير كما فى اكثر النسخ بمعنى تستخرج يقال:

مرى الشىء اذا استخرجه و هو احد معانيه كما فى القاموس و (الدرر) كعنب جمع درّه بالكسر و هو الصبّ و الاندقاق و (الأهاضيب) جمع هضاب و هو جمع هضب و هو المطر و (دفع) جمع دفعه بضم الدال فيهما و هى المره من المطر و (الشآبيب) جمع شؤبوب و هو ما ينزل من المطر دفعه بشدّه و قوّه و (البرك) الصدر و (البوانى) قوائم الناقه و فى شرح المعتزلى بوانيها بفتح النون تثنيه بوان على فعال بكسر الفاء و هو عمود الخيمه و الجمع بون، قال فى البحار فى النسخ القديمه المصححه على صيغه الجمع و فى النهايه فسّر البوانى بأركان البنيه و فى القاموس بقوائم الناقه قال:

و البوانى أضلاع الزور(۱) و قوائم الناقه(۲) و القى بوانيه أقام و ثبت (و البعاع) كالسحاب ثقله من المطر و (استقلت) أى نهضت و ارتفعت و استقلت به حملته و رفعته و (العب) بالكسر وزان حبر الحمل و الثقل و (الهوامد) من الأرض التى لانبات بها و (زعر) الجبال بالضمّ جمع أزعر كحمر و أحمر و هى القليله النبات و أصله من الزعر بالتحريك و هو قله الشعر فى الرأس يقال رجل أزعر و (الأعشاب) جمع عشب كقفل و هو الرطب من الكلاء و (بهج) يبهج من باب منع سرّ و فرح و فى بعض النسخ بضمّ الهاء من باب شرف أى حسن و (تزدهى) افتعال من الزّهو و هو الكبر و الفخر و (البسته) فى بعض النسخ بالبناء على الفاعل و فى بعضها بالبناء على المفعول و (الريط) جمع ريطه بالفتح فيها و هى كلّ ملأه غير ذات لفقين اى قطعتين كلها نسج واحد و قطعه واحده، أو كلّ ثوب رقيق ليّن و (الأزاهير) جمع أزهار جمع زهره بالفتح و هى النبات أو نورها و قيل الأصفر منه و أصل الزهره الحسن و البهجه و (الحليه) ما يتزيّن به من مصوغ الذهب و الفضه و المعدنيات و (سمّطت) بالسين المهمله على البناء للمفعول من باب التفعيل أى علّقت و فى بعض النسخ الصحيحه بالشين المعجمه من الشمط محرّكه و هو بياض الرأس يخالط سواده فمن النبات ما يخالط سواده النور الأبيض و فى القاموس شمطه يشمطه خلطه و الاناء ملأه و النخله انتشر بسرها و الشجر انتشر ورقه و الشميط من النبات ما بعضه هائج و بعضه أخضر و (البلاغ) ما يبتلغ به و يتوسل إلى الشىء المطلوب و (الفج) الطريق الواسع بين الجبلين و الفجاج جمعه و (الجادّه) وسط الطريق و معظمه

الاعراب

على فى قوله عليه السّلام على مور بمعنى فى كما فى قوله تعالى: دخل المدينه على حين غفله، و جمله تلتطم منصوبه المحلّ على الحاليه، و او اذى بالرفع فاعله، و ترغو زبدا إن كان ترغو من الرغا فزبدا منصوب بمقدّر أى ترغو قاذفه زبدا، و إن كان من

۱- (۱) الزور وسط الصدر، ق

۲- (۲) و فى القاموس فى باب النون البوان بالضم و الكسر عمود للخباء جمعه ابونه و بون بالضم كصرد، منه

الرّغوه فانتصابه به على التجريد أى ترمى زبدا و يشعر بتضمّنه معنى ترمى قوله عليه السّلام فى الخطبه الاولى: فرمى بالزّبد ركامه، فافهم و مدحوّه منصوبه على الحال، و فى لجّه إما للظر فئه أو بمعنى على و الأوّل أولى إذ الأصل الحقيقه و قوله: ردّت فاعله ضمير مستكن عايد إلى الأرض و مفعوله محذوف و هو الضمير الراجع إلى جماع الماء و الباء فى قوله، بالراسيات تحتمل الصله و السّببيه كما سنشير اليه، و ذوات الشناخيب بالكسر عطف على جلاميدها، و تغلغلها و ركوبها بالجرّ معطوفان على الرسوب، و قوله: متسربه حال مؤكده من ضمير تغلغلها على حدّ قوله تعالى: ولّى مدبرا، و على فى قوله على تمام مرافقها للاستعلاء متعلّق بمحذوف أى مستقرّين و متمكّنين على تمام مرافقها، و أرسله جواب إذا تمخضت، و سحّا حال من مفعول أرسل و المصدر بمعنى الفاعل و قوله: تمريه الجنوب در رءاها ضبيبه، الضمير فى تمريه مفعول بالواسطه و الجنوب فاعله و الدّرر مفعول به أى تمرى الجنوب منه درر أهاضيبه، و الاضافه فى برك بوانيها لأدنى ملابسه

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوق للاشاره إلى قدرته سبحانه و تدبيره فى كيفيّه ايجاد الأرض و دحوها على الماء و خلقه الغمام و المطر و البرق و النبات و الأنهار و الأزهار و متضمّن لما أعدّ اللّه للناس فيها من المنافع العظيمه و الفوايد الجسيمه، و الرفد الروافغ، و النعم السوابغ و هو قوله عليه السّلام:

(كبس الأرض على مور أمواج مستفحله) استعار لفظ الكبس لخلقه لها غائصا معظمها فى الماء كما يغوص و يكبس بعض الزقّ المنفوخ و نحوه فى الماء بالاعتماد عليه، و وصف الأمواج بالاستفحال لشدّتها أو لكونها كالفحول فى الصّوله (و لجج بحار زاخره) أى كثيره مائها مرتفعه أمواجها حال كونها (تلتطم أو اذى أمواجها) أى تضرب شدايد أمواجها بعضها بعضا (و تصطفق متقاذفات أثباجها) أى تردّ مترامیات أمواجها العاليه المعظمه (و ترغو زبدا كالفحول عند هياجها) أى تصوت قاذفه زبدا

ص:٩

أو ترمى زبدا عند اضطرابه و غليانه كالفحول الهايجه(فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها)استعار لفظ الجماع لغليان الماء و اضطرابه و جريانه على غير نسق كما يجمح الفرس الجموح بحيث لا يتمكن من ردّه و منعه يقول عليه السّلام: ذلّ اضطراب الماء لثقل حمل الأرض عليه(و سكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكها)أى سكن ثوران ترامیه و تقاذفه حين و طئته الأرض و داسته بصدرها تشبيها لها بالناقه و تخصيص الصدر بالذكر لقوته (و ذلّ مستخذيا إذ تمعّكت عليه بكواهلها) أى صار ذليلا منقادا حين تمرغت عليه الأرض كالدابه المتمرغه و تخصيص الكواهل بالذكر للقوّه أيضا (فأصبح بعد اصطخاب أمواجه) و اضطرابها (ساجيا مقهورا) أى ساكنا مغلوبا (و فى حكمه الذلّ منقادا اسيرا) كالدابه المذلله بالحكمه المنقاده لصاحبها، هذا و محصل كلامه عليه السّلام من قوله: فخضع إلى هنا أنّ هيجان الماء و غليانه و موجه سكن بوضع الأرض عليه و استشكل فيه بأنّ ذلك خلاف ما نشاهده و خلاف ما يقتضيه العقل لأنّ الماء السّاكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب و تموّج و صعد علوّا فكيف الماء المتموّج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه و اجيب بأنّ الماء إذا كان تموّجه من قبل ريح هايجه جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه و بين تلك الرّيح، و لذلك إذا جعلنا فى الاناء ماء، و روّحناه بمروحه يموّجه فانه يتحرّك، فان جعلنا على سطح الماء جسما يملأ حافات الاناء و روّحناه بالمروحه فانّ الماء لا يتحرّك لأنّ ذلك الجسم قد حال بين الهواء المجتلب بالمروحه و بين سطح الماء، فمن الجائز أن يكون الماء الأوّل هائجا لاجل ريح محرّكه له فاذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الريح و قد مرّ فى كلامه عليه السّلام فى الفصل الثامن من فصول الخطبه الأولى ذكر هذه الرّيح و هو قوله عليه السّلام: ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها و أدام مربها إلى أن قال:

أمرها بتصفيق الماء الزخّار و اثاره موج البحار فمخضه مخض السّقاء و عصفت به عصفها بالفضاء، إلى آخر ما مرّ قال المحدّث العلّامه المجلسىّ ره فى البحار بعد ذكر هذا الاشكال و الجواب:

و الأولى أن يقال: إنّ غرضه عليه السّلام ليس نفى التموّج مطلقا بل نفى الشديد الذى كان للماء اذ حمله سبحانه على متن الريح العاصفه و الزعزع القاصفه بقدرته الكامله و أنشأ ريحا تمخّضه مخض السقاء فكانت كره الماء تدفق من جميع الجوانب و ترد الرّيح أوّله على آخره و ساجيه على مائره كما مرّ فى كلامه عليه السّلام أى فى الفصل المذكور من الخطبه الأولى، ثمّ لما كبس الأرض بحيث لم يحط الماء بجميعها فلا ريب فى انقطاع الهبوب و التمويج من ذلك الجانب المماسّ للأرض من الماء و أيضا لمّا منعت الأرض سيلان الماء من ذلك الجانب إذ ليست الأرض كالهواء المنفتق المتحرّك الذى كان ينتهى اليه ذلك الحدّ من الماء كان ذلك أيضا من أسباب ضعف التموّج و قلّه التّلاطم و أيضا لمّا تفرقت كره الماء فى أطراف الأرض و مال الماء بطبعه الى المواضع المنخفضه من الأرض و صار البحر الواحد المجتمع بحارا متعدّده و ان اتّصل بعضها ببعض و احاطت السواحل بأطراف البحار بحيث منعت الهبوب إلاّ من جهه السّطح الظاهر سكنت الفوره الشديده بذلك التفرّق و قلّه التعمّق و انقطاع الهبوب، و كلّ ذلك من أسباب السّكون الذى أشار اليه عليه السّلام و أقول: و ممّا يبيّن ذلك أنه إذا فرضنا حوضا يكون فرسخا فى فرسخ و قدّرنا بناء عماره عظيمه فى وسطه فلا ريب فى أنّه يقلّ بذلك أمواجه، و كلّما وصل موج من جانب من الجوانب اليه يرتدع و يرجع ثمّ إنّ هذه الوجوه إنما تبدى جريا على قواعد الطبيعيّين و خيالاتهم الواهيه و إلاّ فبعد ما ذكره عليه السّلام لا حاجه لنا الى إبداء وجه، بل يمكن أن يكون لخلق الأرض و كبسها فى الماء نوع آخر من التأثير فى سكونه لا تحيط به عقولنا الضعيفه كما قال عليه السّلام:(و سكنت الأرض) حال كونها (مدحوّه) مبسوطه (فى لجّه تياره)

أى أعمق موجه و معظمه(و ردّت الماء من نخوه بأوه و اعتلائه)أى فخره و ترفعه (و شموخ انفه و سمّو غلوائه)أى تكبّره و علوّ غلوّه و هذه كلّها استعارات للماء فى هيجانه و اضطرابه بملاحظه مشابهته بالانسان المتجبّر المتكبّر التياه فى حركاته و أفعاله و الغرض بيان سكون الأرض فى الماء المتلاطم و منعها إيّاه من تموّجه و هيجانه(و كعمته على كظّه جريته)و المراد بكظّه الجريه ما يشاهد من الماء الكثير فى جريانه من الثقل نحو ما يعترى المملى من الطعام، أو أراد به شدّه جريانه و طول ملازمته له، أو التعب العارض له من الجريان على سبيل الاستعاره تشبيها له بالانسان المتعب من كثره المزاوله لفعل (فهمد بعد نزقاته) أراد به سكونه بعد وثباته و (لبد بعد زيفان وثباته) أى أقام بعد تبختره فى طفراته (فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها) يعنى أطراف الأرض و جوانبها (و حمل شواهق الجبال البذخ على اكتافها)استعار عليه السّلام لفظ الاكتاف للأرض لكونها محلا لحمل ما يثقل من الجبال كما أنّ كتف الانسان و غيره من الحيوان محلّ، لحمل الأثقال (فجر ينابيع العيون) لعله عليه السّلام اعتبر فى الينبوع الجريان بالفعل فيكون من قبيل اضافه الخاص الى العام، أو التكرير للمبالغه، و إن كان الينبوع بمعنى الجدول الكثير الماء على ما مرّ فهو مستغن عن التكلّف و قوله:

(من عرانين انوفها) من باب الاستعاره تشبيها للجبال بالانسان و لأعاليها و رؤوسها بعرنينه و أنفه، و انما خصّ الجبال بتفجّر العيون فيها لأنّ العيون اكثر ما يتفجّر من الجبال و الأماكن المرتفعه و أثر القدره فيها أظهر و نفعها أتمّ (و فرقها) أى الينابيع (فى سهوب بيدها و أخاديدها) المراد بالأخاديد مجارى الأنهار (و عدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها) قال المحدّث المجلسىّ «قد» لعلّ تعديل الحركات بالراسيات أى الجبال الثابتات جعلها عذيلا للحركات بحيث لا تغلبه أسباب الحركه فيستفاد سكونها فالباء صله

ص:١٢

لا سببيه، أو المعنى سوّى الحركات فى الجهات أى جعل الميول متساويه بالجبال فسكنت لعدم المرجّح فالباء سببيه، و يحتمل أن يكون المراد أنه جعلها بالجبال بحيث قد تتحرّك بالزلازل و قد لا تتحرّك و لم يجعل الحركه غالبه على السّكون مع احتمال كونها دائما متحرّكه بحركه ضعيفه غير محسوسه، و من ذهب الى استناد الحركه السريعه الى الأرض لا يحتاج إلى تكلّف و كيف كان فالمعنى أنه سبحانه عدل حركات الأرض بالجبال الثابته من صخورها و ب (ذوات الشناخيب الشمّ من صياخيدها) أى بصاحبات الرءوس المرتفعه من صخورها الصلبه (فسكنت) الأرض (من الميدان) و الاضطراب (برسوب الجبال فى قطع اديمها) أى دخولها فى قطعات وجه الأرض و أعماقها (و تغلغلها متسربه فى جوبات خياشيمها) أى دخولها حال كونها نافذه فى حفرات انوف الأرض و فرجاتها (و ركوبها أعناق سهول الأرضين و جراثيمها)استعار لفظ الركوب للجبال و الأعناق للأرضين كنايه عن الحاقهما بالقاهر و المقهور و ذكر السّهول ترشيح، و لعلّ المراد بجراثيمها المواضع المرتفعه منها و مفاد هذه الفقرات أنّ الأرض كانت متحرّكه مضطربه قبل خلق الجبال فسكنت بها، و ظاهره أنّ لنفوذ الجبال فى أعماق الأرض و ظهورها و ارتفاعها عن الأرض كليهما مدخلا فى سكونها و قد مرّ الكلام فى ذلك فى شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه الاولى فتذكر (و فسح بين الجوّ و بينها) لعلّ فى الكلام تقدير مضاف أى وسّع بين منتهى الجوّ و بينها، أو المراد بالجوّ منتهاه إى السّطح المقعر للسماء (و أعدّ الهواء متنسّما لساكنها) أى جعل الهواء محلّا لطلب النسيم و استنشاقه و فائدته ترويح القلب حتّى لا يتأذّى بغلبه الحراره (و أخرج اليها أهلها على تمام مرافقها) و المراد به ايجادهم و إسكانهم فيها بعد تهيئه ما يصلحهم لمعاشهم و التزوّد لمعادهم (ثمّ لم يدع) سبحانه و تعالى (جرز الأرض التى) لا نبات بها و لا ماء من حيث إنها (تقصر مياه العيون عن) سقى (روابيها) و مرتفعاتها (و لا تجدجد اول الأنهار ذريعه)

ص:١٣

و وسيله (الى بلوغها) و الوصول إليها(حتى أنشألها ناشئه سحاب تحيى مواتها)من باب المجاز فى الاسناد(و)كذلك(تستخرج نباتها)لأنّ المحيى و المخرج هو اللّه سبحانه و السحاب سبب قال اللّه تعالى:

«وَ اللّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ».

و قال:«وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْ ءٍ ».

(الف) تعالى (غمامها) الضمير راجع إلى الأرض كساير الضمائر و الاضافه لأدنى ملابسه و المراد أنه سبحانه ركب السحاب المعدّه لسقيها (بعد افتراق لمعه و تباين قزعه) أى بعد ما كانت أجزائها اللاّمعه متفرّقه و قطعاتها متباينه متباعده (حتى اذا تمخضت لجّه المزن فيه) الضمير راجع الى المزن أى حتى اذا تحرّكت اللجّه أى معظم الماء المستودع فى الغيم و استعدّت للنّزول (و التمع برقه فى كففه) أى أضاء البرق فى جوانبه و حواشيه (و لم ينم و ميضه) أى لم ينقطع لمعان البرق (فى كنهور ربابه) أى فى القطع العظيمه من سحابه البيض (و متراكم سحابه) أى المجتمع الذى ركب بعضه بعضا (أرسله) اللّه سبحانه (سحّا متداركا) أى حالكونه يصبّ الماء صبّا متلاحقا (قد أسفّ هيدبه) و دنا من الأرض ما تدلّى منه حالكونه (تمريه الجنوب درر أهاضيبه) أى تستخرج منه الجنوب أمطاره المنصبّه، و الجنوب ريح مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريّا، و هى أدرّ للمطر و لذا خصّها بالذكر و قوله عليه السّلام (و دفع شآبيبه) أراد به الدّفعات من المطر المنزله بشدّه و قوّه (فلما ألقت السحاب بركـ بوانيها)استعار عليه السّلام لفظ البرك و البوان للسحاب و اسند إليه الالقاء تشبيها لها بالجمل الذى أثقله الحمل فرمى بصدره الأرض، أو بالخيمه التى جرّ عمودهاعلى اختلاف التفسرين المتقدّمين (و بعاع ما استقلّت به من العبء

المحمول علیها) أی ثقل ما ارتفعت به من الحمل المحمول علیها یعنی المطر (أخرج) سبحانه (به) أی بذلک العبء (من هوامد الأرض) التی لا حیاه بها و لا عود (النبات) کما قال تعالی:

«وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ ».

(و من زعر الجبال) أی المواضع القلیله النّبات منها (الأعشاب) و الرّطب من الکلاء (فهی) أی الأرض (تبهج) و تفرح (بزینه ریاضها) و مستنقع میاهها (و تزدهی) و تفتخر (بما البسته من ریط أزاهیرها) أی بأشجار البست الأرض إیّاها لباس انوارها و علی ما فی بعض النسخ من کون البسته بصیغه المجهول فالمعنی أنّ الأرض تفتخر بما اکتسبت به من النبات و الأزهار و الأنوار فیکون لفظه من علی هذا بیانا لما کما أنها علی الأوّل صله لألبسته، و الثانی أظهر (و) تتکبّر ب (حلیه ما سمّطت) و علّقت (به من ناضر أنوارها) أی أنوارها المتصفه بالنضره و الحسن و الطراوه (و جعل) اللّه سبحانه (ذلک) أی ما انبت من الأرض (بلاغا للأنام) یبتلغون به و یتوسلون إلی مقاصدهم و مطالبهم (و رزقا للأنعام) تأکل منه و ترعی عند جوعها و حاجتها قال تعالی:

«وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ ».

(و خرق الفجاج فی آفاقها) أی خلق الطرق علی الهیئه المخصوصه بین الجبال فی نواحی الأرض و أطرافها قال سبحانه:

«اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ جَعَلَ لَکُمْ فِیها سُبُلاً لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ » و قال: «وَ اللّهُ جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ بِساطاً لِتَسْلُکُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً ».

ص:۱۵

(و أقام المنار للسالكين فی جواد طرقها) و المراد بالمنار العلامات التی یهتدی بها السالکون من الجبال و التلال أو النجوم، و الأول أظهر بملاحظه المقام و اعلم أنّ هذا الفصل لمّا کان متضمّنا لبعض ما فی عالم العناصر من دلائل القدره و بدائع الحکمه و عجائب الصنعه و ما أودع اللّه سبحانه فیه من المنافع العامه و الفوائد التّامه لا جرم أحببت تذییل المقام بهدایات فیها درایه علی مقتضی الترتیب الذّکری الّذی جری علیه هذا الفصل فأقول: و باللّه التکلان و هو المستعان

الهدایه الاولی

فی دلایل القدره فی الأرض

و المنافع المعدّه فیها للخلق و هی کثیره لا تحصی لکنّا نقتصر علی البعض بما ورد فی الکتاب و أفاده أولو الألباب فمنها أنه سبحانه جعلها مدحوّه علی الماء و بارزه منه مع اقتضاء طبعها الغوص فیه و إحاطه البحار بها، و ذلک لحکمه الافتراش و أن یکون بساطا للنّاس کما قال تعالی:

«اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً » و قال: «اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ قَراراً » و قال: «اَللّهُ جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ بِساطاً ».

فلو کانت غائصه فی الماء لبطل تلک الحکمه فأخرج سبحانه بعض جوانبها من الماء کالجزیره البارزه حتی صلحت لأن تکون فراشا و مهادا و منها - کونها ساکنه فی حیزها الطبیعی و هو وسط الأفلاک لأنّ الأثقال بالطبع تمیل إلی تحت کما أنّ الخفاف بالطبع تمیل إلی فوق، و الفوق من جمیع الجوانب مایلی السماء و التحت مایلی المرکز، فکما أنه یستبعد حرکه الارض فیما بیننا إلی جهه السماء فکذلک یستبعد هبوطها فی مقابله ذلک لأنّ ذلک الهبوط صعود أیضا إلی السماء فاذن لاحاجه فی سکون الأرض و قرارها إلی علاقه من فوقها

و لا ـ دعامه من تحتها، بل يكفى فى ذلك ما أعطاها فالقها، و ركز فيها من الميل الطبيعى إلى الوسط الحقيقى بقدرته «إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ».

و منها - توسّطها فى الصلابه و اللّين:

«هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَناكِبِها ».

اذ لو كانت فى غايه الصلابه كالحجر لكان المشى و النوم عليها ممّا يولم البدن و لتعذرت الزراعه عليها و لا متنع إجراء الأنهار و حفر الآبار فيها و لم يمكن اتخاذ الأبنيه و الآنيه منها لتعذّر تركيبها، و لو كانت فى غايه اللين بحيث تغوص فيه الرّجل كالماء لا متنع الاستقرار و الافتراش و النوم و المشى و استحال الزرع و الحرث و منها أنه جعل لونها الغبراء لتكون قابله للاناره و الضياء إذ ما كان فى غايه اللّطافه و الشفّافيه لا يستقرّ النور عليه، و ما كان كذلك فانه لا يتسخّن بالشمس فكان يبرد جدّا و لا يمكن جواره، هكذا قال الرازى و صدر المتألهين. و الأولى ما فى شرح البحرانى «قد» من أنها لو كانت مخلوقه فى غايه الشفافيه و اللطافه فامّا أن تكون مع ذلك جسما سيّالا كالهواء لم يتمكن من الاستقرار عليه، أو يكون جسما ثابتا صقيلا براقا احترق الحيوان و ما عليها بسبب انعكاس أشعه الشمس عليها كما يحرق القطن إذا قرب من المرايا المحاذيه للشّمس و البلور، لكنها خلقها غبراء ليستقرّ النّور على وجهها فيحصل فيها نوع من السخونه، و خلقها كثيفه لئلّا تنعكس الأشعه منها على ما فيها فتحرقه، فصارت معتدله فى الحرّ و البرد تصلح أن تكون فراشا و مسكنا للحيوان و منها كونها يتولّد منها النبات و الحيوان و المعادن «وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ مَوْزُونٍ ».

و منهـا أن يتخمّر الرّطب بهـا فيحصـل التماسک فی أبـدان المرکبات و منها اختلاف بقاعها فمنها أرض رخوه و صـلبه و رمله و سبخه و عذبه و حزنه و سهله، و قال تعالی «وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ ».

و منها اختلاف ألوانها فأحمر و أبیض و أسود و رمادی اللّون و أغبر، قال سبحانه «وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِیبُ سُودٌ » و منهـا انصـداعها بالنبـات «وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ » و منهـا کونهـا خـازنه للمـاء المنزّل من السـماء «وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْکَنّاهُ فِی الْأَرْضِ وَ إِنّا عَلی ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ ».

و منها إجراء العیون و الأنهار فیها «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَکَهُ یَنابِیعَ فِی الْأَرْضِ » «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً ».

و منهـا أنّ لها طبع السـماحه و الجود تـدفع إلیها حبّه واحـده و هی تردّها علیک سـبعمائه «کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَـبْعَ سَـنابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ ».

و منها موتها فی الشّتآء و حیاتها فی الرّبیع «فَسُقْناهُ إِلی بَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَحْیَیْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها کَذلِکَ النُّشُورُ ».

ص:۱۸

و منها انبثات الدّواب المختلفه فيها «وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ » «فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ ».

و منها كونها مبدء الخلايق و منشأها «مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى ».

و جعل ظهرها مقرّ الأحيا و بطنها موطن الأموات «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وَ أَمْواتاً ».

و منها ما فيها من النباتات المختلفه الألوان و الأنواع و المنافع «وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ».

فبعضها للانسان و بعضها للحيوان «كُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَكُمْ ».

و ما للانسان بعضها طعام و بعضها إدام و بعضها فواكه و بعضها دواء و بعضها لباس كالقطن و الكتان و منها ما فيها من الأحجار المختلفه، فبعضها للزينه كالدّرّ و الياقوت و العقيق و نحوها، و بعضها للحاجه كما تستخرج منه النّار، فانظر الى قلّه الأوّل و كثره الثانى، ثمّ انظر إلى قلّه المنفعه بذلك الخطير و كثره المنفعه بذلك الحقير إلى غير ذلك من آثار القدره و دلائل الصنع و العظمه و العجائب و الغرائب التى يعجز عن إدراك معشارها عقول البشر، و يحتار فى البلوغ إليها الأذهان و الفكر

الثانيه

فى انفجار الينابيع و العيون من الأرض

المشار إليه بقوله عليه السّلام: فجر

ص:۱۹

ينابيع الأرض من عرانين انوفها، فأقول: ظاهر قوله سبحانه:

«أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ » و قوله: «أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ».

هو كون ماء العيون و الأنهار هو الماء المنزل من السحاب، و به صرّح جمع من الأصحاب فى باب طهوريه الماء بقول مطلق بعد الاستدلال عليها بقوله سبحانه:

«وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً ».

و يدلّ عليه ما رواه علىّ بن إبراهيم فى تفسيره قال فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى:

«وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّاهُ فِي الْأَرْضِ ».

فهى الأنهار و العيون و الآبار، و محصّل ذلك أنّ القادر المختار أنزل بقدرته الكامله و حكمته البالغه من السّماء ماء فأسكنه فى الأرض و أخرج منه فى العيون و الآبار و القنى و الأنهار ما اقتضاه الحكمه و التدبير فى بقاء نوع الانسان و الحيوان و إصلاح النّباتات و الزراعات و غير ذلك من وجوه الحاجات، و إليه ذهب أبو البركات البغدادى حيث قال: إنّ هذه المياه متولّده من أجزاء مائيه متولّده من أجزاء متفرّقه فى ثقب أعماق الأرض و منافذها إذا اجتمعت، و يدلّ عليه أنّ مياه العيون و الأنهار تزيد بزياده الثلوج و الأمطار و قالت الحكماء: إنّ البخار إذا احتبس فى داخل من الأرض لما فيها من ثقب و فرج يميل إلى جهه فيبرد بها فينقلب مياها مختلطه بأجزاء بخاريه، فاذا كثر لوصول مدد متدافع إليه بحيث لا تسعه الأرض أوجب انشقاق الأرض و انفجرت منه العيون.

أمّا الجاريه على الولاء فهى إما لدفع تاليها سابقها أولا نجذابه إليه لضروره عدم الخلاء بأن يكون البخار الذى انقلب ماء و فاض إلى وجه الأرض ينجذب إلى مكانه ما يقوم مقامه لئلاّ يكون خلاء فينقلب هو أيضا ماء و يفيض، و هكذا استتبع كلّ جزء منه جزء آخر و أما العيون الرّاكده فهى حادثه من أبخره لم تبلغ من قوّتها و كثره موادّها أن يحصل منها معاونه شديده أو يدفع اللاّحق السابق و أما مياه القنى و الآبار فهى متولّده من أبخره ناقصه القوّه عن أن يشقّ الأرض، فاذا ازيل ثقل الأرض عن وجهها صادفت منفذا تندفع إليه بأدنى حركه فان لم يجعل هناك مسيل فهو البئر، و إن جعل فهو القناه، و نسبه القنا إلى الآبار كنسبه العيون السياله إلى الراكده، و إنما كثر تفجّر العيون فى الجبال و الأماكن المرتفعه لشدّه احتقان الأبخره تحتها بالنسبه إلى ساير الأماكن الهابطه الرّخوه، فانّ الأرض إذا كانت رخوه نفضت «نفذت خ ل» فلا يكاد يجتمع منه قدر ما يعتدّ به و قال الشيخ: هذه الأبخره إذا انبعث عيونا أمدّت البحار بصبّ الأنهار إليها ثمّ ارتفع من البحار و البطائح و الأنهار و بطون الجبال خاصه أبخره اخرى، ثمّ قطرت ثانيا إليها فقامت بدل ما يتحلّل منها على الدّور دائما

الثالثه

فى حكمه خلق الهواء المشار إليها بقوله: و أعدّا لهواء متنسما لساكنها،

فأقول: فيه نفع عظيم للانسان و الحيوان، لأنّه من ضروريّات العيش لأنها مادّه النفس الذى لو انقطع ساعه عن الحيوان لمات، و قيل هنا: إنّ كلّ ما كانت الحاجه إليه أشدّ كان وجدانه أسهل و لمّا كان احتياج الانسان إلى الهواء أعظم الحاجات حتّى لو انقطع عنه لحظه لمات لا جرم كان وجدانه أسهل من وجدان كلّ شىء، و بعد الهواء الماء، فانّ الحاجه إليه أيضا شديده فلا جرم سهل أيضا وجدان الماء، و لكن وجدان الهواء أسهل لأنّ الماء لا بدّ فيه من تكلّف الاغتراف بخلاف الهواء

فانّ الآلات المهيّاه لجذبه حاضره أبدا ثمّ بعد الماء الحاجه إلى الطعام شديده و لكن دون الحاجه إلى الماء فلا جرم كان تحصيل الطعام أصعب من تحصيل الماء و بعد الطعام الحاجه إلى تحصيل المعاجين و الادويه النّادره قليله فلا جرم عزّت هذه الأشياء، و بعد المعاجين الحاجه إلى أنواع الجواهر من الياقوت و الزبرجد نادره جدّا فلا جرم كانت فى نهايه العزّه، فثبت أنّ كلّ ما كان الاحتياج إليه أشدّ كان وجدانه أسهل و كلّ ما كان الحاجه إليه أقلّ كان وجدانه أصعب، و ما ذاك إلّا رحمه منه سبحانه على العباد قال الشاعر:

سبحان من خصّ القليل بعزّه و النّاس مستغنون عن أجناسه

و أذّل أنفاس الهواء و كلّ ذى نفس لمحتاج الى انفاسه

الرابعه

فى دلايل القدره و براهين الجلال و الجبروت

فى خلق السّحاب و المطر و البرد و الثلج و الرّعد و البرق و الصواعق قال تعالى:

«هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِكَهُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ وَ هُمْ يُجادِلُونَ فِى اللّهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ».

قال الرازىّ: فى كونها خوفا و طمعا وجوه الاول عند لمعان البرق يخاف وقوع الصّواعق و يطمع فى نزول الغيث الثانى أنه يخاف من المطر من له فيه ضرر كالمسافر و كمن فى خزينته التمر و الزبيب و يطمع فيه من له نفع الثالث أنّ كلّ شىء يحصل فى الدنيا فهو خير بالنسبه إلى قوم و شرّ بالنسبه إلى آخر فكذلك المطر خير فى حقّ من يحتاج فى أوانه و شرّ فى حقّ من يضرّه ذلك إما بحسب المكان أو بحسب الزّمان ثمّ اعلم أنّ حدوث البرق دليل عجيب على قدره اللّه سبحانه و بيانه أنّ السحاب

لا ـ شک أنه جسم مرکب من أجزاء مائیه و أجزاء هوائیه «ناریه ظ» و لا ـ شکّ أنّ الغالب علیه الاجزاء المائیه و الماء جسم بارد رطب و النّار جسم حارّ یابس، فظهور الضّد من الضدّ التام علی خلاف العقل فلا بدّ من صانع مختار یظهر الضدّ من الضدّ فان قیل: لم لا یجوز أن یقال: إنّ الرّیح احتقن فی داخل جرم السحاب و استولی البرد علی ظاهره فانجمد السطح الظاهر منه، ثمّ إنّ ذلک الرّیح یمزقه تمزیقا عنیفا فیتولّد من ذلک التمزیق الشّدید حرکه عنیفه و الحرکه العنیفه موجبه للسخونه و هی البرق فالجواب أنّ کلّ ما ذکرتموه خلاف المعقول من وجوه:

الأوّل أنه لو کان الأمر کذلک لوجب أن یقال أینما حصل البرق فلا بدّ و أن یحصل الرعد و هو الصوت الحاصل من تمزّق السحاب و معلوم أنه لیس الأمر کذلک فانه کثیرا ما یحدث البرق القوی من غیر حدوث الرعد الثّانی أنّ السخونه الحاصله بسبب قوّه الحرکه مقابله بالطبیعه المائیه الموجبه للبرد، و عند حصول هذا المعارض القوی کیف تحدث النّاریه بل نقول:

النیران العظیمه ینتفی لصبّ الماء علیها و السّحاب کلّه ماء فکیف یمکن أن یحدث فیه شعله ضعیفه ناریه الثالث من مذهبکم أنّ النار الصرفه لا لون لها البته فهب أنه حصلت الناریه بسبب قوّه المحاکه الحاصله فی أجزاء السحاب، لکن من أین حدث ذلک اللّون الأحمر، فثبت أنّ السبب الذی ذکروه ضعیف و أنّ حدوث النّار الحاصله فی جرم السحاب مع کونه ماء خالصا لا یمکن إلّا بقدره القادر الحکیم و قال فی قوله: و ینشیء السحاب الثقال: السحاب اسم الجنس و الواحده سحابه، و الثقال جمع ثقیله أی الثقال بالماء و اعلم أنّ هذا أیضا من دلائل القدره و العظمه، و ذلک لأنّ هذه الأجزاء المائیه إمّا یقال إنّها حدثت فی جوّ الهواء أو یقال إنها تصاعدت من وجه الأرض فان کان الأول وجب أن یکون حدوثها باحداث محدث حکیم قادر و هو المطلوب

ص:۲۳

و إن كـان الثـانى و هو أن يقال إنّ تلك الأجزاء تصاعـدت من الأرض فلمّا وصـلت إلى الطبقه البارده من الهواء بردت فثقلت و رجعت إلى الأرض فنقول: هـذا باطـل، و ذلـك لأنّ الأمطـار مختلفه، فتـاره تكون القطرات كبيره، و تاره صـغيره، و تاره تكون متقاربه، و اخرى تكون متباعـده، و تاره تـدوم مـدّه نزول المطر زمانا طويلا، و تاره قليلا، فاختلاف الأمطار فى هذه الصـفات مع أنّ طبيعه الأرض واحـده و طبيعه الأشـعّه المسـخنه للبخارات واحده لا بدّ و أن يكون بتخصـيص الفاعل المختار و أيضا فالتجربه دلّت على أنّ للدّعاء و التضـرّع فى نزول الغيث أثرا عظيما و لذلك شـرعت صـلاه الاستسقاء فعلمنا أنّ المؤثّر فيه قدره الفاعل لا الطبيعه الخاصه و فى الصافى فى قوله: «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ »، روى عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أنه سـئل عن الرعد فقال: ملك موكّل بالسحاب معه مخاريق من النّار يسوق بها السحاب و فى الفقيه روى أنّ الرّعد صوت ملك أكبر من الذباب و أصـغر من الزنبور و فيه عن الصـادق عليه السّـلام أنّه بمنزله الرجـل يكون فى الابـل فيزجرهـا هـاى هـاى كهيئه ذلـك و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ » من خوفه و اجلاله «وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ » من عباده فيهلكه «وَ هُمْ يُجادِلُونَ فِي اللّهِ ».

حيث يكذبون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيما يصفه تعالى من التفرّد بالالوهيّه «وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ ».

أى المماحله و المكايـده لأعـدائه و قيل: من المحل أى شديـد القوّه و قال علىّ بن إبراهيم القمّى أى شديـد الغضب هـذا و قال الرّازى فى تفسير قوله سبحانه:

«أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ »

«مِنْ خِلالِهِ»:

قال أهل الطبایع: إنّ تکوّن السحاب و المطر و الثلج و البرد و الطلّ و الصقیع فی أکثر الأمر یکون من تکاثف البخار، و فی الأقلّ من تکاثف الهواء، أمّا الأول فالبخار الصّاعد أن کان قلیلا و کان فی الهواء، من الحراره ما یحلّل ذلک البخار فحینئذ ینحلّ و ینقلب هواء، و أمّا إن کان البخار کثیرا و لم یکن فی الهواء من الحراره ما یحلّله فتلک الأبخره المتصاعده إمّا أن یبلغ فی صعودها إلی الطبقه البارده من الهواء أولا تبلغ، فان بلغت فامّا أن یکون البرد قویّا أو لا یکون، فان لم یکن البرد هناک قویا تکاثف ذلک البخار بذلک القدر من البرد و اجتمع و تقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب، و المتقاطر هو المطر و الدیمه، و الوابل إنما یکون من أمثال هذه الغیوم و أمّا إن کان البرد شدیدا فلا یخلو إمّا أن یصل البرد إلی الأجزاء البخاریه قبل اجتماعها و انحلالها حبّات کبارا، أو بعد صیرورتها کذلک، فان کان علی الوجه الأوّل نزل ثلجا، و إن کان علی الوجه الثانی نزل بردا و أمّا إذا لم تبلغ الأبخره إلی الطبقه فهی إمّا أن تکون قلیله أو تکون کثیره، فان کانت کثیره فهی تنعقد سحابا ماطرا و قد لا تنعقد، أمّا الأوّل فذاک لأحد أسباب خمسه أولها إذا منع هبوب الرّیاح عن تصاعد تلک الأبخره و ثانیها أن تکون الرّیاح ضاغطه لها إلی اجتماع بسبب وقوف جبال قدام الرّیح و ثالثها أن تکون هناک ریاح متقابله متضادّه فتمتنع صعود الأبخره حینئذ و رابعها أن یعرض للجزء المتقدم وقوف لثقله و بطوء حرکته ثمّ تلتصق به سائر الأجزاء الکثیره المدد و خامسها لشدّه برد الهواء القریب من الأرض فقد یشاهد البخار یصعد فی بعض الجبال صعودا یسیرا حتی کأنّه مکبه موضوعه علی و هده و یکون الناظر إلیها فوق تلک الغمامه و الذین یکونون تحت الغمامه یمطرون و الذین یکونون فوقها یکونون فی الشمس أمّا إذا کانت الأبخره القلیله الارتفاع قلیله لطیفه فاذا ضربها برد اللیل

كثفها و عقدها ماء يكون محسوسا و نزل نزولا متفرّقا لا يحسّ به إلّا عند اجتماع شيء يعتدّ به، فان لم يجمد كان طلّا، و إن جمد كان صقيعا و نسبه الصقيع إلى الطلّ نسبه الثلج إلى المطر و امّا أن تكون السحاب من انقباض الهواء و ذلك عند ما يبرد الهواء و ينقبض و حينئذ تحصل منه الأقسام المذكوره و الجواب انّا لما دللنا على حدوث الأجسام و توسّلنا بذلك إلى كونه قادرا مختارا يمكنه ايجاد الاجسام لم يمكنا القطع بما ذكرتموه، لاحتمال أنّه سبحانه خلق أجزاء السحاب دفعه لا بالطريق الذى ذكرتموه، و أيضا فهب أنّ الأمر كما ذكرتم و لكن الأجسام بالاتفاق ممكنه فى ذواتها فلا بدّ لها من مؤثر، ثمّ إنّها متماثله فاختصاص كلّ واحد منها بصفه معيّنه من الصعود و الهبوط و اللّطافه و الكثافه و الحراره و البروده لا بدّ له من مخصّص، فاذا كان هو سبحانه خالقا لتلك الطبايع و تلك الطبايع مؤثّره فى هذه الأحوال و خالق السّبب و خالق المسبّب فكان سبحانه: هو الذى يزجى سحابا، لأنّه هو الذى خلق تلك الطبايع المحركه لتلك الأبخره من باطن الأرض إلى جوّ الهواء، ثمّ إنّ تلك الأبخره إذا ترادفت فى صعودها و التصق بعضها بالبعض فهو سبحانه هو الذى: جعلها ركاما، فثبت على جميع التقريرات أنّ وجه الاستدلال بهذه الأشياء على القدره و الحكمه ظاهر بيّن انتهى و تحقيق المقام هو ما ذكره بما لا مزيد عليه و أقول: دلائل القدره فى خلق السحاب مضافا إلى ما ذكره هو أنّ الماء بطبعه ثقيل يقتضى النزول فبقاؤه فى الجوّ خلاف الطبع، و لذلك إذا انفصل منه قطره نزلت دفعه فلا بدّ من قادر قاهر يمسكه فى الجوّ على ثقله بقهره و قدرته و أيضا، لو دام السحاب لعظم ضرره حيث يسترضوء الشمس و تكثر الأمطار و تبتلّ المركبات فتفسد، و لو انقطع لعظم ضرره لافضائه الى القحط فيهلك المواشى و الانسان، فكان تقديره بالمقدار المعلوم مقتضى الحكمه و المصلحه

ص:۲۶

و أيضا ترى السّحاب يرشى الماء على الأرض و يرسله قطرات متفاضله لا يدرك قطره منها قطره و لا يعلم عددها إلّا الذى أوجدها، ثمّ إنّ كلّ قطره منها عيّنت لجزء من الأرض و لحيوان معيّن فيها من طيرو وحش و دود مكتوب عليها بخطّ غيبىّ غير محسوس أنه رزق الحيوان الفلانى فى الموضع الفلانى فى الوقت الفلانى هذا، مع ما فى انعقاد البرد الصّلب من الماء اللّطيف و فى تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التى لا تحصى، كلّ ذلك عنايه من اللّه سبحانه و رحمه منه على العباد، و فيها هدايه لمن استهدى و درايه لمن ابتغى الرشاد

الخامسه

فى دلايل القدره و العظمه فى إنبات النبات و الأشجار

قال سبحانه:

«وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ » و قال «وَ نَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقاً لِلْعِبادِ وَ أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ ».

و دلايل القدره فى ذلک من وجوه:

الأوّل أنّ الماء ثقيل بطبعه كما قلنا سابقا إنّه إذا انفصل قطره منه من المزن تنزل إلى الأرض و لا تبقى فى الجوّ بمقتضى طبعه فانظر الى قدرته تعالى كيف رقا الماء المصبوب فى أسفل الأشجار مع هذا الطبع و الثقل إلى أعالى أغصانها، فهوى الى سفل ثمّ ارتفع إلى فوق فى داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث ينتشر فى جميع الأوراق فغذاء كلّ جزء من كلّ ورقه تجرى إليه فى تجاويف العروق، ففى كلّ ورقه عرق ممتد طولا و ينشعب منه عروق صغار كثيره عرضا و طولا، فكان الكبير نهل و ما انشعب عنها جداول، ثمّ ينشعب من الجداول سواقى أصغر منها ثمّ ينتشر منها

خیوط عنکبوت دقیقه خارجه عن ادراک البصر حتی تنبسط فی جمیع عرض الورق فیصل الماء فی أجوافها إلی سایر أجزاء الورق لتسقیها و تغذیها بمنزله العروق المبثوثه فی بدن الانسان و الحیوان لتوصل الغذاء إلی کلّ جزء منه و کذلک إلی سایر أجزاء الفواکه، فانّ الماء المتحرّک بطبعه إلی سفل کیف انجذب الی فوق من غیر حامل أو قاسر، فعلم أنّ له جاذبا آخر و مجرّکا خارجا عن الحسّ لیسخّره و یدبّره و ینتهی بالأخره إلی مدبّر السماوات و الأرض جلّت عظمته و تعالی شأنه.

الثانی أنّ أصناف النبات و الأشجار لما کانت محتاجه إلی الغذاء الدائم فی بقاء نضرته و طراوته کحاجه الحیوان إلی الغذاء و لم یکن لها أفواه کأفواه الحیوان جعل لها أصول مرکوزه فی الأرض لتنزع منها الغذا فتؤدّیه الیها فصارت الأرض کالأمّ المرّبیه و صارت اصولها کالأفواه الملتقمه للأرض، و أیضا لو لا تلک الأصول لما انتصب تلک الأشجار الطّوال العظام و لم یکن لها ثبات و دوام فی الریح العاصف، فهی لها بمنزله عمد الفساطیط و الخیم تمدّ بالأطناب من کلّ جانب لتثبت منتصبه فلا تسقط و لا تمیل، ثمّ انظر إلی هذه العروق الصغار المنشعبه من الأصول المرکوزه و أنها علی دقّتها و ضعفها کیف تجری فی أعماق الأرض و تسیر فیها علی صلبها عرضا و طولا- الثالث إخراج أنواع مختلفه من النّبات و أصناف متشتّه من الأشجار من حبّ و عنب و قضب و زیتون و نخل و رمّان و فواکه کثیره مختلفه الأشکال و الألوان و الطعوم و الروایح یفضل بعضها علی بعض فی الاکل مع أنّها جمیعا یسقی بماء واحد و یخرج من أرض واحده فان قلت: سبب اختلافها بذورها و حبوبها قلنا: هل یکفی ذلک فی ترتّب هذه الآثار؟ فانّ الحبوب علی اختلافها متشابهه فی الصوره و الجوهر فکیف یصیر بهذا الاختلاف موجبه لهذه الأنواع المتباعده المتباینه فی الصور الجوهریه و الکیفیّات و الخاصیّه، فهل کان فی النواه نخله مطوّقه بعنا قید الرطب؟

سلّمنـا أنّ اختلافهـا من المرجّحـات لكن نسوق الكلاـم إلى موجـد هـذه الاختلافات و فاعلها، فانظر إلى اختلاف طبايع النبات و خواصها و منافعها فهذا يغذى و هذا يقوى، و هذا يقتل و هذا يحيى و هذا داء و هذا دواء و هذا يسخّن و هذا يبرّد، و هذا يسهل الصّـفرا و هـذا يولـد السّوداء، و هـذا يقمع البلغم و هـذا يولده، و هذا يسـتحيل دما و هذا يطفيه، و هذا يسـكر و هذا ينوم، و هذا يفرّح و هـذا يضـعف، إلى غير هـذا ممّـا لو أردنـا اسـتقصاء العجـايب المودعه فيهـا انقضت الأيـام و مع ذلـك فالحكم الباطنه و المصالح الكامنه فيها أكثر جدّا مما وصلت اليه عقولنا القاصره، فهذه هى دلائل القدره و علامات العظمه و آثار الصنع و الحكمه فى الأشياء المذكوره نبّهنا عليها على وجه الاختصار إذ الاستقصاء فيها خارج عن الطّوع و الاختيار، فسبحان من أقام الحجّه على مخلوقاته بما أراهم من بدايع آياته و جعلها تذكره لاولى الألباب، و هو أعلم بالصواب

الترجمه

بعض ديگر از اين خطبه در صفت زمين و گسترانيدن او است بر روى آب مى فرمايد:

فرو برد حضـرت بـارى تعـالى زمين را بر بالاى موجهاى با شـدّت و صولت و بر روى لجّه هاى درياهاى پر شـدّت بر آمـده در حالتى كه مى زدند موجهاى با شدّت آنها بعضـى بعضـى را و ردّ مى كردند يكديگر را دفع كننده هاى موجهاى بزرگ و بلند آنهـا، و مى انداختنـد كـف را ماننـد شـتران نر در وقت هيجـان آنهـا، پس فروتنى نمود سركشـى آب موج زننـده و ردّ كننـدهٔ يكديگر بجهه سنگينى باران زمين و ساكن گرديد هيجان مدافعه آن وقتى كه در نورديد زمين آن آب را بسينه خود، و خوار شـد آب در حـالتى كه خـاضع و فروتن بـود وقـتى كه غلطيـد زمين بر او بدوشـهاى خود ماننـد غلطيـدن حيوان در خـاك پس گرديد آب بعد از اضطراب و شدّه موجهاى او ساكن و ذليل و در حلقهٔ

آهنین لجام ذلت گردن نهاده و گرفتار، و ساکن شد زمین در حالتی که گسترانیده شده بود در میان موج عمیق آن آب، و باز گردانید آبرا از نخوت فخر و بلندی آن و از پر بادی دماغ آن و بلندی از اندازه گذشتن آن، و ببست آبرا بر پری روان شدن آن، پس ساکن شد آب بعد از سبکی و جهیدنهای خود، و ایستاد بعد از تبختر کردن در جستنهای خود، پس چون ساکن گردید هیجان آب از زیر أطراف زمین و بار فرمود حق تعالی کوههای بلند بالا را بر دوشهای زمین، روان گردانید چشمهای آبرا از بالای بینیهای زمین، و پراکنده ساخت آن چشمها را در بیابانهای گشاده آن و مجاری نهرهای آن، و تعدیل فرمود حرکتهای زمین را بکوههای ثابت شونده از سنگهای آن، و بکوههائی که صاحب سرهای بلندند از سختیهای سنگهای آن پس ساکن شد زمین از اضطراب بجهه فرو رفتن کوهها در قطعهای سطح آن، و بسبب در آمدن کوهها در عمق زمین در حالتی که در آمده اند در خانهای اندرون بینیهای زمین بواسطه سوار شدن کوهها بر گردنهای زمینهای هموار و بر بلندیهای آن، و فراخ کرد حق تعالی میان هوا و میان زمین را و مهیّا فرمود هوا را محل تنفس کشیدن از برای ساکنین آن، و بیرون آورد بسوی زمین اهل آنرا بر تمامیت منافع و مصالح آن پس از آن ترک نکرد زمین بی گیاه را که قاصر باشد آبهای چشمه ها از سیراب نمودن بلندیهای آن زمین، و نمی یابد رودخانه ها وسیله رسیدن بدان زمین، تا این که ایجاد فرمود أز برای آن أبری ظاهر شده که زنده میکند مردهای آنرا و بیرون می آورد گیاه آنرا، جمع و ترکیب فرمود ابرهای سفید آنرا بعد از تفرّق قطعهای درخشان آن ابر و مباینت پارهای آن تا این که چون متحرّك شد معظم ابرهای سفید در آن ابر، و درخشان گشت برق آن در جوانب و اطراف آن، و خواب نکرد یعنی ساکن نشد لمعان آن در

میان پارهای ابر سفید آن، و میان متراکم ابر کشیده آن فرستاد حق تعالی آن ابر را در حالتی که ریزاننده آبست و دریابنده بعضی بعضی را بتحقیق که نزدیک شد بزمین ابریکه بواسطهٔ ثقل مایل است بزمین که بیرون می آورد باد جنوب از ابر بارانهای بهم ریخته او را، و دفعه دفعه های بارانهای با شدّت او را پس چون افکند ابر سینه که قریب باضلاع او است چون شتر گران بار که سینهٔ خود بر زمین نهد، و انداخت گرانی چیزی را که بلند شده بود با او و از باد گرانی که بار شده بود بر آن، بیرون آورد بآن آب از موضع بی گیاه زمین گیاه روئیده را و از کوههای کم گیاه گیاههای تر و تازه را.

پس آن زمین بهجت می نماید بزینت مرغزارهای خود، و تفاخر میکند به آن چه که پوشانیده شده باو از چادرهای شکوفهای نور دهنده خوش شکل خوش بوی خود، و تکبر می نماید بزیور آنچه که معلّق شده بآن از شکوفهای با نضرت و طراوت آن، و گردانیده است حق سبحانه و تعالی آنرا که بیرون آورده از زمین مایهٔ وصول عالمیان بمقصود خودشان، و روزی از برای چهارپایان، و شکافت حضرت باری راههای گشاده را در اطراف زمین، و بر پا نمود نشانه ها از برای سالکین بر میانهای راههای زمین

الفصل السابع

اشاره

فلمّا مهّد أرضه، و أنفذ أمره، اختار آدم علیه السّلام خیره من خلقه، و جعله أوّل جبّلته، و أسکنه جنّته، و أرغد فیها أکله، و أوعز إلیه فیما نهاه عنه، و أعلمه أنّ فی الإقدام علیه التّعرّض لمعصیته، و المخاطره بمنزلته، فأقدم علی ما نهاه عنه موافاه لسابق علمه، فأهبطه بعد التّوبه لیعمر أرضه بنسله، و لیقیم الحجّه به علی عباده، و لم یخلهم

بعد أن قبضه ممّا يؤكّد عليهم حجّه ربوبيّته، و يصل بينهم و بين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيره من أنبيائه، و متحمّلى و دائع رسالاته، قرنا فقرنا، حتّى تمّت بنبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حجّته، و بلغ المقطع عذره و نذره، و قدّر الأرزاق، فكثّرها و قلّلها، و قسّمها على الضّيق و السّعه، فعدل فيها، ليبتلى من أراد بميسورها و معسورها، و ليختبر بذلك الشّكر و الصّبر من غنيّها و فقيرها، ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها، و بسلامتها طوارق آفاتها، و بفرج أفراجها غصص أتراحها، و خلق الآجال، فأطالها و قصّرها، و قدّمها و أخّرها، و وصل بالموت أسبابها، و جعله خالجا لأشطانها، و قاطعا لمرائر أقرانها.

اللغه

(الخيره) على وزن العنبه المختار، و قد يسكن الياء و فى القاموس خار الرجل على غيره خيره و خيرا و خيره، فضّله على غيره كخيره، و فى شرح المعتزلى الخيره اسم من اختاره اللّه يقال: محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خيره اللّه و (الجبلّه) بكسر الجيم و الباء و تشديد اللاّم الخلقه و الطبيعه و قيل فى قوله تعالى:

«خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ».

أى ذوى الجبلّه، و يحتمل أن يكون من قبيل الخلق بمعنى المخلوق، و قيل الجبلّه الجماعه من الناس و (الاكل) بضمّتين الرزق و الحظّ قال تعالى:

«أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها ».

ص:٣٢

و (أوعزت) الى فلان فى فعل أو ترک أى تقدّمت و امرت و (خاطر) بنفسه و ماله أشفاهما على خطر و ألقاهما فى المهلكه قال فى المغرب: (تعهد) الصيغه و تعاهدها أتاها و أصلحها و حقيقته جدّد العهد بها و (القرن) أهل كلّ زمان مأخوذ من الاقتران فكأنّه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلک الزمان فى أعمارهم و أحوالهم فقيل:

أربعون سنه و قيل ثمانون سنه و قيل: مأئه و (مقطع) الشىء منتهاه كأنه قطع من هناک و (العذر و النذر) إما مصدران بمعنى الاعذار و الانذار أو ما بيّن للمكلّفين من الأعذار فى عقوبته لهم إن عصوه، و ما أنذرهم به من الحوادث و قوله:

(فعدل) بالتخفيف و فى بعض النسخ بالتشديد و (الميسور و المعسور) مصدران بمعنى اليسر و العسر كالمفتون بمعنى الفتنه، و يمتنع عند سيبويه مجىء المصدر على وزن مفعول قال: الميسور الزمان الذى يوسر فيه و (العقابيل) جمع عقبول و عقبوله و هى قروح صغار تخرج غبّ الحمى بالشفه و (الفرج) جمع فرجه و هى التفصّى من الهمّ و (الغصص) جمع غصّه و هى ما اعترض فى الحلق و (الاتراح) جمع الترح محركه كأسباب و سبب الهمّ و الهلاک و الانقطاع و (خلجه) يخلجه من باب نصر جذبه و (الأشطان) جمع الشطن بالتحريک و هو الحبل أو الطويل منه و (المرائر) جمع مرير و مريره و هى الحبال المفتوله على اكثر من طاق و قيل: الحبال الشّديده الفتل و قيل: الطوال الدّقاق منها و (الأقران) جمع قرن بالتحريک و هو حبل يجمع به البعيران.

الاعراب

قوله: خيره منصوب إمّا على المصدر أو على كونه اسما منه كما حكيناه عن القاموس و عن شرح المعتزلى، فيكون المعنى اختاره اختيارا أى فضّله تفضيلا و اختاره خيارا، و انتصاب اسم المصدر بالفعل أيضا غير عزيز يقال: توضّأ وضوء و تطيّر طيره و افتدى فديه، و على كونه بمعنى المختار فهو منصوب على الحال، و موافاه منصوب على الحدث بحذف العامل أى فوا فى المعصيه موافاه و طابق بها سابق العلم مطابقه، و لا يجوز جعله مفعولا له حتى يكون عله للفعل لاستلزامه

كون علمه السّابق علّه لاقدامه على المعصيه و هو لا يستقيم على اصول العدليه

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمن لتمجيد اللّه سبحانه باعتبار خلقه آدم عليه السّلام و تفضيله على غيره و اتمام نعمته عليه و مقابلته بالعصيان و مقابله عصيانه بقبول توبته و اهباطه إلى الأرض و إكرام ذرّيته بعده ببعث الأنبياء فيهم و قسمته بينهم معيشتهم و آجالهم بالقلّه و الكثره و الضيق و السعه و ابتلائه لهم بذلك فقوله عليه السّلام(فلمّا مهّد أرضه)أى سوّاها و أصلحها أو بسطها على الماء و لعلّ المراد هنا إتمام خلق الأرض على ما تقتضيه المصلحه فى نظام امور ساكنيها و فى شرح البحرانى أى جعلها مهادا كقوله تعالى:

«أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً ».

أو جعلها مهدا كقوله تعالى:

«جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً ».

و على التقدير الأوّل أراد أنه خلقها بحيث يسهل على العباد أن يتصرّفوا فيها بالقعود و القيام و الزراعه و ساير جهات المنفعه، و على التقدير الثانى يكون لفظ المهد استعاره لها بملاحظه تشبيهها بمهد الصبىّ فى كونها محلّ الراحه و النوم (و انفذ أمره) أى أمضى أمره التكوينى فى ايجاد المخلوقات و إتمامها و كان من تمامها خلقه نوع الانسان و ترجيحه على الأشباه و الأقران كما أشار إليه بقوله (اختار) أبا البشر (آدم) على نبيّنا و آله و عليه السّلام (خيره من خلقه) و فضّله سبحانه و ذرّيته على ساير مخلوقاته كما قال عزّ من قائل:

«إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ».

و قد اشير إلى بعض جهات التفضيل و الاصطفاء فى الآيات الشريفه

فمنها أنه سبحانه شرّفه بالاستخلاف كما قال:

«إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً ».

و منها اضافه روحه إلیه کما قال:

«وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی ».

و منها اضافه خلقته إلی یدیه کما قال:

«ما مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِیَدَیَّ ».

و منها أمر الملائکه بالسجود له کما قال:

«وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ ».

و منها تعلیمه الأسماء و ایثاره بذلک علی ملائکه السّماء کما قال:

«وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ کُلَّها ».

و منها تکرمته و ذرّیته بما اشیر إلیه بقوله:

«وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلاً ».

و منها جعلهم قابلا لاتیان الطّاعات و حمل الأمانات کما قال:

«إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ » و منها تصویره لهم بالصور الحسنه کما قال:

«صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ ».

و منها تعلیمهم البیان کما قال:

«خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ ».

و منها تعديل الأعضاء و استقامه القامه كما قال:

«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ».

و منها التّعليم بالقلم كما قال:

«اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ ».

و منها كونه نسخه جامعه لما فى الملك و الملكوت و كتابا مبينا لاسرار القدره و الجبروت، و لذلك عقّب بيان خلقته بقوله:

«فَتَبارَکَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ ».

و إلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السّلام فيما نسب اليه:

دوائك فيك فلا تبصر و دائك منك فلا تشعر

و أنت الكتاب المبين الذى بأحرفه تظهر المضمر

أ تزعم أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الاكبر

فقد ظهر بذلك كلّه أنه سبحانه اختاره على غيره (و جعله أوّل جبلته) أى أوّل شخص من نوع الانسان و أوّل خليفه خلقت فى الأرض. و فيه ردّ على من قال بقدم الأنواع المتوالده (و أسكنه جنّته) و أبا جهاله بقوله:

«اُسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَ ».

(و أرغد فيها اكله) أى جعله واسعا طيّبا و قال له و لزوجته:

«کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما ».

(و أوعز إليه فيما نهاه عنه) أى تقدّم إليه فى الأكل من الشجره و نهاه عن ذلك و عاهده فى ذلك كما قال:

«وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ».

(و أعلمه أنّ فى الاقدام عليه) أى على ما نهاه عنه (التعرّض لمعصيته) كما قال:

«وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ ».

(و المخاطره بمنزلته) أى اشراف منزلته على خطر و انحطاط درجته كما قال:

«فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقى ».

فالضمير فى منزلته راجع إلى آدم، و يحتمل رجوعه إليه سبحانه كضمير معصيته على الظاهر (فأقدم على ما نهاه عنه) «فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ».

و قد مرّ تأويل تلك المعصيه و أضرابها فى شرح الفصل الثانى عشر و الفصل الثالث عشر من فصول الخطبه الأولى و لا حاجه إلى الاعاده و قوله:(موافاه لسابق علمه) أراد أنه وافى بالمعصيه و طابق بها سابق العلم فأقدم على المنهيّ عنه بما قدر عليه و كتب فى حقّه فى القضاء الالهى السابق على وجوده يدلّ عليه ما ورد فى بعض الأخبار أنّ آدم عليه السّلام حجّ لموسى عليه السّلام فقال موسى: أنت خلقك اللّه بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته و أسكنك جنّته فلم عصيته؟ قال آدم عليه السّلام له: أنت موسى الذى اتّخذك اللّه كليما و أنزل عليك التّوراه؟ قال له: نعم قال له: كم من سنه وجدت الذنب قدّر عليّ قبل فعله؟

ص:۳۷

قال: کتب علیک قبل أن تفعله بخمسین ألف عام، قال: یا موسی أ تلومنی علی أمر قد کتب علیّ فعله قبل أن أفعله بخمسین ألف سنه؟ فان قلت: إذا کانت المعصیه مکتوبه علیه مقدّره فی حقه ثابته فی العلم الالهی قبل وجوده، فلا بدّ أن یکون مجبورا فیها غیر متمکن من ترکها قلت: العلم لیس علّه للمعلوم بل حکایه له و کونها مقدّره فی حقّه لا یستلزم اضطراره إذا لم یکن ذلک قدرا حتما و قضاء لازما، و إلاّ لما استحقّ اللّوم و العتاب بقوله:

«أَ لَمْ أَنْهَکُما عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَهِ وَ أَقُلْ لَکُما إِنَّ الشَّیْطانَ لَکُما عَدُوٌّ مُبِینٌ ».

و لم ینسبا العصیان إلی أنفسهما و لم یقولا:

«رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ ».

فان قلت: کیف لم یکن قدرا حتما و المستفاد من بعض الأخبار أنّ أکلهما منها کانا بمشیّه حتم و إراده ملزمه، و هو ما رواه فی الکافی عن علیّ بن إبراهیم عن علیّ بن معبد عن واصل بن سلیمان عن عبد اللّه بن سنان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:

سمعته یقول: أمر اللّه و لم یشأ و شاء و لم یأمر، أمر إبلیس أن یسجد لآدم علیه السّلام و شاء أن لا یسجد و لو شاء لسجد، و نهی آدم علیه السّلام من أکل الشجره و شاء أن یأکل منها و لو لم یشأ لم یأکل و عن علیّ بن إبراهیم أیضا عن المختار بن محمّد الهمدانی و محمّد بن الحسن عن عبد اللّه بن الحسن العلویّ جمیعا عن الفتح بن یزید الجرجانی عن أبی الحسن علیه السّلام قال: إنّ للّه إرادتین و مشیّتین: إراده حتم، و إراده عزم، ینهی و هو یشاء و یأمر و هو لا یشاء، أو ما رأیت أنّه نهی آدم و زوجته أن یأکلا من الشجره و شاء ذلک، و لو لم

يشأ أن يأكلا لما غلبت شهوتهما مشيه اللّه تعالى، و أمر إبراهيم عليه السّلام أن يذبح إسحاق و لم يشأ أن يذبحه و لو شاء لما غلبت مشيّه إبراهيم عليه السّلام مشيّه اللّه(۱) قلت: ظاهر الخبرين و إن كان يفيد أنّ صدور الأكل منهما إنّما كان عن مشيته الملزمه و أنّه لو لم يشإ الأكل أى شاء عدم الأكل لما امكن لهما الاقدام عليه و إلّا لزم غلبه مشيّتهما مشيّته سبحانه فيلزم منه العجز تعالى عن ذلك علوّا كبيرا، إلّا أنّه يمكن توجيههما على وجه يطابق الأصول العدليّه و لا ينافيها.

فنقول: أمّا الرّوايه الأولى فقد وجّهت بوجوه:

الأوّل حملها على التّقيّه لكونها موافقه لأصول الجبريّه(۲)

ص:۳۹

۱- (۱) قال بعض شراح الكافى فى شرح الروايه الاولى: أنّ مشيّته تعالى من صفات ذاته فلا يمكن تخلف مقتضاه، و أما أمره فهو ليس من صفاته بل هو من قبيل أفعاله لكنه على قسمين: أمر تكوين، و أمر تشريع فالاول كما فى قوله تعالى: انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون و الثانى كقوله: فقعوا له ساجدين: و كقوله: و لا تقربا هذه الشجره، فالأمر الذى هو من القسم الاول لكونه بارتفاع الوسايط لا بدّ فيه من وقوع المأمور به لا سبيل الّا الطاعه خاصه من غير احتمال تمرّد، و الذى هو من القسم الثانى لكونه بالواسطه و على ألسنه الرسل و الملائكه فيمكن فيه العصيان و التجاوز عن الامر فمنهم من اطاع و منهم من عصى اذا تقرر هذا فنقول: من الجايز أن يأمر تعالى عبده بشىء أمرا تكليفيا و لم يشأ وقوع المأمور به، أو نهى و شاء وقوع المنهىّ عنه لعلمه بالمصلحه العظيمه فى ذلك كما أمر ابليس أن يسجد لآدم و لم يشأ، بل شاء أن لا يسجد و نهى آدم عن أكل الشجره و شاء أن يأكل منها و لا يقع فى الوجود الّا ما شاء اللّه، فلو شاء أن يسجد ابليس لآدم لسجد لا محاله، و لو شأ أن لا يأكل آدم منها شيئا لم ياكل البته كما فى قوله تعالى و ما شاء اللّه كان و ما لم يشأ لم يكن انتهى و قال بعضهم فى شرح الروايه الثانيه انّ اراده الحتم هى الاراده الحتميه و المشيه القطعيه التى لا يجوز تخلّف المراد عنها كما هو شأن ارادته و مشيته تعالى بالنسبه الى أفعاله، و اراده العزم هى الاراده العزميه الغير الحتميه و المشيه التخييريه الغير القطعيه التى يجوز تخلف المراد عنها كما هو شأن ارادته و منسيته بالنسبه الى أفعال العباد، منه

۲- (۲) هذه الكلمات غير موجوده فى القرآن نعم هى مذكوره فى بعض الأدعيه، و لعلّ الشبهه من الناسخ «المصحح»

الثانی أن یقال المراد بالمشیّه العلم فالمقصود أنه أمر بشیء و لم یعلم وقوع ذلک الشیء لعدم وقوعه فلا یتعلّق علمه بوقوعه، و شاء یعنی علم وقوع شیء و لم یأمر به لکونه غیر مرضیّ له الثالث أن یقال: المراد بمشیه الطاعه هدایاته و ألطافه الخاصه التی لیست من ضروریات التکلیف، و بمشیه المعصیه خذلانه و عدم فعل تلک الألطاف بالنسبه إلیه و شیء منهما لا یوجب جبره علی الفعل و الترک و لا ینافی استحقاق الثواب و العقاب الرابع ما قیل: إنّ المراد تهیه أسباب فعل العبد بعد إراده العبد ذلک الفعل الخامس أنه اسناد للفعل إلی العلّه البعیده، فانّ العبد و قدرته و إرادته لما کانت مخلوقه للّه تعالی فهو جلّ و علا علّه بعیده لجمیع أفعاله السادس أن یقال: إنّ المراد بمشیّته عدم جبره علی فعل الطاعه أو ترک المعصیه، و بعباره اخری سمّی عدم المشیه مشیه العدم، فمعنی الحدیث أنه أمر اللّه بشیء علی وجه الاختیار و أراده علی وجه التفویض و الاختیار، و لم یشأ ذلک الشیء مشیّه جبر و لم یرد إراده قسر، و شاء و لم یأمر یعنی شاء شیئا مشیه تکلیفیّه و أراده إراده تخییریه و لم یأمر به علی وجه القسر و لم یرده علی وجه الجبر ثمّ أوضح ذلک بقوله: أمر إبلیس أن یسجد لآدم علیه السّلام علی سبیل الاختیار و أراد منه السجود من غیر القسر و الاجبار، و شاء أن لا یسجد بالجبر و القسر و لو شاء لسجد أی لو شاء سجوده لآدم علی الجبر و القسر لسجد له، لأنّ الأفعال القسریه لا تخلف عن الفاعل و حیث لم یسجد علم انتفاء المشیه القسریه و الاراده الجبریه، و نهی آدم علیه السّلام عن أکل الشجره علی وجه الاختیار و کره منه أکل ثمرتها من غیر الالجاء و الاجبار و شاء أن یأکل منها أی شاء أن یکون الأکل أمرا اختیاریا و أراد أن لا یکون مجبورا فی ترکه و فی قبول النهی عنه، و لو لم یشأ لم یأکل أی لو لم یشأ أن یکون له اختیار فی أکله و کان مجبورا علی ترکه لم یأکل، لأنّ المجبور علی ترک الشیء و مسلوب الاختیار عن فعله لا یقدر علی الاتیان به، و حیث أکل علم أنه صاحب القدره و الاختیار فیه و أنّه تعالی أراد أن یکون فعل العبد

و تركه بقدرته و اختياره حفظا لنظام التكليف و تحقيقا لمعنى الثواب و العقاب و أمّا الروّايه الثّانيه فقد وجّهها الصدوق «ره» بمثل التوجيه السّادس فى الروايه السّابقه قال ره فى محكيّ كلامه عن كتاب التّوحيد بعد ايراد الروايه:

إنّ اللّه تعالى نهى آدم و زوجته عن أن يأكلا من الشجره و قد علم انهما يأكلان منها لكنه عزّ و جلّ شاء أن لا يحول بينهما و بين الأكل بالجبر و القدره كما منعهما من الأكل منها بالنهى و الزجر، فهذا معنى مشيته فيهما، و لو شاء عزّ و جلّ منعهما عن الأكل بالجبر ثمّ أكلا منها لكان مشيّتهما قد غلبت مشيّه اللّه كما قال العالم عليه السّلام، تعالى اللّه عن العجز علوّا كبيرا انتهى.

أقول: و ساير الوجوه السّابقه جاريه هنا أيضا كما لا يخفى، و لعلّنا نشبع الكلام على هذا المرام عند تحقيق مسأله الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين فى مقام مناسب لذلك إنشاء اللّه، هذا.

و قوله عليه السّلام:(فأهبطه بعد التوبه) نصّ صريح فى كون التوبه قبل الاهباط و هو المطابق للترتيب الذكرى فى آيه طه قال تعالى:

«وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً ».

إلاّ أنا استظهرنا فى التنبيه الأوّل من تنبيهات الفصل الثالث عشر من فصول الخطبه الاولى أنّ الاهباط كان قبل التوبه لدلاله الأخبار الكثيره على ذلك، و يمكن الجمع بين الأدلّه بحمل ما دلّ على تقدم التوبه على الهبوط على نفس التوبه، و ما دلّ على تأخّرها عنها على قبولها و يقال: بتأخّره عن التوبه، أو حمل ما دلّ على تأخّرها على التوبه الكامله، و اللّه العالم و كيف كان فانما أهبطه سبحانه (ليعمر أرضه بنسله و ليقيم الحجّه به على عباده) قد مرّ كيفيه ابتداء النسل فى شرح الفصل الرابع عشر من الخطبه الأولى و أمّا إقامه الحجّه به على عباده فالمراد به كونه خليفه للّه سبحانه فى أرضه

و حجّته على خلقه ممن كـان معه من أولاده و من أتى بعده من الـذين كـانوا على شرعه و قـال الشارح المعتزلى: المراد باقامه الحجّه به أنّه إذا كان أبوهم اخرج من الجنّه بخطيئه واحده فأخلق بها أن لا يدخلها ذو خطايا جمّه، و الأظهر ما قلناه (و لم يخلهم بعد أن قبضه) اللّه سبحانه إليه (مما يؤكّد عليهم حجّه ربوبيّته و يصل بينهم و بين معرفته) أراد أنه لم يخل الخلق بعد قبض آدم اليه من الحجج المؤكّده لأدلّه ربوبيّته و الموصله للخلق إلى معرفته، و فى الاتيان بلفظ التّاكيد إشاره إلى أنّ أدلّه الرّبوبيّه و آيات القـدره و براهين التّوحيـد و شواهـد التفريـد للخـالق تعـالى سـاطعه قـائمه، و آثـار الجلال و الجبروت فى الأنفس و الآفاق للحقّ سبحانه نيّره واضحه، و إنما الغرض من بعث الرّسل و إنزال الكتب محض التأكيـد و التأييد، و إلّا فالأدلّه العقليّه فى مقام الحجيّه كافيه وافيه.

و قوله:(بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيره من أنبيائه و متحمّلى ودائع رسالاته قرنا فقرنا) أى أصلحهم و جدّد العهد بهم فى كلّ قرن قرن بالحجج الجاريه على ألسن الأنبياء و الرّسل، و المودعه فى الصحف و الكتب حسبما مرّ توضيحه فى شرح الفصل الرّابع عشر من الخطبه الاولى فى الرّوايه الطويله لأبى حمزه الثمالى عن أبى جعفر عليه السّلام (حتّى تمّت بنبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حجّته) و أكمل به دينه و ختم به أنبيائه و رسله (و بلغ المقطع عذره و نذره) أى بلغ الغايه و النهايه اعذاره و انذاره، و قيل المراد بالعذر ما بيّن اللّه سبحانه للمكلّفين من الأعذار فى عقوبته لهم إن عصوه، و بالنّذر ما أنذرهم به من الحوادث و خوّفهم به، و قد مرّ (و قدّر الأرزاق) فى حقّ الخلايق و كتبها فى أمّ الكتاب كما قال سبحانه:

«وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ ».

قيل: أى فى السّماء تقدير رزقكم أى ما قسّمه لكم مكتوب فى اللّوح المحفوظ لأنّه فى السّماء (فكثّرها و قلّلها) أى كثّرها فى حقّ طائفه و قلّلها فى حقّ

ص:۴۲

طائفه اخرى على ما يقتضيه الحكمه، أو كثّرها و قلّلها بالنسبه إلى شخص واحد بحسب اختلاف الأزمان و الحالات (و قسّمها على الضّيق و السّعه) لما كان المتبادر من القسمه البسط على التساوى بيّن ما أراده بذكر الضيق و السّعه، و لمّا كان ذلك موهما للجور أردفه بذكر العدل و قال:(فعدل فيها) أى فى تلك القسمه ثمّ أشار إلى نكته العدل و حكمته بقوله(ليبتلى من أراد بميسورها و معسورها و ليختبر بذلك الشكر و الصبر من غنيّها و فقيرها)نشر على ترتيب اللّف على الظاهر و الضمير فيهما راجع إلى الأرزاق و فى الاضافه توسّع، و يحتمل عوده إلى الأشخاص المفهوم من المقام أو إلى الدّنيا أو إلى الأرض و لعلّ احداهما أنسب ببعض الضمائر الآتيه، و قد مرّ تحقيق معنى اختبار اللّه سبحانه و ابتلائه فى شرح الخطبه الثانيه و الستين.

و محصّل المراد أنّه سبحانه يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده و يقدر له و يجعل بعضهم غنيّا و بعضهم فقيرا و يختبر بذلك الشكر من الأغنياء و الصبر من الفقراء، لاعظام مثوباتهم و إعلاء درجاتهم إن شكروا و قنعوا، و تشديد عقوباتهم و احتطاط مقاماتهم إن كفروا و جزعوا، و يجىء لذلك إنشاء اللّه مزيد توضيح فى شرح الخطبه القاصعه (ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها)لا يخفى ما فى تشبيه الفاقه و هى الفقر و الحاجه أو آثارها بالعقابيل من اللّطف، لكونها مما يقبح فى المنظر و تخرج فى العضو الذى لا يتيسّر ستره عن النّاس و تشتمل على فوائد خفيّه، و كذلك الفقر و ما يتبعه، و أيضا تكون غالبا بعد التلذّذ و التنعمّ (و بسلامتها طوارق آفاتها) أراد بها متجدّدات المصائب و ما يأتى بغته من الطروق و هو الاتيان باللّيل (و بفرج أفراجها غصص أتراحها) أراد أنّ التفصّى من همومها مقارن لغصصها، و نشاطها معقّب لهلاكها قال الأعشى:

و لكن أرى الدّهر الذى هو خائن اذا صلحت كفاى عاد فأفسدا

شباب و شيب و افتقار و ثروه فللّه هذا الدّهر كيف تردّدا

ص:۴۳

و قال الحريرىّ:

وقع الشّوائب شيّب و الدّهر بالناس قلّب

إن دان يوما لشخص ففى غد يتغلّب

فلا تثق بوميض من برقه فهو خلّب

و قال آخر:

استقدر اللّه خيرا و ارضينّ به فبينما العسر إذ دارت مياسير

و بينما المرء فى الأحياء مغتبط إذ صار فى الرّمس تعفوه الأعاصير

(و خلق الآجال فأطالها و قصّرها و قدّمها و أخّرها) قال فى البحار: الأجل محرّكه مدّه الشيء و غايه الوقت فى الموت(۱) و حلول الدّين، و تعليق الاطاله و التقصير على الأوّل واضح، و أما التقديم و التأخير فيمكن أن يكون باعتبار أنّ لكلّ مده غايه و حينئذ يرجع التقديم إلى التقصير و الاطاله إلى التأخير، و يكون العطف للتفسير تأكيدا، و يحتمل أن يكون المراد بالتقديم جعل بعض الأعمار سابقا على بعض و تقديم بعض الامم على بعض مثلا، فيكون تاسيسا، و يمكن أن يراد بتقديم الآجال قطع بعض الأعمار لبعض الأسباب كقطع الرّحم مثلا- كما ورد فى الأخبار و بتأخيرها مدّها لبعض الاسباب فيعود الضمير فى قدّمها و أخّرها إلى الأجل بالمعنى الثانى على وجه الاستخدام أو نوع من التجوّز فى التعليق كما مرّ (و وصل بالموت أسبابها) الضمير راجع إلى الآجال، و المراد باتّصال أسبابها به على كون الأجل بمعنى مدّه العمر هو اتصال أسباب انقضاء الآجال به، و على المعنى الثانى هو اتصال أسباب نفس الآجال به، و المراد بالأسباب على ذلك هى بعض الأمراض المفضيه إلى الموت و نحوها من الأسباب المؤدّيه إليه.

(و جعله خالجا لأشطانها) أى جعل الموت جاذبا لحبائل الآجال إليه و أراد بها الأعمار تشبيها لها بالأشطان فى الطول و الامتداد، و استعار لفظ الخلج للموت

ص:۴۴

۱- (۱) و بعباره اخرى هو زمان حلول الموت، منه.

باعتبار استلزام الموت لقرب الأجل كما أنّ الجاذب يقرب المجذوب إلى نفسه (و قاطعا لمرائر أقرانها) قال المجلسيّ و لعلّ المراد بمرائر أقران الآجال الأعمار التی یرجی امتدادها لقوّه المزاج أو البنيه و نحوها، و اللّه العالم

الترجمه

پس چون بسط فرمود و گسترانيد حقّ سبحانه و تعالى زمين خود را، و اجراء كرد امر خود را اختيار نمود جانب آدم عليه السّلام را اختيار كردنى، يا اين كه برگزيد او را برگزيده شدهٔ از ميان خلقان و گردانيد او را أوّل طبيعتى از نوع انسان و ساكن فرمود او را در بهشت خود و وسعت داد در آنجا رزق او را و مقدّم داشت بسوى وى در آنچه نهى كرد او را از آن يعنى أكل از شجره، و اعلام كرد او را كه در اقدام نمودن بر آن فعل متعرّض شدنست بمعصيت او و در خطر افكندن و ضايع ساختن است منزلت و مرتبت او، پس اقدام كرد جناب آدم بر آنچه كه نهى فرموده بود خدا از آن، و موافقت كرد اين موافقت نمودنى با علم سابق حضرت بارى پس فرود آورد او را بزمين بعد از توبه و انابت تا اين كه آباد نمايد زمين خود را با نسل او، و تا اين كه اقامهٔ حجت نمايد با او به بندگان خود، و خالى نگذاشت بندگان خود را بعد از قبض فرمودن روح آدم عليه السّلام از چيزى كه مؤكّد شود حجت پروردگارى او را و وصل كند ميان ايشان و ميان معرفت او بلكه تجديد عهد فرمود با ايشان بحجتها و دليلها بر زبان برگزيدگان از پيغمبران خود و متحملان امانتهاى پيغامهاى خود در قرنى بعد از قرنى. تا اين كه تمام شد بپيغمبر ما كه محمّد بن عبد اللّه صلوات اللّه عليه و آله است حجّه بالغهٔ او، و بنهايت رسيد عذر او در عذاب عاصيان و ترساندن او از آتش سوزان و مقدّر فرمود روزيها را پس بسيار گردانيد آنرا بر بعضى و كم گردانيد آنرا بر بعض آخر، و قسمت كرد آنها را بر تنگى و وسعت، پس عدالت كرد در آن قسمت تا اين كه امتحان نمايد هر كه را بخواهد با آسانى روزى و دشوارى آن و تا اين كه اختيار نمايد با اين شكر و صبر را از توانگر و درويش آن

پس از آن مقارن ساخت بفراخی روزیها تبخالهای فقر و فاقهٔ آن، و بسلامتیهای آن مصیبتهای ناگهان آنرا، و بگشادگیهای شادیهای آن غصّهای هلاکتهای آنرا و خلق کرد اجلها را پس دراز نمود آنرا و کوتاه گردانید و مقدّم فرمود بعض آنرا و تأخیر انداخت بعض دیگر را و چشانید بمرگ اسباب اجلها را، و گردانید مرگ را کشنده ریسمانهای اجلها و برنده ریسمانهای محکم پرتاب آنها

الفصل الثامن

اشاره

عالم السّرّ من ضمائر المضمرین، و نجوی المتخافتین، و خواطر رجم الظنون، و عقد عزیمات الیقین، و مسارق إیماض الجفون، و ما ضمنته أکنان القلوب، و غیابات الغیوب، و ما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع، و مصائف الذّرّ، و مشاتی الهوامّ، و رجع الحنین من المولهات و همس الأقدام، و منفسح الثمره من و لائج غلف الأکمام، و منقمع الوحوش من غیران الجبال و أودیتها، و مختبئ البعوض بین سوق الأشجار و ألحیتها، و مغرز الأوراق من الأفنان، و محطّ الأمشاج من مسارب الأصلاب، و ناشئه الغیوم و متلاحمها، و درور قطر السّحاب فی متراکمها، و ما تسفی الأعاصیر بذیولها، و تعفو الأمطار بسیولها، و عوم نبات الأرض فی کثبان الرّمال، و مستقرّ ذوات الأجنحه بذری شناخیب الجبال، و تغرید ذوات المنطق فی دیاجیر الأوکار، و ما أوعته الأصداف و حضنت علیه أمواج البحار،

و مـا غشـيته سـدفه ليـل أو ذرّ عليه شارق نهار، و ما اعتقبت عليه أطباق الـدّياجير و سبّحات النّور، و أثر كلّ خطوه، و حسّ كلّ حركه، و رجع كـلّ كلمه، و تحريـك كلّ شـفه، و مسـتقرّ كلّ نسـمه، و مثقال كلّ ذرّه، و هماهم كلّ نفس هامّه، و ما عليها من ثمر شـجره، أو ساقط ورقه، أو قراره نطفه، أو نقاعه دم و مضـغه، أو ناشـئه خلق و سلاله، لم يلحقه فى ذلك كلفه، و لا اعترضته فى حفـظ مـا ابتـدعه من خلقه عـارضه، و لاـ اعتورته فى تنفيـذ الأمور و تـدابير المخلوقين ملاله و لا فتره، بل نفـذ فيهم علمه، و أحصـيهم عـدّه، و وسـعهم عدله، و غمرهم فضـله، مع تقصـيرهم عن كنه ما هو أهله. أللّهمّ أنت أهل الوصف الجميل، و التّعداد الكثير، إن تؤمـل فخير مـأمول، و إن ترج فـأكرم مرجوّ، أللّهمّ و قـد بسـطت لى فيمـا لاـ أمـدح به غيرك، و لا أثنى به على أحد سواك، و لا أوجّهه إلى معادن الخيبه، و مواضع الرّيبه، و عـدلت بلسانى عن مدائـح الآدميّين، و الثّنآء على المربوبين المخلوقين، أللّهـمّ و لكـلّ مثـن على من أثنى عليه مثـوبه من جزاء، أو عـارفه من عطـاء، و قـد رجوتـک دليلاـ على ذخـائر الرّحمه، و كنـوز المغفره.

ص:۴۷

ألّلهمّ و هذا مقام من أفردك بالتّوحيد الّذى هو لك، و لم ير مستحقّا لهذه المحامد و الممادح غيرك، و بى فاقه إليك، لا يجبر مسكنتها إلاّ فضلك، و لا ينعش من خلّتها إلاّ منّك وجودك، فهب لنا فى هذا المقام رضاك، و أغننا عن مدّ الأيدى إلى سواك، إنّك على كلّ شىء قدير.

اللغه

(السر) هو ما يكتم و هو خلاف الاعلان و (ضمير) الانسان قلبه و باطنه و الجمع ضمائر على التشبيه بسريره و سرائر لأنّ باب فعيل إذا كان اسما لمذكر يجمع كجمع رغيف و أرغفه و رغفان قاله الفيومى، و فى القاموس الضمير السّر و داخل الخاطر و (النجوى) اسم مصدر بمعنى المساره من انتجى القوم و تناجوا تسارّوا و (التخافت) كالاخفات خلاف الجهر قال الشّاعر:

أخاطب جهرا إذ لهنّ تخافت و شتّان بين الجهر و المنطق الخفت

و (الخاطر) ما يخطر فى القلب من تدبير أمر و نحوه و (العقد) جمع عقده بالضمّ و عقده كلّ شىء الموضع الذى عقد منه و احكم و (أومضت) المرأه إذا سارقت النظر و أومض البرق إذا لمع لمعا خفيفا و أومض فلان أشار اشاره خفيه و (الاكنان) و الاكنّه جمع الكنّ و هو اسم لكلّ ما يستتر فيه الانسان لدفع الحرّ و البرد من الأبنيه و نحوها و ستر كلّ شىء و وقائه قال تعالى:

«وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً ».

قال الشّارح المعتزلى: و يروى أكنه القلوب و هى غلقها و اغطيتها قال تعالى «وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ».

ص:۴۸

و (غيابه) البئر قعره قال تعالى:

«وَ أَلْقُوهُ فِی غَيابَتِ الْجُبِّ ».

و غيابه كلّ شیء ما يستركَ منه و (استراق) السّمع الاستماع فی خفيّه قال تعالى:

«إِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ ».

و (الذّر) جمع ذرّه و هی صغار النّمل و (الهوام) جمع الهامّه و هو كلّ ذات سمّ يقتل كبعض الحيّات و ما لا يقتل فهو السّامه كالزنبور و قد يطلق الهوام على ما يدبّ من الحيوان كالحشرات و (منفسح) الثمره بالنون و الحاء المهمله من باب الانفعال موضع انفساحها، و يروى متفسخ الثمره بالتاء و السّين المشدّده و الخاء المعجمه من باب التّفعل يقال: تفسّخ الشعر عن الجلد زال و (الولايج) المواضع السّاتره جمع و ليجه و هی كالكهف يستتر فيه المارّه من مطر أو غيره و يقال:

أيضا فی جمعه و لج و اولاج و (الغلف) بضمّه أو ضمّتين جمع غلاف ككتاب و يوجد فی النّسخ على الوجهين و (الاكمام) جمع الكمّ بالكسر و هو وعاء الطلع و غطاء النّور و يجمع أيضا على الأكمه و كمام.

و (منقمع) الوحوش من باب الانفعال محلّ الانقماع و الاختفاء، و فی بعض النسخ من باب التفعّل بمعناه و (الغيران) جمع غار و هو ما ينحت فی الجبل شبه المغاره فاذا اتّسع قيل كهف، و قيل: الغار الجحر يأوى إليه الوحش أو كلّ مطمئنّ فی الأرض أو المنخفض من الجبل و (الالحيه) جمع اللّحاء ككساء و هی قشر الشجر و (الامشاج) قيل: مفرد و قيل جمع مشج بالفتح أو بالتحريك أو مشيج وزان يتيم و أيتام أی المختلط و (المسارب) المواضع الذی يتسرّب فيها المنی أی يسيل أو يختفی من قولهم تسرب الوحش إذا دخل فی سربه أی جحره و اختفى او مجاری المنی من السرب بمعنى الطريق، و تفسيرها بالاخلاط التی بتولّد منها المنی كما احتمله الشّارح البحرانی بعيد (فی متراكمها) فی بعض النسخ و متراكمها بالواو

و (الأعاصير) جمع الأعصار و هو بالكسر الريح التى تهب صاعدا من الأرض نحو السّماء كالعمود و قيل: التى فيها نار و قيل: التى فيها العصار و هو الغبار الشديد و (العوم) السباحه و سير السّفينه و (بنات الأرض) بتقديم الباء على النون على ما فى أكثر النسخ و فى بعضها بالعكس و (ذرى) جمع ذروه بالكسر و الضمّ (و غرد) الطائر كفرح و غرّد تغريدا رفع صوته و طرب به و (الحضن) بالكسر ما دون الابط إلى الكشح أو الصدر و العضدان و ما بينهما، و حضن الصبىّ من باب نصر جعله فى حضنه.

و (ذرت) الشمس تذر و ذروا أى طلعت و شرقت و (شرقت) الشمس و أشرقت أى أضاءت و (التّعداد) بالفتح مصدر للمبالغه و التكثير و قال الكوفيون أصله التفعيل الذى يفيد المبالغه قلبت ياؤه الفا و بالكسر شاذّ و (المحامد) جمع المحمده بفتح العين و كسرها يقال: حمده كسمعه حمدا و محمدا و محمده و محمده أثنا عليه

الاعراب

عالم السّر خبر لمبتدأ محذوف بدلاله المقام، و كلمه من فى قوله: من ضماير المضمرين بيانيه إن كان الضمير بمعنى السرّ و هو الأظهر و بمعنى فى على حدّ قوله تعالى:

«إِذا نُودِيَ لِلصَّلاهِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَهِ ».

ان كان بمعنى القلب، و نجوى المتخافتين على كون من بيانيّه عطف على الضّماير، و على كونها بمعنى فى يكون عطفا على السّر و الأوّل أظهر لأنّ نجوى المتخافتين و ما يتلوه من المعطوفات كلّها من قبيل الاسرار، و قوله: من ولايج غلف الاكمام حرف من بيانيّه أو تبعيضيه على روايه منفسح بالنون و الحاء المهمله وصله أو بيانيه على روايته بالتاء و الخاء المعجمه، و إضافه الغلف إلى الاكمام من قبيل إضافه العام إلى الخاص لإفاده الاختصاص إذ كلّ كمّ غلاف دون العكس، و جمله لم يلحقه إما حال من فأعل عالم السرّ المصدر به الفصل أو استيناف بيانىّ و الثّانى أظهر

ص:٥٠

و قوله: فخير مـأمول خبر لمبتـدأ محـذوف، و قوله: بسـطت لى فيمـا لاـ أمـدح كلمه فى إما زائـده أو للظرفيّه المجازيه، و مفعول بسطت محذوف أى بسطت لى القدره أو اللّسان أو الكلام فيما لا أمدح، و الباء فى قوله: عدلت بلسانى للتعديه، و دليلا منصوب إمّا على الحال من مفعول رجوتك أو مفعول له، و من فى قوله:

من خلّتها زائده، و الفاء فى قوله: فهب لنا فصيحه

المعنى

اعلم أنّه عليه السّـلام لمـا ذكر فى الفصول السّابقه عجائب قـدرته تعالى و بـدايع صـنعته و دلائل حكمته و براهين عظمته أردفها بهذا الفصل للتنبيه على عموم علمه سـبحانه بجزئيات الامور و خفايا الأسرار، و قد مضى بعض الكلام فى هذا المعنى فى الخطبه الخامسه و الثمانين و الخطبه التاسـعه و الأربعين، و مرّ تحقيق عموم علمه بجميع الأشـياء فى تنبيه الفصل السّابع من فصول الخطبه الاولى، إلاّ أنّ هذا الفصل قد تضـمن ما لم يتضمنه الخطب السابقه، فانّ فيه مع جزاله اللّفظ و عظم خطر المعنى و فصاحه العباره و غزاره(۱) الفحوى الاشاره إلى أصناف خلقه و أنواع بريّته و عجائب ربوبيته، و قد أحصا عليه السّلام فيه من خفيّات المخلوقات و خبيّات الموجودات و مكنونات المصنوعات مالا يوجد فى كلام غيره بل لا يقدر عليه(۲) سواه، تنبيها بذلک على برهان علمه تعالى بها، لأنّ خلقه لها و حفظه و تربيته لكلّ منها و إظهار بدايع الحكمه فى كلّ صـفه من أوصافها و حال من أحوالها لا يتعقّل إلاّ ممّن هو عالم بها مدرک لحقايقها، كما قال عزّ من قائل:

«أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ».

قال الشّارح المعتزلى و لنعم ما قال: لو سمع أرسطاطالس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات هذا الكلام له عليه السّلام لخشع قلبه وقفّ شعره و اضطرب فكره، ألا ترى ما عليه من الرّوا و المهابه و العظمه و الفخامه و المتانه و الجزاله مع ما قد اشرب

۱- (۱) الغزيره الكثيره الدر من الآبار و الينابيع الكثيره الماء، ق

۲- (۲) اى على ذلک الاحصاء، منه

من الحلاوه و الطلاوه و اللطف و السلاسه، لا أرى كلاما يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه، فانّ هذا الكلام نبعه من تلك الشجره، و جدول من ذلک البحر، و جذوه من تلک النار كأنّه شرح قوله تعالى:

«وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ ».

فلنعد إلى شرح كلامه عليه السّلام لعجز اللسان و قصور البيان عن احصاء فضائله و استقصاء خصائصه فأقول قوله:(عالم السّر من ضمائر المضمرين) أراد به أنه خبير بمكتوبات السرائر و محيط بمكنونات الضمائر، لا يعزب عن علمه شيء منها كما قال عزّ من قائل:

«وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى ».

(و نجوى المتخافتين) أى مساره الذين يسرّون المنطق كما قال تعالى:

«ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَهٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَهٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ ».

(و خواطر رجم الظنون) يعنى ما يخطر بالقلب ممّا يسبق إليه الظّنون من غير برهان (و عقد عزيمات اليقين) أى محكمات العقائد الناشئه عن اليقين التى عقد عليها القلب و اطمأنّ إليها النّفس (و مسارق ايماض الجفون) يعنى خفيات(۱) إشاره الجفون، أو المراد بالجفون العيون مجازا و بالمسارق النظرات الخفيه التى للعيون كانّها تسرق النظر لاخفائها فيكون المقصود علمه بالنّظرات الخفيّه للعيون حين تومض أى تلمع لمعا خفيفا يبرز لمعانها تاره و يختفى اخرى عند فتح

۱- (۱) هذا على كون المسارق من سرق كفرح بمعنى خفى و الايماض بمعنى الاشاره منه،

الجفون و طبقها كوميض البرق (و ما ضمنته اكنان القلوب) أى أستارها و أغطيتها (و غيابات الغيوب) أى ستراتها و حجاباتها المانعه من ادراك ما فيها (و ما أصغت لاستراقه مصائخ الاسماع) يعنى تسمعت و مالت إلى استماعه خفيه مخارق الاسماع التى تسمع و تصاخ بها (و مصائف الذرّ و مشاتى الهوام) يعنى المواضع التى يصيف فيها أى يقيم بالصّيف صغار النمل و المواضع التى تشتو فيها أى تأوى بالشتاء حشرات الأرض (و رجع الحنين من المولهات) أراد به ترجيع الصوت و ترديد شده البكاء من النوق و كلّ انثى حيل بينها و بين أولادها (و همس الأقدام) أخفى ما يكون من صوتها (و منفسح الثمره من ولايج غلف الأكمام) أى موضع نموّها أو محلّ انقطاعها من بطانه الأكمام و المواضع المستتره منها (و منقمع الوحوش) محلّ اختفائها (من غير ان الجبال) و أغوارها أى جحراتها التى تأوى إليها الوحش (و أوديتها) الضمير راجع إلى الجبال و فى الاضافه توسع (و مختبئى البعوض) موضع اختفاء البق (بين سوق الأشجار و ألحيتها) أى بين جذعها و قشرها (و مغرز الأوراق من الأفنان) محلّ و صلها من الاغصان (و محط الامشاج من مسارب الأصلاب) اى انحدار الاخلاط أو محلّ انحدارها(۱) من مجارى الأصلاب و مسيلها أو مخفاها قيل فى قوله تعالى:

«إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشاجٍ ».

أى أخلاط من الطبايع من الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه، و قيل:

من الأجزاء المختلفه فى الاستعداد، و قيل: أمشاج أى أطوار طورا نطفه و طورا علقه و هكذا، و قيل: أى أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأه و كلّ منهما مختلفه الاجزاء فى الرقه و القوام و الخواص و لذلک يصير كلّ جزء منهما مادّه عضو و قيل:

ألوان فانّ ماء الرّجل أبيض و ماء المرأه أصفر فاذا اختلطا اخضّرا، و كلامه عليه السّلام

ص:۵۳

۱- (۱) و الاول مبنى على كون المحط مصدرا و الثانى على كونه اسم مكان، منه

يؤيـد بعض الوجوه كمـا لاـ يخفى فيكون محطّ الأمشاج مقرّ النطفه من الرّحم أو من الأصـلاب على بعض الوجوه فى المسارب فـافهم (و ناشـئه الغيوم و متلاحمها) أراد أوّل ما ينشأ منها و لم يتكامل اجتماعها و ما يلتصق بعضـها ببعض و يلتحم (و درور قطر السـحاب فى متراكمها) أى سـيلان المطر فى متكاثف السّـحاب و مجتمعها(و ما تسـفى الأعاصير)أى تذروه و تثيره من التراب و نحوه(بـذيولها)بأطرافها التى تجرّها على الأرض و لطف الاسـتعاره ظاهر (و تعفو الأمطار بسـيولها) اى تمحوه و تـدرسه من الآثار بمائها الكثير السّائل (و عوم بنات الأرض فى كثبان الرّمال)أراد عليه السّـلامببنات الأرض الحشرات و الهوام التى تكون فى تلال الرّمال و تنشأ فيها، استعار لحركتها فيها لفظ العوم الذى هو السّـباحه فى الماء بمشابهه عدم اسـتقرارها أو غوصها فيها، و على ما فى بعض النسـخ من تقـديم النون فلفظ العوم اسـتعاره لحركه عروق النباتات فيها كأرجل السّابحين و أيديهم فى الماء (و مسـتقرّ ذوات الأـجنحه من الطيور بـذرى شـناخيب الجبـال) و أعـالى رؤوسـها (و تغريـد ذوات المنطق) أى تطريب صاحبـات النطق من الأطيـار و رفع أصواتها بالغناء (فى دياجير الأوكار) و ظلماتها (و ما أوعته الأصـداف) أى حفظته و جمعته من اللّئالى (و حضـنت عليه أمواج البحار)من السـمك و العنبر و غيرهما، اسـتعار لفظ الحضن للأمواج فى انطباقها بملاحظه شبهها و بالحواضن فى ضمّ فرخها و بيضـها إلى حضـنها (و ما غشـيته) و غطته (سـدفه ليل) و ظلمتها (أو ذرّ عليه شارق نهار) أى طلع عليه الشّـمس المضـيئه بالنهار (و ما اعتقبت) و تعاقبت (عليه أطباق الدياجير) و أغطيه الظلم (و سـبحات النور) أى ما يجرى و يسـبح عليه النور من سبح الفرس و هو جريه، و المراد بما تعاقب عليه النور و الظلمه ما تغطيه ظلمه بعـد نور و نور بعد ظلمه، و يحتمل أن يراد تعاقب أفراد كلّ منهما (و أثر كلّ خطوه) أى علامه كلّ مشيه تبقى فى الأرض (و حسّ كلّ حركه) و صوتها الخفى (و رجع كلّ كلمه) أراد به ما ترجع به من

الکلام إلی نفسک و تردّده فی فکرک، أو جواب الکلمه أو تردید الصوت و ترجیعه عند التلفظ بالکلمه أو إرجاع النفس للتلفظ بکلمه بعد الوقف علی کلمه.

(و تحریک کلّ شفه و مستقر کلّ نسمه) أی کلّ انسان أو کلّ دابه فیها روح، و مستقرّها إما الصّلب أو الرّحم أو القبر أو مکانه فی الدّنیا أو فی الآخره أو الأعم (و مثقال کلّ ذرّه) یعنی وزنها لا المثقال المعروف کما قال تعالی:

«فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ ».

(و هماهم کلّ نفس هامه) أراد علیه السّلام تردیدات الصّوت فی الحلق أو تردّداته فی الصدر من الهم و الحزن من کلّ نفس ذات همه تعزم علی أمر (و ما علیها) أی علی الأرض المفهومه بقرینه المقام و إن لم یسبق لها ذکر فی الکلام علی حدّ قوله تعالی: کلّ من علیها فان (من ثمره شجره أو ساقط ورقه أو قراره نطفه) مستقرّها (أو نقاعه دم) أی نقره یجتمع فیها الدّم (و مضغه) قطعه لحم بقدر ما یمضغ (أو ناشئه خلق) أی الصّوره ینشئها سبحانه فی البدن أو الرّوح التی ینفخها فیه (و سلاله) و هی فی الأصل ما استلّ و استخرج من شیء و سمّی الولد و نطفه الانسان سلاله باعتبار أنّهما استلا منه، و فی هذه الفقرات إشاره إلی قوله تعالی:

«وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِینٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِی قَرارٍ مَکِینٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ ».

ثمّ إنّه بعد بیان عموم علمه بالمخلوقات علی اختلاف أنواعها و أصنافها نبّه علی تنزّهه سبحانه فی ذلک عن صفات البشر فقال (لم یلحقه فی ذلک) أی فی علمه بالجزئیات المذکوره أو فی خلقه لها علی اختلاف موادّها و ماهیّاتها و خواصّها و حالاتها (کلفه) و مشقّه (و لا اعترضته) و منعته (فی حفظ ما ابتدع من خلقه

عارضه) أی حاله أو خصله مانعه عن الحفظ (و لا اعتورته) قیل أحاطت به (فی تنفیذ الامور) و إمضائها (و تدابیر المخلوقین) و إجراء امورهم علی وفق المصلحه و العلم بالعواقب (ملاله) و ضجر (و لا فتره) أی کسر بعد حدّه و لین بعد شدّه (بل نفذ فیهم علمه) و أحاط بطواهرهم و بواطنهم لا یعزب عنه شیء منهم (و أحصاهم عدّه) و فی بعض النسخ عدوه (و وسعهم عدله و غمرهم) أی غطاهم و شملهم و سترهم (فضله) و نواله (مع تقصیرهم عن کنه ما هو أهله) و حقیقه ما هو مستحقه من الثناء الجمیل و الوصف علی جهه التعظیم و التبجیل، و أن یعبد حقّ العباده، و یعرف حقّ المعرفه و فیه تنبیه علی حقاره ثنائهم و عبادتهم فی جنب جلاله و عظمته و استحقاقه لما هو أهله لیدوم شکرهم و ثنائهم و لا یستکثروا شیئا من طاعاتهم و عباداتهم، ثمّ إنه لما حمد اللّه و أثنا علیه و وصفه بأوصاف الکمال و نعوت الکبریاء و الجلال أردفه بالدّعاء و السؤال و التضرّع و الابتهال فقال:

(اللهمّ أنت أهل الوصف الجمیل) دون غیرک لاتّصافک بالصّفات الحسنی و الأمثال العلیا (و التعداد الکثیر) من النعم و الآلاء و المنن و العطایا (إن تؤمل) للکرم و الامتنان (ف) أنت (خیر مأمول و إن ترج) للرحمه و الغفران (ف) أنت (أکرم مرجوّ) لأنّ کرمک لا یضیق عن سؤال أحد و یدک بالعطاء أعلی من کلّ ید (اللّهمّ و قد بسطت لی) القدره (فیما) کنایه عن بلاغه الکلام و فصاحه البیان و عذوبه اللّسان (لا أمدح به غیرک و لا اثنی به علی أحد سواک) لاختصاصک بالفضل و الکمال و تفرّدک بالعظمه و الجلال (و لا اوجّهه) أی لا أصرف ما أعطیتنی من الفصاحه و البلاغه فی الحمد و المدح (إلی معادن الخیبه و مواضع الریبه) یعنی أنی اقصر حمدی و ثنائی علیک و لا أصرفه إلی أحد غیرک من المخلوقین علما منّی بأنّهم معادن الخیبه و مظانّ الحرمان، لأنّ عطایاهم قلیله فانیه، مع أنّهم لا یعطون غالبا فان اعطوا قلّوا و إن لم یعطوا ملّوا، و عرفانا منّی بأنهم مواضع الرّیبه و التهمه لعدم الاعتماد علی إعطائهم و عدم الوثوق بمواعیدهم، لکونهم عاجزین

محتاجين مفتقرين مثل السّائلين عنهم، فمن توجّه بحاجه إليهم و أناخ مطايا الرجاء فى بابهم فقد تعرّض للحرمان و استحقّ فوت الاحسان اللهمّ (و) قد (عدلت بلسانى عن مدايح الآدميين) إلى مدائحك (و الثناء على المربوبين المخلوقين) إلى الثناء عليك (اللّهم و لكلّ مثن) و مادح (على من) مدحه و (أثنا عليه مثوبه من جزاء) مكافاه على ثنائه (أو عارفه من عطاء) مقابله لمدحه (و قد رجوتك) و قصرت رجائى عليك لكونك (دليلا على ذخائر الرحمه) موصلا إلى أسبابها بالتوفيق و التأييد و العنايه و المراد بها عظايم العطايا المذخوره ليوم الحاجه و المعدّه لحال الفاقه (و) أملتك هاديا إلى (كنوز المغفره) أراد بها خزاين الغفران و معادن الاحسان و كونه سبحانه هاديا و دليلا- عليهما باعتبار أنه بيده مفاتيح الكرم و الجود و هو ولىّ الرّحمه و المغفره لكلّ موجد موجود (اللّهمّ و هذا) المقام الذى أنا فيه مشغول بتعظيمك و توحيدك و خطيب بمحاسن محامدك (مقام من أفردك بالتوحيد الذى هو لك) و التمجيد الذى هو مختصّ بك (و لم ير مستحقّا لهذه المحامد و الممادح غيرك) لانحصار أوصاف الجمال و نعوت الكمال التى بها يستحقّ الحمد و الثناء فيك (و بى) فقر و (فاقه إليك) و هى الحاجه إلى كرمه و إحسانه و رحمته و غفرانه و مرضاته و رضوانه مما لا ينجحها أحد من المخلوقين و لا يقدر على رفعها إلاّ ربّ العالمين و لذلك قصره عليه و قال:

(لا يجبر مسكنتها إلاّ فضلك و لا ينعش من خلّتها إلاّ منّك وجودك) أى لا يصلح ذلّ تلك الفاقه و سوء حالها إلاّ فضلك و لا يرفع خصاصتها إلاّ- منك (فهب لنا فى هذا المقام رضاك، و أغننا عن مدّ الأيدى إلى سواك، إنّك على كلّ شيء قدير) و بالاجابه حقيق جدير.

قال الشارح المسكين: و أنا أتأسّى فى هذا المقام بجدّى أمير المؤمنين و سيد الوصيّين، و أتوسّل به إلى حضره ذى الجلال، و اناديه بلسان التضرّع و الابتهال، و أقول:

ص:۵۷

یا ربّی و ربّ کلّ شیء قد کثرت ذنوبی، و جمّت خطیئتی، و أوقرت الخطایا ظهری، و أنت الغفور الرّحیم، العزیز الکریم، و کثیر ما أسألک یسیر فی وجدک و خطیر ما أستوهبک حقیر فی وسعک، فاجعل ما أوضحته فی شرح هذه الخطبه الشریفه من دلائل توحیدک، و براهین تفریدک، و کشفت الغطاء عنه من شواهد ربوبیّتک، و أدلّه قدرتک، و أسرار تدبیرک و حکمتک، ذخیره مأموله لیوم فقری و فاقتی، و عدّه مرجوّه لحال مسکنتی و حاجتی، و ممحاه لکبایر سیأتی، و وسیله لارتفاع درجتی، و لا تقطع رجائی منک، و لا تبت سببی عنک، و تفضّل علیّ باتمام شرح الکتاب بمحمّد و آله الأطیاب، إنّک أنت المفضّل الوهّاب.

الترجمه

خداوند تعالی عالم راز و سرّ است از ضمیرهای صاحبان ضمیر، و از نجوای راز گویندگان، و از خاطرهای انداخته شدهٔ ظن و گمان، یعنی خاطرهائی که سبقت نماید بسوی أن ظنّها، و از آنچه منعقد می شود در قلب از عزیمتهای یقین، و از نظرهای خفیه چشمها در وقت نگریستن، و از آنچه که در بر گرفته است او را پردهای قلبها و حجابهای غیبها، و از آنچه که گوش داده است از برای نهان شنیدن آن مواضع سوراخ گوشها، و از جایهای تابستانی موران و از جای های زمستانی جنبندگان، و از باز گردانیدن آواز آه و ناله از مادران جدا شده از فرزندان و از صوت نهان قدمها و از جای روئیدن میوه از مداخل و بواطن غلافهائی که در آن میوه مخلوق می شود، و از محل اختفاء وحشها از غارهای کوهها، و از رودخانهای آنها، و از موضع پنهان شدن پشّها در میان ساقهای درختان و پوست های آنها، و از مکان رستن برگ ها از شاخها و از محلّ فرود آمدن اخلاط نطفه از مجاری صلبها، و از تازه بر آمده ابرها و بهم پیوسته آنها، و از ریزان شدن قطرها از أبرها و بهم بر نشسته آنها، و از آنچه که می پاشد آنرا گردبادها بدامنهای خود، و محو می کند آنرا بارانها بسیل های خود، و از فرو رفتن و سیر نمودن حشرات الأرض در تلّهای ریگها، و از محل استقرار صاحبان بال ها ببلندی های سرهای کوه ها،

ص:۵۸

و از آواز گردانیدن بنغمات و سرود صاحبان نطق از مرغان در تاریکی های آشیان ها و از آنچه که حفظ نموده است آنرا صدف ها، یعنی از لؤلؤ و مروارید، و دایگی نموده است آنرا موج های دریاها یعنی از عنبر و ماهی، و از آنچه که پوشیده آنرا تاریکی شب یا طلوع نموده بر آن روشنی دهنده روز، و از آنچه که پی در پی می آید بر او طبق های ظلمت ها و مجاری نور، و از علامت هرکام، و از حسّ و حرکت هر جسمی از اجسام، و از باز گردانیدن جواب هر کلمه، و از حرکت دادن هر لب، و از قرارگاه هر آفریده، و از مقدار هر ذرّه، و از آوازهای پنهان هر نفس صاحب همّت، و از آنچه که بر زمین است از میوهٔ درختی یا از افتادهٔ برگی یا از آرام گرفتن نطفه یا نقاعهٔ که محلّ اجتماع خونست و مضغه، یا صورتی که آفریده شده در بدن و نطفهٔ که بیرون کشیده شده از پشت حیوان.

نرسیده است بذات باری تعالی در این چیزها که آفریده مشقتی، و عارض نشده است او را در حفظ آنچه که ایجاد فرموده از مخلوقات عارضهٔ، و احاطه نکرده او را در اجراء امورات و تدبیر مخلوقات ملالت و کدورتی، و نه ضعف و فتوری، بلکه نافذ شده در ایشان علم او، و بشماره در آورده ایشان را شمردن او، و فرا گرفته است ایشان را عدالت او، و پوشیده گناهان ایشان را فضل او با وجود تقصیر کردن ایشان از پایان رسانیدن آنچه که خداوند سبحانه سزاوار او است از مراتب معرفت و عبادت.

بار پروردگارا توئی سزاوار اوصاف حسنهٔ بی شمار و اهل شمار نمودن شماره های بسیار اگر امید گرفته شوی تو، پس تو بهترین امید داشته شدهائی، و اگر رجا بتو باشد پس تو گرامی ترین رجا داشته شدگانی بار خدایا و بتحقیق که گسترانیدی از برای من قدرت را در آنچه که مدح نمیکنم با او غیر تو را، و ثنا نمیکنم با او بر أحدی غیر از تو، و متوجّه نمیکنم مدح و ثناء خود را بسوی مخلوقین که معدن های نومیدی و محل های تهمت می باشند و باز داشتهٔ زبان مرا از مدحهای آدمیان و ثنا گفتن بر مخلوقان که تربیت یافتهٔ

ص:۵۹

نعمت تو اند.

بـار خـدایا هر ثنا کننـده را بر کسـی که در حقّ او ثنا گفته ثوابی هست از پاداش آن یا خوبی از عطا کردن، و بتحقیق که امید گرفتم بتو از جهت این که تو رهنمـائی بر ذخیرهـای بخشـش، و خزانهـای مغفرت و آمرزش بار خـدایا این مقامی که مشـغول هستم بذکر حمد و ثنای تو مقام کسیست که منحصر دانست تو را بیگانگی که اختصاص دارد بتو، و ندید کسی را که مستحق باشد مر این ستایشها و ثناها را غیر از ذات تو، و مراست حاجتی بسوی تو که جبر و اصلاح نمی کند ذلّت آنرا مگر فضل تو، و بر نمی دارد فقر وفـاقت آنرا مگر عطـا وجود تو پس ببخش ما را در این مقام رضا و خشـنودی خود را، و مسـتغنی کن ما را از دراز نمودن دستها بسوی غیر تو، بدرستی که تو بر آن چه می خواهی صاحب قدرت می باشی.

و من کلام له علیه السّلام لما ارید علی البیعه و هو الواحد

اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

و قد رواه غیر واحد من العامه و الخاصه حسبما نشیر إلیه دعونی و التمسوا غیری، فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، و لاـ تثبت علیه العقول، و إنّ الآفاق قـد أغامت، و المحجّه قـد تنکّرت، و اعلموا أنّی إن أجبتکم رکبت بکم ما أعلم، و لم أصغ إلی قول القائل، و عتب العاتب، و إن ترکتمونی فأنا کأحـدکم، و لعلّی أسـمعکم و أطوعکم لمن و لیتموه أمرکم، و أنا لکم وزیرا خیر لکم منّی أمیرا.

ص:۶۰

اللغه

(غـامت) الآفاق و أغامت و اغيمت و غيمت تغييما و تغيمت غطاها الغيم، و غيم اللّيل جاء كالغيم و (المحجّه) الطريق الواضـح و (التنكّر) التّغير عن حـال تسـرّك إلى حال تكرهها و الاسم النّكير و (العتب) كالعتاب الملامه و (الوزير) حباء الملك أى جليسـه الذى يحمل ثقله و يعينه برأيه

الاعراب

قوله عليه السّلام: و أنا لكم آه الواو للحال، و الجمله بعدها منصوبه المحلّ على الحاليّه، و أنا مبتدأ و خير خبره و الظرفان متعلّقان به، و وزيرا و أميرا منصوبـان على الحـال، و اختلف علمـاء الأـدبيه فى عامـل الحـال إذا وقع فى مثل هـذا المثال، فمنهم من جعله أفعـل التفضـيل، و منهم من جعله كـان محـذوفه تـامه صـله لاذا و التقـدير أنا إذا كنت لكم وزيرا خير منّى لكم إذا كنت أميرا و تحقيق ذلك أنّهم بعـد حكمهم على عـدم جواز تقديم الحال على عامله إذا كان اسم تفضـيل من حيث ضـعفه فى العمل لأجل شباهته بالفعل الجامد فى عدم قبوله علامه التّأنيث و التثنيه و الجمع كما يقبلها أسـماء الفاعلين و المفعولين و الصـفه المشبهه فلا يتصرّف(١) فى معموله بالتقـديم كما لا يتصـرّف فى الفعل الجامـد، اسـتثنوا من ذلك ما إذا كان اسم التفضـيل عاملا فى حالين احـداهما مفضـله على الاخرى فانه يجب حينئذ تقديم الحال الفاضـله لخوف اللبس، و مثلوا له بقولهم هذا بسـرا أطيب منه رطبا، قال سـيبويه فى المحكىّ عنه: انتصب بسـرا على الحال من الضمير فى أطيب و انتصب رطبا على الحال أيضا من الضمير المجرور بمن، و العامل فيهما أطيب بما فيه من معنى المفاضله بين شيئين، كأنه قال: هذا فى حال كونه بسرا أطيب من نفسه

۱- (۱) - يعنى انّ الفعـل الجامـد لاـ يتصـرّف فيه فلا يتصرّف فى معموله و كـذلك ما أشـبهه فيجب تأخير الحال فيهما يقال ما أحسنه مقبلا و هذا أفصح الناس خطيبا. منه

فی حالکونه رطبا، ترید أن تفضل البسر علی الرطب، قال: فأطیب ناب مناب عاملین، لأنّ التقدیر یزید طیبه فی حالکونه بسرا علی طیبه فی حالکونه رطبا و أشار بذلک(۱) إلی التمر، و المعنی بسره أطیب من رطبه انتهی و به قال غیر واحد من النحاه کالمازنی و الفارسی و ابن کیسان و ابن جنی و ابن هشام فی التوضیح، و ذهب المبرّد و الزّجاج و ابن السّراج و السّیرافی إلی أنّ النّاصب فی المثال کان محذوفه تامه صله لإذا و إذا فان قلت ذلک و هو بلح فالمقدر اذا و ان قلته و هو تمر فالمقدر إذ، و الصاحبان المضمران فی کان لا ـ المضمر فی أطیب، و المجرور بمن و قدم الظرف یعنی إذا و إذا علی أطیب لاتساعهم فی الظروف و لهذا جاز کلّ یوم لک ثوب و لم یجز زید جالسا فی الدّار و کیف کان فقد اتفق الفریقان بعد اختلافهم فی عامل الحال علی وجوب تقدیم أحد الحالین علی اسم التفضیل و تأخیر الآخر لیظهر الفضل بین المفضّل و المفضّل علیه إذ لو أخّرا جمیعا حصل الالتباس.

فان قیل: إن جعل أحدهما تالیا لأفعل لا یحصل الالتباس، قلنا یؤدّی إلی الفصل بین أفعل و بین من و مجرورها و هو غیر جایز لکونهما بمنزله الصّله و الموصول فان قلت: فکیف فصّل بالظرف فی کلام الامام علیه السّلام؟ قلت: ذلک فصل جایز للاتّساع فی الظروف بما لا یتّسع فی غیره

المعنی

اشاره

اعلم أنّ المستفاد من الروایات الآتیه و غیرها فی سبب هذا الکلام هو أنّ خلفاء الجور بعد ما غیّروا سنّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سیرته التی کان یسیرها من العدل بالقسمه و المواساه بین الرّعیه، ففضّلوا العرب علی العجم، و الموالی علی العبید، و الرؤساء علی السفله، و آثر عثمان أقاربه من بنی امیه علی سایر الناس و جری علی ذلک دیدنهم سنین عدیده، و اعتاد الناس ذلک أزمنه متطاوله حتّی نسوا

۱- (۱) ای بلفظ هذا منه

سيره الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان غرض الطالبين لبيعته عليه السّلام أن يسير عليه السّلام فيهم مثل سيره من سبق عليه من المتخلّفين من تفضيل الشريف على الوضيع، و كان عليه السّلام تفرّس ذلك منهم و عرفه من و جنات حالهم.

خاطبهم بهذا الكلام إتماما للحجّه و إعلاما لهم بأنّه عليه السّلام إن قام فيهم بالأمر لا يجيبهم إلى ما طمعوا فيه من الترجيح و التفضيل فقال عليه السّلام (دعونى و التمسوا غيرى) للبيعه (فانّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان) و هو إنذار لهم بالحرب و إخبار عن ظهور الفتنه و اختلاف الكلمات و تشتّت الآراء و تفرّق الأهواء، يعنى أنّى إن أجبت إلى ملتمسكم فلا بدّ من ابتلاء أمر له أحكام صعبه و تكاليف شاقه من محاربه الناكثين و القاسطين و المارقين و التسويه فى القسمه و العدل بين الرّعيّه الى غير ذلك و هو مما (لا تقوم له القلوب) أى لا تصبر عليه (و لا تثبت عليه العقول) بل تنكره (و انّ الآفاق قد أغامت) أى أظلمت بظهور البدع و خفاء شمس الحقّ تحت سحاب شبه أهل الباطل (و المحجّه قد تنكّرت) أراد به تغيّر الحنيفيه البيضاء و الملّه الغرّاء و جهاله جادّه الحقّ (و اعلموا أنّى إن أجبتكم) إلى ما تلتمسونه منّى (ركبت بكم ما أعلم) أى جعلتكم راكبين على محض الحقّ و أسير فيكم بسيره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب) أى لم يأخذنى فى اللّه لومه لائم (و إن تركتمونى فأنا كأحدكم) يعنى إن تركتمونى فهو أنفع لكم و أرفه لحالكم لأنّى حينئذ أكون مثل واحد منكم و المراد بتركهم إيّاه عدم طاعتهم له و اختيار غيره للبيعه حتى لا تتمّ شرايط الخلافه لعدم النّاصر كما قال فى الخطبه الشقشقيّه: لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّه بوجود النّاصر لألقيت حبلها على غاربها، و ليس الغرض ردعهم عن البيعه الواجبه بل إتمام للحجه و توطئه لابطال ما علم عليه السّلام منهم من ادعاء الاكراه بعد البيعه كما فعل طلحه و الزّبير بعد النّكث و قوله (و لعلّى أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم) لعلّه عليه السّلام أراد أنه إذا تولى الغير أمر الامامه و لم تتم الشرائط فى خلافته عليه السّلام لم يكن ليعدل عن

مقتضى التقيّه فيكون أكثر الناس إطاعه لوالى الأمر بخلاف ساير النّاس فانّه يجوز عليهم الخطاء (و أنا لكم وزيرا خير لكم منّى أميرا) يعنى وزارتى خير لكم من امارتى، لأنّ فيه موافقه الغرض أو سهوله الحال فى الدنيا، فانّه على تقدير الاماره و بسط اليد يجب عليه القيام بمحض الحق و هو صعب على النفوس و لا يحصل به آمال الطامعين بخلاف ما إذا كان وزيرا فانّ تكليف الوزير هو الاشاره بالرأى مع تجويز التأثير فى الأمير و عدم الخوف و نحوه من شرايط الأمر بالمعروف، و لعلّ الأمير الذى يولّونه الأمر يرى فى كثير من الامور ما يوافق آمال القوم و يطابق أطماعهم و لا يعمل بما يشير الوزير فيكون وزارته أوفق لمقصود القوم فالحاصل أنّ ما قصد تموه و طمعتم فيه من بيعتى لا يتمّ لكم، و وزارتى أوفق لغرضكم، و المقصود إتمام الحجّه و إفهام حقيقه الأمر كيلا يعترضوا عليه بعد البيعه إذا لم يحصل غرضهم منه عليه السّلام و لا يقولوا: إنّا كنّا عن هذا غافلين، هذا.

و اعلم أنّ ما ذكرته فى شرح هذا الكلام له عليه السّلام هو الذى ينبغى أن يحمل الكلام عليه و هو أقرب و أظهر ممّا قاله الشّارح البحرانى «قد» من أنّ مراده عليه السّلام بكلامه ذلك هو التمنّع عليهم لتقوى رغبتهم إليه، فانّه لا بدّ لكلّ مطلوب على أمر من تعزّز فيه و تمنّع، و الحكمه فى ذلك أنّ الطالب له يكون بذلك أرغب فيما يطلب فانّ الطبع حريص على ما منع، سريع النفره عمّا سورع إلى اجابته فيه.

و أمّا الشّارح المعتزلى فقد تمشّى فيه على مذهبه و قال: هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره و يقولون: إنّه عليه السّلام لم يكن منصوصا عليه بالامامه من جهه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إن كان أولى النّاس بها و أحقّهم بمنزلتها، لأنه لو كان منصوصا عليه بالامامه من جهه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما جاز له أن يقول: دعونى و التمسوا غيرى، و لا أن يقول: و لعلّى أسمعكم و أطوعكم لمن و ليتموه أمركم، و لا أن يقول:

و أنا لكم وزيرا خير لكم منّى أميرا.

ثمّ ذكر تأويل الاماميه بأنّ الخطاب للطالبين منه أن يسير فيهم مثل سيره الخلفاء بتفضيل بعضهم على بعض فی القسمه و العطاء، فاستعفاهم و سألهم أن يطلبوا غيره ممن يسير بسيرتهما إلى أن قال: و قد حمل بعضهم كلامه عليه السّلام على محمل آخر فقال: هذا كلام مستزيد شاک من أصحابه يقول عليه السّلام لهم: دعونی و التمسوا غيری، على طريق التّضجر منهم و التّسخط لأفعالهم، لأنّهم كانوا عدلوا عنه من قبل و اختاروا غيره عليه فلما طلبوه بعد أجابهم جواب العاتب المتسخّط ثمّ قال: و حمل قوم منهم الكلام على وجه آخر فقالوا: إنّه أخرجه مخرج التّهكّم و السّخريه، أی أنا لكم وزيرا خير منّی لكم أميرا فيما تعتقدونه كما قال سبحانه:

«ذُقْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ».

أی بزعمک و اعتقادک ثمّ قال: و اعلم أنّ ما ذكروه ليس ببعيد أن يحمل الكلام عليه لو كان الدّليل قد دلّ على ذلک، فأمّا إذا لم يدلّ عليه دليل فلا يجوز صرف اللّفظ عن ظاهره. و نحن نتمسّک بالظاهر إلى أن يقوم دلاله على مذهبهم تصدّنا عن حمل اللّفظ على ظاهره، و لو جاز أن يصرف الألفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصدّ عنها لم يبق وثوق بكلام اللّه عزّ و جلّ و بكلام رسوله، انتهى كلامه هبط مقامه.

و أورد عليه المحدّث العلامه المجلسیّ طاب رمسه فی المجلّد الثّامن من البحار بعد نقل كلامه بقوله: و لا يخفى على اللّبيب بعد الغماض عن الأدلّه القاهره و النّصوص المتواتره لا فرق بين المذهبين فی وجوب التّأويل و لا يستقيم الحمل على ظاهره إلاّ على القول بأنّ إمامته عليه السّلام كان مرجوحا و أنّ كونه وزيرا كان أولى من كونه أميرا، و هو ينافی القول بالتفضيل الذی قال به، فانّه عليه السّلام إذا كان أحقّ بالامامه و بطل تفضيل المفضول على ما هو الحقّ و اختاره أيضا كيف يجوز للناس أن يعدلوا عنه إلى غيره و كيف يجوز له عليه السّلام أن يأمر الناس بتركه و العدول عنه

إلی غیره مع عدم ضروره تدعو إلی ترک الامامه؟ و مع وجود الضّروره کما جاز ترک الامامه الواجبه بالدّلیل جاز ترک الامامه المنصوص علیها، فالتأویل واجب علی التقدیرین و لا ـ نعلم أحدا قال بتفضیل غیره علیه و رجحان العدول إلی أحد سواه فی ذلک الزمان، علی أنّ الظّاهر للمتأمّل فی أجزاء الکلام حیث علّل الأمر بالتماس الغیر باستقبال أمر لا تقوم له القلوب و لا تثبت علیه العقول و یتنکّر المحجه و أنّه إن أجابهم حملهم علی محض الحقّ، هو أنّ السّبب فی ذلک وجود المانع دون عدم النّص و أنّه لم یکن متعیّنا للامامه أو لم یکن أحقّ و أولی به و نحو ذلک

تنبیه

متضمّن لبعض الأخبار المناسبه للمقام، قال ابن الأثیر فی المحکیّ عنه فی کتاب الکامل: لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من المهاجرین و الأنصار و فیهم طلحه و الزّبیر فأتوا علیّا علیه السّلام فقالوا له لا بدّ للناس من إمام، قال: لا حاجه لی فی أمرکم فمن اخترتم رضیت به، فقالوا: ما نختار غیرک و تردّدوا إلیه مرارا و قالوا فی آخر ذلک: إنّا لا نعلم أحدا أحقّ به منک و لا أقدم سابقه و لا أقرب قرابه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فقال علیه السّلام: لا تفعلوا فانی أکون وزیرا خیر من أن أکون أمیرا، فقالوا، و اللّه ما نحن بفاعلین حتّی نبایعک.

قال علیه السّلام: ففی المسجد فانّ بیعتی لا یکون خفیّا و لا یکون إلاّ فی المسجد و کان علیه السّلام فی بیته، و قیل: فی حایط لبنی عمرو بن منذر، فخرج إلی المسجد و علیه ازار و قمیص و عمامه خز و نعلاه فی یده متوکّئا علی قوسه، فبایعه الناس فکان أوّل من بایعه طلحه بن عبید اللّه، فنظر إلیه حبیب بن ذویب فقال: إنّا للّه و إنّا إلیه راجعون، أوّل من بدأ بالبیعه ید شلاء لا یتمّ هذا الأمر، و بایعه الزبیر و قالا بعد ذلک: إنما صنعنا ذلک خشیه علی أنفسنا، و هربا إلی مکّه بعد قتل عثمان بأربعه أشهر و بایعه الناس و جاءوا بسعد بن أبی وقاص فقال علیّ علیه السّلام: بایع، قال: لا حتّی یبایع النّاس و اللّه ما علیک منّی بأس، فقال علیه السّلام: خلّوا سبیله، و جاءوا بابن عمر فقالوا: بایع

ص:۶۶

فقال: لا حتى يبايع الناس، قال: ائتنى بكفيل قال، لا أرى كفيلا، قال الأشتر:

دعنى أضرب عنقه قال عليه السّلام: دعوه أنا كفيله.

و بايعت الأنصار إلّا نفرا يسيرا منهم حسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و مسلمه بن مخلد، و أبو سعيد الخدرى، و محمّد بن مسلمه، و النعمان بن بشير، و زيد ابن ثابت، و كعب بن مالك، و رافع خديج، و فضاله بن عبيد، و كعب بن عجره كانوا عثمانيه فأمّا النعمان بن بشير فانه أخذ أصابع نائله امرئه عثمان التى قطعت و قميص عثمان الذى قتل فيه، فلحق بالشام فكان معاويه يعلّق قميص عثمان و فيه الأصابع فاذا رأوا ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجدّوا فى أمرهم قال: و روى أنهم لمّا أتوا عليّا عليه السّلام ليبايعوه قال: دعونى و التمسوا غيرى فانّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول، فقالوا ننشدك اللّه ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى الاسلام؟ ألا ترى الفتنه؟ ألا تخاف اللّه؟ فقال: قد أجبتكم و اعلموا أنى إن أجبتكم أركب بكم ما أعلم فان تركتمونى فانما أنا كأحدكم إلّا أنّى من أسمعكم و أطوعكم لمن و ليتموه و روى الشّارح المعتزلى عن الطبرى و غيره أنّ الناس غشوه و تكاثروا عليه يطلبون مبايعته و هو عليه السّلام يأبى ذلك و يقول: دعونى و التمسوا غيرى فانّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تثبت عليه العقول و لا تقوم له القلوب، قالوا: ننشدك اللّه ألا ترى الفتنه؟ ألا ترى إلى ما حدث فى الاسلام؟ ألا تخاف اللّه؟ فقال عليه السّلام: قد أجبتكم لما أرى منكم و اعلموا أنى إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم و إن تركتمونى فانّما أنا كأحدكم بل أنا أسمعكم و أطوعكم لمن و ليتموه أمركم، فقالوا:

ما نحن بتاركيك.

قال عليه السّلام: إن كان لا بدّ من ذلك ففى المسجد إنّ بيعتى لا يكون خفيّا و لا يكون إلّا عن رضاء المسلمين و فى ملاء و جماعه، فقام و النّاس حوله فدخل المسجد و انثال عليه المسلمون فبايعوه و فيهم طلحه و الزبير و فى البحار من المناقب فى جمل أنساب الأشراف أنه قال الشعبى فى خبر:

لما قتل عثمان أقبل الناس إلى علىّ عليه السّلام ليبايعوه و مالوا إليه فمدّوا يده فكفّها، و بسطوها فقبضها حتّى بايعوه و فى ساير التواريخ أنّ أوّل من بايعه طلحه بن عبد اللّه و كانت أصبعه اصيبت يوم أحد فشلّت، فبصر بها أعرابىّ حين بايع فقال: ابتدأ هذا الأمريد شلاء لا يتمّ، ثمّ بايعه الناس فى المسجد، و يروى أنّ الرّجل كان عبيد بن ذويب فقال: يد شلاء و بيعه لا يتمّ و فى البحار و بويع يوم الجمعه لخمس بقين من ذى الحجّه سنه خمس و ثلاثين من الهجره، و عن المعلّى بن خنيس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام انّ اليوم الذى بويع فيه أمير المؤمنين ثانيه كان يوم النيروز، هذا و لمّا بويع عليه السّلام انشأ عطيّه هذه الأبيات:

رأيت عليّا خير من وطىء الحصا و أكرم خلق اللّه من بعد أحمد

وصىّ رسول المرتضى و ابن عمّه و فارسه المشهور فى كلّ مشهد

تخيّره الرّحمن من خير اسره لأطهر مولود و أطيب مولد

إذا نحن بايعنا عليّا فحسبنا ببيعته بعد النبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

و أنشأ خزيمه بن ثابت

إذا نحن بايعنا عليّا فحسبناأبو حسن ممّا نخاف من الفتن

وجدناه أولى النّاس بالنّاس انهأطبّ قريش بالكتاب و بالسنن

و انّ قريشا لا تشقّ غبارهاإذا ما جرى يوما على ضمر البدن

ففيه الذى فيهم من الخير كلّهو ما فيهم مثل الذى فيه من حسن

وصىّ رسول اللّه من دون أهلهو فارسه قد كان فى سالف الزّمن

و أوّل من صلّى من الناس كلّهمسوى خيره النسوان و اللّه ذى المنن

و صاحب كبش القوم فى كلّ وقعهيكون لها نفس الشجاع لدى الذقن

فداك الذى تثنى الخناصر باسمهإمامهم حتّى اغيّب فى الكفن

الترجمه

از جملۀ کلام بلاغت نظام آن إمام عالیمقام است وقتى كه اراده شد بر بيعت

ص:۶۸

بعد از کشته شدن عثمان بی ایمان می فرماید:

ترک نمائید مرا از این کار و معاف بدارید و طلب کنید غیر مرا پس بدرستی که ما استقبال نمایندگانیم کاری را که مر او را است وجهها و رنگهای گوناگون که نمی ایستد و صبر نمی نماید آن کار را قلبها، و ثابت نمی شود بر آن عقلها، و بدرستی که آفاق و اطراف عالم را ظلمت گرفته و راه روشن شریعت تغییر یافته، و بدانید این که بدرستی من اگر اجابت نمایم و قبول کنم حرف شما را سوار گردانم شما را به آن چه که خودم می دانم و گوش نمی دهم بگفتار گوینده و ملامت ملامت کننده، و اگر بگذارید مرا بحال خود و معذور بدارید پس من می باشم مثل یکی از شماها، و شاید این که گوش دادن و اطاعت نمودن من بیشتر از شماها باشد بکسی که والی امر خود قرار بدهید، و من از برای شما در حالتی که وزیر باشم بهترم از برای شما از من در حالتی که أمیر باشم زیرا که در حالت أمارت و بسط ید تکلیف من قیام نمودنست بمحض حق و آن صعب است در حق أکثر مردم، و أما در حالت وزارت تکلیف من نصیحت است و مشاورت و بس خواه و الی امر قبول نماید و خواه قبول ننماید

و من خطبه له علیه السّلام و هی الثانیه و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

خطب بها بعد انقضاء أمر النهروان، و هی من خطبه المشهوره رواها غیر واحد حسبما تطلع علیه و شرحها فی ضمن فصلین:

الفصل الاول

اشاره

أمّا بعد أيّها النّاس فأنا فقأت عین الفتنه، و لم یکن لیجترئ علیها

ص:۶۹

أحد غيرى بعد أن ماج غيهبها، و اشتد كلبّها، فاسئلونى قبل أن تفقدونى فو الّذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين السّاعه، و لا عن فئه تهدى مأئه و تضلّ مأئه، إلاّ أنبأتكم بناعقها، و قائدها، و سائقها و مناخ ركابها، و محطّ رحالها، و من يقتل من أهلها قتلا، و يموت منهم موتا، و لو قد فقد تمونى و نزلت بكم كرائه الأمور، و حوازب الخطوب، لأطرق كثير من السّائلين، و فشل كثير من المسئولين، و ذلك إذا قلصت حربكم، و شمّرت عن ساق، و ضاقت الدّنيا عليكم ضيقا، تستطيلون أيام البلاء عليكم، حتّى يفتح اللّه لبقيّه الأبرار منكم، إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت، و إذا أدبرت نبّهت، ينكرن مقبلات، و يعرفن مدبرات، يحمن حوم الرّياح، يصبن بلدا، و يخطين بلدا.

اللغه

(فقأت) عين الفتنه من باب منع قلعتها و شققتها و (الغيهب) الظلمه و(كلب) الكلب كلبا فهو كلب من باب تعب و هوداء يشبه الجنون يأخذه فيعقر الناس و فى القاموس الكلب بالتحريك صياح من عضّه الكلب الكلب و جنون الكلاب المعترى من أكل لحوم الانسان و شبه جنونها المعترى للانسان من عضّها و (نعق) بغنمه من باب منع و ضرب صاح بها لتعود إليه و زجرها و نعق الغراب صاح و (مناخ) الابل بضمّ الميم موضع اناختها أى مبركها، و فى شرح المعتزلى يجوز جعله مصدرا كالمقام بالضّم بمعنى الاقامه و (الركاب) بالكسر المطى اى الابل التى يسار عليها و احدتها راحله من غير لفظها و الجمع الرّكب ككتب

و (المحطّ) بفتح الميم قال الشارح المعتزلى يجوز كونه مصدرا كالمرد فى قوله تعالى: و إنّ مردّنا إلى اللّه، و كونه موضعا كالمقتل و (الرّحال) كأرحل جمع الرّحل و هو مركب للبعير و يقال له را حول أيضا و (الحوازب) جمع الحازب من حزبه الأمر إذا اشتدّ عليه أو ضغطه و (الخطوب) جمع الخطب و هو معظم الأمر و (الاطراق) السّكوت و الاقبال بالبصر إلى الصّدر و (فشل) فشلا فهو فشل من باب تعب و هو الجبان الضّعيف القلب (إذا قلصت حربكم) بتخفيف اللاّم من باب ضرب أى كثرت و تزايدت، و فى المصباح قلصت شفته انزوت و قلص الثوب انزوى بعد غسله، و فى بعض النسخ عن حربكم، و فى بعض النسخ بالتشديد أى انضمّت و اجتمعت و (شبّهت) بالبناء على المعلوم اى جعلت أنفسها شبيهه بالحقّ أو على المجهول أى أشكل أمرها و التبس على الناس و (نبهته) من النوم أيقظته و (حام) الطائر حول الماء إذا دار و طاف لينزل عليه و (يخطين) من الخطو و هو المشى

الاعراب

جمله و لو قد فقد تمونى إمّا استينافيه أو قسميه بحذف المقسم به بدلاله السّياق، و لو الشرطيه بمعنى ان مفيده للتعليق فى الاستقبال إلاّ أنه جىء، بالشرط و الجزاء بصيغه الماضى تنبيها على تحقّق وقوعهما لا محاله، و هو من المحسنات البيانيه، و الحرب مؤنث سماعى و لذا انّث الفعل المسند إليه، و مفعول شمّرت محذوف أيضا، و ضاقت عطف على شمرت، و جمله تستطيلون حال من المجرور فى عليكم، و جمله ينكرن مقبلات و يعرفن مدبرات بدل كلّ من جمله إذا أقبلت شبهت و إذا أدبرت نبهت كما فى قوله تعالى:

«وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ ».

و جمله يحمن منصوب المحلّ على الحال

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوق لاظهار مناقبه الجّمه و فضائله

ص:٧١

الـدثره، و التنبيه على علو مقـامه و رفعه مكـانه و الغرض به التعريض على المخاطبين بغفلتهم عن سـموّ شأنه و جهالتهم بقـدره و عـدم معرفتهم به حقّ المعرفه ليرقـدوا بـذلك عن نـوم الغفله و الجهـاله و يعرفـوه حقّ المعرفه، و يعظموا قـدره و منزلته و يقيموا بوظايف طاعته على ما يليق به سـلام اللّه عليه و آله و أشار عليه السّـلام أوّلا إلى فضـيلته و شـجاعته و كمال مهابته بقوله(أما بعد أيّهـا النّـاس فأنـا فقـأت عين الفتنه)أى شـقـقتها و قلعتها بشـحمها أو أدخلت الاصـبع فيها، و هو اسـتعاره لكسـر ثورانها و إسـكان هيجانها، و المراد بالفتنه إمّا خصوص فتنه أهل البصره و النهروان كما وقع الاشاره إليه منه عليه السّلام فى روايه إبراهيم الثقفى و سليم ابن قيس الهلالـى الآ ـتيه فى ذيل شـرح الفصل الثانى، أو عموم فتن المنافقين و الكافرين و المصـدر المحلّى باللام و إن لم يكن مفيدا للعموم بحسب الوضع اللّغوى حسبما قرّر فى الاصول، إلّا أنّه لا ينافى إفادته له بقرينه الحال.

فقـد ظهر و اتّضـح لنا ظهور الشـمس فى رابعه النهار أنه عليه السّـلام ردّ نخوه بأو الكفّار و اعتلائهم يوم بـدر، و شـموخ انفهم و سموّ غلوائهم يوم أحـد، و كسـر صولتهم يوم خيبر و فقأ أعينهم بقتل ابن عبدود يوم الأحزاب، و هكذا ساير الحروب و الخطوب فقـد علمنا علما يقينا أنه لو لا سـيفه عليه السّـلام لما قام للاسـلام عمود، و لا اخضـرّ للايمان عود و لذلك قدّم المسند إليه على المسـند ليفيـد التخصـيص، و جعـل المسـند جمله للتقوى كمـا قرّر فى علم المعان، و أكـده بقوله (و لم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى) و تصـديق ذلـك أمّا فى وقعه الجمل و النهروان فلأنّ الناس كانوا لا يتجاسـرون على قتال أهل القبله و يخافون من ذلك الاثم و العصـيان، و كانوا حسن الظنّ بطلحه و الزبير مع كون زوجه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فيهم و أهل النّهروان كانوا أهل قرآن و صـلاه و اجتهاد و عباده، و كان النّاس يهابون قتالهم و يقولون كيف نقاتل من يصلّى كصلاتنا و يؤذّن كأذاننا و يصوم كصومنا على مـا عرفت فى شـرح الخطبه السادسه و الثلاثين و كـذا التبس الأمر فى وقعه صـفين و لـذلك أمسك مثل خزيمه بن ثابت الانصارى

عن القتال حتّى قتل عمار فتيقّن ضلاله القاسطين و قاتل حتّى قتل كما مرّ مشروحا فى تذييل الكلام الخامس و الستين و أمّا فى ساير الوقايع و الحروب التى كانت فى زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد «زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ » و ظنّوا باللّه الظّنونا و اضطرب المؤمنون «وَ زُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً » و دارت أعين المنافقين «كَالَّذِی يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » و قالوا:

«ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً » ف «وَ كَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ » بوجوده عليه السّلام «وَ كانَ اللّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً » و انزل فى حقه عليه السّلام و فى عمّه حمزه و أخيه جعفر «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ».

و إلى شدّه تلك الفتن و ظلمتها أشار بقوله(بعد أن ماج غيهبها)و كنّى بتموّج، ظلمتها عن شمول ظلّ لها لأنّ الظلمه إذا تموجّت شملت أماكن كثيره غير الأماكن التى تشملها لو كانت ساكنه و إلى غلبه شرّها و أذاها بقوله (و اشتدّ كلبها) ثمّ أشار إلى فضيله علمه بقول ما زال يقوله و هو قوله:(فاسألونى قبل أن تفقدونى) قال الشارح المعتزلى روى صاحب كتاب الاستيعاب و هو أبو عمر محمّد بن عبد البر عن جماعه من الرّواه و المحدّثين قالوا لم يقل أحد من الصحابه عنهم سلونى إلاّ علىّ ابن أبى طالب، و روى شيخنا أبو جعفر الاسكافى فى كتاب نقض العثمانيه عن علىّ بن الجعد عن ابن شبرمه قال: ليس لأحد من النّاس أن يقول على المنبر سلونى إلاّ علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

ص:۷۳

أقول: و ذلك لأنّ الأنواع السّؤلات غير محصوره و لا محصاه، و أصناف الطلبات غير معدوده و لا مستقصاه، فبعضها يتعلّق بالمعقول و بعضها بالمنقول، و بعضها بعالم الشهود و بعضها بعالم الغيب، و بعضها بما كان و بعضها بما يكون و بعضها بما هو كائن، و هكذا فلا يمكن الجواب عن هذا كلّه و لا يقدر على مثل ذلك إلاّ من تأيّد بقوّه ربانيّه، و اقتدر بقدره الهيّه، و نفث فى روعه الرّوح الأمين، و تعلّم علوم الأولين و الآخرين، و صار منبع العلم و الحكمه، و ينبوع الكمال و المعرفه، و هو أمير المؤمنين و يعسوب الدين، و وارث علم النبيين و بغيه الطّالبين، و حلاّل مشكلات السائلين فلا ينصب نفسه فى هذا المنصب إلاّ جاهل، و لا يدّعى لنفسه هذا المقام إلاّ تائه غافل، و فى هذا المقام قال الشاعر:

و من ذا يساميه بمجد و لم يزل يقول سلونى ما يحلّ و يحرم

سلونى ففى جنبى علم ورثته عن المصطفى ما فات منّى به الفم

سلونى عن طرق السموات إننى بها عن سلوك الطرق فى الارض أعلم

و لو كشف اللّه الغطا لم أزد به يقينا على ما كنت أدرى و أفهم

و قد روينا فى التذييل الثانى من شرح الكلام الثالث و الأربعين أنّ ابن الجوزى قال يوما على منبره: سلونى قبل أن تفقدونى، فسألته امرئه عمّا روى أنّ عليّا سار فى ليله إلى سلمان فجهّزه و رجع، فقال: روى ذلك، قالت: فعثمان ثمّ ثلاثه أيّام منبوذا فى المزابل و علىّ عليه السّلام حاضر، قال: نعم، فقالت: فقد لزم الخطاء لأحدهما، فقال: إن كنت خرجت من بيتك بغير اذن زوجك فعليك لعنه اللّه و إلاّ فعليه، فقالت: خرجت عايشه إلى حرب علىّ باذن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أولا؟ فانقطع و لم يحر جوابا و رووا أيضا أنّ قتاده دخل الكوفه فالتفت إليه الناس فقال: اسألونى عما شئتم و كان أبو حنيفه حاضرا و هو إذا غلام حدث السنّ، فقال: اسألوه عن نمله سليمان أ كان ذكرا أم أنثى، فسألوه فانقطع، فقال أبو حنيفه كانت انثى فقيل له: بم عرفت ذلك؟ قال من كتاب اللّه و هو قوله تعالى قالت نمله و لو كان ذكرا لقال: قال نمله

ص:۷۴

و ذلک لأنّ لفظ النمله یقع علی الذکر و الانثی کلفظ الحمامه و الشاه(۱) و إنما یمیّز بینهما بعلامه التأنیث.

فانظر إلی هذین المغرورین المعجبین کیف عییا عن جواب أدنی مسأله فکیف بهما إذا سئلا عن حجب الأسرار، و سرادقات الأنوار، و الغیب المکنون، و السرّ المکتوم، و عجائب الملکوت، و بدایع الجبروت، فاشهد أنّ عریف ذلک و الخبیر بکلّ ذلک لم یکن إلاّ أمیر المؤمنین، و وصیّ رسول ربّ العالمین، و عنده علم الکتاب کلّه، و فیه خبر السّماء و خبر الأرض و خبر ما کان و ما یکون و ما هو کائن إلی یوم القیامه کما قال عزّ من قائل:

«وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ ».

أی فی إمام مبین و قد سئل علیه السّلام فی مقامات شتی عن مسائل مشکله متفرّقه فأجاب عنها بأجوبه شافیه تاهت فیها العقول و دهشت بها القلوب حسبما نشیر إلی بعضها بعد الفراغ عن شرح الفصل ثمّ اقسم علیه السّلام بالقسم البارّ انه عالم بما هو کائن إلی یوم القیامه و قال:(فو الذی نفسی بیده لا تسألونی عن شیء فیما بینکم و بین الساعه) إلاّ أنبئتکم به، و نحوه ما رواه فی البحار من بصائر الدّرجات باسناده عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال:

سئل علیّ علیه السّلام عن علم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فقال: علم النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علم جمیع النبیّین و علم و ما کان و علم ما هو کائن إلی قیام السّاعه، ثمّ قال علیه السّلام: و الذی نفسی بیده إنّی لأعلم علم النبیّ و علم ما کان و علم ما هو کائن فیما بینی و بین قیام السّاعه (و لا عن فئه تهدی مأئه و تضل مأئه) تخصیص هذا العدد بالبیان لیس لقصد الاختصاص و إنما هو جار علی

۱- (۱) قال ابن الحاجب فی بعض تصانیفه انّ مثل الشاه و النمله و الحمامه من الحیوانات فیها تأنیث لفظی، و لذا کان قول من قال انّ النمله فی قوله تعالی قالت نمله انثی لورود تاء التأنیث فی قالت و هما، لجواز أن یکون ذکرا فی الحقیقه و ورود تاء التأنیث فی الفعل نظرا الی التأنیث اللفظی، و لذا قیل افحام قتاده خیر من جواب أبی حنیفه، و هذا هو الحق و قدار تضاه الرضیّ، منه

سبیل المثل و إشاره إلی الکثره إذا مادون مأئه حقیر لا یعتدّ به قال الأعشی:

الواهب المأه الهجان و عبدها عوذا یزجی خلفها أطفالها

و قال أیضا:

هو الواهب المأه المصطفاه إمّا مخاضا و إمّا عشارا

و قد کثر فی الأخبار ذکر السبعین علی سبیل المثل، و قیل فی قوله سبحانه «إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِینَ مَرَّهً فَلَنْ یَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ».

إنّ المقصود به نفی الغفران جمله و إنّما جاء السّبعون مجری المثل للتکثیر و کیف کان فمفهوم العدد لیس بحجّه کما قرّر فی الاصول، و الغرض أنّه لا تسألونی عن جماعه هادیه لطایفه کثیره و مضلّه لطائفه کثیره اخری (إلاّ أنبأتکم بناعقها) أی الداعی الیها و زاجرها(و قائدها و سائقها و مناخ رکابها و محطّ رحالها)قال الشارح البحرانی: استعار علیه السّلام أوصاف الابل و رعائها و أصحابها من الناعق و القائد و السائق و المناخ و الرّکاب و الرّحال للفئه المهدیه و الضالّه و من یهدیهم و یضلّهم ملاحظه لشبههم بالابل فی الاجتماع و الانقیاد لقائد وراع (و من یقتل من أهلها) أی أهل الفئه المذکوره (قتلا و یموت منهم موتا)ثمّ نبّه علیه السّلام علی أنّه أعظم نعمه أنعم اللّه سبحانه بوجوده علیهم و أنّ قدره مجهول عندهم و هم غافلون عن فوائد مقامه بین أظهرهم و أنهم سوف یعلمون إذا نزلت بهم الدّواهی و حلّت بهم الرزایا فقال:

(و لو قد فقدتمونی و نزلت بکم کرائه الامور) أی المصائب التی تکرهها النفوس (و حوازب الخطوب) أی شداید الأحوال (لأطرق کثیر من السائلین) أی أرخوا أعینهم ینظرون إلی الأرض، و ذلک لصعوبه الأمر و شدّته حتی أنه یبهته عن السؤال و یتحیر کیف یسأل (و فشل کثیر من المسئولین) أی جبنوا عن ردّ الجواب لجهلهم بعواقب تلک الخطوب و ما یسألون عنه منها (و ذلک إذا قلصت حربکم) أی إطراق السائلین و فشل المسئولین إذا تزایدت حربکم و کثرت أو

انضمّت و اجتمعت، و هو كنايه عن شدّتها و صعوبتها، لأنّ الجيوش إذا اجتمعت كلها و اصطدم الفيلقان كان الأمر أصعب و أشدّ من أن تتفرّق و يحارب كلّ كتيبه كتيبه اخرى فى بلاد متباعده، و من روى قلصت عن حربكم فالمراد إذا انكشفت كرائه الامور و حوازب الخطوب عن حربكم.

(و شمّرت عن ساق) أى شمّرت الحرب و رفعت السّاتر عن ساقها و هو كنايه عن اشتدادها و التحامها على سبيل الاستعاره، و الغرض تشبيه الحرب بالمجد فى أمر الساعى فيه، فانّ الانسان أذا جدّ فى السّعى شمّر عن ساقه و دفع ثوبه لئلّا يعوقه و يمنعه، و ربما قيل بأنه جار على الحقيقه، و معنى السّاق الشدّه، أى كشفت عن شدّه و مشقّه و به فسّر قوله سبحانه:

«يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ ».

(و ضاقت الدّنيا عليكم ضيقا) بطروق الخطوب و ابتلاء المصائب حالكونكم (تستطيلون أيام البلاء عليكم) و ذلك لأنّ أيام البلاء تكون فى نظر الانسان طويله و أيام السعه و الرّخاء قصيره قال الشاعر:

فأيّام الهموم مقصّصات و أيّام السّرور تطير طيرا

(حتّى يفتح اللّه لبقيّه الأبرار منكم) يحتمل أن يكون المراد ببقيه الأبرار أولادهم و إن لم يكونوا أبرارا فى أنفسهم إن كان إشاره إلى ظهور دوله بنى العباس إلاّ أنّ الأظهر أنّ المراد هو ظهور الدّوله الحقّه القائميّه عجّل اللّه له الفرج و أقرّ اللّه عيون مواليه بظهوره عليه السّلام.

(إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت) أى جعلت نفسها أى الامور الباطنه شبيهه بالحقّ، أو أشكل أمرها و التبس على الناس (و إذا أدبرت نبهت) أى أيقظت القوم من نوم الجهاله و ظهرت بطلانها عليهم، ألا ترى أنّ الناس كانوا فى بدو فتنه الجمل و النهروان فى حيره و اشتباه لا يدرون أنّ الحقّ فى أىّ الجانبين، فلمّا انقضت الحرب و وضعت أوزارها ارتفع الاشتباه و تميّز الحقّ من الباطل و انتبه القوم من جهالتهم.

و أكـد عليه السّـلام هـذا المعنى بقوله (ينكرن مقبلات) أى لا يعرف حالهنّ فى حاله اقبالها (و يعرفن مـدبرات) ثمّ وصـفها بأنّها (يحمن حوم الرّياح) أى يطفن مثل طواف الرّياح (يصبن بلدا و يخطين بلدا).

تنبيهان الاول

قد قلنا إنّ قوله عليه السّـلام: سلونى قبل أن تفقدونى كلام ما زال عليه السّلام يقول حتى أنه عليه السّلام كان يقوله بعد ما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه و قبـل وفـاته بيوم كمـا مرّ فى شـرح الكلام التاسع و الستين، و نكته ذلك أنّ اللاّزم على امام الزّمان أن يبـذل فيوضاته للمواد القابله بقدر الامكان.

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ ».

روى الصـدوق فى التّوحيـد قال: حـدثّنا أحمـد بن الحسن القطان و علىّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدّقاق قال: حدّثنا أحمد بن يحيى بن زكريّا القطان قال:

حدّثنا محمد بن العبّاس قال: حدّثنى محمد بن أبى السّـرى قال: حدّثنا أحمد بن عبد اللّه بن يونس عن سعد الكنانى عن الأصبغ بن نباته قال: لما جلس علىّ عليه السّـلام على الخلافه و بايعه النّاس خرج إلى المسجد متعمّما بعمامه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لابسا برده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم متنعّلا نعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم متقلّدا سيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فصعد إلى المنبر فجلس عليه متمكنا ثمّ شبّك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه.

ثمّ قال: يا معشر النّاس سلونى قبل أن تفقدونى هذا سفط (۱) العلم هـذا لعاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، هـذا ما زقّنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم زقّا زقّا، سلونى فانّ عنـدى علم الأوّلين و الآخرين، أم و اللّه لو ثنيت لى الوساده فجلست عليها لأفتيت أهل التّوراه بتوراتهم حتّى تنطق التّوراه فتقول: صـدق علىّ ما كـذب لقـد أفتاكم بما أنزل اللّه فى، و أفتيت أهل الانجيل بإنجيلهم حتى ينطق الانجيل فيقول: صدق

۱- (۱) السفط بالطاء ما يخبى فيه الطيب و نحوه، مصباح

علیّ ما کذب لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ، و أفتیت أهل القرآن بقرآنهم حتّی ینطق القرآن فیقول: صدق علیّ ما کذب لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ، و أنتم تتلون القرآن لیلا و نهارا فهل فیکم أحد یعلم ما انزل فیه، و لو لا آیه فی کتاب اللّه لأخبرتکم بما کان و ما یکون و ما هو کائن إلی یوم القیامه و هی هذه الآیه:

«یَمْحُوا اللّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ ».

ثمّ قال: سلونی قبل أن تفقدونی فو الّذی فلق الحبّه، و برء النّسمه لو سألتمونی عن آیه آیه فی لیل نزلت أو فی نهار أنزلت مکّیها، و مدنیّها، سفریها، و حضریها، ناسخها، و منسوخها، محکمها، و متشابهها، و تأویلها، و تنزیلها، لأخبرتکم.

فقام إلیه رجل یقال له: ذعلب و کان ذرب(۱) اللّسان بلیغا فی الخطب شجاع القلب فقال: لقد ارتقی ابن أبی طالب مرقاه صعبه لأخجلته الیوم لکم فی مسألتی إیّاه فقال: یا أمیر المؤمنین هل رأیت ربّک؟ قال: و یلک یا ذعلب لم أکن بالّذی أعبد ربّا لم أره، قال: کیف رأیته صفه لنا، قال علیه السّلام: و یلک لم تره العیون بمشاهده الأبصار و لکن رأته القلوب بحقایق الایمان، و یلک یا ذعلب إنّ ربّی لا یوصف بالبعد و لا بالحرکه و لا بالسّکون و لا بقیام قیام انتصاب و لا بمجیء و لا بذهاب، لطیف اللطافه لا یوصف باللّطف، عظیم العظمه لا یوصف بالعظم، کبیر الکبریاء لا یوصف بالکبر، جلیل الجلاله لا یوصف بالغلظ، رؤوف الرحمه لا یوصف بالرقه، مؤمن لا بعباده، مدرک لا بمحسّه، قائل لا بلفظ، هو فی الأشیاء علی غیر ممازجه، خارج منها علی غیر مباینه، فوق کلّ شیء فلا یقال شیء فوقه، و امام کلّ شیء فلا یقال له امام، داخل فی الأشیاء لا کشیء فی شیء داخل، و خارج منها لا کشیء من شیء خارج، فخرّ ذعلب مغشیا علیه ثمّ قال: تاللّه ما سمعت بمثل هذا الجواب و اللّه لا عدت إلی مثلها.

۱- (۱) لسان ذریب ای فیه حده

ثمّ قال علیه السّلام: سلونی قبل أن تفقدونی، فقام إلیه الأشعث بن قیس فقال:

یا أمیر المؤمنین کیف یؤخذ من المجوس الجزیه و لم ینزل علیهم کتاب و لم یبعث إلیهم نبیّ؟ قال علیه السّلام: بلی یا أشعث قد أنزل اللّه علیهم کتابا و بعث إلیهم رسولا حتّی کان لهم ملک سکر ذات لیله فدعا بابنته إلی فراشه فارتکبها فلما أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلی بابه فقالوا: أیها الملک دنّست علینا دیننا و أهلکته فاخرج نطهرّک و نقیم علیک الحدّ، و قال لهم: اجتمعوا و اسمعوا کلامی فان یکن لی مخرج ممّا ارتکبت و إلاّ فشأنکم، فاجتمعوا فقال لهم: هل علمتم أنّ اللّه لم یخلق خلقا أکرم علیه من أبینا آدم و أمّنا حوّا؟ قالوا: صدقت أیها الملک، قال:

أ فلیس قد زوّج بنیه بناته و بناته من بنیه؟ قالوا: صدقت هذا هو الدّین فتعاقدوا علی ذلک فمحا اللّه تعالی ما فی صدورهم من العلم و رفع عنهم الکتاب، فهم الکفره یدخلون النّار بلا حساب، و المنافقون أشدّ حالا منهم قال الأشعث: و اللّه ما سمعت بمثل هذا الجواب و اللّه لا عدت إلی مثلها أبدا.

ثمّ قال: سلونی قبل أن تفقدونی: فقام رجل من أقصی المسجد متوکّئا علی عصاه فلم یزل یتخطأ النّاس حتّی دنا منه فقال: یا أمیر المؤمنین دلّنی علی عمل إذا أنا عملت نجانی اللّه من النّار.

قال له: اسمع یا هذا ثمّ افهم، ثمّ استیقن، قامت الدّنیا بثلاثه: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، و بغنیّ لا یبخل بما له علی أهل دین اللّه، و بفقیر صابر، فاذا کتم العالم علمه و بخل الغنی بما له و لم یصبر الفقیر فعندها الویل و الثبور، و عندها یعرف العارفون أنّ الدّار قد رجعت إلی بدیّها أی الکفر بعد الإیمان.

أیّها السّائل فلا تغترن بکثره المساجد و جماعه أقوام أجسادهم مجتمعه و قلوبهم شتّی إنّما النّاس ثلاثه: زاهد، و راغب، و صابر، فاما الزاهد فلا یفرح بشیء من الدّنیا أتاه و لا یحزن منها علی شیء فاته فاما الصابر فیتمناها بقلبه فان

أدرک منها شیئا صرف عنها نفسه لما یعلم من سوء عاقبتها و أما الراغب فلا یبالی من حلّ أصابها أم من حرام، قال له یا أمیر المؤمنین فما علامه المؤمن فی ذلک الزّمان؟ قال: ینظر إلی ما أوجب اللّه علیه من حقّ فیتولاّه و ینظر إلی ما خالفه فیتبرّء منه و إن کان حمیما قریبا قال: صدقت و اللّه یا أمیر المؤمنین، ثمّ غاب الرّجل فلم نره فطلبه الناس فلم یجدوه فتبسم علیّ علیه السّلام علی المنبر ثمّ قال: مالکم هذا أخی الخضر علیه السّلام.

ثمّ قال: سلونی قبل أن تفقدونی، فلم یقم إلیه أحد فحمد اللّه و أثنا علیه و صلّی علی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ثمّ قال علیه السّلام للحسن: یا حسن قم فاصعد المنبر فتکلّم بکلام لا یجهلک قریش من بعدی فیقولون إنّ الحسن بن علیّ لا یحسن شیئا، قال الحسن علیه السّلام: یا أبه کیف أصعد و أتکلّم و أنت فی النّاس تسمع و تری؟ قال له: بأبی و أمّی اواری نفسی عنک و اسمع و أری و لا ترانی، فصعد الحسن علیه السّلام المنبر فحمد اللّه بمحامد بلیغه شریفه و صلّی علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صلاه موجزه ثمّ قال: أیّها النّاس سمعت جدّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: أنا مدینه العلم و علیّ بابها و هل تدخل المدینه إلاّ من بابها ثمّ نزل، فوثب إلیه علیّ علیه السّلام فحمله و ضمّه إلی صدره ثمّ قال للحسین: یا بنیّ قم فاصعد المنبر و تکلّم بکلام لا یجهلک قریش من بعدی فیقولون إنّ الحسین بن علیّ لا یبصر شیئا و لیکن کلامک تبعا لکلام أخیک فصعد الحسین علیه السّلام المنبر فحمد اللّه و أثنا علیه و صلّی علی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صلاه موجزه ثمّ قال: معاشر النّاس سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو یقول: إنّ علیّا هو مدینه هدی فمن دخلها نجی و من تخلّف عنها هلک، فوثب إلیه علیّ علیه السّلام فضمّه إلی صدره و قبّله ثمّ قال: معاشر النّاس اشهدوا أنهما فرخا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ودیعته التی استودعنیها و أنا أستودعکموها، معاشر الناس و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سائلکم عنهما.

ص:٨١

الثانی

اعلم أنّ هـذا الفصـل من کلاـمه علیه السّـلام متضـمّن للتنبیه علی علمه بالأخبـار الغیبیه و الوقایع الآتیه و ما یکون بعـده إلی یوم القیامه و قد تقدّم فی شرح الکلام السادس و الخمسین شطر من تلک الوقایع و الأخبار.

و قـال الشـارح المعتزلی فی شـرح هـذا الفصل: اعلم أنّه قـد أقسم فی هـذا الفصل باللّه الـذی نفسه بیـده انّهم لا یسألون عن أمر یحـدث بینهم و بین القیـامه إلاّـ أخبرهم به و أنّه مـا من طـائفه من النـاس تهتـدی بهـا مأئه و تضلّ بها مأئه إلاّ و هو مخبر لهم إن سألوه برعاتها و قائـدیها و سائقیها و مواضع نزول رکابها و خیولها و من یقتل منها قتلا و من یموت منها موتا، و هذه الدّعوی منه علیه السّلام لیست ادّعاء الرّبوبیه و لا ادّعاء النبوّه و لکنه کان یقول إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أخبره بذلک.

و لقد امتحنّا اخباره فوجدناه موافقا فاستدللنا بذلک علی صدق الدّعوی المذکوره.

کإخباره عن الضـربه التی یضرب فی رأسه فتخضب لحیته، و إخباره عن قتل الحسین ابنه علیهما السّلام و ما قاله فی کربلا حیث مرّ بهـا، و إخبـاره بملـک معـاویه الأـمر مـن بعـده، و إخبـاره عن الحجّـاج و عن یوسـف بن عمر، و مـا أخـبره من أمر الخـوارج بـالنهروان، و مـا قـدّمه إلی أصـحابه من اخبـاره بقتـل من یقتـل منهم و صـلب من یصـلب و إخباره بقتال النّاکثین و القاسـطین و المارقین، و اخباره بعدّه الجیش الوارد إلیه من الکوفه لمّا شـخص علیه السّلام إلی البصره لحرب أهلها، و إخباره عن عبد اللّه بن الزّبیر و قـوله علیـه السّـلام فیه: خبّ ضبّ (1) یروم أمراو لا یـدرکه ینصب حباله الـدّین لاصـطیاد الـدّنیا(2) و هو بعد مصـلوب قریش.

ص:82

1- (1) خبّ الرجل منع ما عنده و نزل المنهبط من الأرض لیجهل موضعه بخلائق

2- (2) أی الخلافه

و كإخباره عن هلاك البصره بالغرق و هلاكها تاره اخرى بالزنج و هو الذى صحفه قوم فقالوا بالرّيح، و كإخباره عن الأئمه الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر(۱) و الداعى و غيرهما فى قوله عليه السّلام: و إنّ لآل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالطالقان لكنزا سيظهره اللّه إذا شاء دعاه حتّى تقوم بإذن اللّه فتدعو إلى دين اللّه.

و كإخباره عن ظهور الرّايات السود من خراسان و تنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببنى رزيق بتقديم المهمله و هم آل مصعب منهم طاهر بن الحسين و إسحاق ابن إبراهيم و كانوا هم و سلفهم دعاه الدّوله العباسيّه، و كإخباره عن مقتل النّفس الزّكيه(۲) بالمدينه و قوله عليه السّلام: انه يقتل عنده احجار الزيت، و كقوله عن أخيه إبراهيم المقتول يقتل بعد أن يظهر و يقهر بعد أن يقهر، و قوله عليه السّلام فيه أيضا يأتيه سهم عزب(۳) يكون فيه منيته فيا بؤس للرامى شلّت يده و وهن عضده.

و كإخباره عن قتلى فخّ و قوله عليه السّلام فيهم: هم خير أهل الأرض، أو من خير أهل الأرض و كإخباره عن المملكه العلويّه(۴) بالغرب و تصريحه بذكر كتائته(۵) و هم الذين نصروا أبا عبد اللّه الدّاعى المعلّم، و كقوله يشير إلى عبيد اللّه المهدى، و هو أوّلهم: ثمّ يظهر صاحب القيروان(۶) الغضّ البضّ (۷) ذو النسب المحض المنتجب من سلاله ذى البداء المسجّى بالرّدا، و كان عبيد اللّه المهدى مترفا مشربا رخص البدن تار الأطراف(۸)

۱- (۱) هو حسن بن على الملقب بالناصر الكبير و ناصر الحق و حسن بن زيد الملقب بالداعى الكبير و محمد بن زيد الملقب بالداعى الصغير و كان ابتداء امارتهم فى طبرستان فى سنه مأتين و خمسين.

۲- (۲) هو محمد بن عبد اللّه المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن (عليه السلام) منه.

۳- (۳) اى لا يدرى راميه.

۴- (۴) هم ادريس بن عبد اللّه المحض و عشره من ولده

۵- (۵) الكتائت فى نسخه الشارح المعتزلى بالتائين و الظاهر انه من الكتيت و هو كما فى القاموس صوت فى صدر الرجل كصوت البكر فى شده الغيظ و البخيل و يحتمل التحريف فى النسخه و يكون الاصل كتائبه بدله و هى جمع الكتيبه، منه

۶- (۶) امراء مصر و قيروان من الاسماعيليه.

۷- (۷) الطرى القوى.

۸- (۸) التار المسترخى.

و ذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمّد عليهما السّلام لأنّ أباه أبا عبد اللّه جعفرا عليه السّلام سجّاه برداه لمّا مات و ادخل إليه وجوه الشيعه يشاهدونه ليعلموا موته و تزول عنهم الشبهه(۱) فی أمره.

و كإخباره عن بنی بويه و قوله عليه السّلام فيهم: و يخرج من ديلمان بنو الصياد، و كقوله فيهم: ثمّ يستشری أمرهم حتّی يملكوا الزوراء و يخلعوا الخلفاء إشاره إليهم و كان أبوهم صياد السمک يصيد منه بيده ما يتقوت هو و عياله بثمنه فأخرج اللّه تعالی من ولده لصلبه ملوكا ثلاثه(۲) و نشر ذريتهم حتّی ضربت الأمثال بملكهم و كقوله عليه السّلام فيهم: و المترف بن الأجذم تقتله ابن عمه علی دجله، و هو إشاره إلی عز الدّوله بختيار بن معزّ الدوله أبی الحسين و كان معزّ الدّوله أقطع اليد قطعت يده فی الحرب و كان ابنه عزّ الدوله بختيار مترفا صاحب لهو و شرب، قتله عضد الدّوله فنّا خسرو ابن عمه بقصر الجصّ علی دجله فی الحرب و سلبه ملكه، فأمّا خلعهم للخلفاء فانّ معز الدّوله خلع المستكفی و رتب عوضه المطيع، و بهاء الدوله أبا نصر بن عضد الدّوله خلع الطائع و رتّب عوضه القادر و كانت مدّه ملكهم كما أخبر به عليه السّلام.

و كإخباره لعبد اللّه بن العباس (ره) عن انتقال الأمر إلی أولاده، فان علیّ بن عبد اللّه لمّا ولد أخرجه أبوه عبد اللّه إلی علیّ عليه السّلام فأخذه و تفل فی فيه و حنّكه بتمره قد لاكها و دفعه إليه و قال: خذ إليک أبا الأملاک هكذا الروايه الصحيحه و هی التی ذكرها أبو العباس المبرّد فی الكامل و ليست الروايه التی يذكر فيها العدد بصحيحه و لا منقوله من كتاب معتمد عليه.

و كم له عليه السّلام من الاخبار عن الغيوب الجاريه هذا المجری ممّا لو أردنا استقصائه لكسرنا له كراريس كثيره و كتب السّير يشتمل عليها مشروحه

۱- (۱) ای شبهه الامامه

۲- (۲) و هم عماد الدوله علی بن بويه، و ركن الدوله حسن بن بويه، و معز الدوله أحمد بن بويه و ولدهم منه

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام مبین است که اشاره فرموده در آن بکمالات نفسانیه و مقامات معنویه خود و بعضی از اخبار غیبیه باین نحو که فرموده:

أما بعد از حمد و ثناء الهی و درود نامعدود بر حضرت رسالت پناهی ای گروه خلایق پس من بر کندم چشم فتنه را و حال آنکه نبود هیچ کس که جرأت نماید بر دفع آن فتنه غیر از من بعد از آنکه مضطرب شد ظلمت آن فتنه و سخت گردید شرّ و أذیت آن، پس سؤال نمائید از من از مسائل مشکله و مطالب معضله پیش از آنکه نیابید مرا، پس قسم بخداوندی که نفس من در قبضه اقتدار او است سؤال نمی نمائید ار من از چیزی که در میان شما است و در میان روز قیامت و نه از گروهی که هدایت نمایند صد کس را و گمراه سازند صد کس دیگر را مگر این که خبر دهم شما را بخواننده آن و کشندۀ آن و راننده آن و محل فرود آمدن شتران بارگیر ایشان و جای فرود آوردن بارها با پالانهای ایشان و به آن که کشته می شود از ایشان کشته شدنی و آنکه می میرد از ایشان مردنی و اگر مفقود کنید مرا و نازل بشود بر شما امورات مکروهه و حالات شدیده هر آینه سر در پیش اندازند بسیاری از سائلان و می ترسند بسیاری از مسئولان، و این آن زمانی است که درهم کشیده شود و جمع شود حرب شما و بردارد رخت را از ساق خود و تنگ باشد دنیا بشما تنگ شدنی در حالتی که دراز شمارید ایام بلا را برخودتان تا آنکه فتح کند خداوند از برای بقیّه نیکوکاران از شما بدرستی که فتنه ها زمانی که رو آورند شبهه می اندازند مردمان را و زمانی که پشت برگردانند آگاه می نمایند ایشان را، شناخته نمی شوند آن فتنه ها در حالتی که اقبال میکنند و شناخته می شوند در حالتی که ادبار می نمایند، دوران میکنند و بر می گردند آنها مثل گردیدن بادها، می رسند بشهری و تخطی میکنند و دور می گذرند از شهری دیگر.

ص:۸۵

الفصل الثانی

اشاره

ألا- إنّ أخوف الفتن عندی علیکم فتنه بنی أمیّه، فإنّها فتنه عمیاء مظلمه، عمّت خطّتها، و خصّت بلیّتها، و أصاب البلاء من أبصر فیها، و أخطأ البلاء من عمی عنها، و أیم اللّه لتجدنّ بنی أمیّه لکم أرباب سوء بعدی کالنّاب الضّروس، تعذم بفیها، و تخبط بیدها، و تزبن برجلها، و تمنع درّها، لا یزالون بکم حتّی لا یترکوا منکم إلّا نافعا لهم، أو غیر ضائر بهم، و لا یزال بلائهم حتّی لا یکون انتصار أحدکم منهم إلاّ- مثل انتصار العبد من ربّه، و الصّاحب من مستصحبه، ترد علیکم فتنتهم شوهاء مخشیّه، و قطعا جاهلیّه، لیس فیها منار هدی، و لا علم یری، نحن أهل البیت منها بمنجاه، و لسنا فیها بدعاه، ثمّ یفرّج اللّه عنکم کتفریج الأدیم بمن یسومهم خسفا، و یسوقهم عنفا، و یسقیهم بکأس مصبّره، و لا یعطیهم إلاّ السّیف، و لا یحلسهم إلاّ الخوف، فعند ذلک تودّ قریش بالدّنیا و ما فیها لو یروننی مقاما واحدا و لو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب الیوم بعضه، فلا یعطوننی.

اللغه

(الخطّه) بالضّم الأمر و الجهل و الخصله و الحاله و شبه القصّه و (النّاب)

ص:۸۶

الانثى المسنه من النوق و جمعها نيب و أنياب و (الضروس) الناقه السيئه الخلق تعضّ حالبها و (عدم) الفرس يعذم من باب ضرب عضّ أو أكل بجفاء و (خبط) البعير الأرض ضربها بيده و (زبنت) النّاقه حالبها زبنا من باب ضرب دفعته برجلها فهى زبون بالفتح فعول بمعنى فاعل و (الدرّ) اللّبن.

و (الصاحب من مستصحبه) قال فى المصباح: صحبته أصحبه صحبه فأنا صاحب و الأصل فى هذا الاطلاق لمن حصل له رؤيه و مجالسه و كلّ شيء لازم شيئا فقد استصحبه قاله ابن الفارس و غيره و (الشوه) قبح الخلقه و هو مصدر شوء من باب تعب و رجل أشوه قبيح المنظر و امرأه شوهاء، و الجمع شوه مثل أحمر و حمراء و حمر و شاهت الوجوه تشوه قبحت و (القطعه) الطائفه من الشيء و القطع جمعها مثل سدره و سدر و (المنجاه) مصدر بمعنى النجاه و اسم مكان و (سام) فلانا الأمر كلّفه إيّاه أو أولاه إيّاه كسوّمه و أكثر ما يستعمل فى العذاب و الشرّ و (الخسف) الذّهاب فى الأرض و الغيبه فيها و فى القاموس سامه خسفا إذا أولاه ذلّا و (العنف) مثلّثه ضدّ الرفق.

و (المصبره) الممزوجه بالصّبر و هو وزان كتف عصاره شجر مرّ و يجوز أن يكون المصبره بمعنى المملوه إلى اصبارها، قال فى القاموس ملاء الكاس إلى اصبارها أى رأسه و أخذه باصباره بجميعه و (حلس) البعير يحلسه غشاه بحلس و هو كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله و الجمع أحلاس كحمل و أحمال و (الجزور) الناقه التى تجزر أى تنحر.

الاعراب

كلمه ايمن اسم استعمل فى القسم و التزم رفعه كما التزم رفع لعمر اللّه، و همزته عند البصريين وصل و اشتقاقه عندهم من اليمن و هو البركه قالوا و لم يأت فى الأسماء همزه وصل مفتوحه غيرها و عند الكوفيين قطع لأنّه جمع يمين عندهم و قد يختصر عنه فيقال: و أيم اللّه بحذف النون، و يختصر ثانيا فيقال أم اللّه بضم الميم و كسرها و قد يدخل عليها اللّام لتأكيد الابتداء قال الشاعر:

فقال فريق القوم لمّا نشدتهم نعم و فريق ليمن اللّه ما ندرى

و رفعه بالابتداء و خبره محذوف وجوبا أى أيمن اللّه قسمى و إذا خاطبت به أحدا تقول: ليمنك كما تقول لعمرك، و قوله: لا يزالون بكم، الظرف متعلّق بمحذوف معلوم بقرينه المقام خبر لزال أى لا يزالون قائمين بكم أو موذين بكم أو نحو ذلك، و شوهاء منصوبه على الحاليه من فاعل ترد و هو العامل فيها، و جاهليّه صفه لقطعا، و جمله ليس فيها آه إمّا استينافيه بيانيه أو مرفوعه المحلّ على كونها صفه لفتنتهم أو منصوبه على كونها صفه لقطعا و الباء فى قوله بالدّنيا للبدل على حدّ قول الحماسى:

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا شدّوا الاغاره فرسانا و ركبانا

و ما فيها عطف على الدّنيا، و ما موصوله و لفظه لو فى قوله: لو يروننى، حرف مصدر بمعنى ان إلّا أنها لا تنصب كما تنصب ان قال سبحانه:

«وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ».

و فى قوله و لو قدر جزر جزور بمعنى إن الوصليه و حذف بعده كان كما هو الغالب و قوله: لأقبل متعلّق بتوّد و قوله: فلا يعطوننى، فاعل يعطون ضمير قريش و ضمير المتكلّم مفعوله الأوّل و حذف مفعوله الثانى و فى بعض النسخ فلا يعطوننيه باثبات المفعولين كليهما

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام متضمّن للاخبار عن فتن بنى اميه لعنهم اللّه قاطبه و ما يرد على الناس فيها من الشدائد و المكاره و عن انقراض دولتهم بعد سلطنتهم و استيلائهم كما قال عليه السّلام (ألا إنّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنه بنى اميه) و إنّما كانت أخوف الفتن لشدّتها و كثره بلوى أهل الدّين بها و عظم رزء المسلمين فيها و يكفى فى عظمها هتكهم حرمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قتلهم سبطيه و هدمهم البيت الحرام و إسائتهم الأدب بالنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام على رءوس منابر الاسلام ثمانين سنه حتى

راب علیه الصغیر و هرم علیه الکبیر و أمرهم للناس بالتبری منه علیه السّلام و قتلهم کلّ من امتنع من ذلک و استیصالهم و تخریب دورهم و تشریدهم من البلاد و جعلهم البدعه سنّه و السّنه بدعه.

کما یشیر إلی ذلک کلّه قوله:(فانها فتنه عمیاء مظلمه)أی فتنه موجبه للعمی و الظّلام لا یهتدی فیها إلی سبیل الحقّ کما لا یهتدی الأعمی و السالک فی الظلمه إلی النّهج المطلوب.

و محصل المراد انها فتنه موجبه للضّلال و العدول عن منهج الحقّ، و یحتمل أن یکون من باب التشبیه المحذوف الأداه مبالغه أی فتنه بمنزله العصیاء فی کون جریانها علی غیر استقامه و هی فتنه (عمّت خطّتها) لکونها ریاسه کلیّه و سلطنه عامّه (و خصّت بلیّتها) بأئمّه الدّین و موالیهم المؤمنین و شیعتهم المخلصین من أهل التقوی و الیقین (و أصاب البلاء من أبصر فیها) أی من کان ذا بصیره فیها و هو مصاب بأنواع البلاء لحزنه فی نفسه بما یشاهد من أفعالهم السّوئی و قصدهم له بأصناف العقوبه و الأذی (و أخطأ البلاء من عمی عنها) أی من کان ذا عمی و جهاله عن تلک الفتنه فهو فی أمن و سلامه من اصابه البلیه لکونه منقادا لدعوتهم منساقا تحت رایتهم، مطیعا لأوامرهم ممتثلا لنواهیهم (و أیم اللّه لتجدنّ بنی امیّه لکم أرباب سوء بعدی) یطلق الرّبّ علی المالک و المنعم و السیّد و المتمّم و المدبّر و المربّی و یصحّ اراده کلّ منها فی المقام و لا یطلق علی الاطلاق إلاّ علی اللّه سبحانه و بیّن جهه السّوء بقوله:(کالنّاب الضّروس تعذم بفیها و تخبط بیدها و تزبن برجلها و تمنع درّها)شبّههم علیه السّلام بالنّاقه السّیّئه الخلق المتّصفه بالأوصاف الرّدیه المذکوره أراد علیه السّلام أنها کما تعضّ بفیها و تضرب بیدها و تدفع حالبها برجلها و تمنع الناس من لبنها فکذلک هؤلاء فی أفعالهم الرّدیّه و حرکاتهم الموذیه من قصد الناس بالقتل و الضرب و الأذیه و منعهم ما یستحقّونه من بیت المال(لا یزالون) قائمین (بکم) مسلّطین علیکم قاصدین لکم (حتی لا یترکوا منکم) فی الأرض و لا یبقوا (إلاّ نافعا لهم) سالکا مسلکهم ینفعهم فی

مقاصدهم (أو غير ضائر بهم) بانكار المنكرات عليهم أى من لا يكون مضرا لهم فى امور دولتهم (و لا يزال بلائهم) عليكم (حتى لا يكون انتصار أحدكم) أى انتقامه (منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه) و انتقامه من مولاه (و) كانتصار (الصّاحب) الملازم التابع (من مستصحبه) أى ممن اتبعه و لزمه.

و الغرض بذلك إمّا نفى إمكان الانتقام رأسا فيكون المقصود بالاثبات هو النفى أى كما لا يمكن للعبد الانتقام من مولاه و للمستصحب الذى من شأنه الضّعف و عدم الاستقلال الانتصار من مستصحبه، فكذلك هؤلاء الموجودون فى تلك الزمان الناجون من سيف البغى و العدوان لا يمكنهم الانتصار من بنى اميّه و مروان، لكونهم أذلاّء مقهورين بمنزله العبيد المملوكين، و إمّا إثبات الانتصار فى الجمله عند الغيبه بمثل الغيبه و السّب و الذّم و نحوها مع الأمن من الوصول إلى المغتاب و المسلوب و المذموم مع إظهار الطّاعه و الانقياد عند الحضور، و يؤيّد ذلك ما يأتى فى روايه الثقفى من الزّياده و هو قوله عليه السّلام: حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه إذا رآه أطاعه و إذا توارى عنه شتمه.

(ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشيّه) أى حال كونها قبيحه عقلا و شرعا مخوّفه للنفوس مرعّبه للقلوب (و قطعا جاهليّه) أى طوايف و دفعات منسوبه إلى الجهاله متصفه بالضّلاله لكونها على غير قانون عدل، و ما يظهر من كلام الشراح من كون المراد بالجاهليه الحاله التى كانت العرب عليها قبل الاسلام من الجهل باللّه و رسوله و شرايع الدّين و المفاخره بالأنساب و الكبر و التجبّر و التعصّب و الأخلاق الذّميمه، فيه أنّ معنى الجاهليه و إن كان ذلك إلاّ أنّ ظاهر التركيب لا يساعد حمله على ذلك المعنى فى المقام و لو كان مراده عليه السّلام ذلك لقال: و قطع الجاهليّه أى قطعا مثل قطع الجاهليه فافهم.

و قوله عليه السّلام:(ليس فيها منار هدى و لا علم يرى) بيان لوجه الجهاله أى ليس فيها إمام هدى يهتدى به و يستضاء بنوره، و لا قانون عدل يسلك به سبيل الحقّ.

ثمّ أشـار عليه السّـلام إلى برائه سـاحتهم من تلـك الفتنه بقوله (نحن أهل البيت منها بمنجاه و لسـنا فيها بـدعاه) أراد نجاتهم من الـدخول فيهـا و من لحـوق آثامهـا و تبعاتهـا و عـدم كـونهم من الـداعين إليهـا و إلى مثلهـا، و ليس المراد نجـاتهم من أذيّتهـا و خلاصـهم من بليّتها لكونهم عليهم السّـلام أعظم النّاس بليّه و أشدّهم أذيّه فيها، و كفى بذلك شاهدا شهاده الحسين عليه السّلام و أولاده و أصحابه و هتك حريمه و نهب أمواله و ما أصاب ساير أئمه الدّين من الطغاه الظالمين لعنهم اللّه أجمعين.

ثمّ بشّـر بظهـور الفرج بقوله:(ثمّ يفرّج اللّه) و يكشف عنكم (كتفريـج الأـديم) قيـل أى ككشف الجلـد عن اللّحم حـتى يظهر ما تحته.

و قـال فى البحـار: يحتمـل أن يكون المراد بالأـديم الجلـد الـذى يلفّ الانسان فيه للتّعـذيب لأنّه يضـغطه شديـدا إذا جفّ، و فى تفريجه راحه، و كيف كان فالمقصود انفتاح باب الفرج لهم (بمن يسومهم خسـفا) أى يكلّفهم و يولّيهم ذلّا و هوانا أو خسفا فى الأرض (و يسوقهم عنفا) أى بعنف و شـدّه (و يسـقيهم بكأس مصبره) ممزوجه بالصّبر أو المراد مملوه إلى اصـبارها(و لا يعطيهم إلّا السّـيف و لا يحلسهم إلّا الخوف)استعار لفظ الاحلاس بمشابهه جعلهم الخوف شعارا لهم غير منفكّ عنهم كالحلس الملازم للبعير الذى يكسى على ظهره و يلاصق جسده.

قـال الشـراح: و هـذه الفقرات إشاره إلى انقراض دوله بنى اميّه بظهور بنى العباس و انّ بنى العباس أولاهم ذلّا و هوانا و أذاقوهم كأس العذاب طعوما مختلفه و أروهم عيان الموت ألوانا شتّى كما هو مذكور فى كتب السير و التواريخ.

أقول: و الأظهر بملاحظه الزيادات الآتيه فى روايه سـليم بن قيس الهلالى و إبراهيم الثقفى أنها إشاره إلى ظهور السلطنه الالهيه و الـدوله القائميّه، و على هـذا يكون قوله: يسومهم خسـفا إشاره إلى خسف الأرض بجيش السـفيانى فى البيداء كما هو مروىّ فى أخبار الرجعه.

ثمّ أشار الى مآل حال الفرقه المنقلبه من قريش و منتهى ذلّتهم و ضعفهم بقوله:

ص:۹۱

(فعند ذلک تودّ قریش بالدّنیا و ما فیها لو یروننی مقاما واحدا و لو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب الیوم بعضه فلا یعطوننی)
أی حینئذ یتمنّی قریش بدل الدّنیا و ما فیها أن یرونی مقاما قصیرا بمقدار جزر جزور فیطیعونی اطاعه کامله و قد رضیت منهم الیوم بأن یطیعونی إطاعه ناقصه فلم یقبلوا و یصدّق هذا ما روی فی السّیر أنّ مروان بن محمّد و هو آخر ملوک بنی امیه قال یوم الزاب(۱) لمّا شاهد عبد اللّه بن محمّد بن علیّ بن عبد اللّه بن العبّاس بازائه فی صفّ خراسان: لوددت إنّ علیّ بن أبی طالب تحت هذه الرّایه بدلا من هذا الفتی، و علی ما استظهرناه فیکون الاشاره بذلک إلی التمنّی عند قیام القائم علیه السّلام

تکمله

اعلم أنّ هذه الخطبه الشریفه ملتقطه من خطبه طویله أوردها فی البحار بزیاده و اختلاف کثیر لما أورده السّید (ره) فی الکتاب أحببت أن اورد تمامها توضیحا للمرام و غیره علی ما أسقطه السید (ره) اختصارا أو اقتصارا من عقایل الکلام فأقول:

روی المحدّث العلّامه المجلسیّ (ره) من کتاب الغارات لابراهیم بن محمّد

ص:۹۲

۱- (۱) الزاب نهر بالموصل روی فی شرح المعتزلی فی شرح الخطبه المأه و الرابعه أنه لما نزل مروان بالزاب جرد من رجاله ممن اختاره من أهل الشام و الجزیره و غیرها مأئه ألف فارس علی مأئه ألف فارح ثم نظر الیهم و قال: انها لعده و لا تنفع العده اذا انقضت المده و لما أشرف عبد اللّه بن علی یوم الزاب فی المسوده و فی أوائلهم البنود السود تحملها الرجال علی الجمال البخت، أقبل مروان علی رجل بجنبه و قال ألا- تعرفنی من صاحب جیشهم؟ فقال عبد اللّه بن محمد بن علی بن عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب قال: و یحک من ولد العباس هو؟ قال: نعم، قال: و اللّه لو ددت أن علیّ بن أبی طالب مکانه فی هذا الصف، قال: یا أمیر المؤمنین تقول هذا لعلی مع شجاعته التی ملاء الدنیا ذکرها قال: ویحک ان علیا (علیه السلام) مع شجاعته صاحب دین و الدّین غیر الملک و انا لنروی عن قدیمنا أنه لا شیء لعلی و لا لولده فی هذا انتهی ما أهمنا نقله منه،.

الثقفى، عن إسماعيل بن أبان عن عبد الغفار بن القسم عن المنصور بن عمر عن زربن حبيش، و عن أحمد بن عمران بن محمّد بن أبى ليلى عن أبيه عن ابن أبى ليلى عن المنهال ابن عمرو عن زرّبن حبيش قال خطب علىّ عليه السّلام بالنّهروان فحمد اللّه و أثنا عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس أما بعد أنا فقأت عين الفتنه لم يكن احد ليجترئ عليها غيرى، و فى حديث ابن أبى ليلى لم يكن ليقفاها أحد غيرى و لو لم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل و لا أهل صفّين و لا أهل النّهروان، و أيم اللّه لو لا ان تتكلّمو او تدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى اللّه على لسان نبيّكم لمن قاتلهم مبصرا لضلالتهم عارفا للهدى الذى نحن عليه ثمّ قال: سلونى قبل أن تفقدونى سلونى عمّا شئتم سلونى قبل أن تفقدونى إنى ميّت أو مقتول بلى (بل خ ل) قتل ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم، و ضرب بيده إلى لحيته، و الذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين الساعه و لا عن فئه تضلّ مأئه أو تهدى مأئه إلاّ نبأتكم بناعقها و سائقها فقام إليه رجل فقال: حدّثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء، قال عليه السّلام: إنكم فى زمان إذا سأل سائل فليعقل و إذا سئل مسئول فليثبت، ألا و إنّ من ورائكم امورا أتتكم جللا مزوجا و بلاء مكلحا، و الذى فلق الحبّه و برء النسمه أن لو فقدتمونى و نزلت بكم كرايه الأمور و حقايق البلاء لقد أطرق كثير من السائلين و فشل كثير من المسئولين، و ذلك إذا قلصت حربكم و شمّرت عن ساق و كانت الدّنيا بلاء عليكم و على أهل بيتى حتّى يفتح اللّه لبقيّه الأبرار فانصروا أقواما كانوا أصحاب رايات يوم بدر و يوم حنين تنصروا و توجروا، و لا تسبقوهم فتصرعكم البليه.

فقام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن الفتن قال: إنّ الفتنه إذا اقبلت شبّهت و إذا أدبرت أسفرت يشبهن مقبلات و يعرفن مدبرات، إنّ الفتن تحوم كالرّياح يصبن بلدا و يخطين اخرى، ألا إنّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنه بنى اميّه إنّها فتنه عمياء مظلمه مطينه عمّت فتنتها و خصّت بليتها و أصاب البلاء من أبصر فيها

و أخطا البلاء من عمى عنها، يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتى يملاء الأرض عدوانا و بدعا، و إنّ أوّل من يضع جبروتها و يكسر عمدها و ينزع أوتادها اللّه ربّ العالمين.

و أيم اللّه لتجدنّ بنى اميّه أرباب سوء لكم بعدى كالناب الضّروس تعضّ بفيها و تخبط بيديها و تضرب برجليها و تمنع درّها لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا فى مصركم إلاّ تابعا لهم أو غير ضارّ، و لا يزال بلائهم بكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه إذا رآه أطاعه، و إذا توارى عنه شتمه و أيم اللّه لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم اللّه شرّ يوم لهم ألا إنّ من بعدى جمّاع شتّى، ألا إنّ قبلتكم واحده و حجّكم واحد و عمرتكم واحده و القلوب مختلفه ثمّ أدخل أصابعه بعضها فى بعض فقام رجل فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا هكذا يقتل هذا هذا و يقتل هذا هذا قطعا جاهليه ليس فيها هدى و لا علم يرى، نحن أهل البيت منها بنجاه و لسنا فيها بدعاه.

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما نصنع فى ذلك الزّمان؟ قال عليه السّلام: انظروا أهل بيت نبيكم فان لبدوا فالبدوا، و إن استصرخوكم فانصروهم توجروا، و لا تسبقوهم فتصرعكم البليّه.

فقام رجل آخر فقال: ثمّ ما يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السّلام:

ثمّ إنّ اللّه يفرج الفتن برجل منّا أهل البيت كتفريج الأديم، بأبى ابن خيره الاماء يسومهم خسفا و يسقيهم بكأس مصبره، و لا يعطيهم إلاّ السّيف هرجا هرجا، يضع السّيف على عاتقه ثمانيه أشهر، ودّت قريش عند ذلك بالدّنيا و ما فيها لو يرونى مقاما واحدا قد رحلب شاه أو جزر جزور لأقبل منهم بعض الذى يرد عليهم حتى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمه لرحمنا، فيغريه اللّه ببنى اميه فجعلهم:

«مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً سُنَّهَ اللّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللّهِ تَبْدِيلاً ».

بیان

و رواه فی البحار أیضا من کتاب سلیم بن قیس الهلالی نحو ما رواه من کتاب الغارات مع زیادات کثیره فی آخره و لا حاجه لنا إلی ایرادها و إنما المهمّ تفسیر بعض الالفاظ الغریبه فی تلک الروّایه فأقول «الجلل» بالضم جمع جلیّ وزان ربّی و هو الأمر العظیم و «مزوجا» فی النسخه بالزّاء المعجمه و الظاهر انه تصحیف و الصحیح مروجا بالمهمله من راج الریح اختلطت و لا یدری من أین تجیء و یمکن تصحیحه بجعله من زاج بینهم یزوج زوجا إذا أفسد بینهم و حرش و «کلح» کلوحا تکثر فی عبوس کتلکح و دهر کالح شدید و «طان» الرجل البیت و السطح یطینه من باب باع طلاه بالطین و طینه بالتثقیل مبالغه و تکثیر و المطینه فاعل منه، و فی روایه سلیم بن قیس بدلها مطبقه و «جمّاع» النّاس کرمّان اخلاطهم من قبائل شتّی و من کلّ شیء مجتمع اصله و کلّ ما تجمع و انضمّ بعضه إلی بعض و «لبد» بالمکان من باب نصر و فرح لبدا و لبودا أقام و لزق.

و قوله: «بابی ابن خیره الاماء» اشاره إلی امام الزمان الغایب المنتظر عجّل اللّه فرجه و سهّل مخرجه و «هرجا هرجا» منصوبان علی المصدر قال فی القاموس هرج النّاس یهرجون وقعوا فی فتنه و اختلاط و قتل، و فی روایه سلیم بن قیس حتّی یقولوا ما هذا من قریش لو کان هذا من قریش و من ولد فاطمه لرحمنا و «غری» بالشیء غری من باب تعب أولع به من حیث لا یحمله علیه حامل و أغریته به إغراء.

الترجمه

آگاه باشید و بدرستی که ترسناک ترین فتنه ها نزد من بر شما فتنه بنی أمیه است پس بدرستی که آن فتنه فتنه ایست که باعث کوری و ظلمت است که عامست حاله آن بجهه احاطه او بجمیع مسلمانان و خاص است بلیۀ آن بر خواص أهل ایمان و یقین، و رسید بلاء آن بکسی که صاحب بصیرتست در او و خطا نمود بلاء از کسی که کور و بی بصیرت گشت از آن، و قسم بخدا هر اینه البته می یابید بنی امیّه را از برای خود صاحبان بد بعد از من مثل ناقه بد خلق گزنده در وقت دوشیدن

ص:۹۵

که دندان می گیرد با دهان خود و می زند با دستهای خود و لگد می زند با پاهای خود و منع می نماید از شیر خود.

همیشه باشند اذیّت کننده بشما تا این که نگذارند از شما أحدی را مگر این که فایده دهنده بایشان یا ضرر نرساننده برایشان و همیشه باشد با شما بلاء ایشان تا این که نباشد انتقام یکی از شما از ایشان مگر مثل انتقام کشیدن غلام از آقای خود و مثل انتقام کشیدن تابع از متبوع خود، وارد می شود بر شما فتنه ایشان در حالتی که قبیح است و ترسیده شده و طایفه بطایفه که منسوبست بجهاله که نباشد در میان آن فتنه ها مناره هدایت و نه علامت دیده شده ما أهل بیت از آن فتنه در نجات هستیم و نیستیم در آن دعوت کننده بمثل آن، پس از آن بگشاید خداوند آن فتنه را از شما مثل شکافتن و جدا نمودن پوست از گوشت بدست آن کسی که بنماید بایشان ذلّت را، و براند ایشان را بدرشتی، و سیراب می نماید ایشان را با کاسه که تلخ شده باشد، و ندهد برایشان مگر شمشیر خون آشام، و نمی پوشاند برایشان مگر لباس خوف را پس نزد آن واقعه دوست می دارد قریش عوض دنیا و ما فیها این که ببیند مرا در یک مکانی اگر چه بوده باشد آن زمان دیدن بقدر کشتن شتر قربانی تا این که قبول نمایم از ایشان آنچه را که می خواهم از ایشان امروز بعض آنرا پس نمی دهند آنرا بمن

و من خطبه له علیه السّلام و هی الثالثه و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

فتبارك اللّه الّذی لا یبلغه بعد الهمم، و لا یناله حسن الفطن، الأوّل الّذی لا غایه له فینتهی، و لا آخر له فینقضی. منها: فاستودعهم فی أفضل مستودع، و أقرّهم فی خیر مستقرّ،

ص:۹۶

تناسختهم كرائم الأصلاب، إلى مطهّرات الأرحام، كلّما مضى منهم سلف، قام منهم بدين اللّه خلف، حتّى أفضت كرامه اللّه سبحانه إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا، و أعزّ الأرومات مغرسا، من الشّجره الّتى صدع منها أنبياءه، و انتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، و أسرته خير الأسر، و شجرته خير الشّجر، نبتت فى حرم، و بسقت فى كرم، لها فروع طوال، و ثمره لا تنال، فهو إمام من اتّقى، و بصيره من اهتدى، سراج لمع ضوئه، و شهاب سطع نوره، و زند برق لمعه، سيرته القصد، و سنّته الرّشد، و كلامه الفصل، و حكمه العدل، أرسله على حين فتره من الرّسل، و هفوه عن العمل، و غباوه من الامم، اعملوا رحمكم اللّه على أعلام بيّنه، فالطّريق نهج يدعو إلى دار السّلام، و أنتم فى دار مستعتب، على مهل و فراغ، و الصّحف منشوره، و الأقلام جاريه، و الأبدان صحيحه، و الألسن مطلقه، و التّوبه مسموعه، و الأعمال مقبوله.

اللغه

(تبارك اللّه) من البركه و هو كثره الخير و زيادته يقال: بارك اللّه لك و فيك و عليك و باركك بالتعديه بنفسه و (النسخ) الازاله و النقل يقال: نسخت الشمس الظل أى أزالته و نسخت الكتاب و انتسخته و استنسخته أى نقلت ما فيه و المنقول

ص:۹۷

منه النسخه بالضمّ و (السلف) كلّ من تقدّمک من آبائک أو قرابتک و الجمع سلاف و أسلاف و (الخلف) بالتحريک الولد الصّالح و يقال: على من حضر من الحىّ و إذا كان الولد فاسدا يقال خلف بسكون اللّام و ربما استعمل كلّ منهما مكان الآخر و (الافضاء) إلى الشىء الوصول و الانتهاء إليه و (المعدن) و زان مجلس منبت الجواهر من ذهب و نحوه و (الارومات) جمع الأرومه بفتح الهمزه و ضمّها أصل الشىء و الجمع أيضا على الاروم و (غرس) الشجر يغرسه من باب ضرب اثبته فى الأرض كأغرسه و (الصّدع) الشقّ فى شىء صلب و نبات الأرض قال سبحانه:

و الأرض ذات الصّدع.

و (العتره) نسل الرجل و رهطه و عشيرته الأدنون من مضى و غبر كذا فى القاموس و سيأتى تحقيق الكلام فيه و (اسره) الرجل وزان غرفه رهطه و عشيرته الأدنون و أهل بيته و الجمع اسر كغرب و (بسق) النخل بسوقا من باب قعد طال قال سبحانه: «وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ » و (الطوال) بالكسر جمع الطويل و الطوال بالضمّ و (الشهاب) كلّ شىء مضىء و (الزند) بالفتح فالسكون العود الذى يقدح به النّار و هو الأعلى و السفلى الزنده و (برقت) السماء بروقا و برقانا لمعت أو جاء ببرق و برق الشىء برقا و بريقا و برقانا لمع و (الفتره) ما بين كلّ نبيّين و رسولين و (الغباوه) الجهل و قلّه الفطنه و (نهج) الطريق الواضح منه و (المستعتب) يجوز كونه مصدرا و مكانا من استعتبه أى استرضاء و طلب إليه العتبى أى الرّضا

الاعراب

يجوز فى محلّ الموصول أعنى قوله عليه السّلام: الذى لا يبلغه، الرفع على كونه تابعا للّه بكونه بدلا منه أو نعتأله، و النصب على تقدير المدح أى أعنى الذى او امدح الذى، و اضافه البعد إلى الهمم و الحسّ الى الفطن لاميه و الأوّل إمّا خبر لمبتدأ محذوف أو تابع للّه.

و استشكل الشارح المعتزلى فى الفاء العاطفه فى قوله عليه السّلام: فينتهى فينقضى، بأنّ الفاء إنّما تدخل فيما إذا كان الثانى غير الأوّل كقولهم ما تأتينا فتحدّثنا و ليس

الثانی ههنا غیر الأوّل لأنّ الانقضاء هو الآخریه بعینها فکأنّه قال: لا آخر له فیکون له آخر و کذلک القول فی اللّفظه الاولی و أجاب بأنّ المراد لا آخر له بالامکان و القوّه فینقضی بالفعل فیما لا یزال، و لا هو أیضا ممکن الوجود فیما مضی فیلزم أن یکون وجوده مسبوقا بالعدم و هو معنی قوله فینتهی، بل هو واجب الوجود فی الحالین فیما مضی و فی المستقبل و هذان مفهومان متغایران و هما العدم و إمکان العدم فاندفع الاشکال انتهی کلامه أقول: و فیه نظر إذ الغالب فی الفاء العاطفه لجمله علی جمله علی ما صرّح به علماء الأدب أن یکون مضمون الجمله الثّانیه عقیب مضمون الجمله الاولی تقول قام زید فقعد عمرو، و أمّا اشتراط التغایر بین الجملتین فممنوع، و قد تفید الفاء کون المذکور بعدها کلاما مرتّبا فی الذکر علی ما قبلها لا أنّ مضمونه عقیب مضمون ما قبلها فی الزمان کقوله تعالی:

«اُدْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ » و قوله: «وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّهِ حَیْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِینَ ».

فانّ ذکر ذمّ الشیء و مدحه یصحّ بعد جری ذکره و من هذا الباب عطف تفصیل المجمل علی المجمل لأنّ موضع ذکر التفصیل بعد الاجمال قال سبحانه:

«وَ نادی نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی ».

و تقول أجبته فقلت لبیّک، و من هذا علم أنّ شرطیه التغایر غیر معتبره فلا حاجه إلی ما تکلّفه فی الجواب و إنّما مساق کلام الامام علیه السّلام مساق هذه الآیه الشریفه و مساق قوله:

«وَ کَمْ مِنْ قَرْیَهٍ أَهْلَکْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَیاتاً ».

فانّ ذكر نفى الانتهاء للشىء إنّما يصحّ بعد ذكر نفى النهايه و الغايه عنه، و كذا ذكر نفى الانقضاء يحسن بعد ذكر نفى الآخر عنه و سيأتى له مزيد توضيح فى بيان المعنى، و جمله نبتت فى حرم استينافيه بيانيه، و كذا جمله لها فروع طوال، و الفاء فى قوله: فهو امام فصيحه، و الواو فى قوله و أنتم فى دار مستعتب حاليه و دار فى أكثر ما رأيناه من النسخ بالتنوين فلا بدّ من جعل مستعتب اسم مكان بدلا منه أو عطف بيان على ما هو الحقّ الذى ذهب إليه الكوفيّون من جواز البيان فى النّكرات إلّا أنه يبعده و يبعد الوصفيه أنّ الدار من المؤنثات السّماعيّه، فكان اللّازم أن يقال: مستعتبه بالتاء للزوم المطابقه بين الصفه و الموصوف و البيان و المبين فى التذكير و التأنيث و إن امكن التصحيح بالتأويل فى الموصوف أو عدم لزوم المطابقه فى الصفه إذا كانت من أسماء المكان فليتأمل.

و فى نسخه الشارح المعتزلى بلا تنوين على الاضافه و هو أولى، فيصحّ على ذلك جعل مستعتب مصدرا فيكون إضافه دار إليه لاميه و جعله اسم مكان فتكون الاضافه بيانيه، و على فى قوله على مهل، للاستعلاء المجازى

المعنى

اعلم أنه صدّر هذه الخطبه بتقديس اللّه سبحانه و تنزيهه عن صفات النّقص و الامكان، و عقّبه بذكر وصف الأنبياء و الأولياء، و ذيّله بالموعظه و النّصيحه، فقال سلام اللّه عليه و آله (فتبارك اللّه) أى ثبت الخير و البركه عنده و فى خزائنه و قيل: أى تعالى اللّه لأنّ البركه ترجع معناها إلى الامتداد و الزياده و كلّ ما زاد على الشىء فقد علاه، و قيل أصله من البروك و هو الثبات فكأنه قال: و البقاء و الدّوام و الثّبات له فهو المستحقّ للتعظيم و الثّناء (الذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله حسّ الفطن) قد مضى الكلام فى شرح هذه الفقره فى الفصل الثّانى من فصول الخطبه الاولى و أقول هنا:

إنّ نعوت الجلال و صفات الكمال للّه سبحانه المتعال لمّا كانت غير متناهيه و لا محدوده نبّه عليه السّلام بذلك على عدم إمكان الوصول إليها و تعذّر إدراكها، إذ

کلّ مدرک متناه محدود، فالمعنی أنه تعالی لا یبلغه الهمم و القصود علی بعدها و علوّها، و لا یصل إلیه إدراک الفطن و إن ذکت و اشتدّت فی ذکائها و حدّتها و سرعه انتقالها من المبادی إلی المطالب، بل کلّ سابح فی بحار جلاله غریق و کلّ مرید للوصول إلی أنوار جماله حریق.

(الأوّل الذی لا غایه له فینتهی و لا آخر له فینقضی) تقدّم تحقیق الکلام فی أولیّته و آخریّته سبحانه فی شرح الخطبه الرّابعه و السّتین و الفصل الأوّل من فصول الخطبه التسعین بما لا مزید علیه، و المراد هنا أنه تعالی أول الأشیاء لا غایه له فی البدایه فینتهی إلیها، و لا آخر له فی النهایه فیکون له الانصرام و الانقضاء عندها، بل هو أزلیّ باق غیر منقطع الوجود بدایه و نهایه، و برهان ذلک أنّ الغایه و النهایه من عوارض الأجسام ذوات الأوضاع و المقادیر تعرض لها بالذّات، و للواحقها کالأزمنه و الحرکات، و للامور المتعلّقه بها کالقوی و الکیفیات بالعرض، و الأول سبحانه لیس بجسم و لا جسمانی و لا متعلّق به ضربا من التّعلّق فهو منزّه عن الحدّ و النهایه.

قال السید ره (منها) أی بعض فصول تلک الخطبه فی شرح حال الأنبیاء علیهم السّلام و هو قوله علیه السّلام:(فاستودعهم فی أفضل مستودع) و هو أصلاب الآباء (و أقرّهم فی خیر مستقرّ) و هو أرحام الامّهات قال سبحانه:

«هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَفْقَهُونَ ».

(تناسختهم کرائم الأصلاب إلی مطهّرات الأرحام) أی نقلتهم الأصلاب الکریمه إلی الأرحام المطهرّه من السفاح کما لو وقع عقد النکاح علی غیر الوجه الشرعی لخلل فی لفظ العقد أو فی القصد بأن یقع علی غیر المقصود إنکاحه أو نکاحه أو بغیر رضا الطرفین أو أحدهما أو من یعتبر رضاه أو لوقوعه علی المحارم

و نحو ذلك. روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام بطريق العامه عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قوله تعالى:

«لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ».

قال: نسبا و صهرا و حسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلّنا بنكاح، قال الكلبى كتبت للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خمسمائه أمّ فما وجدت فيهنّ سفاحا و لا شيئا مما كان عليه أهل الجاهليّه هذا.

و قال الشّارح البحرانى: و تناسخ الأصلاب لهم إلى مطهّرات الأرحام نقلهم إليها نطفا، و كرائم الأصلاب ما كرم منها، و حقّ لأصلاب سمحت بمثلهم أن توصف بالكرم، و مطهّرات الأرحام ما طهر منها، و حقّ لما استعدّ منها لا نتاج مثل هذه الأمزجه و قبولها أن تكون طاهره من كدر الفساد، و الشّيعه يطهّرون اصول الأنبياء من طرف الآباء و الأمهات عن الشرك، و نحوه قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نقلنا من الأصلاب الطاهره إلى الأرحام الزكيه.

و فى حديث الجابر المروىّ فى الفقيه فى كيفيه خلقه الانسان و ولادته قال:

فقلت: يا رسول اللّه هذه حالنا فكيف حالك و حال الأوصياء بعدك فى الولاده؟ فسكت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مليّا ثمّ قال: يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلاّ ذو حظّ عظيم، إنّ الأنبياء و الأوصياء مخلوقون من نور عظمه اللّه جلّ ثناؤه يودع اللّه أنوارهم أصلابا طيبه و أرحاما طاهره يحفظها بملائكته، و يربّيها بحكمته و يغذوها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف، و أحوالهم تدّق عن أن يعلم، لأنّهم نجوم اللّه فى أرضه، و أعلامه فى بريّته، و خلفاؤه على عباده، و أنواره فى بلاده، و حججه على خلقه، هذا من مكنون العلم و مخزونه فاكتمه إلاّ من أهله.

و بالجمله فالمراد أنه تعالى خلق الأنبياء عليهم السّلام و أودع أنوارهم فى الأصلاب و الأرحام و أخرجهم إلى وجه الأرض على تعاقب الزمان و كرور الأيام، و أرسلهم تترى لمسيس الحاجه و اقتضاء المصلحه، و هو الدّلاله على التوحيد و المعرفه،

و إكمال الدّين و الملّه، و لم يخل الخلق منهم بل (كلّما مضى منهم سلف) و ارتحلوا من الدّنيا إلى العقبا (قام منهم بدين اللّه) و نشر شرايعه و أحكامه (خلف حتى أفضت كرامه اللّه) و انتهت نبوّته (إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله) و بلغت بوجوده الشريف سلسله النّبوه و الرساله الغايه. و أشرقت وجه الأرض بنور جماله، و أضاءت الدّنيا بأشعّه كماله، و قد كان فى عالم المعنى الأصلاب الشامخه و الأرحام المطهره قشورا لذلك اللّب أحاطت به احاطه الأشعّه بالسراج، فهو مفارق لتلك المحالّ الشّريفه فى التقدير و إن كان مقارنا لها فى التدبير.

و لأجل هذا كان كلّ من انتقل إليه ذلك النّور أشرقت وجهه حتّى يعرف بذلك النور إلى أن ينتقل منه إلى رحم الطاهره، فيسلب منه النور و يتلألأ بوجه الحامل إلى أن تضع الجنين فيخرج مشرقا بما فيه فيسلب اللّه النور.

روى الصدوق باسناده إلى أبى ذر قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يقول:

خلقت أنا و علىّ بن أبى طالب من نور واحد نسبّح اللّه يمنه العرش قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فلما أن خلق اللّه آدم عليه السّلام جعل ذلك النور فى صلبه و لقد سكن الجنه و نحن فى صلبه، و لقد همّ بالخطيئه و نحن فى صلبه، و لقد ركب نوح بالسفينه و نحن فى صلبه، و لقد قذف إبراهيم عليه السّلام فى النار و نحن فى صلبه، فلم يزل ينقلنا اللّه عزّ و جل من أصلاب طاهره إلى أرحام طاهره حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب، فقسمنا فجعلنى فى صلب عبد اللّه و جعل عليّا عليه السّلام فى صلب أبى طالب و جعل فىّ النّبوه و البركه، و جعل فى علىّ الفصاحه و الفروسيه، و شقّ لنا اسمين عن أسمائه، فذوا العرش محمود و أنا محمّد. و اللّه العلىّ الأعلى و هذا علىّ.

و عن المناقب لأحمد بن حنبل و النّسائى عن علىّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ اللّه خلق خلقه فى ظلمه، ثمّ رشّ عليهم من نوره فمن أصابه من النّور شىء اهتدى و من أخطأه ضلّ.

ثمّ فسّره علىّ عليه السّلام فقال: إنّ اللّه عزّ و جلّ حين شاء تقدير الخليقه و ذرء

البريّه و إبداع المبدعات ضرب الخلق فى صور كالهباء قبل وجود الأرض و السماء و هو سبحانه فى انفراد ملكوته و توحّد جبروته، فأشاع نورا من نوره فلمع، و قبأ من ضيائه فسطع، ثمّ اجتمع ذلك النور فى وسط تلك الصور الخفيه فوافق صوره نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال اللّه له: أنت المختار المنتخب و عندك ثابت نورى و أنت كنوز هدايتى، ثمّ أخفى الخليقه فى غيبه و سترها فى مكنون علمه، ثمّ وسّط العالم و بسط الزمان و موّج الماء و أثار الزبد و أفاج الرّيح، فطفى عرشه على الماء فسطح الأرض على ظهر الماء، ثمّ انشأ الملائكه من أنوار ابتدائها و أنوار اخترعها، و قرن بتوحيده نبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ظاهرا فهو أبو الأرواح و يعسوبها كما أنّ آدم عليه السّلام أبو الأجساد و سببها، ثمّ انتقل النور فى جميع العوالم عالما بعد عالم و طبقا بعد طبق و قرنا بعد قرن إلى أن ظهر محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصوره و المعنى فى آخر الزمان، و يطابق هذا الكلام قول عمّى العبّاس بن عبد المطلب رضى اللّه عنه قال: يا رسول اللّه أريد أن أمدحك قال: قل لا يفضض اللّه فاك قال (ره):

من قبلها طبت فى الظلال و فى مستودع حيث يخصف الورق

ثمّ انبطت البلاد لا بشر أنت و لا مضغه و لا علق

بل نطفه تركب السّفين و قد الجمت نسرا و أهله الغرق

وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها و لست تحترق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

حتّى احتوى بيتك المهيمن من خندف(۱) عليا تحتها النّطق

و أنت لمّا ولدت أشرقت الأرض و ضاءت بنورك الافق

فنحن فى ذلك الضياء و فى النّور و سبل الرّشاد تحترق

(فأخرجه من أفضل المعادن منبتا و أعزّ الارومات مغرسا) يحتمل أن يكون المراد بذلك مكّه زادها اللّه شرفا لأنها لمّا سمحت بمثله صلوات اللّه و سلامه عليه صار أجدر بأن تكون أفضل المعادن و أعزّ الاصول، و يشعر به قوله الآتى: نبتت فى حرم، فافهم.

ص:۱۰۴

۱- (۱) خندف وزان زبرج ام مدركه بن الياس أحد أجداد النبىّ و اسمها ليلى كما فى القاموس، منه.

و الأظهر أن يراد به إما إبراهيم خليل اللّه أو إسماعيل ذبيح اللّه، فانّ كلّا منهما لما كان محلا لجوهر الرساله و أصلا لشجره النبوّه صار حقيقا بأن يكون أفضل المعادن و أعزّ الاصول، و يستعار لهما هذان اللفظان.

و يناسب ذلك قوله عليه السّلام (من الشجره التى صدع منها أنبيائه و انتجب منها أمنائه) فانّ الأظهر أنّ المراد بها أحدهما عليهما السّلام لكون الأنبياء من فروع تلك الشجره المباركه و انتهاء سلسله النبوه الخاصه لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اليهما، و يعرف ذلك بذكر نسبه الشريف و هو كما فى البحار أنه:

محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطلب و اسمه شيبه بن الحمد بن هاشم، و اسمه عمرو بن عبد مناف، و اسمه المغيره بن قصى(۱) ، و اسمه زيد بن كلاب(۲) بن مرّه بن كعب بن لوى(۳) بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، و هو قريش بن كنانه بن خزيمه بن مدركه بن الياس بن مضر(۴) بن نزار بن معد(۵) بن عدنان بن ادّ بن اود بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام ابن تارخ بن ناخور بن ساروع(۶) بن ارغوا بن فالغ (فالع خ ل) بن عابر، و هو هود بن شالح بن أرفحشد بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ(۷) بن اخنوخ، و هو إدريس(۸) بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث، و هو هبه اللّه بن

۱- (۱) بفتح القاف و الضاد و تشديد الياء منه

۲- (۲) بكسر الكاف و فتح اللام

۳- (۳) بضم اللام و فتح الواو و تشديد الياء منه

۴- (۴) بضم الميم و فتح الصاد المعجمه.

۵- (۵) بفتح الميم و العين المهمله و تشديد الدال است.

۶- (۶) و فى بعض الروايات بدله شاروع و فى بعضها شروغ بالشين و الغين المعجمتين

۷- (۷) المتوشلخ بميم مفتوحه ثم تاء مشدده ثم واو ساكنه ثم شين معجمه ثم لام مفتوحتين ثم خاء معجمه عن جواهر اللغه.

۸- (۸) سمى ادريس لكثره تدريسه كتاب اللّه

آدم أبی البشر علیهم السّلام جمیعا.

روی مسلم عن واثله بن الأسقع قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّ اللّه اصطفی من ولد إبراهیم إسماعیل، و اصطفی من ولد إسماعیل بنی کنانه، و اصطفی من بنی کنانه قریشا و اصطفی من قریش بنی هاشم و اصطفانی من بنی هاشم.

و (عترته خیر العتر) و هم الذین أوصی فیهم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال: إنّی مخلف فیکم الثقلین کتاب اللّه و عترتی و أنهما، لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض کهاتین، و ضمّ سبابتیه فقام إلیه جابر بن عبد اللّه الأنصاری فقال: یا رسول اللّه و من عترتک؟ قال: علیّ و الحسن و الحسین و الأئمه من ولد الحسین علیهم السّلام إلی یوم القیامه رواه الصدوق فی کتاب اکمال الدّین و معانی الأخبار باسناده عن الصّادق علیه السّلام عن آبائه علیهم السّلام عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قال الصّدوق (ره) فی محکیّ کلامه حکی محمّد بن بحر الشیبانی عن محمّد بن عبد الواحد صاحب أبی العبّاس تغلب فی کتابه الذی سماه کتاب الیاقوته أنه قال حدّثنی أبو العبّاس تغلب قال: حدّثنی ابن الأعرابی، قال:

العتره قطاع المسک الکبار فی النافجه و تصغیرها عتیره، و العتره الریقه العذبه، و العتره شجره تنبت علی باب و جار الضبّ و أحسبه أراد و جار الضّبع لأنّ الذی للضبّ مکو و للضبع و جار، ثمّ قال: و إذا خرجت الضبّ من و جارها تمرّغت علی تلک الشجره فهی لذلک لا تنمو و لا تکبر، و العرب تضرب مثلا للذلیل و الذله فیقولون أقلّ من عتره، و العتره ولد الرّجل و ذریّته من صلبه، فلذلک سمیت ذرّیه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من علیّ و فاطمه: عتره محمّد قال تغلب: فقلت لابن الأعرابی: فما معنی قول أبی بکر فی السقیفه: نحن عتره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟ قال: أراد بلدته و بیضته، و عتره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا محاله ولد فاطمه علیها السلام، و الدّلیل علی ذلک ردّ أبی بکر و انفاذ علیّ علیه السّلام بسوره برائه و قوله علیه السّلام: امرت أن لا یبلغها عنّی إلاّ أنا أو رجل منّی، فأخذها منه و دفعها

إلی من کان منه دونه فلو کان أبو بکر من العتره نسبا دون تفسیر ابن الاعرابی أنه أراد البلده لکان محالا أخذ سوره برائه منه و دفعها إلی علیّ علیه السّلام.

و قد قیل: إنّ العتره الصّخره العظیمه یتّخذ الضبّ عندها جحرا یأوی إلیه و هذا لقلّه هدایته، و قد قیل إنّ العتره أصل الشجره المقطوعه التی تنبت من اصولها و عروقها، و العتره فی غیر هذا المعنی قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا فرعه و لا عتیره قال الاصمعی: کان الرّجل فی الجاهلیه ینذر نذرا علی أنه إذا بلغت غنمه مأئه أن یذبح رجبیه(۱) و عتایر فکان الرّجل ربما بخل بشاته فیصید الظباء یذبحها عن غنمه عن آلهتهم لیوفی بها نذره و أنشد الحرث بن حلزه:

عننا باطلا ظلما کما تعتر عن حجره الربیض الظباء

یعنی یأخذونها بذنب غیرها کما یذبح اولئک الظباء عن غنمهم، و قال الأصمعی: و العتره الریح و العتره أیضا شجره کثیره اللّبن صغیره یکون (نحو القامه خ ل) و یقال: العتره الذکر و عتر یعتر عترا إذا الغظ و قال الریاشی سألت الاصمعی عن العتره فقال هو نبت مثل المرز نجوش ینبت متفرقا ثمّ قال الصّدوق: العتره علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و ذرّیته من فاطمه و سلاله النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و هم الذین نصّ اللّه بالامامه علی لسان نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هم اثنا عشر أوّلهم علیّ علیه السّلام و آخرهم القائم علیهم السّلام علی جمیع ما ذهبت إلیه العرب من معنی العتره.

و ذلک إنّ الأئمه علیهم السّلام من بین جمیع بنی هاشم و من بین جمیع ولد أبی طالب کقطاع المسک الکبار فی النافجه و علومهم العذبه عند أهل الحکمه و العقل، و هم الشجره التی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أصلها و أمیر المؤمنین فرعها و الأئمه من ولدها أغصانها و شیعتهم ورقها و علمهم ثمرتها، و هم علیهم السّلام اصول الاسلام علی معنی البلده و البیضه

۱- (۱) قال فی القاموس الترجیب ذبح السائک و لعل الرجبیه مأخوذ منه م

و هم عليهم السّلام الهداه على معنى الصخره العظيمه التى يتّخذ الضبّ عندها جحرا يأوى إليه لقلّه هدايته، و هم أصل الشجره المقطوعه لأنهم و تروا و ظلموا و جفوا و قطعوا و لم يوصلوا، فنبتوا من اصولهم و عروقهم لا يضرّهم قطع من قطعهم و إدبار من أدبر عنهم، إذ كانوا من قبل اللّه منصوصا عليهم على لسان نبىّ اللّه، و من معنى العتره هم المظلومون المؤاخذون بما لم يجرموه و لم يذنبوه و منافعهم كثيره.

و هم عليهم السّلام ينابيع العلم على معنى الشجره الكثيره اللبن، و هم عليهم السّلام ذكر ان غير اناث على قول من قال إنّ العتره هم الذكر، و هم جند اللّه عزّ و جلّ و حزبه على معنى قول الاصمعى إنّ العتره الريح، قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الريح جند اللّه الأكبر فى حديث مشهور عنه، و الريح عذاب على قوم و رحمه للآخرين، و هم عليهم السّلام كذلك كالقرآن المقرون إليهم بقول النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنى مخلف فيكم الثقلين: كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى قال اللّه عزّ و جلّ:

«وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إِلاّ خَساراً » و قال عزّ و جلّ: «وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ ».

و هم أصحاب المشاهد المتفرقه على المعنى الذى ذهب إليه من قال إنّ العتره هو نبت مثل المرز نجوش ينبت متفرقا و بركاتهم منبثه فى المشرق و المغرب (و اسرته) أى رهطه و عشيرته (خير الاسر) و يدل عليه ما فى تفسير الامام عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ للّه عزّ و جلّ خيارا من كلّ ما خلقه: فله من البقاع خيار و له من الليالى و الأيام خيار، و له من الشهور خيار، و له من عباده خيار، و له من خيارهم خيار.

ص:۱۰۸

فامّا خياره من البقاع فمكّه و المدينه و بيت المقدس و إنّ صلاتا فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاه فيما سواه إلّا المسجد الحرام و المسجد الأقصى يعنى مكّه و بيت المقدّس، و أمّا خياره من اللّيالى فليالى الجمع و ليله النصف من شعبان و ليله القدر و ليله العيد، و أما خياره من الأيام فأيّام الجمع و الأعياد، و أمّا خياره من الشهور فرجب و شعبان و شهر رمضان، و أما خياره من عباده فولد آدم عليه السّلام، و خياره من ولد آدم من اختاره على علم منه بهم فانّ اللّه عزّ و جلّ لما اختار خلقه اختار ولد آدم عليه السّلام، ثمّ اختار من ولد آدم العرب، ثمّ اختار من العرب مضر، ثمّ اختار من مضر، قريشا، ثمّ اختار من قريش هاشما، ثمّ اختارنى من هاشم، و أهل بيتى كذلك، فمن أحبّ العرب فيحبّنى و احبّهم و من أبغض العرب فيبغضنى و ابغضهم و نعم ما قيل:

للّه فى عالمه صفوه و صفوه الخلق بنو هاشم

و صفوه الصفوه من هاشم محمّد الطّهر أبو القاسم

و يشهد به أيضا ما روى بطريق العامه عن عايشه عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: أتانى جبرئيل فقال. قلبت مشارق الأرض و مغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لم أر ابن أب أفضل من بنى هاشم.

و فى روايه ابن عمر أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: إنّ اللّه اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثمّ اختار بنى آدم فاختار منهم العرب، ثمّ اختار العرب فاختار منهم قريشا، ثمّ اختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم، ثمّ اختار بنى هاشم فاختارنى منهم، فلم ازل خيارا من خيار ألا من أحبّ العرب فيحبّنى احبّهم و من ابغض العرب فيبغضنى ابغضهم (و شجرته خير الشجر)أى أصله خير الاصول، و أراد بها إمّا هاشما أو اسماعيل على سبيل الاستعاره، و يجوز أن يراد بها نفسه صلوات اللّه و سلامه عليه و آله على كون الاضافه بيانيه و يدل عليه ما فى البحار من معانى الأخبار باسناده عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«كَشَجَرَهٍ طَيِّبَهٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها ».

قال عليه السّلام: أمّا الشجره فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و فرعها علىّ عليه السّلام، و غصن الشجره فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ثمرها أولادها عليهم السّلام، و ورقها شيعتنا ثمّ قال عليه السّلام: إنّ المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجره ورقه و إنّ المولود من شيعتنا ليولد فتورق الشجره ورقه.

و بمعناه أخبار كثيره، و قد نظم بعض الشعراء مضمونها و قال:

يا حبذا دوحه فى الخلد نابته ما مثلها نبتت فى الخلد من شجر

المصطفى أصلها و الفرع فاطمه ثمّ اللّقاح علىّ سيّد البشر

و الهاشميّان سبطاه لها ثمر و الشّيعه الورق الملتفّ بالثمر

هذا مقال رسول اللّه جاء به أهل الرّوايه فى العالى من الخبر

و قيل: أراد بالشجره إبراهيم الخليل و هو بعيد لمنافاته بظاهر قوله (نبتت فى حرم) لظهوره فى مكّه إلاّ أن يراد به حرم العزّ و المنعه (و بسقت فى كرم) أى طالت و ارتفعت فى العزّ و الكرامه (لها فروع طوال) إن كان المراد بالشجره إبراهيم أو إسماعيل فالمراد بالفروع الأنبياء من ذرّيتها، و إن كان المراد بها هاشم أو النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأراد بها الأئمه عليهم السّلام و وصفها بالطول إشاره إلى بلوغها فى الشّرف و الكمال منتهى النّهايه(و ثمره لا تنال)كنّى بها عن علوم الأنبياء و الأئمه أو مكارم أخلاقهم و محاسن مآثرهم، و بعدم نيلها عن شرفها و غموض أسرارها يعنى أنها لشرفها و علوّها لا يمكن الوصول اليها، أو أنها لغموضها و دقّتها لا تصل الأذهان اليها (فهو إمام من اتّقى و بصيره من اهتدى) يعنى أنّه صلوات اللّه عليه و آله قدوه المتقين و تبصره المهتدين لهم فيه اسوه حسنه و هو(سراج لمع ضوئه و شهاب سطع نوره و زند برق لمعه)شبهه عليه السّلام بالسراج و الشهاب و الزند فى كونه سبب هدايه

الخلق كما أنّ هذه الثلاثه كذلك، و رشح التشبيه الأول بلمعان الضوء، و الثّانى بارتفاع النّور، و الثالث ببروق اللّمع، و يحتمل أن يكون وجه الشبه فى الثالث إثاره أنوار الهدايه.

(سيرته القصد) و الاعتدال (و سنّته الرّشد) و الصواب (و كلامه الفصل) بين الحقّ و الباطل (و حكمه العدل) خال عن الحرف و الميل (أرسله على حين فتره من الرّسل) أى على حين سكون و انقطاع من الرّسل، و قد تقدّم توضيح ذلك فى شرح الخطبه الثامنه و الثمانين فتذكر (و هفوه من العمل) أى زلّه منه (و غباوه من الامم) أى غفله منها، و ذلك لأنّ خلوّ الزمان من الرسول موجب لكثره الزلّات و تزايد الغفلات و فرط الجهالات، فتخصيص إرساله بذلك الزّمان و تلك الحال إشاره إلى كمال تلك النعمه و عظمه هذه الموهبه حيث هداهم بوجوده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الضلاله و أنقذهم بمكانه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الجهاله، هذا.

و لمّا فرغ من شرح حال الرّساله عقّبه بالذكرى و الموعظه فقال(اعملوا رحمكم اللّه على أعلام بيّنه)أى اعملوا الصّالحات على ما دلّت عليها الأعلام البيّنات و المنار الواضحات الظّاهرات، و كنّى بها عن أئمه الدّين و مصابيح اليقين فانهم علامات الهدى فى غياهب الدّجى (فالطّريق) أى طريق الشريعه (نهج) واضح (يدعو) و يؤدّى (إلى دار السّلام و أنتم فى دار مستعتب) أى يمكنكم فيها استعتاب الخالق سبحانه و استرضائه بصالح الأعمال و اصلاح الحال، لأنكم (على مهل و فراغ) أى على امهال و انظار و فراغ من عوائق الموت.

(و) الحال أنّ (الصّيحف) أى صحايف أعمالكم (منشوره) لم تطو بعد (و الأقلام) اى أقلام كرام الكاتبين (جاريه) لم تجف (و الأبدان صحيحه) و سالمه من الأمراض المانعه من القيام لوظايف العبوديه (و الألسن مطلقه) من الخرس و الاعتقال (و التوبه مسموعه و الأعمال مقبوله) لانّكم فى دار التكليف يمكنكم فيها تدارك ما فات و الورود على ما هو آت، و أما بعد طيّ الصحف و جفّ الاقلام و اعتقال اللسان و خروج الأرواح من الأبدان، فلا يمكنكم الاستزاده من صالح

العمل و لا الاستعتاب من سيّیء الزّلل كما قال تعالى:

«فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ».

الترجمه

از جملهٔ خطبهای شریفه آن جناب ولایتمآب است که می فرماید: پس بلند است معبود بحق آن معبودی که نمی رسد بأوهمّتهای بعیده، و درک نمی نماید او را إدراک ذکاوتها، أوّلی که هیچ غایتی نیست او را پس نهایت برسد، و آخری ندارد او را تا این که منقضی شود، بعضی از این خطبه در صفت انبیا است می فرماید:

پس أمانت نهاد خداوند متعال ایشان را در أفضل محلّ أمانتها که عبارتست از صلبهای پدران، و برقرار فرمود ایشان را در بهترین مقرها که عبارتست از رحمهای مادران، نقل نمود آنها را صلبهای کریمهٔ پدرها برحمهای پاکیزهٔ مادرها، هرگاه گذشت از ایشان سلفی ایستاد بترویج دین خدا از ایشان خلفی تا این که منجرّ شد کرامت حق سبحانه و تعالی که عبارتست از منصب نبوّت بمحمّد بن عبد اللّه صلوات اللّه و سلامه علیه و آله، پس بیرون آورد آن بزرگار را از بهترین معدنها از حیثیت روئیدن و عزیزترین أصلها از حیثیت نشاندن، از درختی که شکافته و بیرون آورده از آن پیغمبران خود را، و برگزیده از آن امینان خود را.

عترت آن حضرت بهترین عترتها است، و قبیله آن حضرت بهترین قبیله ها است، و درخت آن حضرت بهترین درختها است در حالتی که روئیده است آن درخت در حرم محترم، و بلند شده در مجد و کرم، مر آن درخت راست شاخهای بلند، و میوهائی که دست نمی رسد بآن.

پس آن حضرت پیشوای کسیست که متّصف است بصفت تقوی، و بینائی کسی است که متّصف است بصفت اهتدا، چراغیست که درخشانست روشنائی او، و ستاره ایست که

ظاهر است نور او، و آتش زنه ایست که برق می دهـد لمعان او، روش آن حضـرت میانه روی است، و طریقهٔ او رشادت است، و کلام او جدا کننده است میان حقّ و باطل، و حکم او عدل است.

فرستاد حق تعالی او را در حین فتور و انقطاع از پیغمبران، و زمان لغزش عاملان از عمل، و وقوع غفلت از امتها، عمل نمائید خدا رحمت کند بر شما بر طبق آنچه که دلالت نموده بر آن علامات ظاهره، پس طریق حق واضح و روشن است که دعوت می نماید و می خواند بدار سلامت که عبارتست از جنت، و حال آنکه شما در سرائی هستید که ممکن است شما را ترضیهٔ پروردگار، و بر مهلت و فراغت میباشد در حالتی که نامهای أعمال نشر کرده شده و پیچیده نیست، و قلمهای کرام الکاتبین روان است، و بدنها صحیح است و زبانها روان است و گویان، و توبه شنوده شده است، و عملها مقبول است، پس فرصت را غنیمت شمارید و وقت را از دست مگذارید

و من خطبه له علیه السّلام و هی الرابعه و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

بعثه و النّاس ضلّال فی حیره، و خابطون فی فتنه، قد استهوتهم الأهواء، و استزلّتهم الکبریاء، و استخفّتهم الجاهلیّه الجهلاء، حیاری فی زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل، فبالغ صلّی اللّه علیه و آله فی النّصیحه، و مضی علی الطّریقه، و دعی إلی الحکمه و الموعظه الحسنه.

اللغه

(خابطون) بالخاء المعجمه و الباء الموحّده بعدها الطاء من الخبط و هو السیر علی غیر هدی، و فی بعض النسخ حاطبون بالحاء المهمله بعدها الطّاء جمع حاطب

ص:۱۱۳

و هو الـذى يجمع الحطب و (حيارى) بفتح الحاء و ضـمّها جمع حاير من حار يحار حيرا و حيره و حيرانا نظر إلى الشـىء فغشـى عليه و لم يهتد لسبيله فهو حيران و حاير و هم حيارى.

الاعراب

الواو فى قوله عليه السّلام: و الناس آه حاليه، و فى حيره خبر بعـد خبر أو متعلّق بضـلال، و وصف الجاهليه بالجهلاء للتوكيد من قبيـل ليـل أليـل و وتدواتـد و داهيه دهيـا و قوله: حيارى حال من مفعول اسـتخفتهم، و قوله: فى زلزال من الأمر حال مؤكـده من فاعل حيارى على حدّ قوله: فتبسّم ضاحكا.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الفصل تقرير فضيله النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التنبيه على فوائد بعثته، و قد مضى بعض القول فى ذلـك المعنى فى شـرح الفصـل السـادس عشـر من فصول الخطبه الاـولى و فى شـرح الفصل الأوّل من فصول الخطبه السادسه و العشرين، و نقول هنا: قوله عليه السّلام.

(بعثه و النّاس ضـلال فى حيره) أراد به أنه تعـالى بعثه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم حـال كون النـاس ضالّين عن طريق الحقّ فى حيره من أمر الدّين(و خابطون فى فتنه)أى كانت حركاتهم على غير نظام و كانوا فى فتنه و ضلال، و أما على روايه حاطبون فهو استعاره و المراد أنهم جامعون فى ضـلالهم و فتنتهم بين الغثّ و السمين مأخوذا من قولهم فى المثل: فلان حاطب ليل أى يجمع بين الحقّ و الباطل و الصّواب و الخطاء، و أصله أنّ الحاطب كذلك يجمع فى حبله ما لا يبصر.

(قـد اسـتهوتهم الأهواء) أى جذبتهم الأهواء الباطله و الآراء العاطله إلى مهاوى الهلاك إو إلى أنفسـها (و استزلّتهم الكبرياء) أى قـادهم التكبر و التجبّر إلى الخطاء و الخطـل و الهفوه و الزلـل (و اسـتخفّتهم الجـاهليه الجهلاء) أى جعلتهم حاله الجاهليه أخفّاء العقول سـفهاء الحلوم حالكونهم (حيارى) أى حائرين تائهين مغمورين (فى زلزال) و اضـطراب (من الأمر) لا يهتدون إلى وجوه مصالحهم

ص:۱۱۴

(و بلاء من الجهل) أی ابتلاء بالقتل و الغارات ناشئا من جهالتهم لعواقب الأمورات (فبالغ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی النصیحه) للأمه (و مضی علی الطریقه) المستقیمه (و دعا إلی الحکمه و الموعظه الحسنه) أی دعا إلی سبیل اللّه بهما امتثالا لأمر اللّه سبحانه و هو قوله:

«اُدْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ » قال الطبرسیّ أی ادع إلی دینه لأنّه السبیل إلی مرضاته، بالحکمه أی بالقرآن و سمّی القرآن حکمه لأنّه یتضمّن الأمر بالحسن و النهی عن القبیح و أصل الحکمه المنع و منه حکمه اللجام و إنّما قیل لها حکمه لأنها بمنزله المانع من الفساد و ما لا ینبغی أن یختار و قیل: إنّ الحکمه هی المعرفه بمراتب الأفعال فی الحسن و القبح و الصّلاح و الفساد، لأنّ بمعرفه ذلک یقع المنع من الفساد و الاستعمال للصّدق و الصّواب فی الأفعال و الأقوال.

و الموعظه الحسنه، معناه الوعظ الحسن و هو الصّرف عن القبیح علی وجه الترغیب فی ترکه و التزهید فی فعله، و فی ذلک تلیین القلوب بما یوجب الخشوع و قیل: إنّ الحکمه هی النبوّه و الموعظه الحسنه مواعظ القرآن.

و جادلهم بالتی هی أحسن، أی ناظرهم بالقرآن و بأحسن ما عندک من الحجج و تقدیره بالکلمه التی هی أحسن، و المعنی اقتل المشرکین و اصرفهم عما هم علیه من الشرک بالرفق و السکینه و لین الجانب فی النصیحه لیکونوا أقرب إلی الاجابه، فانّ الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطریق الحجاج، و قیل: هو أن یجادلهم علی قدر ما یحتملونه کما جاء فی الحدیث: أمرنا معاشر الأنبیاء أن نکلّم النّاس علی قدر عقولهم.

الترجمه

از جمله خطب شریفه در ذکر وصف خاتم نبوّت و بیان منافع بعثت می فرماید که

ص:۱۱۵

خداوند عز و جل مبعوث و برانگیخته فرمود حضرت خاتم الأنبیاء محمّد مصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم را و حال آنکه مردمان گمراه بودند در تحیّر و سرگردانی، و خبط کننده در فتنه و بلا، بتحقیق که از راه برده بود ایشان را خواهشات نفسانیّه، و لغزانیده بود ایشان را غرور و نخوت شیطانیه، و سبک گردانیده بود ایشان را نادانی و جاهلیت در حالتی که حیران بودند، در اضطراب بودند از کار خود، و در ابتلاء بودند از جهالت پس مبالغه فرمود حضرت خاتم الأنبیاء علیه سلام الرّب الأعلی در نصیحت، و گذشت بر طریقه حضرت عزّت که عبارتست از جادّهٔ شریعت، و دعوت فرمود مردمان را بحکمت که برهان وافی است، و بموعظه که بیان شافی است و لنعم ما قیل:

از ظلمات ضلال راه که بردی برون گر نشدی نور او شمع ره رهروان

و من اخری و هی الخامسه و التسعون من المختار فی

اشاره

باب الخطب

الحمد للّه الأوّل فلا شیء قبله، و الآخر فلا شیء بعده، و الظّاهر فلا شیء فوقه، و الباطن فلا شیء دونه. منها فی ذکر الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: مستقرّه خیر مستقرّ، و منبته أشرف منبت، فی معادن الکرامه، و مماهد السّلامه، قد صرفت نحوه أفئده الأبرار، و ثنیت إلیه أزمّه الأبصار، دفن به الضّغاین، و أطفأ به النّوائر، ألّف به إخوانا، و فرّق به أقرانا، أعزّ به الذّلّه، و أذلّ به العزّه، کلامه بیان، و صمته لسان.

ص:۱۱۶

اللغه

(المهـد) و المهـاد الفراش و موضع تهيّأ للصبىّ، و جمع الأوّل مهود كفلس و فلوس و جمع الثـانى مهـد ككتـاب و كتب، و أمّا المماهـد فلم يضـبط فيمـا رأيته من كتب اللغه، قال الشّارح البحرانىّ: جمع ممهـد و الميم زايـده، و قال الشّارح المعتزلىّ: المهاد الفراش و لمـا قـال عليه السّلام: فى معـادن و هى جمع معـدن قال بحكم القرينه و الازدواج و مماهـد و إن لم يكن الواحـد منها ممهـدا كما قالوا: الغـدايا و العشايا و مأجورات و مأزورات و نحو ذلك (و ثنيت) الشـىء ثنيا من باب رمى إذا عطفته و رددته و (الضغائن) جمع الضّغينه و هى الحقد و (النواير) جمع النائره و هى العداوه و المخاصمه.

الاعراب

قوله: فى معادن الكرامه خبر بعد خبر، و يجوز كونه صفه أو حالا من الخبر لكونه نكره غير محضه، و جمله قد صرفت فى محلّ النّصب على الحال، و قد للتحقيق.

المعنى

صـدر هـذه الخطبه الشريفه مسوق للثناء على الواجب تعالى باعتبـار نعوت العظمه و الجلال و صـفات العزّه و الكمال، و ذيلها بمـدح الرسول و الاشـاره إلى فوايـد البعثه فقال (الحمـد للّه الأوّل فلا شـىء قبله و الآخر فلا شـىء بعـده) و قـد مرّ معنى الأوّل و الآخر فى شرح الخطبه الرابعه و السّتين و فى شـرح الفصل الأوّل من فصول الخطبه التسـعين بما لا مزيد عليه (و الظاهر فلا شىء فوقه و الباطن فلا شـىء دونه) و قد مرّ معنى الظاهر و الباطن فى شـرح الخطبه الرابعه و السّتين أيضا و أقول هنا: يحتمل أن يكون المراد بالظـاهر و الباطن كونه تعالى ظاهرا بآياته و آثار قـدرته فلا شـىء فوقه من حيث الظهور و الجلاء، بل هو أجلى الأشـياء و أظهرها، و باطنا من حيث ذاته و حقيقته فلا شـىء دونه من حيث البطون و الخفاء، و قد أوضحناه فى شرح قوله عليه السّلام: كلّ ظاهر غيره غير باطن آه من الخطبه التى

ص:۱۱۷

أشرنا إليها، و أن يكون المراد بالظاهر الغالب القاهر على كلّ شيء فكلّ شيء مقهور دون قدرته، ذليل تحت عزّته، و بالباطن العالم بما بطن من خفيّات الامور فلا شيء دونه أى أقرب منه سبحانه إليه، هذا.

قال السيّد (ره)(منها) أى ببعض فصول تلك الخطبه (فى ذكر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و بيان شرفه و مناقبه الجميله و هو قوله (مستقرّه خير مستقرّ و منبته أشرف منبت) يمكن أن يكون المراد بالمستقرّ و المنبت الأصلاب الشامخه و الأرحام المطهّره، و أن يكون المراد بالأول مكّه و بالثانى الطيبه (فى معادن الكرامه) أى الرساله أو ما هو أعمّ من هذه (و مماهد السّلامه) أى المهد المتّصفه بالسّلامه من الأدناس و الأرجاس، و البراءه من العيوب الظاهره و الباطنه (قد صرفت نحوه أفئده الأبرار) أى صرف اللّه سبحانه أفئدتهم إليه(و ثنيت إليه أزمّه الأبصار)أى عطفت إليه أزمّه مطايا البصاير و القلوب، و هذا كلّه كنايه من التفات الخلق إليه و تلقّيهم له بقلوبهم و محبّه الأبرار له عليه السّلام إجابه لدعوه إبراهيم الخليل عليه السّلام حيث قال:

«رَبَّنا إِنِّی أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِی بِوادٍ غَيْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ ».

أى أسكنت بعض ولدى و هو إسماعيل عليه السّلام و من ولد منه، و عن العيّاشى عن الباقر عليه السّلام نحن هم و نحن بقيه تلك الذرّيه، و فى المجمع عنه عليه السّلام أنّه قال نحن بقيه تلك العتره. و قال كانت دعوه إبراهيم لنا خاصّه.

و قوله: فاجعل افئده من الناس أراد بعضهم و هم المؤمنون الأبرار كما اشير فى كلام الامام عليه السّلام و صرّح به الباقر عليه السّلام فى روايه العياشى قال: أما أنه لم يعن الناس كلّهم أنتم أولئك و نظراؤكم إنما مثلكم فى النّاس مثل الشعره البيضاء فى الثور الأسود أو مثل الشّعره السّوداء فى الثور الأبيض، ينبغى للناس أن يحجّوا هذا البيت و يعظموه لتعظيم اللّه إياه، و أن تلقونا حيث كنّا نحن الأدلّاء على اللّه.

ص:۱۱۸

و فی الصّافی عن الکافی عنه علیه السّلام فی قوله تعالی: تهوی إلیهم، و لم یعن البیت فیقول إلیه، فنحن و اللّه دعوه إبراهیم.

و عن الاحتجاج عن أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأفئده من الناس تهوی إلینا، و ذلک دعوه ابراهیم حیث قال افئده من النّاس تهوی إلیهم.

و روی علیّ بن إبراهیم عن الصّادق علیه السّلام أنه تعالی عنی بقوله: و ارزقهم من الثمرات، ثمرات القلوب أی أحبّهم إلی النّاس لیأتوا إلیهم (دفن به الضغائن و أطفأ به النّوائر) أی أخفی بوجوده الشّریف الاحقاد العربیّه بعد أن کانت ظاهره علانیه، و أطفأ به نوائر العداوات و خصومات الجاهلیه بعد أن کانت مشتعله ملتهبه و (الف به) علی الاسلام (اخوانا) کما کان بین أمیر المؤمنین علیه السّلام و سلمان (و فرق به) علی الشرک (أقرانا) کما کان بین حمزه و أبی لهب (أعزّ به الذله و أذلّ به العزّه) أی أعزّ به ذلّه الاسلام و أذلّ به عزّه الکفر، فقد رفع الاسلام سلمان فارس و قد وضع الکفر أبا لهب (کلامه بیان) للأحکام (و صمته لسان) لحدود الحلال و الحرام، أراد أنّ سکوته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان کالتکلّم و البیان فی الاشتمال علی الفائده، فانّ سکوت المعصوم فی مقام التقریر حجّه کقوله و أیضا ربما کان یسکت عن بعض المطالب إفهاما للناس عدم جواز خوضهم فیها.

الترجمه

از جمله خطبهای دیگر آن حضرتست حمد و ثنا خداوند را سزاست که أوّلست پس نیست هیچ چیز پیش از او، و آخر است پس نیست هیچ چیز بعد از او، و ظاهریست پس نیست هیچ چیز بالاتر از او در ظهور و جلا، و باطنی است پس نیست هیچ چیز نزدیکتر از او بأشیاء.

و بعض دیگر از این خطبه در ذکر رسالتمآب صلوات اللّه و سلامه علیه و آله است: محل استقرار او بهترین محل استقرارها است، و مکان روئیدن او شریفترین روئیدنها اسب، ثابت است در معدنهای بزرگواری و کرامت، و مواضع أمنیّت و سلامت، در حالتی که گردانیده شده بطرف او قلبهای نیکوکاران، و میل داده شده

ص:۱۱۹

بسوی او مهارهای بصیرتهای مؤمنان، دفن کرد و بر طرف فرمود بوجود شریف او کینه های دیرینه را، و خاموش نمود و زایل فرمود بسبب ذات او آتشهای عداوت در سینه های پر کینه، و الفت داد بواسطهٔ او میان برادران از أهل ایمان، و پراکنده ساخت بجهه او اقران را از مشرکان، عزیز گردانید بأو ذلّت اسلام را، و ذلیل گردانید بأو عزّت کفر را کلام او بیان شرایع و أحکام است، و سکوت او زبانیست حدود حلال و حرام را، از جهه این که تقریر معصوم مثل فعل او و قول او حجّت و سند شرعیست.

و من کلام له علیه السّلام و هو السادس و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و لئن أمهل اللّه الظّالم فلن یفوت أخذه، و هو له بالمرصاد علی مجاز طریقه، و بموضع الشّجی من مساغ ریقه، أما و الّذی نفسی بیده لیظهرنّ هؤلاء القوم علیکم، لیس لأنّهم أولی بالحقّ منکم، و لکن لإسراعهم إلی باطل صاحبهم، و إبطائکم عن حقّی، و لقد أصبحت الامم یخاف ظلم رعاتها، و أصبحت أخاف ظلم رعیّتی، استنفرتکم للجهاد فلم تنفروا، و أسمعتکم فلم تسمعوا، و دعوتکم سرّا و جهرا فلم تستجیبوا، و نصحت لکم فلم تقبلوا، أشهود کغیّاب، و عبید کأرباب، أتلو علیکم الحکم فتنفرون منها، و أعظکم بالموعظه البالغه فتتفرّقون عنها، و أحثّکم علی جهاد أهل البغی فما أتی علیّ آخر قولی

ص:۱۲۰

حتّى أراكم متفرّقين أيادى سبا، ترجعون إلى مجالسكم، و تتخادعون عن مواعظكم، أقوّمكم غدوه، و ترجعون إلىّ عشيّه كظهر الحنيّه، عجز المقوّم، و أعضل المقوّم. أيّها الشّاهده أبدانهم، الغائبه عنهم عقولهم، المختلفه أهوائهم المبتلى بهم أمرائهم، صاحبكم يطيع اللّه و أنتم تعصونه، و صاحب أهل الشّام يعصى اللّه و هم يطيعونه، لوددت و اللّه إنّ معاويه صارفنى بكم صرف الدّينار بالدّرهم، فأخذ منّى عشره منكم و أعطانى رجلا منهم، يا أهل الكوفه منيت منكم بثلاث و إثنتين، صمّ ذوو أسماع، و بكم ذوو كلام، و عمى ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللّقاء، و لا إخوان ثقه عند البلاء، تربت أيديكم، يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلّما جمعت من جانب تفرّقت من آخر، و اللّه لكأنّى بكم فيما أخال أن لو حمس الوغى، و حمى الضّراب، قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج المرأه عن قبلها، و إنّى لعلى بيّنه من ربّى، و منهاج من نبيّى، و إنّى لعلى الطّريق الواضح، ألقطه لقطا. أنظروا أهل بيت نبيّكم، فالزموا سمتهم، و اتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، و لن يعيدوكم فى ردى، فإن لبدوا فالبدوا،

ص:١٢١

و إن نهضوا فانهضوا، و لا تسبقوهم فتضلوّا، و لا تتأخّروا عنهم فتهلكوا، لقد رأيت أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فما أرى أحدا منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا، قد باتوا سجّدا و قياما، يراوحون بين جباههم و خدودهم، و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر اللّه هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم، و مادوا كما يميد الشّجر يوم الرّيح العاصف، خوفا من العقاب، و رجاء للثّواب.

اللغه

(رصد) فلانا من باب نصر رقبه كترصده و المرصاد الطريق و المكان يرصد فيه العدوّ و (الشجى) ما ينشب فى الحلق من عظم أو غيره و موضع الشجى هو الحلق نفسه و (المساغ) اسم مكان من ساغ الشّراب سوغا سهل مدخله قال الشاعر:

و ساغ لى الشّراب و كنت قبلا أكاد أغصّ بالماء الفرات

و يقال أيضا سغت الشّراب اسوغه أى أوصلته إلى المعده باللزوم و التّعديه و (ظهر) عليه غلب و (الرعاه) كالرعاء بالهمز جمع الراعى و هو كلّ من ولى أمر قوم و القوم رعيّته و (الاستنفار) الاستنصار أو طلب النّفور و الاسراع إلى الجهاد و (تنفرون) منها من نفرت الدّابه نفورا من بابى نصر و ضرب شرد و (أيادى سبا) مثل يضرب للمتفرّقين و أصله قوله تعالى عن أهل سبا: و مزّقناهم كلّ ممزّق، و سبأ بالهمزه وزان جبل يصرف و لا يصرف و هو بلده بلقيس و لقب ابن يشحب بن يعرب بن قحطان اسمه عبد شمس و(الأيادى)جمع الأيدى و هو جمع اليد، قال الرّضيّ: و هو كنايه عن الابناء و الاسره لأنّهم فى التقوى و البطش بهم بمنزله الأيدى، و يقال ذهبوا أيدى سبا و أيادى سبا الياء ساكنه و كذلك الألف

هكذا نقل المثل أى ذهبوا متفرّقين، و هما اسـمان جعلا اسما واحدا مثل معدى كرب ضرب المثل بهم لأنّهم لما غرق مكانهم و ذهبت جنّاتهم تبدّدوا فى البلاد.

روى الطبرسىّ فى تفسير سوره سبا فى قصه تفرّق أولاد سبا عن الكلبى عن أبى صالح قال: ألقت طريفه الكاهنه إلى عمرو بن عـامر الـذى يقـال له مزيقيـا بن ماء السّـما و كانت قـد رأت فى كهانتها أنّ سـدّ مارب سـيخرب و أنّه سيأتى سـيل العرم فيخرب الجنّتين، فباع عمرو بن عامر أمواله و سار هو و قومه حتّى انتهوا إلى مكه فأقاموا بها و ما حولها فأصابتهم الحمى، و كانوا ببلـد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريقه فشـكوا إليها الذى أصابهم فقالت لهم: قد أصابنى الذى تشكون و هو مفرّق بيننا، قالوا: فما ذا تأمرين؟ قالت: من كان منكم ذاهمّ بعيد و جمل شديد و مزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد و كانت ازدعمان(۱) ، ثمّ قالت: من كان منكم ذا جلـد و قسـر و صبر على ازمات الدّهر فعليه بالاراك من بطن مرّ (نمر خ ل) و كانت خزاعه، ثمّ قالت: من كان منكم يريـد الرّاسيات فى الوحـل المطعمـات فى المحـل فليلحق بيثرب ذات النخل و كانت الأوس و الخزرج، ثمّ قالت: من كان منكم يزيد الخمر الخمير و الملك و التأمير و ملابس التّاج و الحرير فليلحق ببصـرى و عوير، و هما من أرض الشّام و كان الذين سكنوهـا آل خفيه بن غسان، ثمّ قالت: من كان منكم يريـد الثياب الرقاق و الخيل العتاق و كنوز الأرزاق و الـدّم المهراق فليلحق بأرض العراق و كان الـذين سـكنوها آل جـذيمه الابرش و من كان بالحيره و آل محرق (و تتخادعون) قال فى القاموس: تخادع فلاـن أرى أنّه مخـدوع و ليس به، «انتهى» و لاـ يجوز اراده هـذا المعنى فى المقـام بـل الأظهر أنّه من قولهم سوق خادعه مختلفه متلونه و خلق خـادع متلوّن أى تختلفون و تتلوّنون فى قبول الوعـظ و لكنه يبعـده لفظه عن، اللّهم إلاّـ أن يضـمن معنى الاـعراض فافهم، و يأت له معنى آخر إنشاء اللّه.

و (الحنيه) وزان غنيه القوس و الجمع حنى و حنايا و (المقوّم) الأوّل

۱- (۱) و كانت ازد عمان أى كانت القبيله الملحقه لقصر عمان.

على زنه الفاعل و الثانى على زنه المفعول و (تربت) أيديكم كلمه يدعابها على الانسان قال فى القاموس: ترب كثرت را به و صار فى يده التّراب و لزق بالتراب و خسر و افتقر تربا و متربا و يداه لا أصاب خيرا، و عن النّهايه هذه الكلمه جاريه على ألسن العرب لا- يريدون بها الدّعاء على المخاطب و لا وقوع الأمر بها كما يقولون: قاتل اللّه و قيل: معناه للّه درّك، قال: و كثيرا يرد للعرب ألفاظ ظاهرها الذمّ و إنما يريدون بها المدح كقولهم لا- أب لك و لا أمّ لك و لا أرض لك و نحو ذلك و (خال) الشيء يخاله أى ظنّه و تقول خلت اخال بكسر الهمزه و بالفتح لغه بنى أسد كما فى أكثر النسخ و (حمس) كفرح اشتدّ و (حمى) كرضى اشتدّ حرّه و (القطه لقطا) فى أكثر النسخ بالقاف المثناه و الطاء المهمله من الالتقاط و فى بعضها الفظه لفظا بالفاء و الظاء المعجمه أى ابينه بيانا و (لبد) الشيء بالأرض من باب نصر التصق بها و (الجمر) جمع جمره و هى النّار الموقده و (ركب المعزى) جمع الرّكبه بالضمّ فيهما و (هملت) عينه هملا من باب نصر و ضرب فاضت

الاعراب

قوله عليه السّلام: فلن يفوت أخذه برفع أخذه على الفاعليه و المفعول محذوف أى لن يفوته أخذه، و قوله: على مجاز طريقه بدل من قوله بالمرصاد، و قوله:

ليظهرنّ منصوب بأن مضمره فى محلّ رفع على الابتداء، و جمله ليس لأنّهم مرفوعه المحلّ على الخبر و جمله المبتدأ و الخبر جواب القسم، و يحتمل أن يكون جمله ليظهرنّ فقط جواب القسم لا- محلّ لها من الاعراب و جمله ليس لأنهم استينافا بيانيّا و قوله: أ شهود كغيّاب استفهام تقريرى أو توبيخى و فى بعض النّسخ بلا- همز و عليه فهو خبر محذوف المبتدأ، و أيادى سبا منتصب على اقامته مقام المصدر أى متفرّقين تفرّق أيادى سبا، و يجوز أن يكون حالا مؤكده بتقدير المضاف أى مثل أيادى سبا، و قوله: أيّها الشاهده برفع الشاهده صفه محذوف الموصوف و جمله كلّما جمعت بدل بعض من جمله غاب عنها آه على حدّ قوله سبحانه.

«أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَ بَنِينَ ».

ص:۱۲۴

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذه الخطبه الشريفه ذمّ أصحابه عليه السّلام و توبيخهم على تثاقلهم من جهاد معاويه و أصحابه لعنهم اللّه، و صدّر الكلام بالتهديد و التعريض لأهل الشام أو لأصحابه كما سيأتى من نسبه الظلم إليهم فقال عليه السّلام (و لئن أمهل اللّه الظالم) و متّعه فى دار الدّنيا (فلن يفوته أخذه) و عقوبته كما قال تعالى:

«وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ ».

قال أبو القاسم البلخى معناه: و لا يحسبّن الذين كفروا أنّ إملاءنا لهم رضا بأفعالهم و قبول لها بل هو شرّ لهم لأنّا نملى لهم و هم يزدادون إثما يستحقّون به العذاب الأليم، فالمقصود أنه سبحانه و إن أمهل الظالم و هو مغمور فى ظلمه مستبشر بجوره و لكنه مدركه لا محاله و آخذه بالنّكال العظيم و العذاب الأليم.

(و هو له بالمرصاد) و عليه طريق العباد فلا يفوته أحد و هو من ألفاظ الكتاب العزيز قال تعالى: إنّ ربك لبالمرصاد، قال الطبرسىّ: و المعنى أنّه لا يفوته شىء من أعمالهم لأنّه يسمع و يرى جميع أقوالهم و أفعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد و روى عن علىّ عليه السّلام أنّه قال: معناه إنّ ربّك قادر على أن يجزى أهل المعاصى جزائهم و عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال: المرصاد قنطره على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمه عبد، و قال عطا: يعنى يجازى كلّ أحد و ينتصف من الظالم للمظلوم انتهى أقول: ما رواه عن الصادق عليه السّلام هو المعنى الحقيقى للمرصاد و ما رواه عن علىّ عليه السّلام بيان للمراد عن كونه سبحانه على المرصاد و محصّله أنه تعالى أجلّ و أعلى من أن يكون فى المكان لأنّ ذلك من صفات الامكان فلا بد من حمل كونه بالمرصاد على التوسع و المجاز و إراده عدم إمكان الهرب و الفوت منه كما لا يمكن الفوت ممن هو بالرّصد و الترقبو هذا هو المراد أيضا بقوله (على مجاز طريقه) و نظيره قوله (و بموضع الشجى من مساغ ريقه) أراد أنّه سبحانه يكاد أن يغصّه بشجىء

عقوباته و يشجوه بغصص نقماته بما هو عليه من رحب بلعومه و سوغه اللذائذ.

ثمّ أردف عليه السّلام ذلک بالقسم البارّ بظهور أهل الشّام عليهم و قال (أما و الذى نفسى بيده ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم) و نبّه على دفع ما لعلّهم يتوهّمون من كون علّه ظهورهم و غلبتهم كونهم على الحقّ و كون أصحابه عليه السّلام على الباطل بقوله:

(ليس لأنهم أولى بالحقّ منكم) و أنتم أولى بالباطل منهم.

و أشار إلى علّه الظهور بقوله (و لكن لاسراعهم إلى باطل صاحبهم و إبطائكم عن حقّى) أراد بذلک أنّ ظهورهم عليكم ليس من جهه كونهم أهل حقّ و كونكم أهل باطل حتّى يوجب ذلک تخاذلكم عن جهادهم و إنما ظهورهم من أجل اتفاق كلمتهم و اجتماعهم على طاعه إمامهم الباطل و اختلاف آرائكم و تشتت أهوائكم فى طاعه الامام الحقّ، و من المعلوم أنّ مدار الفتح و الظفر و النصره و الغلبه فى الحرب على الاتفاق و الاجتماع بطاعه الجيش للرّئيس الموجب لانتظام أمرهم لا على حقيّه العقيده و إلّا لما ظهر أهل الشرک على أهل التوحيد أصلا، و الوجدان كثيرا ما يشهد بخلافه.

و أوضح عليه السّلام هذا المعنى بقوله (و لقد أصبحت الامم يخاف ظلم رعاتها و أصبحت أخاف ظلم رعيّتى) و غرضه عليه السّلام بذلک الحاق التقصير و اللائمه فى المغلوبيّه عليهم و الاشاره إلى أنّ له الحجّه على الحقّ لالهم عليه مع التنبيه على كونهم ظالمين فى حقّه عاصين له، فانّ شأن الرعيّه الخوف من الوالى و به يستقيم له امور الولايه و ينتظم امور الرّعيه، و أما إذا كان الأمر بالعكس فلا يكون له حينئذ فى الرّعيه رأى نافذ و يختلّ الأمر و يطمع فيه و فى رعيّته غيره كما هو معلوم بالوجدان و مشاهد بالعيان.

و من كان خبيرا بأحواله عليه السّلام فى خلافته و تأمل مجارى حالاته مع رعيّته عرف صدق هذا الكلام و ظهر له أنّه عليه السّلام كان المحجور عليه لا يتمكّن من إظهار ما فى نفسه، إذ العارفون بحاله و المخلصون له كانوا قليلين، و كان السّواد الأعظم

لا یعتقدون فیه الأمر الذی یجب اعتقاده فیه، و کان یعامل معهم بالتقیّه، و یداری معهم بحسن التدبیر و السّلوک و الاناه مع ما کان یشاهده علیه السّلام منهم غیر مرّه من التمرّد و العصیان کما أشار الیه بقوله (استنفرتکم للجهاد فلم تنفروا و أسمعتکم فلم تسمعوا و دعوتکم سرّا و جهرا فلم تستجیبوا) دعوتی (و نصحت لکم فلم تقبلوا) نصیحتی.

ثمّ شبّههم علیه السّلام بقوله(أ شهود کغیّاب)بالغائبین مع کونهم شاهدین، لأنّ ثمره المشاهده هو الاستفاده و الانتفاع و مع عدمها فالشاهد و الغائب سواء.

و کذلک شبّههم بقوله علیه السّلام(و عبید کأرباب)بالأرباب مع کونهم عبیدا، و هو إمّا من باب القلب و مبنیّ علی المبالغه أی أنتم أرباب من صنادید العرب و رؤسائها و لکنکم کالعبید فی رزاله النفس و دنائه الهمه، أو المراد أنّکم عبید و رعایالی مفترض طاعتی علیکم و لکنکم تأبون عنها و تمرّدون عنها کالسادات، و هذا أنسب بالفقره السّابقه، أو أنّ أخلاقکم أخلاق العبید من الخلاف و النفاق و دنائه الأنفس و التوانی و التخاذل و أنتم مع ذلک تدّعون الاستقلال و تتکبّرون و تتعزّزون و تستبدّون بالآراء کالأرباب و الأحرار.

ثمّ أشار علیه السّلام إلی وجوه تقصیرهم بقوله (أتلو علیکم الحکم) الحسنه (فتنفرون منها و أعظکم بالموعظه البالغه فتتفرّقون عنها و أحثکم علی جهاد أهل البغی) أراد به أهل الشّام (فما اتی علی آخر قولی حتّی اریکم متفرّقین) مثل تفرّق (أیادی سبا ترجعون إلی) بیوتکم و (مجالسکم و تتخادعون عن مواعظکم) أی تتلوّنون و تختلفون معرضین عن قبول المواعظ، و قال الشّارح المعتزلی: أی تمسکون عن الاتعاظ من قولهم: کان فلان یعطی ثمّ خدع أی امسک و اقلع، و قال الشّارح البحرانی: المخادعه هی الاستغفال عن المصلحه أی أنّهم إذا رجعوا من مجلس وعظه أخذ کلّ منهم یستغفل صاحبه عن تذکّر الموعظه و یشغله بغیر ذلک من الأحادیث و إن لم یکن عن قصد خداع بل تقع منهم صوره المخادعه.

(اقوّمکم غدوه) باصلاح أخلاقکم و إرشادکم إلی السّداد و الرشاد (و ترجعون

إليّ عشيّه كظهر الحتيّه) أى معوّجين كظهر القوس منحرفين عن مكارم الأخلاق (عجز المقوّم) أراد به نفسه الشريف (و أعضل المقوّم) أراد به قومه أى أشكل تقويمهم و أعيانى دائهم علاجا.

ثمّ ناداهم عليه السّلام بذكر معايبهم تنفيرا لهم عنها فقال:(أيها) الفئه (الشاهده أبدانهم الغائبه عنهم عقولهم) لعلّ المراد بغيبه العقول ذهابها أو عدم قيامهم بما تقتضيها و الثانى أظهر (المختلفه أهوائهم المبتلى بهم أمراؤهم) اى ابتلى أمراؤهم بسبب نفاقهم بسوء الحال و عدم انتظام الأمر (صاحبكم يطيع اللّه و أنتم تعصونه) و هو إشاره إلى اتصافهم برذيله مخالفه الأمر مع كون أميرهم مطيعا للّه سبحانه (و صاحب أهل الشّام يعصى اللّه و هم يطيعونه) و هو اشاره إلى اتصاف أهل الشّام بفضيله الطاعه مع كون أميرهم عاصيا له تعالى و جعل ذلك مقايسه بينهم ليظهر الفرق فيدركهم الغيره.

ثمّ أردفه لتحقيرهم و تفضيل عدّوهم عليهم فى البأس و النجده فقال (لوددت و اللّه إنّ معاويه) لعنه اللّه (صارفنى بكم صرف الدّينار بالدرّهم فأخذ منّى عشره منكم و أعطانى رجلا منهم) و لا يخفى ما فى هذا الكلام من وجوه التحقير حيث جعل عليه السّلام أهل الشّام بمنزله الذهب و جعل أصحابه بمنزله الفضّه و رجّح واحدا منهم على عشره من أصحابه حيث ودّ مبادلتهم به و أكّد ذلك بالقسم البارّ و اللاّم و إنّ.

ثمّ نبّه على ما ابتلى به منهم فقال (يا أهل الكوفه منيت منكم بثلاث و اثنتين) أى ابتليت منكم بخمس خصال و إنّما لم يجمع الخمس لكون الثلاث من جنس و الاثنتين من آخر، أو لكون الثلاث ايجابيه و الاثنتين سلبيه.

أمّا الثلاث الأول فهو أنّكم (صمّ ذوو أسماع و بكم ذوو كلام و عمى ذوو أبصار) توصيفهم بها مع أضدادها وارد فى مقام التعجّب و معرض التوبيخ حيث إنّ المقصود بخلق هذه الجوارح و الآلات فى الانسان انتفاعه بها و صرفه لها فى

المصالح الدينيّه و الدّنيويه لينتظم بها أمر معاشه و معاده و إذا لم تنتفع بها كان واجدها و فاقدها سواء، و أحرى أن يلحق بالبهائم و الأنعام بل هو أضلّ سبيلا.

و أما الثنتان الباقيتان فنبّه عليهما بقوله (لا أحرار صدق عند اللّقاء) أى لا يرى منكم عند الحرب و لقاء الأبطال ما يصدق حريّتكم من البأس و النّجده و الشّجاعه، بل يشاهد منكم صفات العبد من التخاذل و دنائه الهمه و بقوله (و لا إخوان ثقه عند البلاء) أى لستم ممّن توثق باخوّتكم عند الابتلاء بالنوازل (تربت أيديكم) دعا بعدم إصابه الخير(يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها كلّما جمعت من جانب تفرّقت من آخر)شبّههم عليه السّلام بالابل الموصوفه و عقّبه بذكر وجه الشبه و هو فقد الانتظام بفقدان الراعى الناظم و أشار به إلى عصيانهم له و كونهم مطلقى العنان بمنزله من لا أمير لهم.

(و اللّه لكأنى) أبصر (بكم فيما أخال) و أظنّ بظهور الامارات و المخايل التى توجب الظن (أن لو حمس الوغا) و عظم الحرب (و حمى الضراب) و اشتدّ حرّ الطّعان (قد) تفرّقتم و(انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج المرأه عن قبلها)قال الشّارح المعتزلى: أى وقت الولاده، و قال البحرانى: شبّه انفراجهم عنه بانفراج المرأه عن قبلها ليرجعوا إلى الانفه و تسليم المرأه قبلها و انفراجها عنه إما وقت الولاده أو وقت الطعان «انتهى» و قيل: تسليم المرأه لقبلها و انفراجها عنه وقت الولاده أو وقت الطعان و التشبيه فى العجز و الدّنائه و الغرض إرجاع القوم إلى الانفه و الحميّه و تنبيههم على الخطاء فى تفرّجهم و عدم انقيادهم له عليه السّلام.

أقول: و جميع ما قالوه كما ترى مما ينفرّ عنه الذوق السّليم و يأباه الطبع المستقيم لا سيّما التأويل بوقت الطّعان أقبح سماجه و لعلّ الأظهر أن يجعل الانفراج عن القبل كنايه عن الانفراج عن الولاده أو مجازا مرسلا بعلاقه كون القبل محلّ الولاده و يكون المراد بالتشبيه الاشاره إلى شدّه محبّتهم فى الانفراج و منتهى رغبتهم فى التفرّق عنه فانّ المرأه فى حال المخاض على غايه الشدّه و الاضطراب لا شىء أحبّ اليها من الطلق و الانفراج فاذا طلقت استراحت و رجعت إليها نفسها

و سكن وجعها، و الغرض بـذلك توبيخهم و لومهم و تشبيه حالتهم عند حضور الجهاد و اشتغال نائره الحرب بحاله المرأه التى أخذها المخاض و وجع الولاده، و حسن هذا المعنى مما لا يخفى على أولى الأذهان السليمه و الأفهام المستقيمه، هذا.

و يحتمل بعيدا أن يكون أصل الروايه عن قبلها بفتحتين و إن كان النسخ لا يساعده، فى القاموس و القبل محركه ضرب من الخرز يؤخّذ بها(۱) ، أو شىء من عاج مستدير يتلألؤ يعلّق فى صدر المرأه.

ثمّ عاد عليه السّلام فى ذكر مناقبه الجميله المحركه لهم الى اتّباعه و متابعته فقال عليه السّلام (و إنّى لعلى بيّنه) و حجّه واضحه (من ربّى) و هى الآيات الباهره و الأدله الزّاهره المفيده لمعرفته و توحيده سبحانه (و منهاج) و جادّه مستقيمه (من نبيّى) و هى السّنه النّبويّه و الطريقه المصطفويّه على صاحبها أفضل الصّلاه و السّلام و التحيه (و انّى لعلى الطريق الواضح) و هو طريق الدّين و نهج الشّرع المبين (ألقطه) من بين الطرق الضلال (لقطا) و لعلّ فى التعبير بلفظ اللقطه إشاره إلى غلبه طرق الضلال و كثرتها و تنبيها على أنّ سالك طريق الهدى يحتاج إلى الجدّ و الاجتهاد و الاهتمام حتّى يميّزه من بينها و يلتقطه من ههنا و ههنا، فانّ سالك طريقه مكتنفه بالشوك و القتاد من جانبيها يحتاج إلى أن يلتقط المنهج التقاطا.

ثمّ نبّه على وجوب طاعته و ملازمته فقال (انظروا أهل بيت نبيكم) أراد به نفسه الشريف و الطّيبين من أولاده الأئمه الأحد عشر (فالزموا سمتهم) أى جهتهم و طريقتهم (و اتّبعوا أثرهم) و علل وجوب الاقتداء و الايتمام لهم بقوله(فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم فى ردى)أى ردى الجاهليه و الضلال القديم، فانّهم خير امّه اخرجت للنّاس يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و فيه تعريض على أنّ متابعه غيرهم توجب الخروج من الهدى و العود إلى الرّدى «أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى »

ص:١٣٠

١- (١) أى يسخر، لغه.

(فان لبدوا فالبدوا) أى إن قعدوا عن طلب الخلافه أو الجهاد و لزموا البيوت فتابعوهم (و إن نهضوا فانهضوا) أى إن قاموا بالخلافه فانصروهم (و لا تسبقوهم) فيما لم يأمروكم به و لا تفعلوا ذلک (فتضلّوا) لأنّ متقدّم الدّليل شأنه الضّلال عن القصد (و لا تتأخّروا عنهم) فيما يأمرونكم به و لا تخالفوهم (فتهلكوا) لأنّ المتخلف عن الهاد يتيه عن الرشاد فلا يدرى انه هلكك فى أىّ واد.

ثمّ نبّه عليه السّلام على بعض أوصاف الأصحاب الأنجاب للتهييج و الالهاب فقال عليه السّلام و (لقد رأيت أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و هم الذين أدركوا صحبته بالايمان و ماتوا بالايمان (فما أرى أحدا منكم يشبههم) فى الزّهد و الورع و الخوف و الخشيه من الحقّ سبحانه (لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا) أى متغيّرى الشّعر و مغبّر الرّوؤس من غير استحداد و لا تنظف من قشف العباده و كثره الرياضه (قد باتوا) و أحيوا لياليهم (سجّدا و قياما يراوحون بين جباههم و خدودهم) أى يسجدون بالجبهه مرّه و بالخدود اخرى تذلّلا و خضوعا(و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم)كنايه عن قلقهم و اضطرابهم من خوف المعاد(كانّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم)و أراد ببين أعينهم جباههم مجازا يعنى أن جباههم من طول السجود و كثره مسّ الأرض صارت كركب المعزى و ثفنات البعير فى الغلظه و الخشونه (إذا ذكر اللّه هملت أعينهم) و سالت (حتّى تبلّ جيوبهم) و فى بعض النسخ جباههم بدل جيوبهم و بلّها ممكن فى حال السّجود (و ما دوا كما يميد الشّجر) أى اضطربوا مثل اضطراب الشجر (يوم الريح العاصف خوفا من العقاب و رجاء للثواب) يعنى أنّ اضطرابهم تاره يكون من الخوف و الوجل و اخرى من الرجاء و الاشتياق و هذا هو شأن المؤمن المخلص الآخذ بين مرتبتى الخوف و الرجاء و الآمل من اللّه الحسنى إنّه الغفور الرّحيم ذو المنّ العظيم.

تکمله

هذا الكلام له عليه السّلام يشبه أن يكون ملتقطا من خطبه طويله قدّمنا روايتها من كتاب الاحتجاج و الارشاد فى شرح الخطبه التاسعه و العشرين، و تقدّم أيضا بعض

فقراتها فی التنبیه الثانی من شرح الکلام السّابع و الثلاثین فی ضمن روایه سلیم ابن قیس الهلالی، فتذکر.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن قدوهٔ أنام است می فرماید:

و اگر مهلت بدهـد خداونـد ظالم را پس هرگز فوت نمی شود از او عقوبت او و حق تعالی مر ظالم را بر محل ترقب و نگهبانی است بر مکـان گذشـتن راه او و بموضع چیزهـای گلوگیر است از جای فرو بردن آب دهان او، آگاه باش قسم بآن خـدائی که نفس من در قبضـهٔ اقتـدار او است هر آینه غـالب شـدن این قوم که عبـارت باشـند از أهل شام بشـما نیست بجهه این که ایشان أقرب بحق انداز شـما، و لکن بجهه شـتافتن ایشانست بسوی باطل صاحب خودشان و اهمال نمودن شـما است از حق من، و هر آینه بتحقیق که صباح کردند امّتها در حالتی که می ترسـند از سـتم والیان خودشان، و صباح کردم من در حالتی که می ترسم از جور رعیّت خود طلب یاری کردم از شما بجهه جهاد پس یاری نکردید، و شنواندم شما را قول حق را پس گوش ندادید، و خواندم شما را بحق در نهان و آشکار پس اجابت نکردید، و نصیحت نمودم شما را پس قبول ننمودید آیا شما حاضران هستید مثل غایبان، و غلامان هستید مثل خواجه گان، تلاوت میکنم بشـما حکمتهای حسنه را پس رم می کنید از آن، و موعظه میکنم شما را با موعظـهٔ بالغه پس پراکنـده می شویـد از آن، و ترغیب میکنم شـما را بر جهاد أهل بغی و ظلم پس نمی آید بمن آخر گفتار خودم تا این که می بینم شـما را متفرّق می شوید مثل متفرّق شدن أولاد سـبا، بر می گردید بمجالس خودتان و اختلاف می نمائید از مواعظ خودتان، راست می گردانم شما را در بامداد و باز می گردید بسوی من در شبانگاه مانند پشت کمان کج شده، عاجز شد راست سازنده و مشکل شد راست شده.

ای جمـاعتی که حاضـر است بـدنهای ایشـان و غایب است از ایشان عقلهای ایشان مختلف است خواهشـهای ایشان مبتلا اسـت بجهه ایشان امیران ایشان، صاحب شما اطاعت

میکند خدای را و شما عصیان می نمائید او را، و صاحب أهل شام نافرمانی میکند حق را و ایشان اطاعت می نمایند او را، هر آینه دوست می دارم قسم بخدا این که معاویه صرافی کند با من شما را مثل صرافی دینار بدرهم پس بگیرد از من ده نفر از شما را و عوض دهد بمن یک نفر از أهل شام را ای أهل کوفه مبتلا شدم من از شما بسه خصلت و دو خصلت أما سه خصلت اینست که: هستید کران صاحب گوشها، گنگان صاحب گفتار، کوران صاحب چشمها، أمّا دو خصلت اینست که: نیستید آزادگان راست در وقت ملاقات شجاعان و نه برادران محل وثوق و اطمینان هنگام ابتلاءات زمان، خاک آلود باد دستهای شما ای أمثال شتران در حالتی که غایب باشد از ایشان شتربانان ایشان که هر وقت جمع کرده شوند از طرفی پراکنده شوند از طرف دیگر، قسم بخدا گوئیا می بینم شما را در آنچه ظن و خیال میکنم این که اگر شدّت بیابد جنگ و سخت شود حرارت کارزار بتحقیق که منکشف شوید از پسر أبی طالب همچه منکشف شد زن از زائیدن خود، و بدرستی که من بر حجّت و بیّنه هستم از جانب پروردگار خود، و بر جادّه مستقیمه هستم از جانب پیغمبر خود، و بدرستی که من بر راه روشن می باشم که پیدا میکنم آن راه را پیدا کردنی.

نظر نمائید بسوی أهل بیت پیغمبر خودتان پس لازم شوید بسمت ایشان، و متابعت نمائید أثر ایشان را، پس هرگز خارج نمی کنند ایشان شما را از هدایت، و هرگز بر نمی گردانند ایشان شما را بضلالت و هلاکت، پس اگر باز ایستند از طلب أمری باز ایستید شما، و اگر بایستند بأمری بایستید شما، و پیشی نگیرید بایشان پس گمراه شوید، و پس نیفتید از ایشان پس هلاک شوید.

و بتحقیق دیدم من أصحاب حضرت رسالتمآب صلّی اللّه علیه و آله و سلّم را پس ندیدم هیچیکی از شما را که شبیه ایشان باشید، بتحقیق که بودند ایشان صباح می کردند ژولیده موی غبار آلوده سر بتحقیق که شب را بروز می آوردند در حالتی که سجده کنندگان و ایستاده گان بودند، راحت می نمودند میان پیشانی و رخسارهای خودشان را

یعنی گاهی بپیشانی سجده می نمودند و گاهی رویشان را بزمین می نهادند، و می ایستادند بر مثال أخگر از یاد کردن قیامت و معاد خودشان گوئیا که میان چشمان ایشان زانوهای بز است که پینه بسته است از درازی سجدهٔ ایشان، هر گاه ذکر شود خداوند سبحانه ریزان می گردید آب چشمهای ایشان تا آنکه تر می شد گریبانهای ایشان از اشک چشم، و مضطرب می شدند مثل مضطرب شدن و جنبیدن درخت در روز باد تند بسبب ترسیدن از عذاب، و بسبب امیدواری بر ثواب.

و من كلام له عليه السّلام و هو السابع و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و يستفاد من كتاب الغارات انه قاله بعد أمر الخوارج و النهروان و رواه فی البحار عن المسيّب بن نجبه الفزاری نحوه و سنشير إليه إنشاء اللّه. و اللّه لا يزالون حتّى لا يدعوا للّه محرما إلاّ استحلّوه، و لا عقدا إلاّ حلوّه، و حتّى لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلاّ دخله ظلمهم، و نبا به سوء رعيهم، و حتّى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكى لدينه، و باك يبكى لدنياه، و حتّى يكون نصره أحدكم من أحدهم كنصره العبد من سيّده: إذا شهد أطاعه، و إذا غاب اغتابه، و حتّى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم باللّه ظنّا، فإن أتاكم اللّه بعافيه فأقبلوا، و إن ابتليتم فاصبروا، فإنّ العاقبه للمتّقين.

اللغه

(محرما) فی أكثر النسخ و زان مقعد بفتح الميم و تخفيف الراء و هو ما

ص:۱۳۴

حرّمه اللّه سبحانه و الجمع محارم، و عن بعضها محرّما بضم الميم و تشديد الرّاء و جمعه محارم و محرمات (و نبأ) منزله به بتقديم النون على الباء اذا لم يوافقه و (رعيهم) فى أكثر النسخ بالياء المثناه التحتانيه مصدر رعا يرعى بمعنى الحكومه و الاماره، و فى بعض النسخ بالتاء الفوقانيه مصدر ورع يقال ورع يرع بالكسر فيهما ورعا ورعه و هو التقوى و (ابتليتم) بالبناء على المفعول.

الاعراب

خبر زال محذوف أى لا ـ يزالون على الجور أو ظالمين، و إضافه نصره أحدكم و نصره العبد من اضافه المصدر إلى فاعله، و أعظمكم بالنصب خبر كان قدّم على اسمها و هو أحسنكم و يروى برفع الأوّل و نصب الثانى على العكس و الأوّل أنسب

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام الاشاره إلى شدّه طغيان بنى اميّه و ما يصيب المسلمين منهم من الجور و الظلم و الأذيه و صدّر الكلام بالقسم البار تحقيقا و تصديقا فقال (و اللّه لا يزالون) ظالمين (حتّى لا يدعو اللّه محرما إلاّ استحلوه) أى عدّوه حلالا و استعملوه استعمال المحلّلات و لا يبالون به، و يشهد بذلك ما صدر منهم من القتل و اتلاف النّفوس الّتى لا تحصى، فاذا كان حالهم فى أعظم الكبایر ذلك فكيف بغيرها.

(و لا) يتركوا (عقدا إلاّ حلّوه) و المراد به إمّا العقد و العهود المعاهده بينهم و بين الناس فالمراد بحلّها نقضها، و أول ما وقع من ذلك ما كان من معاويه حيث نقض المعاهده بينه و بين الحسن عليه السّلام، و إمّا العهود المأخوذه عليهم من اللّه تعالى و هو أحكام الدّين و قوانين الشرع المبين فيكون حلّها عباره عن مخالفتها و عدم العمل بها (و حتّى لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلاّ دخله ظلمهم) أراد ببيت المدر ما يعمل من الطين و الجصّ و نحوه فى القرى و البلدان، و ببيت الوبر الخباء و الخيم المتخذه من الشعر و الصوف و الوبر و نحوها فى البوادى (و نبابه سوء رعيهم) أى

ضره و خالفه سوء امارتهم أو سوء تقويهم.

(و حتّى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكى لدينه و باك يبكى لدنياه) لعلّ المراد بالباكى لدينه من لم يكن متمكّنا من اظهار معالم الدّين من القيام بوظائف شرع سيّد المرسلين، و بالباكى لدنياه من كان مصابا بنهب الأموال و مبتلى بسوء الحال (و حتّى يكون نصره أحدكم من أحدهم كنصره العبد من سيّده إذا شهد أطاعه و إذا غاب اغتابه) الظاهر أنّ المراد بالنصره فى المقامين هو الانتصار فيكون المجرّد بمعنى المزيد و قد مرّ نظير هذه العباره فى الخطبه الثّانيه و التّسعين و أوضحنا معناها هنالك.

قال الشّارح المعتزلى: و قد حمل قوم هذا المصدر أى نصره أحدكم على الاضافه إلى المفعول، و كذلك نصره العبد و تقدير الكلام حتى يكون نصره أحد هؤلاء الولاه أحدكم كنصره سيّد العبد السّيء الطريقه إياه، و من فى الموضعين مضافه إلى محذوف تقديره من جانب أحدهم و من جانب سيّده قال الشّارح: و هذا ضعيف لما فيه من الفصل بين العبد و بين قوله(1) إذا شهد أطاعه، و هو الكلام الذى إذا استمر المعنى جعل حالا من العبد لقوله من سيّده.

أقول: لعلّ مراد الشّارح بما ذكره فى وجه الضعف من استلزام الفصل هو اختلال نظام الكلام من حيث المعنى لا من حيث التركيب النحوى، فانّ الاتساع فى الظروف و شبهها ممّا هو معروف، و الفصل بهما بين اجزاء الكلام بما لا يسوغ لغيرهما مشهور مأثور، نعم اختلال المعنى لا ريب فيه فانّ محصل معنى الكلام على ما ذكره القوم حتى يكون منصوريه أحدكم من جانب أحدهم كمنصوريه العبد من جانب سيده، و على ذلك فلا يلايمه قوله عليه السّلام: إذا شهد أطاعه «آه» فان ظاهر هذا الكلام يعطى كونه بيانا لحاله نصره العبد سيّده بمعنى ناصريته له، لا لحاله منصوريته منه فافهم.

(و حتى يكون أعظمكم فيها) أى فى هذه الفتنه المفهومه بسياق الكلام

١- (١) متعلق بالفصل

(عناء) و جهدا (أحسنكم باللّه ظنّا) لظهور أنّ حسن الظن باللّه من صفات المؤمنين و الأولياء الكاملين، و معلوم أنّ عداوتهم لهم تكون أشدّ، و عنائهم و تعبهم منهم يكون أكثر و آكد (فان أتاكم اللّه بعافيه) و نجاه من تلك البليه (فاقبلو) ها بقبول حسن و اشكروا له سبحانه (و إن ابتليتم) و اصبتم بمصيبه (فاصبروا) عليها و تحاملوا بها (فانّ العاقبه للمتقين) و اللّه لا يضيع أجر المحسنين.

تنبيه

اعلم أنّ المستفاد من كتاب الغارات لابراهيم الثقفى على ما حكى عنه فى البحار أنّ هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السّلام بعد واقعه النّهروان بعد ما رجع إلى الكوفه و أغار سفيان بن عوف العامرى بأمر معاويه على الانبار على ما تقدّم تفصيله فى شرح الخطبه السّابعه و العشرين.

قال صاحب الغارات بعد ما أورد شطرا من الآثار فى غاره سفيان: و عن ثعلبه بن يزيد الحمانى أنّه قال: بينما أنا فى السّوق إذ سمعت مناديا ينادى الصّلاه جامعه، فجئت اهرول و الناس يهرعون فدخلت الرّحبه فاذا علىّ عليه السّلام على منبر من طين مجصّص و هو غضبان قد بلغه أنّ اناسا قد أغاروا بالسّواد، فسمعته يقول: أما و ربّ السّماء و الأرض ثمّ ربّ السّماء و الأرض إنّه لعهد النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ الامّه ستغدر بى.

و عن المسيب بن نجبه الفزارى أنّه قال: سمعت عليّا عليه السّلام يقول: إنّى قد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم، بطاعتهم إمامهم و معصيتكم إمامكم، و بأدائهم الأمانه و خيانتكم، و بصلاحهم فى أرضهم و فسادكم فى أرضكم، و باجتماعهم على باطلهم و تفرقكم عن حقّكم حتّى تطول دولتهم و حتى لا يدعو اللّه محرما الّا استحلّوه حتى لا يبقى بيت و بر و لا بيت مدر إلّا دخله جورهم و ظلمهم حتى يقوم الباكيان باك يبكى لدينه و باك يبكى لدنياه، و حتّى لا يكون منكم إلّا نافعا لهم أو غير ضارّ بهم، و حتى يكون نصره أحدكم منهم كنصره العبد من سيّده إذا شهد أطاعه و إذا غاب سبّه، فان أتاكم اللّه بالعافيه فاقبلوا و إن ابتلاكم فاصبروا، فانّ العاقبه

للمتقين، هذا.

و أقول: لا يخفى على الناقد الخبير بالأخبار و المطلع على الآثار أنّ ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السّلام و أشار إليه فى هذا الكلام من عموم جور بنى اميّه، و انتهاكهم المحارم، و استحلالهم الدّماء و اضرارهم بالمسلمين، و سعيهم فى اطفاء نور ربّ العالمين، فقد وقع كلّه مطابقا لما اخبربه.

فقد روى فى البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالى عن أبان عن سليم و عمر ابن أبى سلمه قالا: قدم معاويه لعنه اللّه حاجا فى خلافته المدينه بعد ما قتل أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه و صالح الحسن عليه السّلام و فى روايه اخرى بعد ما مات الحسن عليه السّلام و استقبله أهل المدينه فنظر فاذا الذى استقبله من قريش أكثر من الأنصار، فسأل عن ذلك فقيل: إنّهم محتاجون ليست لهم دواب فالتفت معاويه إلى قيس بن سعد بن عباده فقال: يا معشر الأنصار مالكم لا تستقبلونى مع اخوانكم من قريش.

فقال قيس و كان سيّد الأنصار و ابن سيدهم: اقعدنا يا أمير المؤمنين ان لم يكن لنا دواب، قال معاويه: فأين النواضح، فقال قيس: أفنيناها يوم بدر و احد و ما بعدهما فى مشاهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين ضربناك و أباك على الاسلام حتى ظهر أمر اللّه و أنتم كارهون، قال معاويه: اللّهم غفرا(۱).

قال قيس: اما إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال سترون بعدى أثره، ثم قال: يا معاويه تعيّرنا بنواضحنا و اللّه لقد لقيناكم عليها يوم بدر و أنتم جاهدون على اطفاء نور اللّه و أن يكون كلمه الشّيطان هى العليا، ثمّ دخلت أنت و أبوك كرها فى الاسلام الذى ضربناكم عليه، فقال معاويه: كأنّك تمنّ علينا بنصرتكم إيّانا فللّه و لقريش بذلك المنّ و الطّول، ألستم تمنّون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو من قريش و هو ابن عمّنا و منّا؟ فلنا المنّ و الطّول أن جعلكم اللّه أنصارنا

۱- (۱) أى اللّهمّ اغفر لى غفرا و اللّهمّ افتتاح للكلام و الخطاب لقيس أى اغفر ما وقع منى و استر. معائبى، بحار.

و أتباعنا فهداكم بنا.

و قال قيس: إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رحمه للعالمين، فبعثه إلى النّاس كافه و إلى الجنّ و الانس و الاسود و الأحمر و الأبيض، اختاره لنبوّته و اختصّه برسالته فكان أوّل من صدقه و آمن به ابن عمّه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و أبو طالب يذبّ عنه و يمنعه و يحول بين كفّار قريش و بين أن يروعوه و يؤذوه، و أمر أن يبلغ رساله ربه فلم يزل ممنوعا من الضيم و الأذى حتى مات عمّه أبو طالب و أمر ابنه بموازرته فوازره و نصره و جعل نفسه دونه فى كلّ شده و ضيق و كلّ خوف، و اختصّ اللّه بذلك عليّا عليه السّلام من بين قريش و أكرمه من بين جميع العرب و العجم، فجمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جميع بنى عبد المطلب فيهم أبو طالب و أبو لهب و هم يومئذ أربعون رجلا، فدعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نادمه علىّ عليه السّلام و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حجر عمّه أبى طالب فقال: ايّكم ينتدب أن يكون أخى و وزيرى و وصيّى و خليفتى فى امّتى و ولىّ كلّ مؤمن من بعدى، فأمسك القوم حتى أعادها ثلاثا فقال علىّ عليه السّلام: أنا يا رسول اللّه فوضع رأسه فى حجره و تفل فى فيه و قال: اللّهم املأ جوفه علما و فهما و حكما، ثمّ قال لأبى طالب: يا أبا طالب اسمع الآن لابنك و أطع فقد جعله اللّه من نبيّه بمنزله هارون من موسى، و آخا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين علىّ عليه السّلام و بين نفسه.

فلم يدع قيس شيئا من مناقبه عليه السّلام إلاّ ذكرها و احتجّ بها، و قال: منهم جعفر ابن أبى طالب الطّيار فى الجنّه بجناحين اختصّه اللّه بذلك من بين النّاس، و منهم حمزه سيّد الشّهداء، و منهم فاطمه سيّده نساء أهل الجنّه، فاذا وضعت من قريش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته و عترته الطيّبين فنحن و اللّه خير منكم يا معشر قريش و احبّ إلى اللّه و رسوله و إلى أهل بيته منكم، لقد قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاجتمعت الانصار إلى أبى ثمّ قالوا نبايع سعدا فجاءت قريش فخاصمونا بحجّه علىّ و أهل بيته و خاصمونا بحقّه و قرابته فما يعدو قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار و ظلموا آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لعمرى ما لأحد من الأنصار و لا لقريش و لا لأحد من العرب و العجم فى الخلافه حقّ مع علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و ولده من بعده.

ص:١٣٩

فغضب معاويه و قال یابن سعد عمّن أخذت هذا؟ و عمّن رویته؟ و عمّن سمعته؟ أبوک أخبرک بذلک و عنه أخذته؟ فقال قیس: سمعته و أخذته ممّن هو خیر من أبی و أعظم علیّ حقا من أبی، قال: من؟ قال: علیّ بن أبی طالب علیه السّلام عالم هذه الامّه و صدیقها الذی انزل اللّه فیه «قُلْ کَفی بِاللّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ ».

فلم یدع آیه نزلت فی علیّ علیه السّلام إلاّ ذکرها.

قال معاویه: فانّ صدیقها أبو بکر و فاروقها عمر و الذی عنده علم الکتاب عبد اللّه بن سلام.

قال قیس: أحقّ هذه الاسماء و أولی بها الذی انزل اللّه فیه:

«أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ وَ یَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ ».

و الذی نصبه رسول اللّه بغدیر خم فقال: من کنت مولاه أولی به من نفسه فعلیّ أولی به من نفسه، و قال فی غزوه تبوک أنت منّی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبیّ بعدی.

و کان معاویه یومئذ بالمدینه فعند ذلک نادی منادیه و کتب بذلک نسخه إلی أعماله الا برئت الذّمه ممن روی حدیثا فی مناقب علیّ و أهل بیته و قامت الخطبه فی کلّ مکان علی المنابر یلعن علیّ بن أبی طالب و البراءه منه و الوقیعه فی أهل بیته و اللّعنه لهم بما لیس فیهم علیهم السّلام.

ثمّ انّ معاویه لعنه اللّه مرّ بحلقه من قریش فلمّا رأوه قاموا إلیه غیر عبد اللّه بن عبّاس، فقال له: یابن عبّاس ما منعک من القیام کما قام أصحابک إلاّ لموجده علیّ بقتالی إیّاکم یوم صفّین، یابن عبّاس إنّ عمّی عثمان قتل مظلوما، قال ابن عبّاس، فعمر بن الخطاب قد قتل قبله مظلوما، قال: فتسلم الأمر إلی ولده و هذا ابنه قال: إنّ عمر قتله مشرک، قال ابن عبّاس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون، قال: فذلک أدحض لحجّتک و أحلّ لدمه ان کان المسلمون قتلوه

و خذلوه فليس إلّا بحقّ.

قال: فانّا كتبنا فى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علىّ و أهل بيته فكفّ لسانك يابن عبّاس و اربع على نفسك، قال: فتنهانا عن قراءه القرآن؟ قال: لا، قال: فتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم، قال: فنقرأه و لا نسأل عمّا عنى اللّه به؟ قال: نعم، قال: فأيّما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به، قال: فكيف نعمل حتى نعلم ما عنى اللّه بما انزل علينا؟ قال: يسأل ممّن يتأوّله على غير ما تتأوله أنت و أهل بيتك، قال: إنّما نزل القرآن على أهل بيتى فأسأل عنه آل أبى سفيان و آل أبى معيط و اليهود و النّصارى و المجوس؟ قال: فقد عدلتنى بهؤلاء؟ قال: لعمرى ما اعدلك بهم إلّا إذا نهيت الامّه أن يعبدوا اللّه بالقرآن و بما فيه من أمر أو نهى أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عام أو خاص أو محكم أو متشابه و ان لم تسأل الامّه عن ذلك هلكوا و اختلفوا و تاهوا، قال: فاقرءوا القرآن و لا ترووا شيئا مما أنزل اللّه فيكم و مما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ارووا ما سوى ذلك.

قال: ابن عباس: قال اللّه تعالى فى القرآن:

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ ».

قال معاويه: يابن عبّاس اكفنى عن نفسك و كفّ عنّى لسانك و ان كنت لا بدّ فاعلا فليكن سرّا و لا يسمعه أحد علانيه، ثمّ رجع إلى منزله فبعث إليه بخمسين ألف درهم و فى روايه اخرى مأئه الف درهم ثمّ اشتد البلاء بالامصار كلّها على شيعه علىّ عليه السّلام و أهل بيته و كان أشدّ النّاس بليه أهل الكوفه لكثره من بها من الشّيعه و استعمل عليها زيادا ضمّها اليه مع البصره و جمع له العراقين و كان يتبع الشيعه و هو بهم عالم، لأنّه كان منهم قد عرفهم و سمع كلامهم أوّل شىء، فقتلهم تحت كلّ كوكب و تحت كلّ حجر و مدر، و أخافهم و قطع الأيدى و الأرجل منهم و صلبهم على جذوع النّخل و سمل أعينهم

و طردهم و شردهم حتی انتزحوا علی العراق فلم یبق بها أحد منهم إلّا مقتول أو مصلوب أو طرید أو هارب.

و کتب معاویه إلی أعماله و ولاته فی جمیع الأرضین و الأمصار ألا یجیز و الأحد من شیعه علیّ و لا من أهل بیته و لا من أهل ولایته الذین یروون فضله و یتحدّثون بمناقبه شهاده.

و کتب إلی أعماله: انظروا من قبلکم من شیعه عثمان و محبّیه و أهل بیته و أهل ولایته الذین یروون فضله و یتحدّثون بمناقبه فادنوا مجالسهم و أکرموهم و قرّبوهم و شرّفوهم و اکتبوا إلیّ بما یروی کلّ واحد منهم فیه باسمه و اسم أبیه و ممّن هو.

ففعلوا ذلک حتّی أکثروا فی عثمان الحدیث و بعث إلیهم بالصّلات و الکساء و أکثر لهم القطایع من العرب و الموالی فکثروا فی کلّ مصر و تنافسوا فی المنازل و الضیاع و اتسعت علیهم الدّنیا فلم یکن أحد یأتی عامل مصر من الأمصار و لا قریه فیروی فی عثمان منقبه أو یذکر له فضیله إلّا کتب اسمه و قرب و شفع فمکثوا بذلک ما شاء اللّه.

ثمّ کتب إلی أعماله إنّ الحدیث قد کثر فی عثمان و فشا فی کلّ مصر و من کلّ ناحیه فاذا جائکم کتابی هذا فادعوهم إلی الرّوایه فی أبی بکر و عمر فانّ فضلهما و سوابقهما أحبّ الیّ و أقرّ لعینی و أدحض لحجّه أهل هذا البیت و أشدّ علیهم من مناقب عثمان و فضله، فقرأ کلّ قاض و أمیر من ولایه کتابه علی النّاس و أخذ النّاس فی الرّوایات فیهم و فی مناقبهم.

ثمّ کتب نسخه جمع فیها جمیع ما روی فیهم من المناقب و الفضایل و أنفذهما إلی عماله و أمرهم بقراءتها علی المنابر فی کلّ کوره و فی کلّ مسجد، و أمرهم أن ینفذوا إلی معلّمی الکتاتیب أن یعلّموها صبیانهم حتی یرووها و یتعلّموها کما یتعلّمون القرآن حتّی علّموها بناتهم و نسائهم و خدمهم و حشمهم فلبثوا بذلک ما شاء اللّه.

ص:۱۴۲

ثمّ كتب إلى عماله نسخه واحده إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينه أنه يحبّ عليّا و أهل بيته فامحوه من الدّيوان و لا تجيزوا له شهاده.

ثمّ كتب كتابا آخر: من اتّهمتموه و لم تقم عليه بيّنه فاقتلوه، فقتلوهم على التّهم و الظّن و الشّبه تحت كلّ كوكب حتّى لقد كان الرّجل يسقط بالكلمه فيضرب عنقه.

و لم يكن ذلك البلاء فى بلد أشدّ و لا أكبر منه بالعراق و لا سيّما بالكوفه حتّى أنّ الرّجل من شيعه عليّ و ممّن بقى من أصحابه بالمدينه و غيرها ليأتيه من يثق به فيدخل بيته ثمّ يلقى عليه سترا فيخاف من خادمه و مملوكه فلا يحدّثه حتى يأخذ الأيمان المغلّظه عليه ليكتمنّ عليه.

و جعل الأمر لا يزداد إلّا شده و كثر عندهم عدوّهم و أظهروا أحاديثهم الكاذبه فى أصحابهم من الزور و البهتان فينشأ النّاس على ذلك و لا يتعلّمون إلّا منهم و مضى على ذلك قضاتهم و ولاتهم و فقهاؤهم.

و كان أعظم النّاس فى ذلك بلاء و فتنه القرّاء المراءون المتصنّعون الذين يظهرون لهم الحزن و الخشوع و النّسك و يكذبون و يعلمون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، و يدنو لذلك مجالسهم، و يصيبوا بذلك الأموال و القطايع و المنازل حتّى صارت أحاديثهم تلك و رواياتهم فى أيدى من يحسب أنّها حقّ و أنها صدق فرووها و قبلوها و تعلّموها و علّموها و أحبّوا عليها و أبغضوا و صارت بأيدى النّاس الذين لا يستحلّون الكذب و يبغضون عليه أهله فقبلوها و هم يرون أنها حقّ و لو علموا أنّها باطل لم يرووها و لم يتديّنوا بها، فصار الحقّ فى ذلك الزّمان باطلا، و الباطل حقا، و الصّدق كذبا، و الكذب صدقا.

و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليشملنكم فتنه يربو فيها الوليد، و ينشأ فيها الكبير يجرى الناس عليها و يتخذونها سنّه، فاذا غيّر منها شيء قالوا أتى النّاس منكرا غيّرت السنّه.

لمّا مات الحسن بن عليّ عليه السّلام لم يزل البلاء و الفتنه يعظمان و يشتدّان فلم

یبق ولیّ اللّه إلاّ ـ خائفا علی دمه، و فی روایه اخری إلاّ ـ خائفا علی دمه أنّه مقتول، و إلاّ طریدا و شریدا، و لم یبق عدوّ اللّه إلاّ مظهر الحجّه غیر مستتر ببدعته و ضلالته الحدیث.

ألا لعنه اللّه علی القوم الظّالمین و سیعلم الّذین ظلموا آل محمّد صلّی اللّه علیه و علیهم أیّ منقلب ینقلبون.

الترجمه

از جملهٔ کلام بلاغت نظام آن امام أنام است که اشاره فرموده در آن بأعمال قبیحه بنی امیه و گفته:

بخدا سوگند که همیشه باشند بنی امیه تا این که نگذارند مر خداوند عالم را حرامی مگر که حلال شمارند آن را، و نه گرهی از گرههای دین مگر این که بگشایند آن را، و تا این که باقی نماند خانهٔ از کلوخ ساخته شده و نه خیمهٔ از پشم بر پا بوده مگر این که داخل شود در او ظلم آنها، و متزلزل سازد آن را بدی حکومت و أمارت ایشان تا آنکه برخیزد دو شخص گریه کننده که گریه کند یک گریه کننده گریه کند از برای دین خود، و گریه کنندهٔ دیگر گریه کند از برای دنیای خود، و تا این که باشد انتقام کشیدن یکی از شما از یکی از ایشان مثل انتقام کشیدن بنده از مولای خود باین وجه که اگر حاضر باشد نزد مولا یش اطاعت او را می نماید، و هرگاه غائب باشد از او غیبت او میکند، تا آنکه باشد بزرگترین شما از روی مشقّت نیکوترین شما از روی گمان و امیدواری بخدا پس اگر عطا کند خداوند شما را سلامتی و عافیتی پس قبول نمائید، و اگر مبتلا شوید ببلائی پس صبر نمائید پس بدرستی که عاقبت کار پرهیزکاران راست.

ص:۱۴۴

و من خطبه له علیه السّلام و هی الثامنه و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

نحمده علی ما کان، و نستعینه من أمرنا علی ما یکون، و نسأله المعافاه فی الأدیان، کما نسأله المعافاه فی الأبدان. عباد اللّه أوصیکم بالرّفض لهذه الدّنیا التّارکه لکم و إن لم تحبّوا ترکها، و المبلیه لأجسامکم و إن کنتم تحبّون تجدیدها، فإنّما مثلکم و مثلها کسفر سلکوا سبیلا فکأنّهم قد قطعوه، و أمّوا علما فکأنّهم قد بلغوه، و کم عسی المجری إلی الغایه أن یجری إلیها حتّی یبلغها، و ما عسی أن یکون بقاء من له یوم لا یعدوه، و طالب حثیث یحدوه فی الدّنیا حتّی یفارقها، فلا تنافسوا فی عزّ الدّنیا و فخرها، و لا تعجبوا بزینتها و نعیمها، و لا تجزعوا من ضرّآئها و بؤسها، فإنّ عزها و فخرها إلی انقطاع، و إنّ زینتها و نعیمها إلی زوال، و ضرّائها و بؤسها إلی نفاد، و کلّ مدّه فیها إلی انتهاء، و کلّ حیّ فیها إلی فناء، أ و لیس لکم فی آثار الأوّلین مزدجر، و فی آبائکم الماضین تبصره و معتبر إن کنتم تعقلون، أ و لم تروا إلی الماضین منکم لا یرجعون، و إلی الخلف الباقین لا یبقون، أ و لستم ترون أهل الدّنیا یمسون

و يصبحون على أحوال شتّى: فميّت يبكى، و آخر يعزّى و صريع مبتلى و عايد يعود، و آخر بنفسه يجود، و طالب للدّنيا و الموت يطلبه، و غافل و ليس بمغفول عنه، و على أثر الماضى ما يمضى الباقى، ألا فاذكروا هادم اللّذّات، و منغّص الشّهوات، و قاطع الأمنيّات عند المساوره للأعمال القبيحه، و استعينوا اللّه على أداء واجب حقّه، و ما لا يحصى من أعداد نعمه و إحسانه.

اللغه

(عافاه) اللّه من المكروه معافاه و عافيه وهب اللّه له العافيه من العلل و البلاء كأعفاه و العافيه دفاع اللّه عن العبد و (رفضت) الدّنيا رفضا من باب نصر و ضرب تركتها و (سفر) بسكون العين جمع سافر كركب و راكب و صحب و صاحب و (جرى) الفرس جريا و أجريته أنا أرسلته و حملته على السير و (حثثت) الانسان على الشىء حثّا من باب قتل حرضته عليه و ذهب حثيثا أى مسرعا و (حدوت) بالابل حثثتها على السير بالحداء و زان غراب و هو الغناء لها و حدوثه على كذا بعثته عليه و (الصّريع) من الأغصان ما تهدّل و سقط إلى الأرض و منه قيل للقتيل صريع، و فى بعض النّسخ ضريع بالضاد المعجمه من ضرع ضرعا وزان شرف ضعف، و أضرعته الحمى أوهنته و (المساوره) المواثبه.

الاعراب

قوله. و كم عسى المجرى، أما لفظه كم استفهاميّه للتحقير بمعنى أىّ مدّه، و عسى فعل من أفعال المقاربه مفيد للرجاء و الطمع، و المرفوع بعده فى مثل عسى زيد أن يخرج اسمه و ان مع الفعل فى محلّ النصب على الخبر أى رجا زيد الخروج و قال الكوفيّون: ان مع الفعل فى محلّ رفع بدلا ممّا قبله بدل الاشتمال كقوله تعالى

ص:۱۴۶

«لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ » إلى قوله «أَنْ تَبَرُّوهُمْ » أى لا ينهيكم اللّه عن أن تبرّوهم و على هذا فمعنى عسى زيد أن يخرج يتوقّع و يرجا خروج زيد، و الأشهر الأوّل هذا.

و قد يقع ان مع الفعل فاعلا له مستغنا به عن الخبر لكونه حينئذ تامّا بمعنى قرب تقول عسى أن يخرج زيد أى قرب خروجه.

و قال الرّضى انّ من ذهب إلى أنّ أن مع الفعل فى عسى زيد أن يخرج خبر عسى، جاز أن يقول فى عسى أن يخرج زيد أنّ أن يخرج خبر أيضا و هو من باب التنازع يعنى يجوز فى المثال جعل زيد اسما لعسى و أن مع الفعل خبرا مقدّما له فى محلّ النّصب فيضمر فى الفعل ضمير عايد إلى زيد، كما يجوز جعل زيد فاعلا للفعل و جعل عسى مسندا إلى ان و الفعل مستغنى بهما عن الخبر.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ لفظه عسى فى قوله عليه السّلام كم عسى ناقصه و المجرى اسمها و ان يجرى إليها خبرها، و فى قوله و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه تامّه وقعت بعد ما النافيه و أن يكون فى محل الرّفع على الفاعل و يكون تامه أيضا بمعنى يوجد، و الواو فى قوله و طالب آه للحال و الضمير فى قوله عليه السّلام يحدوه عايد إلى من الموصوله و الفاء فى قوله عليه السّلام: فلا تنافسوا فصيحه، و الهمزه فى قوله عليه السّلام أ و ليس لكم استفهام على سبيل الانكار الابطالى و يحتمل جعلها تقريرا بما بعد النفى كما ذهب إليه الزمخشرى فى قوله:

«أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ ».

و مثلها الهمزه فى قوله أ و لستم ترون آه، و ما فى قوله عليه السّلام ما يمضى الباقى مصدريه أو زايده.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مسوقه للوصيّه بالتّقوى و الأمر برفض الدّنيا

ص:۱۴۷

و التنفير عنها بـذكر معايبها و مثالبها، و افتتـح الكلام بحمد الملك المتعال و اسـتعانه الربّ ذى الجلال لأنّ ذكره سـبحانه مفتاح للمطالب، و وسيله إلى المآرب فقال:

(نحمـده على ما كان و نسـتعينه من أمرنا على ما يكون) تخصـيص الحمد بما كان و الاسـتعانه بما يكون من حيث إنّ الثّناء على النعمه موقوف و مترتب على وقوعها فيما مضـى، و طلب العون على أمر لا يتصوّر إلاّ فيما يأتى و ما هو بصـدد أن يفعله (و نسأله المعافاه فى الأديان كما نسأله المعافاه فى الأبدان) فانّ الأديان لها سقم و شفاء كما للأبدان، و مرض الاولى أشدّ و آكد و تأثيره أكثر و أزيـد، و لـذلك قـدّم طلب العافيه لها، لأنّ مرض الأبـدان عباره عن انحراف المزاج الحيوانى عن حدّ الاعتدال، و نقصانه يقع على الأعضا و الجوارح الظاهره، و مرض الأديان عباره عن ميل القلب عن الصـراط المسـتقيم و المنهـج القويم، و تأثيره يقع على القلب، و ضرره يعود إلى القوّه القدسيّه و نعم ما قيل:

و إذا مرضت من الذّنوب فداوها بالذكر إنّ الذكر خير دواء

و السّقم فى الأبدان ليس بضائر و السّقم فى الأديان شرّ بلاء

(عباد اللّه اوصـيكم بالرفض لهـذه الـدّنيا التاركه لكم و ان لم تحبّوا تركها) أمر برفض الـدّنيا و تركها و نفّر عنها بالتنبيه على أنّها تـاركه لكم لاـ محـاله، مفـارقه إيـاكم و إن كـانت محبوبه عنـدكم عزيزا عليكم فراقها، فانّ طبعها التّلطف فى الاسـتدراج أوّلا و التّوصّـل إلى الاهلاک آخرا، و هى كامرأه تتزيّن للخطاب حتّى إذا نكحوها ذبحتهم فمن كان ذا بصـيره لا يعقـد قلبه على محبّه محبوبه كذلک، و لا يخاطب امرأه شأنها ذلک.

و قـد روى أنّ الصـادق عليه السّـلام كـان يقول لأصـحابه: يـا بنى آدم اهربوا من الـدّنيا إلى اللّه و أخرجوا قلوبكم عنها فانكم لا تصـلحون لها و لا تصلح لكم و لا تبقون لها و لا تبقى لكم هى الخداعه الفجاعه المغرور من اغترّبها، و المفتون من اطمأنّ إليها، الهالک من أحبّها و أرادها.

و روى انّ عيسى عليه السّلام كوشف بالدّنيا فرآها فى صوره عجوز هتماء[1] عليها من كلّ زينه فقال عليه السّلام لها: كم تزوّجت؟ قالت: لا احصيهم، قال فكلّهم مات عنك أم كلّهم طلّقك؟ قالت: بل كلّهم قتلت، فقال عيسى عليه السّلام: بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، و كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد و لا يكونون منك على حذر.

ثمّ نبّه عليه السّلام على عيب لها آخر بقوله (و المبليه لأجسادكم و ان كنتم تحبّون تجديدها) و هذا الوصف أيضا منفّر عنها، لأنّ تجديد الأجساد و الأبدان إذا كان محبوبا للانسان و كانت الدّنيا حائله بينه و بين محبوبه مانعه له عن نيله و وصوله بسهام الأسقام و نشاشيب الأمراض و الأوصاب فمن شأنها أن تبغض و ترفض و تجتنب و لا تحب.

قال بعض الحكماء: الأيّام سهام و النّاس أغراض و الدّهر يرميك كلّ يوم بسهامه، و يخترمك بلياليه و أيّامه، حتى يستغرق جميع أجزائك، فكيف بقاء لسلامتك مع وقوع الأيام بك، و سرعه الليالى فى بدنك، لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النّقص لا ستوحشت من كلّ يوم يأتى عليك، و استثقلت ممرّ الساعات بك، و لكن تدبير اللّه فوق تدبير الاعتبار.

ثمّ ضرب عليه السّلام للدّنيا مثلا فى قصر مدّتها بقوله (فانّما مثلكم و مثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنّهم قد قطعوه، و أمّوا علما فكأنهم قد بلغوه) جعل أهل الدّنيا و الكائنين فيها بمنزله المسافرين، جعلها بمنزله سبيل يسلكه المسافر، و جعل سرعه سيرهم و انتقالهم فيها و قربهم من الموت الذى هو آخر منازلها بمنزله قطع المسافر منازله، و بلوغ قاصد علم و منار مقصده، يعنى أنهم فى حالكونهم غير قاطعين له كأنّهم قاطعون له، و فى حالكونهم غير بالغين له كأنهم بالغون له، لأنه لما قرب زمان احدى الحالتين من زمان الحاله الاخرى شبّهوا و هم فى الحال الأولى بهم أنفسهم و هم على الحاله الثّانيه و لنعم ما قيل

يا راقد اللّيل مسرورا بأوّلهاإنّ الحوادث قد يطرقن أسحارا

۱- (۱) أى الساقطه أسنانها او المنكسره ثناياها من أصولها.

أفنى القرون التى كانت منعمّه كرّ الجديدين إقبالا و إدبارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان فى الدّهر نفّاعا و ضرّارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسى و يصبح فى دنياه سفارا

هلاّ تركت من الدّنيا معانقه حتّى تعانق فى الفردوس أبكارا

إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فينبغى لك أن لا تأمن النّارا

(و كم عسى المجرى إلى الغايه أن يجرى إليها حتّى يبلغها) يعنى أىّ مدّه يرجو و يطمع المرسل مركوبه إلى وصول غايه ارساله إليها حتى يصلها، و الغرض منه تحقير ما يرجوه من مدّه الجرى و هى مدّه الحياه أى لا تظنّ لها طولا و لا تغترن بتماديها فانها عن قليل تنقضى و تنصرم، و فى هذا المعنى قال عليه السّلام فى الدّيوان:

إلا إنّما الدّنيا كمنزل راكب أناخ عشيّا و هو فى الصّبح راحل

(و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه) يعنى ما قرب وجود البقاء لمن له يوم لا يجاوزه، و هو تحقير لما يؤمل من مدّه البقاء أى بقاء من له يوم ليس وراءه بقاء و هو يوم الموت ليس بشىء يعتدّ به (و) الحال انه له(طالب حثيث يحدوه فى الدّنيا حتى يفارقها)لعلّه أراد بالطالب الحثيث الموت و كنى بحدائه له عن سوق أسباب الموت و مقدّماته التى هى كرّ اللّيالى و مرّ الأيام له إليه.

و إذا كانت الدّنيا بهذه المثابه (فلا تنافسوا) أى لا تحاسدوا و لا تضنّوا (فى عزّ الدّنيا و فخرها و لا تعجبوا بزينتها و نعيمها و لا تجزعوا من ضرّائها و بؤسها) نهى عن المنافسه فيها و الاعجاب بها و الجزع منها معلّلا وجوب الانتهاء عن الأوّل بقوله (فانّ عزّها و فخرها إلى انقطاع) و ما كان منقطعا لا يحرص عليه لبيب و لا ينافس فيه أريب، و علّل وجوب الانتهاء عن الثانى بقوله (و زينتها و نعيمها إلى زوال) و ما كان زائلا لا يرغب إليه العاقل و لا يعجب به إلاّ جاهل، و عن الثّالث بقوله (و ضرّائها و بؤسها إلى نفاد) و ما كان نافدا فانيا أحرى بأن يصبر عليه و لا يجزع منه (و كلّ مدّه فيها إلى انتهاء) سواء كانت مدّه عزّ و منعه أو زينه و نعمه أو ضرّ و شدّه (و كلّ حىّ فيها إلى فناء) سواء كان ذى شرف و رفعه أو ذلّ و محنه أو ابتهاج و لذّه

و كلّ شباب أو جديد إلى البلى و كلّ امرء يوما إلى اللّه صائر

(أ و ليس لكم فى آثار الأوّلين) من الاخوان و الأقران و الا لّاف و الأسلاف (مزدجر و فى آبائكم الماضين) الأقربين منهم و الأبعدين (تبصره و معتبر إن كنتم تعقلون) بلى فى النظر إلى ادنى ما جرى عليهم تبصره و اعتبار، و الفكر فى أهون ما لا قوه تذكره و انزجار عدالى ذكر المنقول إلى الثرى و المدفوع إلى هول ما ترى

هوى مصرعا فى لحده و توزّعتمواريثه أرحامه و الأواصر

و أنحوا على أمواله بخصومه «يخضمونها خ» فما حامد منهم عليها و شاكر

فيا عامر الدّنيا و يا ساعيا لهاو يا آمنا من أن تدور الدّوائر

كيف أمنت هذه الحاله و أنت صائر إليها لا محاله (أ و لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون) فما لهم يذهبون و لا يعودون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا (و إلى الخلق الباقين لا يبقون) بل يمضون ارسالا و يحتذون مثالا قال قسّ ابن ساعده الأيادى:

فى الأولين الذاهبين من القرون لنا بصائر و رأيت قومى نحوها يمضى الأكابر و الأصاغر

لا يرجع الماضى إلىّ و لا من الباقين غابر أيقنت أنى لا محاله حيث صار القوم صائر

و قال زهير بن أبى سلمى:

ألا ليت شعرى هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بداليا

بدى لى أنّ النّاس تفنى نفوسهم و أموالهم و لا أرى الدّهر فانيا

و إنى متى أهبط من الأرض تلعه(۱) أجد أثرا قبلى جديدا و عافيا

أرانى إذا أصبحت أصبحت ذا هوى فثمّ إذا أمسيت أمسيت عاديا

إلى حفره(۲) أهوى اليها مضمّه يحثّ إليها سايق من ورائيا

كأنّى و قد خلّفت سبعين حجّه(۳) خلعت بها ان منكبى ردائيا

بدالى انّى لست مدرك ما مضى و لا سابق شيئا إذا كان جائيا

۱- (۱) التلعه اسم ما علی من مسیل الوادی و ما سفل

۲- (۲) الحفره القبر.

۳- (۳) الحجه السنه.

و ما أن أرى نفسى تقيها(۱) عزيمتى و ما أن تقى نفسى كرائم ماليا

ألا لا أرى على الحوادث باقيا و لا خالدا إلّا الجبال الرّواسيا

و إلّا السّماء و البلاد و ربّنا و أيّامنا معدوده و اللّياليا

أرانى إذا ما شئت لا قيت آيه تذكّرنى بعض الذى كنت ناسيا

ألم تر أنّ اللّه أهلك تبعا و أهلك لقمان بن عاد و عاديا(۲)

و أهلك ذا القرنين من قبل ما يرى و فرعون جبّار معا و النّجاشيا

ألا لا أرى ذا امّه أصبحت به فتتركه الأيام و هى كماهيا

ألم تر للنعمان كان بنجوه(۳) من الشّر لو أنّ أمرء كان ناجيا

فغيّر عنه رشد عشرين حجّه من الدّهر يوم واحد كان غاديا

فلم أر مسلوبا له مثل ملكه أقلّ صديقا صافيا و مواليا

فأين الذى قد كان يعطى جياده(۴) بأرسانهنّ و الحسان الحواليا(۵)

و أين الذين قد كان يعطيهم القرى بغلّاتهنّ و المثين الغواليا(۶)

و أين الذين يحضرون جفانه إذا قدّمت ألقوا عليها المراسيا(۷)

رأيتهم لم يشركوا(۸) بنفوسهم منيّته لمّا رأوا انهاهيا

هذا و لمّا ارشد عليه السّلام إلى الاتّعاظ بأحوال السّلف الماضين و بفناء الغابرين الباقين نبّه على اختلاف حالات أهل الدّنيا ليستدلّ به السامعون على عدم بقائها و يستفيدوا به عبره اخرى فقال (أ و لستم ترون أهل الدّنيا يمسون و يصبحون على أحوال شتّى) و حالات مختلفه (ف) منهم (ميّت يبكى) عليه و يشقّ الجيوب لديه و يخرج

۱- (۱) تقيها تصونها.

۲- (۲) عاديا هو أبو السمول كان له حصين يقال له الا بلق

۳- (۳) النجوه بالجيم الارتفاع لغه.

۴- (۴) و الفرس الجواد بين الجوده جمعه جياد

۵- (۵) و الحوالی لعله جمع الحولی و هو ما أتی علیه حول من ذی الحافر و غیره منه

۶- (۶) الغوالی الابل الغالیه الاثمان لغه

۷- (۷) و قدر راسیه لا تبرح مکانها لعظمها ق

۸- (۸) لم یشرکوا أی لم یواسوه بنفوسهم.

من سعه قصره إلى ضيق قبره و يحثّون بأيديهم عليه التراب و يكثرون عنده التلدّد و الانتحاب (و آخر يعزّى) و يسلّى اذا يئس عن برء عليله أو جزم بموت خليله (و صريع مبتلى) بأنواع الأوجاع و الأسقام و طوارق الأمراض و الآلام (و عائد يعود) المريض عند المرض و يتحسّر عليه إذا شاهده على غصص الجرض (و آخر بنفسه يجود) ابلس عنه زوّاره و عوّاده و أسلمه أهله و أولاده و غضّوا بأيديهم عينيه و مدّوا الى جنبيه يديه و رجليه و هو فى سكره ملهثه و غمره كارثه و أنّه موجعه و سوقه مكربه و جذبه متعبه.

(و) منهم (طالب للدّنيا) ساع لها (و الموت يطلبه) و يحثّه حتّى يدخله فى حفرته (و) منهم (غافل) عمّا خلقه اللّه لأجله (و ليس بمغفول عنه) بل اللّه عالم به و مجزيه بأعماله (و على أثر الماضى ما يمضى الباقى) قال سيّد العابدين عليه السّلام فى هذه المعنى:

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فانّا على آثارهم نتلا حق

فكن عالما أن سوف تدرك من مضى و لو عصمتك الرّاسيات الشّواهق

ثمّ أمرهم عليه السّلام بذكر الموت و وصفه بلوازمه المنفّره عنه فقال عليه السّلام (ألا فاذكروا هادم اللّذات) الدنيويه (و منغّص الشهوات) النفسانيه (و قاطع الامنيّات) و الآمال الباطله (عند المساوره) و المواثبه (للأعمال القبيحه) لترتدعوا بذكره عنها (و استعينوا اللّه) سبحانه و اطلبوا منه التوفيق (على أداء واجب حقّه) الذى أوجبه عليكم و هو الاتيان بالطّاعات و القيام بوظايف العبادات (و) على أداء واجب (ما لا يحصى من أعداد نعمه و احسانه) الذى أنعمه عليكم و أحسنه إليكم و هو القيام بوظايف الحمد و الثبات بمراسم الثناء.

قال عليه السّلام فى بعض كلماته: أيّها النّاس إنّ للّه فى كلّ نعمه حقّا، فمن أدّاه زاده، و من قصّر عنه خاطر بزوال النعمه و تعجّل العقوبه، فليراكم اللّه من النعمه و جلين، كما يراكم من الذنوب فرقين.

ص:۱۵۳

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن حضرت است که متضمن تنفیر از دنیا و از محبت آن غدّار بی وفا است چنانچه فرموده: حمد می کنیم خداوند را بر آنچه بوده است از نعمتها، و استعانت می نمائیم از خدا از کارهای خود بر آنچه میباشد، و سؤال می کنیم از او بذل عافیت را در بدنها همچنان که سؤال می کنیم از او بذل عافیت را در دینها ای بندگان خدا وصیت میکنم شما را بترک نمودن این دنیائی که ترک نماینده است شما را و اگر چه دوست ندارید ترک نمودن او را، و کهنه کننده است جسدهای شما را و اگر چه دوست دارید تازگی آنها را، پس بدرستی که مثل شما و مثل دنیا همچو مسافرانیست که روند براهی پس گویا که ایشان قطع نموده باشند آن راه را، و قصد نمایند نشانه و علامتی را پس گویا که ایشان رسیده باشند بآن مقصد، و چه قدر مدت را امید می گیرد شخصی که جاری کننده است مرکب خود را بسوی غایتی جاری نمودن آن را بسوی آن غایت تا برسد بآن، و چه چیز امید گرفته می شود باقی ماندن کسی که او را است یک روزی که تجاوز نمی نماید از آن و حال آنکه او را است طلب کننده شتابانده که میراند او را در دنیا تا این که مفارقت نماید از آن.

پس حسد و بخل نکنید بر یکدیگر در عزّت دنیا و فخر آن، و خوشحال و دلشاد نشوید بزینت و نعمت آن، و جزع ننمائید از دشواری و سختی آن، از جهه این که عزّت و فخر آن منتهی می شود بانقطاع، و نعمت و زینت آن منتهی می شود بزوال و فنا، و دشواری و سختی آن منجّر می شود بنیستی و نابودی، و هر مدّتی که در او است می کشد بانتهاء، و هر زنده که در او است باز می گردد بفناء آیا نیست مر شما را در اثرهای پیشینیان و در پدران گذشتگان شما بینائی و عبرت اگر بوده باشید تعقل کننده، آیا نگاه نمی کنید بسوی گذشتگان از خودتان که باز نمی گردند، و بسوی خلفهائی باقی ماندگان که باقی نمی مانند.

آیا نیستید شما که می بینید أهل دنیا را که شام و صباح می نمایند بر حالتهای

مختلفه: پس بعضـی مرده است که بر او گریه میکننـد، و بعضـی را سـر سـلامتی می دهنـد، و بعضـی دیگر ضـعیف است مبتلا بـأنواع مرضـها، و برخی عیادت کننـده است بیمار را که می رود بعیادت، و دیگری در حال جان دادنست، و یکی طلب کننـده است دنیـا را و حال آنکه مرگ طلب می کنـد او را، و یکی هست که بیخبر است از آخرت و حال آنکه غفلت نشـده از او در هیچ حالت، و بر اثر گذشته است گذشتن باقی مانده.

آگـاه باشـید پس یاد آوریـد مرگ را که شـکننده لـذتها است و مکـدّر نماینـدهٔ شـهوتها و قطع کننـده آرزوها است در هنگام جسـتن برای أعمال قبیحه و حرکات ناشایست، و طلب یاری نمائیـد از خدا بر أدا کردن حق واجب او را و أدا کردن آن چیزی که شمرده نمی شود از شماره های نعمتها و احسان بی پایان آن. و اللّه أعلم بالصّواب.

و من اخری و هی التاسعه و التسعون من المختار فی

اشاره

باب الخطب

خطب بها فی الجمعه الثالثه من خلافته کما فی شرح المعتزلی:

الحمد للّه النّاشر فی الخلق فضله، و الباسط فیهم بالجود یده، نحمده فی جمیع أموره، و نستعینه علی رعایه حقوقه، و نشهد أن لا إله غیره، و أنّ محمّدا عبده و رسوله، أرسله بأمره صادعا، و بذکره ناطقا، فأدّی أمینا، و مضی رشیدا، و خلّف فینا رایه الحقّ، من تقدّمها مرق، و من تخلّف عنها زهق، و من لزمها لحق، دلیلها

مكيث الكلام، بطىء القيام، سريع إذا قام، فإذا أنتم ألنتم له رقابكم، و أشرتم إليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء اللّه حتّى يطلع اللّه لكم من يجمعكم و يضمّ نشركم، «فلا تطعنوا فى عين مقبل تايسوا خ» فلا تطمعوا فى غير مقبل، و لا تيأسوا من مدبر، فإنّ المدبر عسى أن تزلّ إحدى قائمتيه و تثبت الاخرى فترجعا حتّى تثبتا جميعا، ألا إنّ مثل آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كمثل نجوم السّماء، إذا خوى نجم طلع نجم. فكأنّكم قد تكاملت من اللّه فيكم الصّنائع، و أراكم ما كنتم تأملون.

اللغه

(الرّشد) إصابه الصّواب و قيل الاستقامه على طريق الحقّ مع تصلّب فيه، و بهما فسّر قوله سبحانه: «وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ » (و مرق) السهم من الرّميه خرج عن المرمى و (زهق) الشّىء من باب منع بطل و هلك و (المكيث) البطىء و (خوى) النجم مال للمغيب و (الصنائع) جمع الصنيعه و هى الاحسان.

الاعراب

فضله و يده منصوبان على المفعوليه، و غيره منصوب على الوصف، و صادعا و ناطقا حالان من مفعول ارسله و يحتمل كون الأول حالا من امره و الثّانى من ذكره على نحو قوله:

«هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ».

و أمينا و رشيدا منصوبان على الحال أيضا، و جمله من تقدّمها فى محل النّصب صفه للرايه، و دليلها بالرفع مبتدا و مكيث الكلام خبره.

ص:۱۵۶

المعنى

اعلم أنّ هـذه الخطبه الشـريفه من جمله الأخبـار الغيبيّه لأمير المؤمنين عليه السّـلام أخبر فيها بما يكون بعـده عليه السّـلام من أمر الأئمه عليهم السّـلام و أعلم النّاس بموته عليه السّـلام بعـد اشـتهار أمره و اجتماع الخلق له، و افتتـح بالحمـد و الثّناء، و الشـهاده بالتّوحيد و الرّساله و ذكر وصف الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أولا فقال عليه السّلام:

(الحمد للّه الناشـر) أى المفرّق (فى الخلق فضـله) و احسانه(و الباسط فيهم بالجود يده)أى نعمته من باب اطلاق اسم السّبب على المسبّب أو بسط اليد كنايه عن العطاء (نحمده) سبحانه (فى جمع اموره) الصادره عنه سواء كان من قبيل العطاء و النعمه أو البلاء و الشّده، فانّ كلّ ما صدر عنه سـبحانه نعمه كان أو غيرها جميل اختياريّ يسـتحق به حمدا و ثناء، و لازم حقّ العبوديّه و مقتضى كمـال المعرفه القيـام بوظـايف الحمـد فى كـلّ بـاب، و الرّضـاء بالقضـاء على جميع الأحوال و لا حـاجه إلى مـا تمحّله الشّارح البحرانى «ره» و تكلّفه من أنّ الحمـد بالشّدايـد اللاّحقه باعتبـار كونها من نعمه أيضا فانها إذا قوبلت بصبر جميل اسـتلزمت ثوابا جزيلا كما قال تعالى: و بشّر الصّابرين، و ظاهر أنّ أسباب النّعم نعم.

(و نسـتعينه على رعـايه حقوقه) الواجبه و الاتيـان بهـا سواء كـانت حقوقـا ماليه كالخمس و الزّكاه و الحـجّ و نحوها، أو غير ماليه كساير ما أوجبه على عباده (و نشـهد أن لا إله غيره و أنّ محمّدا) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (عبده و رسوله) ذكر الشهادتين فى هـذه الخطبه كأكثر الخطب لما روى من أن كلّ خطبه ليس فيها تشـهد فهى كاليـد الجذماء (أرسـله) سـبحانه (بأمره صادعا) أى مظهرا مجاهرا امتثالا لقوله سبحانه «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ ».

(و بذكره ناطقا) اطاعه لما أمره بقوله:

«فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ ».

ص:۱۵۷

(فـادى) مـا حمّله (امينـا) مؤتمنا (و مضـى) إلى الحقّ (رشـيدا) صائبا(و خلّف فينا رايه الحقّ)المراد بها إما الثقلان المخلّفان أعنى كتاب اللّه و العتره، أو الثقل الأكبر فقط، و الاستعاره عنهما بالرايه باعتبار أنهما يهتدى بهما السّالكون فى سبيل اللّه كما أنّ الرّايه سبب الهدايه فى منازل الدّنيا (من تقدّمها) و لم يعتدّبها (مرق) من الدّين مروق السهم من الرّميه (و من تخلّف عنها) و لم يتابعها (زهق) و هلك فى الوادى الضّلاله (و من لزمها) و لم يفارق عنها (لحق) بالحقّ و أصاب الصّواب فى كلّ باب.

قـال الشّـارح البحرانى: أشـار برايه الحقّ إلى كتـاب اللّه و سـنّته و أشار بتقـدّمها و التّخلف عنها إلى طرفى الافراط و التفريط من فضـيله الاسـتقامه عليها أى أنّ من كان تحتها لاحقا بها فهو على حاقّ الوسط من الفضايل، و من تقدّمها كان على طرف الافراط و قـد تعـدّى فى طلب الدّين و أغلى فيه على جهل منه كما فعلت الخوارج و من تخلّف عنها كان على طرف التفريط و التقصـير فهلك فى طرق الضّلال و الحيره (دليلها) أى دليل تلك الرايه، و أراد به حاملها، أو الدّليل الذى يكون قدام الرايه و يتبعه حاملها فـانّ المسـافرين و القوافل ربمـا يكـون معهـم رايـه و دليـل يتقـدّمهم الـدليل و يتبعه حامـل الرايه و يكـون سـيرها معه و يتبعهما المسافرون و يسـيرون بهما، و الاحتمال الثّانى أظهر، و على كلّ تقدير فاسـتعار به عن نفسه الشـريف سلام اللّه عليه و آله و وجه الاستعاره على الاحتمال الأوّل واضح، لأنه عليه السّلام حامل الكتاب و العالم بما فيه، و أمّا على الثّانى فلعلّه باعتبار أنّ الكتاب لا يفارقه و هو لا يفارق الكتاب كما يدلّ عليه اخبار الثقلين و أنّه عليه السّلام امام الكتاب، لكونه مفسّرا له مظهرا عمّا فيه.

و قوله:(مكيث الكلام) أى بطيئه يعنى أنّه عليه السّـلام ذو تدبّر و تثبّت فى أقواله، فانّ قلّه الكلام من صـفات المدح، و كثرته من صفـات الـذمّ، و من هنـا قيـل: لسـان العاقـل من وراء قلبه فـاذا أراد الكلاـم تفكّر فـان كان له قال و إن كان عليه سـكت، و قلب الجاهل من وراء لسانه فان همّ بالكلام تكلّم به من غير تروّ سواء كان له أم عليه،

و یأتی عنه علیه السّلام نظیره فی أواخر الکتاب.

و قوله (بطیء القیام) اشاره إلی تأنّیه فی الامور فانّ التؤده من صفات العقل و التسرّع من صفات الجهل.

روی فی الوسائل عن الصّدوق باسناده عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی وصیته لمحمّد بن الحنفیه قال علیه السّلام: من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطاء، و من تورّط فی الامور غیر ناظر فی العواقب فقد تعرض لمفظعات النّوائب، و التدبیر قبل العمل یؤمنک من الندم، و العاقل وعظه التجارب، و فی التجارب علم مستأنف، و فی تقلّب الأحوال علم تجارب الرّجال.

و فیه من مجالس الشیخ باسناده عن أبی قتاده القمّی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام لیس لحاقن رأی، و لا لملول صدیق، و لا لحسود غنی، و لیس بحازم من لا ینظر فی العواقب و النظر فی العواقب تلقیح للقلوب.

و من محاسن البرقی مسندا عن أبی حمزه الثمالی عن أبی جعفر علیه السّلام قال:

أتی رجل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال: علّمنی یا رسول اللّه فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیک بالیأس ممّا فی أیدی النّاس فانّه الغنی الحاضر، قال: زدنی یا رسول اللّه، قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

ایّاک و الطمع فانّه الفقر الحاضر، قال: زدنی یا رسول اللّه، قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إذا هممت بأمر فتدبّر عاقبته فان یک خیرا و رشدا فاتبعه، و ان یک غیا فاجتنبه.

و الأخبار فی هذا المعنی کثیره، و فیه قال الشاعر:

و کلّ أناه فی المواطن سودد و لا کأناه من قدیر محکم

و ما الرّای الاّ بعد طول تثبت و لا الحزم إلاّ بعد طول تلوّم

و قوله علیه السّلام (سریع إذا قام) یعنی انه إذا ظهر له بعد التثبّت و التروّی وجه المصلحه فی القیام بأمر بادر إلیه و قام به سریعا و انتهض الفرصه.

ثمّ أخذ علیه السّلام یذکّرهم بموته بقوله:(فاذا أنتم ألنتم له رقابکم)و هو کنایه عن طاعتهم له و انقیادهم لأمره(و أشرتم إلیه بأصابعکم)و هو کنایه عن الاجلال(جاءه الموت فذهب به).

قال الشّارح المعتزلی: نقل أنّ أهل العراق لم یکونوا أشدّ اجتماعا علیه من الشهر الذی قتل فیه، و جاء فی الأخبار أنّه علیه السّلام عقد للحسن علیه السّلام ابنه علی عشره آلاف، و لأبی أیّوب الأنصاری علی عشره آلاف، و لفلان و فلان حتّی اجتمع له مأئه ألف سیف، و أخرج مقدمته أمامه یرید الشّام فضربه اللعین ابن ملجم و کان من أمره ما کان و انقضت تلک الجموع و کانت کالغنم فقد راعیها (فلبثتم بعده ما شاء اللّه) عدم التعیین لمدّه اللبث إشاره إلی طولها (حتی یطلع اللّه) و یظهر (لکم من یجمعکم و یضمّ نشرکم) أی تفرّقکم و أشار علیه السّلام به إلی الامام المنتظر أعنی المهدی صاحب الزّمان علیه السّلام، و قیل: أشار به إلی قائم بنی العباس بعد انقضاء دوله بنی امیه و الأوّل أظهر.

(فلا تطمعوا فی غیر مقبل) قال المجلسیّ (ره): أی من لم یقبل علی طلب هذا الأمر ممّن هو أهله فلا تطمعوا فیه، فانّ ذلک لاختلال بعض شرایط الطلب کما کان شأن أکثر أئمتنا علیهم السّلام، و قیل: أراد بغیر المقبل من انحرف عن الدّین بارتکاب منکر، فانه لا یجوز الطمع فی أن یکون أمیرا لکم، و فی بعض النسخ فلا تطعنوا فی عین مقبل أی من أقبل علی هذا الأمر من أهل البیت فلا تدفعوه عما یرید.

(و لا تیأسوا من مدبر) قال المجلسیّ (ره): أی من أدبر عن طلب الخلافه ممّن هو أهل لها فلا تیأسوا من عوده و اقباله علی الطّلب، فانّ ادباره یکون لفقد بعض الشّروط کقلّه الناصر (فانّ المدبر عسی أن تزلّ احدی قائمتیه)و هو کنایه عن اختلال بعض الشروط(و تثبت الاخری)و هو کنایه عن وجود بعضها(فترجعا حتّی تثبتا جمیعا)و هو کنایه عن استکمال الشرائط، و لا ینافی النّهی عن الایاس النّهی عن الطّمع، لأنّ عدم الیأس هو التجویز، و الطّمع فوق التجویز، أو لأنّ النهی عن الطمع فی حال عدم الشروط و الاعراض عن الطّلب لذلک أیضا، و النّهی عن الایاس لجواز حصول الشرائط هذا.

ص:۱۶۰

و قوله علیه السّلام:(ألا إنّ مثل آل محمّد کمثل نجوم السّماء) أراد به الأئمه الاثنی عشر سلام اللّه علیهم أجمعین، و تشبیههم بالنجوم إمّا من حیث أنهم یهتدی بهم فی سبیل اللّه کما یهتدی بالنّجم فی ظلمات البرّ و البحر قال سبحانه:

«وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ ».

و یدلّ علیه ما فی تفسیر علیّ بن إبراهیم فی قوله تعالی:

«هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ ».

قال: النّجوم آل محمّد، و قد مرّ توضیح ذلک بما لا مزید علیه فی شرح الخطبه الرّابعه، و إمّا من حیث أنّهم کلّما مضی منهم امام قام مقامه آخر کالنجوم (اذا خوی نجم) ای مال للمغیب (طلع نجم) آخر.

ثمّ بشّرهم بقوله:(فکأنّکم قد تکاملت من اللّه فیکم الصنائع) أی النّعم و الآلاء (و أراکم) اللّه (ما کنتم تاملون) أی لا تیأسوا عسی اللّه أن یأتی بالفرج عن قریب، و المتحقق الوقوع قریب و إن کان بعیدا، و یمکن أن یکون ارائه المخاطبین مأمولهم فی الرّجعه، و اللّه العالم.

الترجمه

از جملهٔ خطب شریفهٔ دیگر آن امام أنام است که فرموده:

حمد و سپاس خداوند را سزاست که پراکنده کننده است در میان خلق فضل و اکرام خود را، و گستراننده در میان ایشان بجود و بخشش احسان و انعام خود را حمد می کنیم او را در همه کارهای او، و طلب یاری می کنیم از او بر رعایت حقّهای او، و شهادت می دهیم آنکه نیست هیچ معبودی بحق غیر از او، و آنکه محمّد بن عبد اللّه صلوات اللّه علیه و آله بنده و رسول او است، فرستاده او را در حالتی که اظهار کننده بود امر او را، و گوینده بود ذکر او را، یا این که فرستاده او را بأمر خود در حالتی که شکافنده بود آن امر بیضهٔ شرک را، و بذکر خود در حالتی که گوینده بود آن

ص:۱۶۱

ذکر حقّ را.

پس أدا نمود حضرت خاتم نبوّت أوامر و أحکام حق را در حالتی که امین بود در تبلیغ رسالت، و گذشت بسوی حقّ در حالتی که راستکار یا مستقیم بود بر طریق هدایت، و واپس گذاشت در میان ما علم حق را که عبارت باشد از کتاب اللّه و عترت، چنان علمی که هر کس بپیش افتاد از او خارج شد از دین و ملّت، و هر کس تخلّف نمود از آن هلاک شد در بیابانهای ضلالت، و هر که ملازم شد آنرا لاحق گردید بارباب کمال و سعادت.

دلیل و حامل آن علم صاحب تأنّی است در تکلّم نمودن، و صاحب بطوء است در ایستادن، یعنی کلام و قیام او با فکر و تدبیر و با ملاحظهٔ مآل کار و عاقبت اندیشی است، و صاحب سرعت است آن وقتی که ایستاد بأمری از امور اسلام، و اینها همه اشاره است بنفس شریف خود آن امام علیه السّلام چنانچه می فرماید.

پس زمانی که شما نرم نمودید برای او گردنهای خود را باطاعت و تسلیم، و اشاره نمودید بسوی آن بانگشتان خود از روی اجلال و تعظیم، بیاید بسوی او مرگ پس ببرد او را، پس درنگ نمائید بعد از او بمقداری که خواهد خدا تا این که ظاهر سازد خداوند از برای شما کسی را که جمع کند شما را و بهم آورد پراکنده گی شما را، پس طمع نکنید در کسی که اقبال ننماید بخلافت، و مایوس و ناامید نشوید از کسی که ادبار نماید بخلافت از جهه این که این ادبار کننده شاید که بلغزد یکی از دو قائمه او، و این کنایه است از انتفاء بعض شرائط، و ثابت شود قائمه دیگر او، و این کنایه است از وجود بعض شرایط، پس رجوع نمایند هر دو قائمه تا این که ثابت شوند هر دو تا، و این کنایه است از استکمال شروط.

آگاه باشید بدرستی که مثل أهل بیت پیغمبر صلوات اللّه علیه و آله مثل ستارهای آسمانست هرگاه میل کند بغروب ستارهٔ طلوع نماید ستارهٔ دیگر پس گویا شما بتحقیق کامل شده از جانب خدا در حقّ شما نعمتها و احسانها، و نموده بشما چیزی را که بودید آرزو می کردید آنرا و این بشارت است مر ایشان را بقرب فرج و کرامت.

ص:۱۶۲

و من اخرى و هى المأه من المختار فى باب الخطب

اشاره

و من الخطب التى تشتمل على ذكر الملاحم

الأوّل قبل كلّ أوّل، و الآخر بعد كلّ آخر، بأوّليّته وجب أن لا أوّل له، و بآخريّته وجب أن لا آخر له، و أشهد أن لا إله إلّا اللّه شهاده يوافق فيها السّرّ الإعلان، و القلب اللّسان، أيّها النّاس لا يجرمنّكم شقاقى، و لا يستهوينّكم عصيانى، و لا تتراموا بالأبصار عند ما تسمعونه منّى، فوالّذى فلق الحبّه و برء النّسمه، إنّ الّذى أنبّئكم به عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ما كذب المبلّغ، و لا جهل السّامع، لكأنّى أنظر إلى ضلّيل قد نعق بالشّام، و فحص براياته فى ضواحى كوفان، فإذا فغرت فاغرته، و اشتدّت شكيمته، و ثقلت فى الأرض وطأته، عضّت الفتنه أبنائها بأنيابها، و ماجت الحرب بأمواجها، و بدا من الأيّام كلوحها، و من اللّيالى كدوحها، فإذا أينع زرعه، و قام على ينعه، و هدرت شقاشقه، و برقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضله، و أقبلن كاللّيل المظلم، و البحر الملتطم، هذا و كم يخرق الكوفه من قاصف، و يمرّ عليها من عاصف، و عن قليل تلتفّ القرون بالقرون، و يحصد القائم، و يحطم المحصود.

ص:۱۶۳

اللغه

(الملحمه) الوقعه العظيمه القتل مأخوذه من التحم القتال أى اشتبک و اختلط اشتباک لحمه(۱) الثوب بالسّدى و (النسمه) محرّكه الرّيح كالنّسيم ثمّ سميّت بها النّفس و الجمع نسم مثل قصبه و قصب و (ضلّيل) وزان سكيّت الكثير الضّلال و (نعق) الراعى لغنمه من باب ضرب صاح بها و زجرها و (فحص) القطا التراب اتّخذ فيه مفحصا بفتح الميم و الحاء و هو يجثمه و الموضع الذى تبيض فيه و (ضاحيه) البلد ناحيته القريبه منه.

و (الكوفان) الكوفه قال الفيومى: و هى مدينه مشهوره بالعراق قيل:

سميّت كوفه لاستداره بنائها، لأنّه يقال تكوّف القوم إذا اجتمعوا و استداروا، و فى القاموس الكوفه بالضمّ الرّمله الحمراء المستديره أو كلّ رمله يخالطها حصباء و مدينه العراق الكبرى و قبّه الاسلام و دار هجره المسلمين، مصرّها سعد بن أبى وقاص، و كان منزل نوح عليه السّلام و بنى مسجدها، سميّت بها لاستدارتها و اجتماع النّاس بها، و يقال لها: كوفان و يفتح، و كوفه الجند لأنّه اختطّت فيها خطط العرب أيّام عثمان خطّطها السّائب بن الاقرع الثقفى، أو سميت بكوفان و هو جبل صغير فسهلوه و اختطوا عليه، أو من الكيف القطع لأنّ ابرويزا قطعه لبهرام، أو لأنّها قطعه من البلاد و الأصل كيفه فلمّا سكنت الياء و انضمّ ما قبلها جعلت واوا، أو من قولهم هم فى كوفان بالضمّ و يفتح و كوّفان محرّكه مشدّده الواو أى فى عزّ و منعه، أو لأنّ جبل ساتيد ما محيط بها، او لأنّ سعد الما ارتاد هذه، المنزله للمسلمين قال لهم تكوّفوا، أو لأنه قال كوّفوا هذه الرّمله أى نحوّها، و (فغر) الفم فغرا من باب نصر و نفع انفتح، و فغرته فتحته يتعدّى و لا يتعدّى و(الفاغره)اصول النّيلوفر و يستعار للفم باعتبار انفتاحها يقال: و فغرت فاغرته أى انفتح فوه و (الشكيمه) فى اللجام الحديده المعترضه فى فم الفرس فيها الفاس و الجمع شكائم، يقال: فلان شديد الشكيمه أنف أبىّ لا ينقاد، لأنّ شدّه الشكيمه

ص:۱۶۴

۱- (۱) اللحمه بالفتح ما ينسج عرضا و الضم لغه

و قوّتها تدلّ على قوّه الفرس و (الوطاء) الدوس بالقدم و الوطأه الأخذه الشديده و الضغطه و (كلح) يكلح من باب منع، كلوحا و كلاحا بضمهما تكشر فى عبوس و (الكدوح) بالضمّ جمع كدح و هو الخدش و اثر الجراحه.

و (أينع) الزّرع وزان أكرم، و كذلك ينع من باب منع و ضرب ينعا إذا نضج و حان قطافه و قام على ينعه أى على نضجه فيكون مصدرا: و يحتمل أن يكون جمع يانع مثل صحب و صاحب و اليانع الثمر الناضج و (هدر) البعير هدرا من باب ضرب صوّت و (الشقاشق) جمع الشقشقه بالكسر و هو شىء يشبه الرّيه يخرج من فم البعير عند الهياج و يقال للخطيب ذو شقشقه تشبيها له بالفحل و منه الخطبه الشقشقيّه و قد مرّ.

و (المعضله) كالمشكله لفظا و معنى يقال: أعضل الأمر أى أشكل و أعضلنى الأمر أى أعيانى يتعدّى و لا يتعدّى، وداء عضال لا يهتدى بعلاجه و (المظلم) كمحسن الكثير الظلام و (التطم) البحر ضرب أمواجه بعضها بعضا فهو يلتطم و (حصد) الزرع قطعه بالمنجل و (الحطم) الكسر.

الاعراب

الأوّل خبر لمبتدأ محذوف، و الضمير فى ما تسمعونه راجع إلى الكلام المستفاد بالسّياق على حدّ قوله تعالى «تَوارَتْ بِالْحِجابِ » أى الشّمس، أو يجعل ما موصوله و الضمير راجعا إليها، و عن النّبيّ متعلّق بمقدّر خبر أنّ أى صادر عن النبىّ أو مأخوذ عنه و نحو ذلك. و جمله ما كذب المبلّغ استيناف بيانى، و اللاّم فى قوله لكأنّى جواب قسم محذوف، و كأنّ للتقريب، و فاغرته بالضمّ فاعل فغرت، و على فى قوله على ينعه للاستعلاء المجازى، و كم فى قوله كم يخرق خبريه بمعنى كثير على حدّ قوله سبحانه:

«كَمْ مِنْ قَرْيَهٍ أَهْلَكْناها ».

و من قاصف تميز لكم، و عن فى قوله و عن قليل بمعنى بعد على حدّ قوله:

«عَمّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ ».

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه من الخطب التى تشتمل على ذكر الملاحم و الوقايع العظيمه التى اتفقت بعده عليه السّلام أخبر فيها عمّا يكون قبل كونه، و افتتحها بأوصاف العظمه و الكمال للّه المتعال فقال (الأوّل قبل كلّ أوّل و الآخر بعد كلّ آخر) قد مضى تحقيق الكلام مستقصى فى أوّليته و آخريّته سبحانه و أنّه لا شيء قبله و بعده فى شرح الخطبه الرابعه و السّتين و الرابعه و الثمانين و الخطبه التسعين.

و أقول هنا إنّ قوله الأوّل قبل كلّ أوّل، اخبار عن قدمه، و قوله و الآخر بعد كلّ آخر، اخبار عن استحاله عدمه، يعنى أنه تعالى قديم أزلى و دائم أبدى و هو أوّل الأوائل و آخر الأواخر، فلو فرض وجود شيء قبله لزم بطلان قدمه، و لو فرض وجود شيء بعده لزم جواز عدمه، و كلاهما محال لتنافيهما لوجوب الوجود و لا بأس بتحقيق الكلام فى قدمه تعالى فنقول: إنّ القديم على ما حقّقه بعض المتألّهين له معنيان بل معان ثلاثه:

أحدها القديم الزّمانى، و هو أن لا يكون للزّمان و وجوده ابتداء و اللّه سبحانه لا يتّصف بالقدم بهذا المعنى، لأنه تعالى برىء عن مقارنه الزّمان و التغيّر و التقدّر بالمقدار، سواء كان مقدارا قارّا كالجسم و الخطّ، أو غير قار كالزّمان.

و الثانى القديم الذاتى، و هو أن لا يكون ذاته من حيث ذاته مفتقرا إلى غيره حتّى يكون متأخّرا عنه بالذّات، و لا أن يكون معه شيء آخر معيّه بالذات حتّى يتأخّرا جميعا عن شيء ثالث تأخّرا بالذّات، فانّ المعيه الذاتيه بين شيئين هو أن لا يمكن انفكاك أحدهما نظرا إلى ذاته عن صاحبه، و هذا المعنى يستلزم أن يكون كلاهما معلولى علّه واحده، فانّ الذّاتين إذا لم يكن بينهما علاقه ذاتيه

ص:۱۶۶

افتقاريه بأن يكون إحداهما سببا للاخرى، أو يكونا جميعا مسبّبين عن ثالث موجب لهما، فيجوز عند العقل انفكاك كلّ منهما عن صاحبه، فكانت مصاحبتهما لا بالذّات بل بالاتفاق فى زمان أو نحوه.

فالحق تعالى إذ هو مبدء كلّ شيء كان الزّمان مخلوقا له متأخّرا عنه، فلم يكن قديما بالزّمان، فهو قديم بالذّات لأنّ ذاته غير متعلّق بشيء فلا شيء قبله قبليّه بالذات، و لا معه معيّه بالذات لما علمت، و إذ كلّ ما سواه مفتقر الذات إليه فيكون متأخّرا عنه فيكون حادثا.

فظهر بذلك عدم جواز كون شيء قبله أو معه، لأنّه لو كان معه شيء لم يكن اللّه سببا موجدا له، بل يلزم أن يكون ثالث موجدا لهما، و لو كان قبله شيء لكان ذلك القبل خالقا و الخالق مخلوقا له.

و تحقّق من ذلك بطلان قول من قال إنّ العالم قديم، لأنّه إن أراد به أنّه قديم بالذات فهو يناقض كونه عالما مفتقرا إلى غيره، و إن أراد أنّ ذاته مع ذات البارى فحيث ذات البارى لم يكن له وجود فى تلك المرتبه أصلا، و إن قال إنّه قديم بالزّمان فالزّمان ليس الاّ كميه الحركه و عددها و الحركه ليست حقيقتها الاّ الحدوث و التجدّد، فكذلك كلّ ما فيها أو معها فعلم بذلك أن لا قديم بالذّات إلّا الأوّل تعالى.

و إذا اطلق على غيره كان بمعنى ثالث نسبى غير حقيقى و هو أن يكون ما مضى من وجود شيء أكثر مما مضى من وجود شيء آخر و هو القديم العرفى هذا.

و لما عرفت أنّ معنى أولیّته سبحانه كونه قديما بالذات و مبدءا للموجودات و معنى آخريّته كونه أبديا و غايه الغايات تعرف بذلك أنه سبحانه (بأوليته وجب أن لا أوّل له و بآخريّته وجب أن لا آخر له) يعنى أنّه سبحانه لما كان بذاته أولا آخرا لا يمكن أن يكون لذاته أوّل و بدايه، و لا له آخر و نهايه، كما لا يمكن أن يكون له أوّل سبقه، و لا له آخر بعده.

و يوضح ذلك روايه ميمون البان التى تقدّمت فى شرح الخطبه الرابعه و الثمانين

ص:۱۶۷

قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام و قد سئل عن الأوّل و الآخر، فقال: الأوّل لا عن أوّل قبله و لا عن بدیء سبقه، و آخر لا عن نهایه كما یعقل عن صفه المخلوقین، و لكن قدیم أوّل آخر لم یزل و لا یزول بلا بدیء و لا نهایه، لا یقع علیه الحدوث و لا یحول من حال إلى حال، خالق كلّ شیء.

قال بعض شرّاح الحدیث، البدیء فعیل بمعنى المصدر أی البدایه لوقوعه فی مقابل النهایه، و عن الثانیه بمعنى إلى، و المراد أنّ أوّلیته تعالى لا عن ابتداء و آخریّته لا إلى نهایه، فهو الأوّل لم یزل بلا أوّل سبقه و لا بدایه له، و هو الآخر لا یزول بلا آخر بعده و لا نهایه له.

و قوله علیه السّلام: و لكن قدیم أوّل آخر بترك الواو العاطفه اشاره إلى أنّ أولیّته عین آخریته لیدلّ على أن كونه قدیما لیس بمعنى القدیم الزمانی أی الامتداد الكمی بلا نهایه إذ وجوده لیس بزمانی سواء كان الزّمان متناهیا أو غیر متناه و إلّا لزم التغیّر و التجدّد فی ذاته بل وجوده فوق الزمان، و الدّهر نسبته إلى الأزل كنسبته إلى الأبد، فهو بما هو أزلیّ أبدیّ، و بما هو أبدیّ أزلیّ، و أنّه و إن كان مع الأزل و الأبد، لكنه لیس فی الأزل و لا فی الأبد حتّى یتغیّر ذاته، و إلیه الاشاره بقوله: لا یقع علیه الحدوث إذ كلّ زمان و زمانی و إن لم یكن ذا بدایه فهو حادث اذ كلّ من وجوده مسبوق بعدم سابق فهو حادث.

و قوله علیه السّلام لا یحول من حال إلى حال، إمّا تفسیر للحدوث، و إمّا إشاره إلى أن لا تغیّر أصلا فی صفاته كما لا تغیّر فی ذاته، فلیست ذاته و لا صفاته الحقیقیه واقعه فی الزمان و التّغیر.

و قوله علیه السّلام خالق كلّ شیء، كالبرهان لما ذكر، فانه تعالى لما كان خالق كلّ شیء سواء كان خالقا للزمان و الدّهر، فیكون وجوده قبل الزّمان قبلیه بالذات لا بالزمان، و إلّا لزم تقدّم الزّمان على نفسه و هو محال، فاذا حیث هو تعالى لا زمان و لا حركه و لا تغیّر أصلا فهو تعالى أوّل بما هو آخر و آخر بما هو أوّل، نسبته إلى الآزال و الآباد نسبه واحده و معیّه قیّومیه غیر زمانیّه.

ص:۱۶۸

(و أشـهد أن لا إله الا اللّه شـهاده يوافق فيها السّـِر الاعلان و القلب اللّسان) أى شهاده صادره عن صميم القلب خالصه عن شؤب النفاق و الجحود هذا.

و لمّا كان قصـده عليه السّـِلام اخبارهم عمّا يكبر فى صـدورهم و يضـعف عنه قلوبهم و يكاد أن ينسـبوه إلى الكذب فيه لا جرم أيّههم أوّلا و حذّرهم عن التكذيب بقوله:

(أيّها الناس لا يجرمنّكم شـقاقى) أى لا يحملنّكم معاداتى و خلافى على أن تكـذّبونى (و لا يسـتهوينكم عصـيانى) أى لا يذهبّن معصـيتى بهواكم و عقلكم، و قيـل: أى لا ـ تسـتهيمنّكم و يجعلكم هـائمين و هو قريب ممّـِا قلنـاه (و لا ـ تـترامـوا بالابصـار عنـد ما تسـمعونه منّى) أى لا ينظر بعضـكم بعضا فعل المنكر المكـذّب عنـد سـماع الاخبار الغيبيه منّى (فوالذى فلق الحبّه) أى خلقها أو شقّهـا بـاخراج النبـات منهـا (و برء النّسـمه) أى خلق النّفس الانسـانى و أوجـدها (انّ الـذى أنبئكم به) مـا أقوله من تلقـاء نفسـى فتسـرعوا و تبـادروا إلى تكـذيبى، و انما هو متلقا و مأخوذ (عن النّبىّ) الصّادق الأمين (صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم) أجمعين (ما كـذب المبلّغ و لا ـ جهـل السّـِامع) أراد بالمبلّغ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى تبليغه عن اللّه سـبحانه و بالسّامع نفسـه الشّريف، فيكون فيه إشعار بأنّ ما يخبرهم به مأخوذ من اللّه سبحانه.

قـال الشّـارح المعتزلى: و المبلّغ و السّـِامع نفسه، يقول: ما كـذبت على الرّسول تعمـدا و لا جهلت ما قاله فانقل عنه غلطا، و الأوّل أظهر هذا.

و لمّـِا وطّن نفوس السّـِامعين لقبول ما يقوله و نحّاهم من الاستيحاش شـرع فى مقصـده و ما هو بصـدده من الاخبار عمّا سـيكون فقال (لكأنّى) أى تااللّه لكأنّى (أنظر إلى ضليل) أى إلى رجل كثير الضلال و اختلف فى هذا الرّجل فقيل: إنّه السّفيانى الموعود، و قيـل: إنّه معاويه، و قيل: بل يمكن أن يريـد به شـخصا آخر يظهر بعـد بالشام، و الأشـبه كما فى شـرح المعتزلى أنّه أراد به عبد الملك بن مروان.

و اسـتبعد الشّارح كون المراد به معاويه بأنّ ظاهر الكلام يـدلّ على انسان ينعق فيما بعد و معاويه كان فى أيّام أمير المؤمنين عليه السّلام نعق بالشام و دعاهم إلى نفسه، و استقرب عبد الملك بأنّ هذه الصّفات و الامارات كان فيه أتمّ منها فى غيره

فانه (قد نعق بالشام) أى صاح فيه حين دعا أهله إلى نفسه، أوصاح بهم و زجرهم حين الشّخوص إلى العراق (و فحص براياته فى ضواحى كوفان) أى أخذ نواحى كوفه مفحصا لراياته كما تأخذ القطاه فى الأرض مفحصا لها، و ذلك حين شخص عبد الملك بنفسه إلى العراق و قتل مصعبا و استخلف الأمراء من بشر بن مروان أخيه و غيره عليه حتى انتهى الأمر إلى الحجّاج.

(فاذا فغرت فاغرته) أى انفتح فوه و هو استعاره لاقتحامه للناس و افتراسه لهم بالفتك و القتل كما يفتح الأسد فاه عند افتراس فريسته.

و ما فى شرح المعتزلى و غيره من أنّ تأنيث الفاغره للفتنه لا يفهم معناه، بل الظاهر أنّ التأنيث بملاحظه أصل المعنى المستعار منه على ما قدّمناه.

(و اشتدّت شكيمته) و هو كنايه عن شدّه بأسه و قوّته، لأنّ الفرس القوىّ شديد الرأس يحتاج إلى قوّه الشكيمه(و ثقلت فى الأرض وطأته)و هو كنايه عن شدّه جوره و ظلمهقال الشارح المعتزلى: و ذلك حين ولى الحجاج على العراق فصعب الأمر جدا و عند ذلك(عضّت الفتنه أبنائها بأنيابها)شبّه الفتنه بحيوان صائل و أثبت لها النّاب على سبيل التخييل و رشح الاستعاره بذكر العضّ و أراد بأبناء الفتنه أهلها، و المراد أنه اذا قوى سلطنه ذلك الضليل كثر الفتن و يقع أهلها فى الشدّه و الألم.

قال الشارح و هو اشاره إلى تفاقم الفتن بين عبد الملك و بين الخوارج و عبد الرّحمن بن الأشعث (و ماجت الحرب بأمواجها) كالبحر المتلاطم التيار المتراكم الزّخار(و بدا من الأيام كلوحها)نسبه الكلوح إلى الأيام من التوسّع فى الاسناد و أراد به كثره ما يلقى النّاس فيها من العبوس و سواء الحال و كذلك نسبه الكدوح إلى الليالى فى قوله(و من اللّيالى كدوحها)و هو إشاره إلى ما يبتلى به النّاس فيها من المصائب الشبيهه بآثار الجراحات و الخدوش و الجنايات.

(فاذا أينع زرعه) أراد به انتظام أمره و كمال شوكته (و قام على ينعه) أى على نضجه و كماله (و هدرت شقاشقه) و هو إشاره إلى ظهور طغيانه و بأسه

ص:۱۷۰

(و برقت بوارقه) أی سیوفه و رماحه البارقه (عقدت رایات الفتن المعضله) أی الموجبه للاعضال و الاشکال أو التی یعیی عن رفعها و علاجها(و أقبلن کاللّیل المظلم) وجه تشبیهها باللیل کونها لا یهتدی فیها إلی حقّ کما لا یهتدی فی ظلمه اللّیل إلی المقصد(و البحر الملتطم)أی کثیر الأمواج و تشبیهها به فی عظمها، و فی التّوصیف بالملتطم اشاره إلی خلط الخلق فیها بعضهم ببعض و محق بعضهم بعضا کما یلتطم الأمواج بعضها بعضا هذا.

و قال الشارح أراد بعقد رایات الفتن الموصوفه بالأوصاف المذکوره ما وقع بعد عبد الملک من حروب أولاده مع بنی المهلّب و حروبهم مع زید بن علیّ علیه السّلام و الفتن الکائنه بالکوفه أیّام یوسف بن عمر و خالد القسری و عمر بن هبیره و غیرهم و ما جری فیها من الظلم و استیصال الأموال و ذهاب النفوس.

و إلی ذلک أشار علیه السّلام بقوله (هذا و کم یخرق الکوفه) أی یجوبها و یقطعها (من)ریح(قاصف)و هی التی تقصف کلّ ما مرّت علیه(و تمرّ علیها من)ریح (عاصف)قال الشارح البحرانی: استعار وصفی القاصف و العاصف لما یمرّ بها و یجری علی أهلها من الشدائد.

ثمّ قال علیه السّلام(و عن قلیل تلتفّ القرون بالقرون و یحصد القائم و یحطم المحمود)أی بعد برهه من الزّمان تجتمع الام بالامم و تختلط أجیال النّاس بعضهم ببعض، و حصد القائم و حطم المحصود، قیل: اشاره إلی عموم البلاء، و حصد القائم کنایه عن قتل القوی، و حطم المحصود کنایه عن استیصال الضّعیف.

و قال الشارح البحرانی: کنّی علیه السّلام بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم فی بطن الأرض، و استعار لهم لفظ الحصد و الحطم لمشابهتهم الزّرع یحصد قائمه و یحطم محصوده، فکنّی بحصدهم عن قتلهم أو موتهم، و بحطم محصودهم عن فنائهم و تفرّق أوصالهم فی التراب.

و قال الشارح المعتزلی: و هو کنایه عن الدّوله العبّاسیه التی ظهرت علی دوله بنی امیّه، و یحصد القائم و یحطم المحصود کنایه عن قتل الأمراء من بنی امیّه

ص:١٧١

فى الحرب، ثم قتل الماسورين منهم صبرا، فحصد القائم قتل المحاربه، و حطم الحصيد القتل صبرا، و هكذا وقعت الحال مع عبد اللّه بن علىّ و أبى العبّاس السّفاح.

و قيل: التفافهم كنايه عن جمعهم فى موقف الحساب أو طلب بعضهم مظالمهم من بعض، و حصدهم عن ازالتهم عن موضع قيامهم أى الموقف وسوقهم إلى النّار، و حطمهم عن تعذيبهم فى نار جهنم، و اللّه العالم بحقايق الكلام.

الترجمه

از جملۀ خطب ديگر است كه متضمّن اخبارات غيبيه است و مشتمل ميباشد بر ذكر واقعه هاى عظيمه مى فرمايد: خداوند تعالى اولى است پيش از هر أوّل و آخرى است بعد از هر آخر، بمقتضاى أوّل بودنش واجبست كه نبوده باشد هيچ أوّل مر او را، و بمقتضاى آخر بودنش واجبست كه نبوده باشد هيچ آخر مر او را و شهادت مى دهم آنكه نيست هيچ معبودى بحق غير از واجب الوجود بالذات چنان شهادتى كه موافقت نمايد در او باطن با ظاهر و قلب با زبان.

اى مردمان بايد كه باعث نشود شما را عداوت و مخالفت من بر تكذيب من، و متحيّر نگرداند شما را نافرمانى كردن با من، و ميندازيد ديدها را بيكديگر نزد شنيدن اخبار غريبه از من، پس قسم بحق آن كسيكه شكافت دانه را و خلق فرمود انسان را بدرستى كه آنچه خبر مى دهم شما را بآن اخذ شده است از پيغمبر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دروغ نگفته رساننده آن خبر كه عبارتست از پيغمبر، و جاهل نبوده شنوندۀ آن كه عبارتست از نفس نفيس خود.

گويا كه نگاه ميكنم بمردى كه متصف است بنهايت گمراهى كه بانك زده در شام، و منزل أخذ ميكند بعلمهاى خودش در اطراف كوفه، پس هر گاه كه گشوده شود دهان او، و سخت شود، دهنۀ لجام او، و گران شود در زمين گام زدن او، بگزد فتنه پسران خود را بدندانهاى خود، و موج زند جنك بموجهاى خود، و ظاهر مى شود از روزها بسيارى عبوس و ترش روئى او، و از شبها أثرهاى جراحت او.

ص:١٧٢

پس چون بسر حدّ کمال رسد زراعت آن مرد گمراه، و بایستد بر کمال خود و آواز دهد شقشقهای او که عبارتست از چیزهائی که مثل شش از دهن شتر بیرون می آید در حال مستی، و درخشان شود شمشیرها و نیزهای برّاق او، بسته شود علمهای فتنها، و روی آورند مانند شب تاریک و مثل دریاهای موّاج، فراگیر این مطلب را، و بسا می شود که بدرّد کوفه را باد سخت شکننده، و بگذرد بکوفه باد تند جهنده، و این کنایه است از شدّتها و مصیبتها که وارد می شود بأهل کوفه و بعد از زمان قلیلی جمع شود قرنها با قرنها، و مختلط شود گروهی با گروهی، و درویده می شود ایستاده، و شکسته می شود درویده شده، و این کنایه است از استیصال و هلاک شدن صاحب قوت و صاحب ضعف.

و من خطبه له علیه السّلام یجری هذا المجری و هی المأه

اشاره

و الواحده من المختار فی باب الخطب

و ذلک یوم یجمع اللّه فیه الأوّلین و الآخرین لنقاش الحساب، و جزاء الأعمال، خضوعا قیاما، قد ألجمهم العرق، و رجفت بهم الأرض فأحسنهم حالا من وجد لقدمیه موضعا، و لنفسه متّسعا. منها: فتن کقطع اللّیل المظلم، لا تقوم لها قائمه، و لا تردّ لها رایه، تأتیکم مزمومه مرحوله یحفزها قائدها، و یجهدها راکبها، أهلها قوم شدید کلبهم، قلیل سلبهم، یجاهدهم فی سبیل اللّه، قوم أذلّه عند المتکبّرین، فی الأرض مجهولون، و فی السّماء معروفون،

فويل لك يا بصره عند ذلك من جيش من نقم اللّه لا رهج له و لا حسّ، و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر، و الجوع الأغبر.

اللغه

(ناقشته) مناقشه استقصيته فى الحساب (و القطع) قطعه كسدر و سدره و هى الطائفه من الشىء قال الشارح المعتزلى: قطع اللّيل جمع قطع و هو الظّلمه قال تعالى:

«فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ».

و لعلّه سهو و (زممت) البعير زمّا شددت عليه زمامه فهو مزموم و (الرّحل) كلّ شىء يعد للرّحيل من وعاء المتاع و مركب البعير و الحلس و الرّسن و جمعه رحال و أرحل مثل سهام و أفلس و (جهدت) الدّابه و أجهدتها حملت عليها فى السّير فوق طاقتها و (الكلب) محرّكه الشر و الاذى و (السّلب) محركه أيضا ما يأخذه أحد القرنين فى القتال من قرنه ممّا يكون عليه من ثوب أو سلاح أو درع أو غيرها و (النقم) جمع نقمه و هى العقوبه و (الرهيج) محرّكه الغبار.

الاعراب

خضوعا قياما منصوبان على الحال من مفعول يجمع، و جمله لا تقوم مرفوعه المحلّ على أنّها وصف لفتن، و جمله تأتيكم استينافيّه أو حال من مفعول تقوم و جمله يحفزها آه حال من فاعل تأتيكم، و مجهولون وصف ثان لقوم.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه تجرى مجرى الاخبار عن الملاحم أيضا كالخطبه السّالفه حيث إنها مشتمله على فصلين، و الفصل الثانى منها من هذا القبيل، و أمّا الفصل الأوّل فمتضمّن لبيان بعض أهوال يوم القيامه و شدايدها، و قد مضى الكلام فيها مفصّلا فى الفصل الثّالث من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين و شرحه.

و قال علیه السّلام هنا (و ذلک یوم یجمع اللّه فیه الأوّلین و الآخرین) کما قال تعالی فی سوره هود.

«ذلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاسُ وَ ذلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ ». و فی سوره الواقعه: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِینَ وَ الْآخِرِینَ لَمَجْمُوعُونَ إِلی مِیقاتِ یَوْمٍ مَعْلُومٍ » و انما جمعهم (لنقاش الحساب و جزاء الأعمال) أی لیناقش فی حسابهم و یستقصی فیه و یجزی کلّ جزاء عمله، إن خیرا فخیرا و إن شرّا فشرّا.

«فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا فَفِی النّارِ لَهُمْ فِیها زَفِیرٌ وَ شَهِیقٌ خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّکَ إِنَّ رَبَّکَ فَعّالٌ لِما یُرِیدُ » «وَ أَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّهِ خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّکَ عَطاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ ».

(خضوعا قیاما) أی خاضعین خاشعین من هول المعاد، قائمین لربّ العباد (قد ألجمهم العرق) أی بلغ محلّ لجامهم من کثره التزاحم و الاجتماع و شدّه الحراره قال الطبرسی فی تفسیر قوله تعالی:

«یَوْمَ یَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِینَ ».

المعنی یوم یقوم النّاس من قبورهم لأمر ربّ العالمین و لجزائه أو حسابه، و جاء فی الحدیث انّهم یقومون فی رشحهم إلی انصاف آذانهم، و فی حدیث آخر یقومون حتّی یبلغ الرشح إلی أطراف آذانهم.

و فی الحدیث عن سلیم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول إذا کان یوم القیامه ادنیت الشمس من العباد حتی تکون الشّمس بقدر میل أو میلین، قال سلیم فلا أدری أ مسافه الأرض أو المیل الذی تکحل به العین ثمّ قال

صهرتهم الشّمس فيكونون فی العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلی عقبه، و منهم من يلجمه إلجاما، قال: فرأيت رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يشير بيده إلی فيه قال يلجمه إلجاما.

(و رجفت بهم الأرض) لعلّه اشاره إلی الرّجفه فی النفخه الثّانيه علی ما اشير إليها فی قوله سبحانه:

«إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها وَ قالَ الْإِنْسانُ ما لَها يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها ».

(فأحسنهم حالا) فی هذا اليوم (من وجد لقدميه موضعا و لنفسه متّسعا) و هو اشاره إلی شدّه الضيق علی النّاس فيه هذا و الفصل الثانی الذی التقطه السيّد (ره).

منها قوله عليه السّلام (فتن كقطع اللّيل المظلم) فی عدم الاهتداء فيها إلی النهج الحقّ و الصّراط المستقيم(لا تقوم لها قائمه)أی لا تنهض لدفعها فئه قائمه أولا تقوم لها قائمه من قوائم الخيل، و هو كنايه عن عدم امكان مقابلتها بالحرب و عدم التمكن من قتال أهلها، أو لا تقوم لها بنيه أو قلعه قائمه، بل تخرب و تنهدم فيكون كنايه عن قوّتهم و كذلك قوله عليه السّلام(و لا تردّ لها رايه)أی لا تنهزم رايه من رايه تلك الفتنه و لا تفرّ بل تكون غالبه دائما، أو لا ترجع لحربها رايه من الرّايات التی هربت عنها.

ثمّ شبّهها بناقه تامّه الأدوات كامله الآلات و استعار لها أوصافها فقال (تأتيكم مزمومه مرحوله)أی كناقه معدّه للركوب عليها زمامها و رحالها (يحفزها قائدها)أی يسوقها بشدّه، و أراد بالقائد أعوانها(و يجهدها راكبها)أی يوقعها فی الجهد و المشقّه و يحمل عليها فی السّير فوق الطّاقه، و أراد بالرّاكب أرباب تلك الفتنه و كنّی بالحفز و الجهد عن سرعتهم و مبادرتهم إليها (أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم) أی شديد شرّهم و أذاهم و قليل ما سلبوه

من الخصم إذ همّتهم القتل لا السّلب كما قال الشاعر:

هم الأسود أسود الغاب همّتها يوم الكريهه فى المسلوب لا السّلب

و اختلف فى تلك الفتنه و أهلها: فقال الشّارح المعتزلى: إشاره إلى ملحمه تجرى فى آخر الزمان و لم يأت بعد، و استقربه المحدّث المجلسى «ره» فى البحار، و قال الشارح البحرانى: اشاره إلى فتنه صاحب الزنج لا تضافهم بشدّه الكلب و قلّه السّلب إذ لم يكونوا أصحاب حرب و عدّه و خيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهوره و سيذكر طرف منها فى شرح بعض الخطب الآتيه و هى الخطبه المأه و الثامنه و العشرون.

و استبعده فى البحار بأنّ مجاهديهم لم يكونوا على الأوصاف التى أشار إليها بقوله (يجاهدهم فى اللّه قوم أذلّه عند المتكبرين فى الأرض مجهولون و فى السّماء معروفون) إلّا أن يقال: لشقاوه الطّرف الآخر أمدّهم اللّه بالملائكه، و هم مجهولون فى الأرض لعدم كونهم من أبناء الدنيا المشهورين بنعيمها، و معروفون فى السماء لكونهم من أهل العلم و العرفان يعرفهم ربّهم بالطّاعه و يعرفهم ساير الملائكه بالعباده و لا يخفى بعده، و قال الشّارح المعتزلى: كونهم مجهولين فى الأرض لخمولهم قبل هذا الجهاد.

ثمّ خاطب عليه السّلام البصره على سبيل انذار أهلها وقال(فويل لك يا بصره عند ذلك من جيش من نقم اللّه لا رهج له و لا حسّ)قال الشّارح البحرانى و هو اشاره إلى فتنه الزنج و ظاهر أنّهم لم يكن لهم غبار و لا أصوات إذ لم يكونوا أهل خيل و لا قعقعه لجم فاذا لا رهج لهم و لا حسّ، و ظاهر كونهم من نقم اللّه للعصاه و ان عمت الفتنه اذ قلما تخصّ العقوبه النّازله بقوم بعضهم كما قال تعالى:

«وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ».

و فيه أنّ ظاهر عبارته عليه السّلام مشعر بكون هذا الجيش غير ما اخبر به أوّلا فاذا كان الأول اشاره إلى صاحب الزّنج و جيشه حسبما زعمه الشارح فكيف يمكن جعل ذلك اشاره إليهم أيضا و ان كانوا بالأوصاف المذكوره، و قال الشارح المعتزلى كنّى عليه السّلام بهذا الجيش عن طاعون يصيبهم حتى يبيدهم.

ص:١٧٧

أقول: و الأولى و كول علم ذلک إليهم عليهم السّلام لأنّ أهل البيت أدرى بما فيه ثمّ قال(و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر و الجوع الأغبر)الموت الأحمرامّا كنايه عن الوباء و وصفه بالحمره لشدّته و وصفالجوعبانه أغبر لأنّ الجايع يرى الآفاق كانّ عليها غبره و ظلاما كما فى شرح المعتزلى، أو الأول كنايه عن قتلهم بالسيف كما قيل، أو عن هلاكهم بالغرق كما فى شرح البحرانى، قال و وصفالجوع بالأغبرلأنّ شده الجوع ما اغبر معه الوجه لقله مادّه الغذاء أو ردائته أو لأنّه يلصق بالغبراء و هى الأرض.

أقول: و يمكن أن يكون وصف الجوع به من حيث كونه ناشئا من كثره اغبرار الأرض و جدبها بقلّه الأمطار، و اللّه العالم.

تنبيه

قد تقدّم فى أوّل تنبيهات الكلام الثالث عشر خطبه طويله له عليه السّلام خطب بها بعد الفراغ من قتال أهل البصره و هى متضمّنه لأكثر فقرات هذه الخطبه و مشتمله على زيادات كثيره فعليك بالرجوع اليها فانه لا يخلو من منفعه.

الترجمه

و از جمله خطب شريفه آن سرور عالميان و امام متقيانست كه جارى شده در موضع اخبار از ملاحم مثل خطبه سابقه مى فرمايد:

و آن يعنى روز قيامت روزيست كه جمع ميكند خداوند عالم اوّلين و آخرين را از براى استقصاء و دقّت نمودن در حساب، و جزا دادن بر عملها در حالتى كه همه خضوع كننده باشند و ايستاده بجهه أمر پروردگار، بتحقيق كه رسيده باشد عرق بدهان ايشان از كثرت حرارت و شدّه ازدحام خلقان، و بلرزد برايشان عرصه زمين پس نيكوترين ايشان از حيثيت حال كسيست كه بيابد بجهه قدمهاى خود مكانى و بجهه نفس خود محلّ وسعت و فضائى از جملهٔ فقرات اين خطبه كه متضمّن اخبار از وقايع آتيه است اينست كه فرموده

فتنه هایی است مثل پارهای شب تاریک که برنخیزد از برای دفع آن جماعتی ایستاده، و باز نگرداند از برای او علم بر پا شده، بیاید بسوی شما مانند شتری که أفسار کرده باشد و پالان برنهاده در حالتی که میراند آنرا با شدّت کشندهٔ آن، و بمشقّت می اندازد آنرا سوار شوندهٔ آن، أهل فتنه ها گروهی هستند که شدید باشد أذیّت و شرارت ایشان، و کم باشد ثیاب و سلاح دریافت نشده از خصم ایشان و آن کنایه از این است که غرض ایشان کشتن خصم است نه غنیمت بردن، جهاد میکند با ایشان گروهی که خواز و ذلیل باشند در نزد متکبرین، گم نام باشند در نزد أهل زمین، مشهور باشند در پیش أهل آسمان برین.

پس وای باشد تو را ای بصره از لشکری که پدید آید از غضب و عقوبه خدا در حالتی که نباشد آن لشکر را گرد و غباری، و نه حس و حرکتی از جهه این که ایشان را خیل و قعقعه سلاح نباشد، و بزودی مبتلا شوند أهل تو أی بصره بمرگ سرخ که کشته شدنست با شمشیر، و بگرسنگی غبار آلوده.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الثانیه من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

أنظروا إلی الدّنیا نظر الزّاهدین فیها، الصّادفین عنها، فإنّها و اللّه عمّا قلیل تزیل الثّاوی السّاکن، و تفجع المترف الامن، لا یرجع ما تولی منها فأدبر، و لا یدری ما هو آت منها فینتظر، سرورها مشوب

بالحزن، و جلد الرّجال فيها إلى الضّعف و الوهن، فلا تغرّنكم كثره ما يعجبكم فيها لقلّه ما يصحبكم منها، رحم اللّه امرء تفكّر فاعتبر، و اعتبر فأبصر، فكأنّ ما هو كائن من الدّنيا عن قليل لم يكن، و كأنّ ما هو كائن من الآخره عمّا قليل لم يزل، و كلّ معدود منقض، و كلّ متوقّع آت، و كلّ آت قريب دان. منها العالم من عرف قدره، و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره، و إنّ من أبغض الرّجال إلى اللّه لعبد وكّله اللّه إلى نفسه، جائر عن قصد السّبيل، ساير بغير دليل، إن دعى إلى حرث الدّنيا عمل، و إن دعى إلى حرث الآخره كسل، كأنّ ما عمل له واجب عليه، و كأنّ ما ونى فيه ساقط عنه.

اللغه

(صدفت) عنه أصدف من باب ضرب اعرضت و صدفت المرأه فهى صدوف و هى التى تعرض وجهها عليك ثمّ تصدق عنك و (ثوى) بالمكان و فيه و ربّما يتعدّى بنفسه من باب رمى يثوى ثواء بالمدّ أقام فهو ثاو قال تعالى:

«وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ».

و (فجعه) يفجعه من باب منع وجعه كفجّعه أو الفجع أن يوجع الانسان بشىء يكرم عليه فيعدمه و (اترفته) النعمه أطغته و المترف وزان مكرم المتروك يصنع ما يشاء و لا يمنع و (الجلد) محركه الشّده و القوّه فهو جلد و جليداى شديد قوىّ

و (النّقض) كالانتقاض ضـد الابرام و فی بعض النسخ منتقض بدل منقض و (ونی) فی الأمر ینی و نیا من باب وعد ضـعف و فتر فهو وان، قال سبحانه: «وَ لا تَنِیا فِی ذِکْرِی »

الاعراب

الفـاء فی قوله فـأدبر عاطفه للجمله علی جمله الصّـِله و فی قوله فلا تغرّنّکم فصـیحه، و جمله رحم اللّه امرء دعائیه لا محلّ لها من الاعراب، و عن فی قوله عن قلیل بمعنی بعد، و کذلک فی قوله علیه السّلام عمّا قلیل و ما زایده علی حدّ قوله سبحانه:

«عَمّا قَلِیلٍ لَیُصْبِحُنَّ نادِمِینَ ».

و اللاّم فی قوله العالم من عرف قـدره للجنس و التعریف لقصـد الحصـر مبالغه و من فی قوله علیه السّـِلام انّ من أبغض الرّجال لعبد زایده فی اسم إنّ و لعبد بالرّفع خبرها کما زیدت فی اسم کان فی قوله تعالی:

«وَ ما کانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ ».

و إلیه ذهب الکسـائی فی قوله علیه السّـِلام: إنّ من أشـدّ النّاس عـذابا یوم القیامه المصوّرون و فی نسـخه للشارح المعتزلی لعبـدا بالنّصب و کـذلک جائرا و سائرا فیکون حینئـذ من للتبعیض و هی مع مـدخولها خبر ان مقـدّما و لعبدا اسم لها، و جائرا، و سایرا یحتملان الحال و الوصف.

المعنی

اعلم أنّ هـذا الفصل من الخطبه متضـمّن للتّزهیـد عن الدّنیا و التّنفیر منها بالتنبیه علی عیوبها المرغّبه عنها، و قد مضـی الکلام فی هذا المعنی مستوفا فی الخطبه الثانیه و العشرین و شرحها و فی غیرها من الخطب السّالفه و قال علیه السّلام هنا:

(انظروا إلی الـدّنیا نظر الزّاهـدین فیها الصّادفین عنها) قـد مرّ تحقیق معنی الزّهد و بیان مراتبه و اقسامه بما لا مزید علیه فی شـرح الخطبه التاسعه و السبعین و قدّمنا هنالک بعض الأخبار الوارده فیه و نورد هنا بعض ما لم نروه فأقول:

روی فی الکافی عن علیّ بن إبراهیم عن علیّ بن محمّد القاسانی عمّن ذکره عن عبد اللّه بن القاسم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال إذا أراد اللّه بعبد خیرا زهّده فی الدّنیا و فقّهه فی الدّین و بصّر عیوبها و من اوتیهنّ فقد أوتی خیر الدّنیا و الآخره و قال علیه السّلام: لم یطلب أحد الحقّ من باب أفضل من الزّهد فی الدنیا، و هو ضدّ لما طلب أعداء الحقّ قلت: جعلت فداک ممّاذا؟ قال: من الرغبه فیها.

و قال علیه السّلام ألا من صبّار کریم فانّما هی أیّام قلائل إلاّ أنّه حرام علیکم أن تجدوا طعم الایمان حتّی تزهدوا فی الدّنیا.

قال: و سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول إذا تخلّی المؤمن من الدّنیا سما و وجد حلاوه حبّ اللّه و کان عند أهل الدّنیا کأنّه قد خولط و انّما خالط القوم حلاوه حبّ اللّه فلم یشتغلوا بغیره.

قال: و سمعته یقول إنّ المؤمن إذا صفا ضاقت به الأرض حتی یسمو.

و باسناده عن أبی حمزه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام إنّ من أعون الأخلاق علی الدّین الزّهد فی الدّنیا، هذا.

و لما أمر علیه السّلام بالنّظر إلی الدّنیا نظر الزّاهدین المعرضین من الأنبیاء و المرسلین و الأئمه المعصومین و غیرهم من عباد اللّه الصّالحین، و أوجب اقتفاء آثارهم و التأسّی بهم علل ذلک بقوله (فانّها و اللّه عمّا قلیل تزیل الثاوی السّاکن و تفجع المترف الآمن) مؤکدا بالقسم البارّ تنزیلا للمخاطبین منزله المنکر لما شاهد منهم رغبتهم إلیها و اعتمادهم بها، یعنی أنّ من شأنها نقل المقیمین السّاکنین بها إلی دار الآخره و افجاع المنعمین الآمنین بحیلولتها بینهم و بین ما یحبّونه، فاذا کان شأنها ذلک فکیف الأمن بها و الرّکون إلیها شعر:

هب الدّنیا إلیک تساق عفوا ألیس مصیر ذاک إلی انتقال

و ما دنیاک إلاّ مثل فیء أظلّک ثمّ آذن بالزّوال

(لا یرجع ما تولّی منها فأدبر و لا یدری ما هو آت منها فینتظر) یعنی ما کنت[1]

۱- (۱) لعلّه من أخلّ بالشی اذا ترک و غاب عنه

مبتهجا به فيها من الشّباب و القوّه و النعمه و العزّه و اللّذه قد أدبر و تولّى و مضى و انقضى فلا رجوع له اخرى، و ما يأتى بعد ذلك فهو غير معلوم لک اذ لا تدرى أنّه نعمه أو نقمه، عزّه أو ذلّه، ثروه أو مسكنه، حياه أم ممات، ضيق أو سعه، و بالجمله لا تدرى انه ملايم لطبعك فتنتظر أو مناف له فتنفر، قال الشّاعر:

واضيعه العمر لا الماضى انتفعت به و لا حصلت على علم من الباقى

(سرورها مشوب بالحزن و جلد الرّجال فيها إلى الضّعف و الوهن) و هذا مدرك بالوجدان مشاهد بالعيان إذ قلّ ما ترى مسرورا فيها و مبتهجا بها إلّا و مبتلا فى كلّ لمحه و آن بفوت مطلوب أو فقد محبوب، و نرى بضاضه الشّباب مبدله بحوانى الهرم، و غضاره الصحّه موهونه بنوازل السّقم (فلا يغرّنّكم كثره ما يعجبكم فيها) من عزّ و سلطان و جنود و أعوان و حصون و مقاصر و ضياع و دساكر و نساء و بنين و عشيره و أقربين و القناطير المقنطره من الذّهب و الفضّه و الانعام و الخيل المسوّمه (لقلّه ما يصحبكم منها) اذ ليس الّا كفن و حنوط و قطن و عود قال الشاعر:

فما تزوّد ممّا كان يجمعه إلّا حنوطا غداه البين فى خرق

و غير نفحه أعواد شببن له و قل ذلک من زاد لمنطلق

(۱) ثمّ دعا عليه السّلام و ترحّم لاولى الفكر بقوله (رحم اللّه امرء تفكر) فى أمر نفسه و مبدئه و معاده (فاعتبر) أى فكان ذا اعتبار و اتّعاظ (و اعتبر فابصر) أى أوجب اعتبار حاله نور بصيره و ذلک إنّما يحصل بالانقطاع من الشّهوات و التّجافى عن الامنيات.

قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام لهشام بن الحكم: يا هشام من سلّط ثلاثا على ثلاث فكأنّما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، و محى طرايف حكمته بفضول كلامه، و أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنّما أعان هواه على هدم

۱- (۱) النفحه من العود القطعه منه و نفحه القوس المتروک منه و شببن له اى رفعن له من شب الفرس شبابا و مشبوبا رفع بيديه، منه

عقله. و من هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه.

ثمّ نبّه على سرعه انقضاء متاع الدّنيا بقوله:(فكأنّ ما هو كائن من الدّنيا عن قليل لم يكن)يعنى أنّ ما هو كائن من الدّنيا من زبرجها و زخارفها و لذايذها سيصير بعد زمان قليل معدوما فكأنّه لم يكن موجودا أصلا و لم يكن شيئا مذكورا.

و نبّه على سرعه لحوق الآخره بقوله(و كأنّ ما هو كائن من الآخره عما قليل لم يزل)يعنى أنّ ما هو كائن من شدايد الآخره و أحوالها و أهوالها بعد زمان قليل قصير يكون موجودا ثانيا، و الاتيان بلفظ كأنّ فى المقامين للتقريب و تشبيه وجود الدّنيا بعدمه فى الأوّل و تنزيل عدم الآخره منزله الوجود فى الثانى تأكيدا و مبالغه فى قصر زمان تصرم الدنيا و قلّه زمان لحوق الآخره.

ثمّ قال (و كلّ معدود منقض) أراد أنّ أيّام العمر و لياليه و ساعاته و أنفاس الحياه معدوده محصاه، و كلّ ما هى معدوده فهى منقضه منصرمه و منقضيه منتهيه (و كلّ متوقع آت و كلّ آت قريب دان) فكلّ متوقّع قريب دان، و أراد بالمتوقّع الموت.

و نظير هذه الفقره من كلامه عليه السّلام قول قس بن ساعده الأيادى:

مالى أرى النّاس يذهبون ثم لا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا اقسم قس قسما إنّ فى السماء لخبرا، و فى الأرض لعبرا، سقف مرفوع، و مهاد موضوع و نجوم تمور، و بحار لا تغور، اسمعوا أيّها النّاس وعوا، من عاش مات، و من مات فات، و كلّ ما هو آت هذا، قال السّيد (ره) (منها) أى بعض فصول تلك الخطبه قوله عليه السّلام (العالم من عرف قدره و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره) يعنى أنّ العالم الكامل الحقيق بأن يطلق عليه اسم العالم حقيقه من اتّصف بعرفان قدره و عدم تجاوز طوره، و من لم يعرف ذلك فهو حقيق بأن يطلق عليه اسم الجاهل، و ذلك كاف فى جهالته، و المراد بقدره مقداره المعيّن و محلّه المرسوم و مرتبته المقرّره له فى الوجود، و ذلك إنّما يكون بكمال العقل.

كما قال الصّادق عليه السّلام: ما اخال رجلا يرفع نفسه فوق قدرها إلّا من

خلل فی عقله.

و فی روایه اخری عنه علیه السّلام ما هلک امرء عرف قدره.

یعنی أنّ من عرف قدره و لم یتعدّ طوره المرسوم له فی دائره الوجود و عرف أنّه ما هو و لأیّ شیء خلق خلص من ظلمات الجهاله، و نجی من بوادی الهلاکه لأنّه یلازم قدره المقدّر و مقامه المعیّن و یسلک الطّریق المؤدّی إلی النّجاه، و یحترز من طرفی التفریط و الافراط.

و یوضح ذلک ما رواه فی الکافی عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد مرسلا قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: دعامه الانسان العقل، و العقل منه الفطنه و الفهم و الحفظ و العلم و بالعقل یکمل، و هو دلیله و مبصره و مفتاح أمره فاذا کان تأیید عقله من النّور کان عالما حافظا ذاکرا فطنا فهما، فعلم بذلک کیف و لم و حیث، و عرف من نصحه و من غشّه، فاذا عرف ذلک عرف مجراه و موصوله و مفصوله، و أخلص الوحدانیّه للّه و الاقرار بالطّاعه، فاذا فعل ذلک کان مستدرکا لما فات و واردا علی ما هو آت یعرف ما هو فیه و لأیّ شیء هو ههنا و من أین یأتیه و إلی ما هو صائر و ذلک کلّه من تأیید العقل.

یعنی انّ قیام أمر الانسان و نظام حاله بالعقل فهو له کالعمود للبیت و منه یحصل الفطنه و سرعه ادراک الامور علی الاستقامه، و یحصل الفهم و الحفظ و العلم و به یکمل الانسان، و هو دلیله علی الحقّ و موجب لکونه ذا بصیره و مفتاح لأمره به یفتح ما اغلق علیه من الأمور الدینیه و الدنیویّه و المسائل المعضله الغامضه، فاذا کان عقله مؤیّدا بالنّور أی بنور الحقّ و خلی عن شوائب الأوهام، و کان عالما بما یحتاج إلیه، حافظا لعلمه بحیث لا یتطرّق علیه سهو أو نسیان أصلا أو غالبا، ذاکرا لربّه فطنا فهما فی غایه الکمال من القوّتین النظریه و العملیه، فعلم بذلک کیف أی کیفیّه الأعمال و الأخلاق، أو کیفیه السّلوک إلی الآخره و الوصول إلی الدّرجات العالیه، أو حقایق الأشیاء و حقیقه نفسه أهو من المقرّبین أم من المبعدین و لم أی علّه الأشیاء، و علل وجودها و ما یؤدّی إلیها کعلّه الأخلاق الحسنه حتّی

ص:۱۸۵

يكتسبها و علّه الأخلاق الرّذيله حتّى يجتنبها، أو يتفكر فى علّه العلل و ساير العلل المتوسّطه، أو يتفكّر فى علّه وجوده و أنّه إنّما خلقه اللّه للمعرفه و الطّاعه، و حيث اى يعلم مواضع الامور و يعرف مقام نفسه فيضعها فيه و لا يتعدّى قدره، و عرف النّاصح له ممّن غشّه فيقبل النّصح من الأوّل و إن كان عدوّا له، و يحترز من تدليس الثانى و إن كان صديقا له: فاذا عرف ذلك عرف مجراه أى سبيله الذى يجرى فيه إلى الحقّ أو يعلم انه متوجه إلى الآخره فيعمل بمقتضى هذا العلم و لا يتشبّث بالدّنيا و شهواتها، و موصوله و مفصوله، أى ما ينبغى الوصل معه من الأعمال و الاشخاص و ما ينبغى الفصل منه، و اخلص الوحدانيّه للّه سبحانه، و علم أنه الواحد الحقيقى لا جزء له عقلا و ذهنا و خارجا و لا شريك له أصلا، و أقرّ بأنّه لا يستحقّ الطاعه غيره، فاذا فعل ذلك أى الاخلاص و الاقرار، كان مستدركا فى غابر الزمان لما فات منه فى سالف الأيّام من التكاليف التى كان يلزم عليه القيام بها، و استدراكها انّما هو بالتوبه و القيام بوظايفها، و وارد على ما هو آت من الأعمال الحسنه أو المراتب العاليه، يعرف ما هو فيه أى النّشاه الفانيه و فنائها و معايبها، و لأىّ شىء هو ههنا يعنى يعرف أنه انما أنزله اللّه تعالى إلى دار الدّنيا للمعرفه و تحصيل السّعادات الاخرويه، فيبذل همّته و جهده فيها، و من أين يأتيه أى النّعم و الخيرات، و يعلم موليها فيشكره و يتوكّل عليه و يتوسّل به لا بغيره أو الأعمّ منها و من البلايا و الشرور و الآفات و المعاصى، فيعلم أنّ المعاصى من نفسه الاماره و من الشّيطان فيحترس منهما، و إلى ما هو صائر أى الموت و أحوال القبر و أهوال الآخره و نعيمها و عذابها، أو الأعمّ منها و من درجات الكمال و دركات النقص، و ذلك كلّه من تأييد العقل أى من ثمرات كون العقل مؤيدا بالنّور حسبما عرفت فافهم و اغتنم هذا.

و قد ظهر بما ذكرنا كلّه أنّ العالم من كمل عقله و عرف قدره و لازم مقامه و لا يرفع نفسه فوق قدرها و لا يتعدى وظيفته و لا يدعى الانيّه له فانّ الرياسه لا تصلح إلّا لأهلها (و انّ من أبغض الرّجال إلى اللّه) سبحانه المغضوب عنده المصروف عنه نظر العنايه الأزليّه و الألطاف الرّبانيّه (لعبد) استبدّ برأيه و استقلّ بظنّه

ص:۱۸۶

ف (وكله اللّه إلى نفسه) و جعل و كوله و اعتماده عليها حيث زعم لنفسه الاستقلال و تمرّد عن طاعه الرّب المتعال فهو (جائر عن قصد السّبيل) الموصل له إلى قرب الرّحمن المؤدّى له إلى روض الجنان (سائر بغير دليل) ينجيه من المهالك و من سار بغير دليل فهالك.

و المراد بالدليل من يدلّه على مناهج الدّين و يرشده إلى شرايع الشرع المبين، و هم امناء الرّحمن و أبواب الايمان و حمله أسرار الجليل و تراجمه الوحى و التنزيل، من تخلّف عنهم هلك و من تقدّمهم مرق و من لازمهم لحق.

(ان دعى) هذا الرّجل المبغوض(إلى حرث الدّنيا)استعاره للأفعال و الأعمال المتوقّع نفعها و ثمرتها فيها من التجاره و الزّراعه و الفلاحه و نحوها(عمل) و اشتغل به و استغرق اوقاته فيه(و ان دعى إلى حرث الآخره)استعاره للطّاعات و العبادات التى ترجى ثمرتها فيها (كسل) و توانى و اعرض و نأى بجانبه (كأنّ ما عمل له) أى لنفسه من اشغال الدّنيا (واجب عليه و كأنّ ما ونى فيه) من أعمال الآخره (ساقط عنه) مع أنّ ما كسل عنه أولى بالقيام و ما اشتغل به أخرى بالسقوط.

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن امام مبين و ولىّ مؤمنين است كه فرموده:

نظر نمائيد بسوى دنيا نظر همچه كسانى كه زاهد شوند در دنيا و اعراض نمايند از آن، پس بدرستى كه آن دنيا بحقّ خدا بعد از اندك زمانى زايل مى سازد مقيم آرام گرفته را، و فجعه مى آورد بى باك و ايمن را بآن، نمى گردد آنچه كه رو گردان شد از آن پس پشت كرد، و دانسته نمى شود آن چيزى كه آينده است از آن تا اين كه انتظار كشيده شود، شادى آن آميخته شده باندوه، و قوّه مردان در آن منتقل است بسوى ضعف و سستى.

پس البته مغرور ننمايد شما را زيادتى آن چيزى كه خوش آينده شما است در آن از جهه قلت و كمى چيزى كه مصاحب و همراه باشد شما را از آن كه عبارتست از

قطن و کفن، رحمت کند خداوند مردی را که تفکّر کند پس عبرت بگیرد و عبرت بگیرد پس صاحب بصیرت شود پس گویا آنچه واقع است در دنیا پس از اندکی نبوده است، و گویا آنچه که واقع خواهد شد از آخرت پس در اندک زمانی ثابت و موجود است، و هر شمرده شد بنهایت خواهد رسید، و هر انتظار کشیده شده خواهد آمد، و هر آینده نزدیکست و قریب.

بعض دیگر از فصلهای آن خطبه اینست که فرموده: عالم کسیست که بشناسد قدر خود را و کفایت می نماید بمرد از حیثیت جهالت و نادانی آنکه نشناسد قدر خود را، و بدرستی که از دشمن ترین مردان بسوی خدا هر آینه بنده ایست که واگذارد خدای تعالی او را با نفس خودش، عدول کننده باشد از میانه راه حق، سیر کننده باشد بدون راه نما، اگر خوانده شود بسوی کشت و زراعت دنیا عمل میکند و مشغول شود، و اگر خوانده شود بسوی کشت و زراعت آخرت کسالت می گیرد و کاهل میباشد، گویا آنچه که عمل کرد از برای خود از امور دنیا واجب است بر او، و گویا آنچه که کاهلی نمود در آن از امور آخرت ساقط است از او

الفصل الثانی

اشاره

منها و ذلک زمان لا ینجو فیه إلاّ کلّ مؤمن نؤمه، إن شهد لم یعرف، و إن غاب لم یفتقد، أولئک مصابیح الهدی، و أعلام السّری، لیسوا بالمساییح و لا المذاییع البذر، أولئک یفتح اللّه لهم أبواب رحمته، و یکشف عنهم ضرّآء نقمته، أیّها النّاس سیأتی علیکم زمان یکفا فیه الإسلام کما یکفا الإناء بمائه «بما فیه خ»، أیّها النّاس

إنّ اللّه تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم و لم يعذكم من أن يبتليكم، و قد قال جلّ من قائل «إنّ فى ذلك لايات و إن كنّا لمبتلين».

قال السيد (ره) قوله: كلّ مؤمن نؤمه، فانّما أراد الخامل الذكر القليل الشّر، و المسابيح جمع مسياح و هو الذى يسيح بين النّاس بالفساد و النمائم، و المذاييع جمع مذياع و هو الذى إذا سمع لغيره فاحشه أذاعها و نوّه بها، و البذر جمع بذور و هو الذى يكثر سفهه و يلغو منطقه.

اللغه

(نؤمه) وزان همزه فى بعض النسخ بالواو و فى بعضها بالهمزه قال ابن الأثير فى المحكى عن النهايه فى حديث علىّ عليه السّلام انه ذكر آخر الزمان و الفتن ثمّ قال:

خير أهل ذلك الزمان كلّ مؤمن نؤمه بوزن الهمزه الخامل الذّكر لا يؤبه به و فى القاموس نؤمه كهمزه امير مغفل أو خامل.

أقول: و لعلّه مأخوذ عن النّوم لأنّ الانسان إذا نام يخمل و يخمل عنه، و يؤيده ما فى القاموس قال النوم النعاس أو الرّقاد كالنيام بالكسر و الاسم النئمه بالكسر و هو نائم و نؤم و نؤمه كهمزه و صرد و (السّرى) كالهدى سير عامه الليل و قوله تعالى: أسرى بعبده ليلا، تأكيد و (المذياع) من لا يكتم السّربل يذيعه و يفشيه و يظهره أو ينادى به فى النّاس و (البذر) جمع بذور كزبر و زبور و صبر و صبور قال الشارح المعتزلى: و هو الذى يذيع الأسرار و ليس كما قال الرضى (ره) فقد يكون الانسان بذورا و إن لم يكثر سفهه و لم يلغ منطقه، بأن يكون علنه مذياعا من غير سفه و لا لغو.

أقول: و يؤيّده ما فى القاموس قال البذور و البذير النّمام و من لا يستطيع كتم سرّه، و رجل بذر ككتف و بيذار و بيذاره و تبذار كتبيان و بيذراتى كثير الكلام و (يكفا) بالبناء على المفعول من كفاه كمنعه و صرفه و كلبه قلّبه و «نوّه» بها

أى رفعها.

الاعراب

جمله ليسوا بالمساييح منصوبه المحلّ على الحال و تحتمل البدل من الخبر و قوله عليه السّلام: و قد قال جلّ من قائل، جمله و قد قال حال مؤكّده من فاعل يعذكم و جمله جلّ حال من فاعل قال، و من قائل تميز لرفع ابهام النّسبه فى جلّ إلى فاعله

المعنى

اشاره

اعلم أنه أشار فى هذا الفصل الى ما يكون بعده من غلبه الفساد و الشرور على أهل الزّمان و عدم النجاه فيه إلّا لأهل الايمان كمال قال عليه السّلام (و ذلك زمان لا ينجو فيه إلّا كلّ مؤمن نؤمه) أراد به خامل الذكر منهم المشتغل بربّه عنهم كما فسّره بقوله (إن شهد لم يعرف و إن غاب لم يفتقد) يعنى أنه إن حضر مجالس أهل ذلك الزمان لا يعرفوه و إن غاب عنهم لا يفتقدوه، أى لا يسألون عنه و لا يقولون:

أين هو و كيف صار و ما يصنع، و ذلك لكونه بمعزل عنهم و عدم انتفاعهم بوجوده، و سنشير إلى فوايد العزله و ثمراتها بعد الفراغ من شرح الفصل.

(اولئك مصابيح الهدى و أعلام السّرى) يهتدى لهم السّالكون فى سبيل اللّه و يصلون بنور وجودهم إلى حظائر القدس (ليسوا بالمساييح) أى الذين يسيحون و يجرون بين الناس بالفساد و النميمه (و لا المذاييع البذر) أى الذين يذيعون الأسرار و يفشون الفواحش (اولئك يفتح اللّه لهم أبواب رحمته) و رأفته (و يكشف عنهم ضرّاء نقمته) و شدّه عقوبته و فى بعض النسخ يفتح اللّه بهم و يكشف بهم آه، أى ببركات وجودهم ينزل الخيرات و يكشف النقمات.

ثمّ أخبر عليه السّلام عما يكون بعده من الفتن و الفساد فقال عليه السّلام:(أيّها الناس سيأتى عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بمائه «بما فيه») قال الشّارح البحرانى شبّه عليه السّلام قلبهم للاسلام بقلب الاناء بما فيه، و وجه الشبه خروج الاسلام عن كونه منتفعا به بعد تركهم للعمل به كما يخرج ما فى الاناء الذى كبّ عن الانتفاع، يعنى أنه يأتى زمان ينقلب فيه الامور الدّينيّه إلى أضدادها و لا يبقى من الاسلام إلّا

ص:۱۹۰

اسمه و لا من الكتاب إلّا درسه، و أشار عليه السّلام إلى أنّ ذلك منه سبحانه ليس من باب الظلم و الجور، بل من باب الاختيار و الامتحان، ليجزى الذين أحسنوا الحسنى جزاء أعمالهم، و يذيق الذين عملوا السّوء نكال وبالهم و هو قوله:

أيّها النّاس إنّ اللّه قد أعاذكم أى عصمكم (من أن يجور عليكم) و قد قال: و ما ربّك بظلام للعبيد (و لم يعذكم) أى لم يعصمكم (من أن يبتليكم) و يختبركم، يعنى أنه إذا غلب على أهل الزمان الفساد لا يلجأهم الى الصّلاح و السّداد و لكن يتركهم و اختيارهم امتحانا لهم و اختبارا (و قد قال جلّ من قائل) فى سوره المؤمنين بعد حكايه حال سفينه نوح عليه السّلام (إنّ فى ذلك لآيات و إن كنّا(۱) لمبتلين) قال الطّبرسىّ: أى فى أمر نوح و السّفينه و هلاك أعداء اللّه دلالات للعقلاء يستدلّون بها على التوحيد و إن كنّا مختبرين إياهم بارسال نوح و وعظه و تذكيره و متعبّدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا و معرفتنا أقول: غرضه عليه السّلام من الاستدلال بالآيه الشريفه الاشاره إلى أنّ عاده اللّه سبحانه جاريه فى الامم الماضيه و القرون الخاليه، و كذلك فى غابر الزّمان و مستقبل الأيام على اختبار عباده و ابتلائهم لاظهار جوده العبد و ردائته ليثب تمام العيار فى قالب الامتحان و يعاقب النّاقص الجوهر بالخزى و الخذلان، و قد مرّ فى شرح الخطبه الثانيه و السّتين تحقيق معنى البلاء و الابتلاء و لا حاجه إلى الاعاده، هذا.

و ينبغى التنبيه على امور:

الاول

فى فوائد العزله و خمول الذكر

و هى على ما ذكره أبو حامد الغزالى: تنقسم إلى فوايد دينيّه و دنيويّه، و الدّينيه تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات فى الخلوه و المواظبه على العباده و الفكر و تربيه العلم، و إلى تخلص من ارتكاب المناهى يتعرّض لها الانسان بالمخالطه كالرياء و الغيبه و السّكوت عن الأمر بالمعروف

۱- (۱) قوله سبحانه: و ان كنا أى انا كنا فهى مخففه من المثقّله و يجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن أى انه كنا.

و النهی عن المنکر، و مسارقه الطبع من الاخلاق الردیّه و الأعمال الخبیثه من جلساء السّوء.

و أمّا الدّنیویه فتنقسم إلی ما یمکن من التحصیل بالخلوه کتمکن المحترف فی خلوته إلی ما یخلص من محذورات یتعرّض لها بالمخالطه کالنّظر إلی زهره الدنیا و إقبال الخلق علیها و طمعه فی النّاس و طمع النّاس فیه و انکشاف ستر مروته بالمخالطه و التأذّی بسوء خلق الجلیس فی مرائه أو سوء ظنه أو نمیمته أو محاسدته أو التأذّی بثقله و تشویه خلقته، و إلی هذا ترجع مجامع فوائد العزله، فلنحصر ستّ فوائد:

الفائده الاولی

التفرّغ للعباده و الفکر و الاستیناس بمناجاه اللّه عن مناجاه الخلق و الاشتغال باستکشاف أسرار اللّه فی أمر الدنیا و الآخره و ملکوت السّماوات و الأرض، فانّ ذلک یستدعی فراغا و لا فراغ مع المخالطه، فالعزله وسیله إلیه، و لذلک کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی بدو أمره یتبتّل فی جبل حرّا و یختار العزله لنفسه حتی بعث و امر بالتبلیغ، فخالط النّاس و کان ببدنه معهم و بقلبه مقبلا علی اللّه، و لا یحجب مخالطتهم عن توجّهه بالباطن، و لن یسع الجمع بین المخالطه ظاهرا و الاقبال باطنا إلّا قوّه النبوّه و الولایه، فلا ینبغی أن یغترّ کلّ ضعیف بنفسه فیطمع فی ذلک، فانّ المخالطه مانعه لهم عن الفکر و الذکر، و العزله أولی بهم.

و لذلک قیل لبعض الحکماء: ما الذی أرادوا بالخلوه و اختیار العزله؟ فقال:

یستدعون بذلک دوام الفکره و تثبت العلوم فی قلوبهم لیحیوا حیاه طیّبه و یذوقوا حلاوه المعرفه.

و قیل لبعض الرّهبان: ما أصبرک علی الوحده؟ فقال: ما أنا وحدی أنا جلیس اللّه تعالی إذا شئت أن یناجینی قرأت کتابه، و إذا شئت أن اناجیه صلّیت.

و قیل: بینما اویس القرنی جالس إذا أتاه رجل فقال له اویس: ما جاء بک؟

قال: جئت لآنس بک، فقال اویس: ما کنت أری أنّ أحدا یعرف ربّه فیأنس بغیره و قال الفضیل إذا رأیت اللّیل مقبلا فرحت به و قلت أخلو بربّی، و إذا رأیت الصّبح أدرکنی استرجعت کراهه لقاء الناس و أن یجیئنی من یشغلنی عن ربّی.

و قال بعض الصّالحین: بینما أنا أسیر فی بعض بلاد الشّام إذ أنا بعابد خارج من بعض تلک الجبال، فلمّا نظر إلیّ تنحی إلی أصل شجره و تستّر بها، فقلت:

سبحان اللّه تبخل علیّ بالنّظر إلیک؟ فقال: یا هذا إنّی أقمت فی هذا الجبل دهرا طویلا اعالج قلبی فی الصّبر عن الدّنیا و أهلها فطال فی ذلک تعبی و فنی فیه عمری، فسألت اللّه تعالی أن لا یجعل حظّی من أیّامی فی مجاهده قلبی، فسکنه اللّه تعالی عن الاضطراب و ألفه الوحده و الانفراد، أنا نظرت إلیک فخفت أن أقع فی الأمر الأوّل، فالیک عنّی فانّی أعوذ من شرّک بربّ العارفین و حبیب القانتین، ثمّ صاح و اغمّاه من طول المکث فی الدّنیا، ثمّ حوّل وجهه عنّی، ثمّ نفض یدیه و قال: إلیک عنّی یا دنیا لغیری فتزیّنی و أهلک فغرّی، ثمّ قال سبحان من أذاق قلوب العارفین من لذّه الخدمه و حلاوه الانقطاع إلیه ما ألهی قلوبهم عن ذکر الجنان و عن الحور الحسان، و جمع همّتهم فی ذکره فلا شیء ألذّ عندهم من مناجاته، ثمّ مضی و هو یقول: قدّوس قدّوس.

فاذا فی الخلوه انس بذکر اللّه و استکثار من معرفه اللّه، و فی مثل ذلک قیل:

و إنّی لأستغشی و ما بی غشوه لعلّ خیالا منک یلقی خیالیا

و أخرج من بین الجلوس لعلّنی أحدّث عنک النفس بالسّر خالیا

قال بعض الحکما: إنّما یستوحش الانسان من نفسه لخلوّ ذاته عن الفضیله فیکثر حینئذ ملاقاه النّاس و یطرد الوحشه عن نفسه بالکون معهم، فاذا کانت ذاته فاضله طلب الوحده لیستعین بها علی الفکره و یستخرج العلم و الحکمه، و قد قیل: الاستیناس بالنّاس من علامات الافلاس.

فقد وضح بذلک کلّه أنّ التجرّد و العزله فی حقّ الخواصّ أفضل من المخالطه بالناس، لأنّ غایه العبادات و ثمره المعاملات أن یموت الانسان عارفا باللّه محبا له

و لاـ محبّه إلّا بالانس الحاصل بـدوام الـذكر، و لا معرفه إلّا بـدوام الفكر و فراغ القلب شـرط فى كلّ واحـد منهما، و لا فراغ مع المخالطه.

الفائده الثانيه

التخلّص بـالعزله عن المعاصـى التى يتعرّض الانسـان غالبـا لهـا بالمخالطه و يسـلم منها فى الخلوه، و هى أربعه: الغيبه، و الرّياء، و السّـكوت عن الأمـر بـالمعروف و النهى عن المنكر، و مسـارقه الطبع من الأخلاـق الرّديئه و الأعمال الخبيثه التى يوجبها الحرص على الدّنيا.

أما الغيبه فانّ التحرّز منها مع المخالطه عظيم لا ينجو منها إلّا الصدّيقون لأنّ عاده الناس كافه التمضمض بأعراض النّاس و التّفكه و التنقّل بحلاوتها، و هى طعمتهم و لذّتهم، و إليها يستروحون من وحشـتهم فى الخلوه، فان خالطتهم و وافقتهم أثمت و تعرّضت لسـخط اللّه، و إن سـكتّ كنت شـريكا، و المسـتمع أحـد المغتـابين، و إن أنكرت أبغضوك و تركوا ذلك المغتاب و اغتابوك، فازدادوا غيبه إلى غيبه، و ربّما تعدّوا عن الغيبه إلى الاستخفاف و الاستهزاء و الشتم.

و أما الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فمن خالط النّاس فلا بدّ له من مشاهده المنكرات، فان سـكت عصى اللّه به، و إن أنكر تعرّض لأنواع من الضـرر و الأذى، و فى العزله خلاص من ذلك، فانّ الأمر فى اهماله شديـد، و القيام به شاق، فانّه كجـدار مائل يريـد الانسـان أن يقيمه فيوشك أن يسـقط عليه، فاذا سـقط عليه يقول: يا ليتنى تركته مائلا، نعم لو وجـد أعوانا أمسـكوا الحائط حتّى يحكمه بدعامه لاستقام، و أنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم و انج بنفسك قال الشّاعر:

و كم سقت فى آثاركم من نصيحه و قد يستفيد البغضه المتنصّح

و أما الرياء فهو الـداء العضال الذى يعسـر الاحتراز منه على الأوتاد و الأبدال و هو إمّا فى العبادات أو فى العادات و قد مرّ تحقيق الكلام فى الأوّل فى شرح الخطبه الثّالثه و العشرين و عرف هنالك أنّ الاعتزال من النّاس علاجه

ص:۱۹۴

و دوائه النّافع له.

و أمّا الثانى أعنى الرّياء فى العادات فكلّ من خالط النّاس داراهم و من داراهم رءاهم و من رءاهم وقع فيما وقعوا فيه و هلك، و أقل ما يلزم فيه النّفاق فانك إن ترى متعاديين و لم تلق كلّ واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا، و إن جاملتهما كنت عن شرار النّاس.

قال عليه السّلام انّ من شرار النّاس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه و فى الكافى باسناده عن ابن أبى يعفور عن أبى عبد اللّه عليه السّلام من لقى المسلمين بوجهين و لسانين جاء يوم القيامه و له لسان من نار.

و عن عبد الرّحمن بن حماد رفعه قال: قال اللّه تبارك و تعالى لعيسى عليه السّلام يا عيسى لتكن لسانك فى السّر و العلانيه لسانا واحدا و كذلك قلبك، إنّى احذّرك نفسك و كفى بى خبير الا يصلح لسانان فى فم واحد و لا سيفان فى غمد واحد و لا قلبان فى صدر واحد و كذلك الأذهان.

و أقلّ ما يجب فى مخالطه الناس اظهار الشوق و المبالغه فيه و لا يخلو ذلك عن كذب إمّا فى الأصل و إمّا فى الزياده و اظهار الشفقه بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت و كيف أهلك و أنت فى الباطن فارغ عن همومه و هو نفاق محض و آيه ذلك أنّك تقول كيف أنت و يقول الآخر كيف أنت، فالسّائل لا ينتظر بالجواب و المسئول يشتغل بالسؤال و لا يجيب، و ذلك لمعرفتهم بأنّ ذلك عن رياء و تكلّف، و لعلّ القلوب لا تخلو من ضغائن الأحقاد و الألسن تنطق بالسؤال.

قال بعضهم: انّى لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون و لو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ماله لبذله، و أرى الآن أقواما يتلاقون و يتساءلون حتّى عن الدّجاجه فى البيت، و لو انبسط أحدهم لحبّه من مال صاحبه لمنعه، هل هذا إلّا مجرّد الرّياء و النّفاق، و كلّ ذلك مذموم بعضه محرّم و بعضه مكروه، و فى العزله خلاص منه، فانّ من لقى الخلق و لم يتخلّق بأخلاقهم مقتوه و استثقلوه و اغتابوه و تشمّر و الإبذائه فيذهب دينهم فيه و يذهب دينه و دنياه فى الانتقام منهم.

ص:۱۹۵

و أما مسارقه الطبع مما يشاهده من اخلاق النّاس و أعمالهم فهو داء دفين قلّما يتنبّه له العقلا فضلا عن الغافلين، فلا يجالس الانسان فاسقا مدّه مع كونه منكرا عليه فى باطنه إلاّ و لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقه فى النفره عن الفساد، فاستثقاله اذ يصير الفساد بكثره المشاهده هينا على الطبع فيسقط وقعه و استعظامه له، و إنّما الوازع عنه شدّه وقعه فى القلب، فاذا صار مستصغرا بطول المشاهده أو شك أن تنحلّ القوّه الوازعه و يذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه و مهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استصغر الصّغاير و استحقرها من نفسه.

و لذلك يزدرى إلى الأغنياء نعمه اللّه عليه، فتؤثر مجالستهم فى أن يستصغر ما عنده و تؤثر مجالسه الفقراء فى استعظام ما ابيح له من النعم و كذلك النظر إلى المطيعين و العاصين و هذا تأثيره فى الطبع.

فمن يقصر نظره على ملاحظه أحوال أولياء الدّين و السّلف الصّالحين فى العباده و المجاهده و الزّهد عن الدّنيا لا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار، و إلى عبادته بعين الاستحقار فيجتهد فى العباده و يرغب فى الطاعه و يزهد فى الدّنيا استكمالا و استتماما للاقتداء بهم و الحذو بمثلهم و من نظر إلى غالب أهل الزمان و رأى اعراضهم عن اللّه و إقبالهم على الدّنيا و اعتيادهم المعاصى استعظم أمر نفسه بأدنى رغبه فى الخير يصادفها فى قلبه، و ذلك هو الهلاك و يكفى فى تغيير الطبع مجرّد سماع الخير و الشّر فضلا عن مشاهدته.

فبهذه النكته يعرف سرّ قوله: عند ذكر الصّالحين ينزل الرّحمه، و إنّما الرّحمه دخول الجنه و لقاء الحقّ، و لا ينزل عند ذكر الصّالحين عين ذلك و لكن سببه الذى هو انبعاث الرغبه من القلب و حركه الحرص على الاقتداء بهم و الاستنكاف عمّا هو ملابس له من القصور و التقصير، و مبدء الرحمه فعل الخير و مبدء فعل الخير الرغبه و مبدء الرغبه ذكر أحوال الصّالحين فهذا معنى نزول الرحمه.

و يفهم من فحوى ذلك أنّ عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنه، لأنّ كثره ذكرهم تهوّن على الطبع أمر المعاصى و اللعنه هى البعد من الحقّ و مبدء البعد هو المعاصى

و الاعراض عن اللّه بالاقبال على الحظوظ العاجله و الشّهوات الحاضره المخطوره، و مبدء المعاصى سقوط ثقلها و تفاحشها عن القلب، و مبدء سقوط الثقل وقوع الانس بها بكثره السّماع، و إذا كان هذا حال ذكر الصّالحين و الفاسقين. فما ظنّك بمشاهدتهم و مخالطتهم.

و قد مرّ فى شرح الخطبه الخامسه و الثّمانين و شرح الكلام الثالث عشر أخبار كثيره فى النهى عن مجالسه أهل المعاصى و البدع و مخالطتهم، و ظهر هناك أنّ مجالستهم منساه للايمان محضره للشّيطان، فعليك بمراجعه المقامين.

و بالجمله فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ الطبيعه سراقه تستفيد الخير، و الشّر من مشاهده الغير، فعليك بالفرار من الناس، إذ لا ترى منهم إلّا ما يوجب زياده حرصك على الدّنيا و غفلتك عن الآخره، و يهوّن عليك المعصيه و يسقط وقعها عن قلبك.

و ممّا يوضح سقوط وقع المعاصى من القلوب بكثره المشاهده أنّ أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر فى شهر رمضان من غير عذر استبعدوا ذلك استبعادا يكاد يفضى إلى اعتقادهم كفره، و ربّما يشاهدون من يخرج الصّلاه عن أوقاتها و يترك بعضها احيانا و لا تنفر عنه طباعهم كما تنفرون عن المفطر فى شهر رمضان، مع أنّ الصّلاه أفضل من الصيام قطعا و لا سبب لذلك إلّا أنّ الصّلاه تتكرّروا لتساهل فيها يكثر فيسقط وقعها بالمشاهده عن القلب. بخلاف الصّوم.

فعليك بالعزله و الوحده إلّا من الجليس الصّالح الذى يوجب مجالسته الرغبه فى الطاعات و الميل إلى العبادات، و ينفّرك مصاحبته عن الدنيا و زخارفها و شهواتها و يشوّقك مخالطته إلى الرّغبه فى الآخره و نعيمها و درجاتها.

الفائده الثالثه

الخلاص من الفتن و الخصومات و صيانه الدّين و النفس عن الخوض فيها و التّعرّض لأخطارها و قلّما تخلو البلاد عن تعصّبات و خصومات فالمعتزل فى

سلامه منها.

روى أبو سعيد الخدرى أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال و مواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن من شاهق إلى شاهق.

و فى روايه أخرى عنه عليه السّلام خير النّاس رجل ممسك بعنان فرسه كلّما سمع هيعه(۱) طار إليها أو رجل فى شعفه فى غنيمه و يعبد اللّه حتى يأتيه الموت.

و روى عبد اللّه بن مسعود أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: سيأتى على النّاس زمان لا يسلم لذى دين دينه الاّ من فرّ بدينه من قريه إلى قريه و من شاهق إلى شاهق و من جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ، قيل له: و متى ذلك يا رسول اللّه؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إذا لم تنل المعيشه إلاّ بمعاصى اللّه، فاذا كان ذلك الزّمان حلّت العزوبه قالوا: و كيف يا رسول اللّه و قد أمرتنا بالتزويج؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إذا كان ذلك الزّمان كان هلاك الرّجل على يد أبويه، فان لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته و ولده، فان لم يكن فعلى يدى قرابته، قالوا و كيف ذلك يا رسول اللّه؟ قال: يعيّرونه بضيق اليد فيتكلّف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكه.

و هذا الحديث و إن كان فى العزوبه إلاّ أنّه يدلّ على حسن العزله إذ لا يستغنى المتأهّل عن المعيشه و المخالطه، ثمّ لا ينال المعيشه إلاّ بمعصيه اللّه حسبما استفيد من الرّوايه.

قيل: لما بنى عروه قصره بالعقيق و لزمه قيل له: لزمت القصر و تركت مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ فقال: رأيت مساجدكم لاهيه، و أسواقكم لاغيه، و الفاحشه فى فجاجكم

ص:۱۹۸

۱- (۱) قال جار اللّه الهيعه الصيحه التى يفزع منها أصلها من هاع يهيع اذا جبن و الشعفه رأس الجبل و المعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه و استعد الجهاد فى سبيل اللّه و رجل اعتزل الناس و سكن فى بعض رءوس الجبال فى غنم له قليل يرعاها و يكتفى بها فى أمر معاشه و يعبد اللّه حتى يأتيه الموت، منه

عاليه، و فيما هناک عمّا أنتم فيه عافيه، فاذا الحذر من الخصومات و مثارات الفتن احدی فواید العزله.

الفائده الرابعه الخلاص من شر الناس

فـانّهم يؤذونک مرّه بالغيبه، و مرّه بسوء الظن و التّهمه، و مرّه بالاقتراحات و الاطماع الكاذبه التی يعسر الوفاء بها، و تاره بالنميمه و الكـذب، فربمـا يرون منک من الأعمـال أو الأقوال مالا تبلغ عقولهم كنهه فيتخـذون ذلک ذخيره يـدّخرونها لوقت تظهر فيه فرصه للشر، فاذا اعتزلتهم استغنيت من التّحفظ عن جميع ذلک.

و لذلک قال بعض الحكماء لغيره: اعلّمک بيتين خير من عشره آلاف دراهم، قال: ما هما؟ قال:

اخفض الصّوت إن نطقت بليل و التفت بالنّهار قبل المقال

ليس للقول رجعه حين يبدو بقبيح يكون أو بجمال

و لا شکّ أنّ من اختلط بالنّاس و شاركهم فی الأعمال لا ينفکّ من حاسـد و عدوّ يسـیء الظّن به و يتوهّم انه يسـتعدّ لمعاداته و نصب المكيده عليه و تدسـيس غائله ورائه، و النّاس مهما اشتدّ حرصهم علی أمر يحسبون كلّ صيحه عليهم هم العدوّ و قد اشتدّ حرصهم علی الدّنيا فلا يظنّون بغيرهم إلّا الحرص عليها قال المتنبی:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه و صدّق ما يعتاده من توهّم

و عادی محبّيه بقول عدائه فأصبح فی ليل من الشّک مظلم

و قـد قيـل: معاشـره الأشـرار تورث سوء الظّن بالابـرار، و أنواع الشـر الّـذی يلقـاه الانسان من معارفه و ممّن يختلط به كثيره، و لا حاجه إلی تفصيلها و فی العزله خلاص من جميعها.

و عن الحسن عليه السّلام أنه أراد الحجّ فسمع بذلک ثابت البنانی فقال له: بلغنی أنک تريد الحجّ فأحببت أن أصحبک، فقال له الحسن عليه السّلام: و يحک دعنا نتعاشر بستر اللّه علينا إنّی أخاف أن نصطحب فيری بعضنا من بعض ما نتماقت عليه.

و هذه إشاره إلی فايده اخری فی العزله، و هو بقاء السرّ علی الدّين و المروّه

ص:۱۹۹

و الأخلاق و الفقر و سائر العورات، و قد مدح اللّه سبحانه المتستّرين فقال:

«يحسبهم الجاهل أغنياء من التّعفّف» قال الشاعر:

و لا عار أن زالت عن الحرّ نعمه و لكنّ عارا أن يزول التّجمّل

و لا يخلو الانسان فى دينه و دنياه و أخلاقه و أفعاله عن عورات الأولى فى الدّين و الدّنيا سترها و لا تبقى السّلامه مع انكشافها.

قال أبو الدّرداء: كان النّاس و رقالاشوك فيه فالنّاس اليوم شوك لا ورق فيه فاذا كان هذا حكم زمانه و هو فى أواخر القرن الأوّل فما حال أمثال زماننا.

و قال أبو الدّرداء أيضا: اتّقوا اللّه و احذروا النّاس فانهم ما ركبوا ظهر بعير إلّا أدبروه و لا ظهر جواد إلّا عقروه و لا قلب مؤمن إلّا خربوه.

و قال بعضهم: أقلّ المعارف فانه أسلم لدينك و قلبك و أخفّ لسقوط الحقوق عنك، لأنه كلّما كثرت المعارف كثرت الحقوق و عسر القيام بالجميع.

و قال آخر: أنكر من تعرف، و لا تتعرّف إلى من لا تعرف.

الفائده الخامسه

أن ينقطع طمع النّاس عنك و طمعك عن النّاس، فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه منافع كثيره فانّ رضاء النّاس لا تضبط و أغراضهم لا تدرك و الاشتغال باصلاح النفس أولى من الاشتغال باتيان مقصود الغير و تحصيل رضائه.

و من أهون الحقوق و أيسرها حضور الجنازه و عياده المريض و حضور الولائم و زياره الأحباء، و فيها تضييع الأوقات و تعرّض للآفات، و ربما تعوق عن بعضها العوائق و الموانع و تستقبل فيها المعاذير و لا يمكن اظهار كلّ الأعذار فيقولون قمت فى حق فلان و قصرت فى حقّنا، و يصير ذلك سببا للعداوه.

فقد قيل: من لم يعد مريضا فى وقت العياده فقد اشتهى موته مخافه الخجاله إذا عاد المريض إلى السّلامه، و من عمّم النّاس كلّهم بالحرمان رضوا عنه كلّهم و لو خصص البعض استوحشوا، و لو قام بحقوق الجميع لم يف له طول اللّيل و النهار

و لو تجرّد به فكيف من له مهمّ يشغله فى دينه أو دنياه، و من هنا قيل كثره الأصدقاء كثره العرناء و قال الشّاعر:

عدوّک من صديقک مستفاد فلا تستكثرنّ من الصّحاب

فانّ الدّاء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

و أما انقطاع طمعک عنهم فهو أيضا فائده اخرى جزيله، فانّ من نظر إلى زهره الدّنيا و زينتها تحرّک و انبعث بقوّه الحرص و طمعه، و لا يرى إلاّ الخيبه فى أكثر الأحوال فيتأذىّ بذلک، و مهما اعتزل لم يشاهد، و متى لم يشاهد لم يشته و لم يطمع، و لذلک قال اللّه سبحانه:

«وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا ».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: انظروا إلى من هو دونكم و لا تنظروا إلى من هو فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمه اللّه عليكم.

و قال بعضهم: كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت ارى ثوبا أحسن من ثوبى و فرسا أفره من دابتى، فجالست الفقراء فاسترحت.

و بالجمله فمن شاهد زينه الدّنيا فإمّا أن يقوى دينه و يقينه فيصبر فيكون محتاجا إلى أن يتجرع مراره الصّبر، و هو أمرّ من الصّبر أو تنبعث رغبته فيحتال فى طلب الدّنيا فيهلک هلاكا مؤبّدا، أمّا فى الدّنيا فبالطمع الذى يخيب فى أكثر الأوقات فليس كلّ من يطلب الدّنيا يتيسّر له.

ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه تجرى الرّياح بما لا تشتهى السفن

و امّا فى الآخره فبايثاره زينه الحياه الدّنيا على متاع الآخره، و لذلک قال ابن الاعرابى:

إذا كان باب الذّلّ من جانب الغنى سموت إلى العليا من جانب الفقر

الفائده السادسه

الخلاص من مشاهده الثقلاء و السّفهاء و مقاساه حمقهم و أخلاقهم، فانّ رؤيه

الثقيل هى العمى الأصغر.

قال جالينوس: لكلّ شىء حمّى و حمّى الرّوح النظر إلى الثقلاء، و قال الشّافعى: ما جالست ثقيلا إلاّ وجدت الجانب الذى يليه من بدنى أثقل علىّ من الجانب الآخر.

و يحكى انّه دخل أبو حنيفه على الأعمش فقال له: إنّ من سلب اللّه كريمتيه عوّضه اللّه عنهما ما هو خير منهما فما الذى عوّضك؟ فقال له فى معرض المطايبه عوّضنى عنهما أنّه كفانى رؤيه الثقلاء و أنت منهم.

و هذه فوائد العزله و ثمراتها بعضها متعلّق بالدّنيا و بعضها متعلّق بالآخره، و اللّه سبحانه ولىّ التوفيق و إليه مصير العاقبه.

الثانى

فى النّميمه

، و هو اسم من نمّ الحديث ينمّه من بابى ضرب و قتل سعى به ليوقع فتنه أو وحشه فهو نمّ و نمّام قال تعالى:

«وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ » قال فى التّفسير: أى لا تطع كثير الحلف بالباطل لقلّه مبالاته بالكذب، و صاحب المهانه أى قلّه الرّاى و التّميز أو صاحب الذّله و الحقاره عند اللّه سبحانه، و القارع فى النّاس المغتاب، و القتّاه السّاعى بين الناس بالنميمه طلبا للفساد و ضرب بعضهم ببعض، و البخيل بالمال كثير المنع منه و المتجاوز عن الحقّ الغشوم الظّلوم و الاثيم الفاجر، و قيل معتد فى ظلم غيره أثيم فى ظلم نفسه، عتلّ بعد ذلك زنيم أى هو مع كونه منّاعا للخير معتديا أثيما فاحش سىّ ء الخلق، و زنيم اى دعىّ ملصق إلى قوم ليس منهم و قال سبحانه:

«وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَهَ الْحَطَبِ »

ص:٢٠٢

قیل: إنّها کانت تنمّ علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی روایه الکافی: ألا انبئکم بشرارکم؟ قالوا بلی یا رسول اللّه، قال: المشّاؤون بالنّمیمه المفرّقون بین الأحبّه الباغون للبراء المعائب.

و عن أبی ذرّ عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: من أشاع علی مسلم کلمه لیشینه بها بغیر حقّ شانه اللّه بها فی النار یوم القیامه.

و عن أبی الدّرداء عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال أیّما رجل أشاع علی رجل کلمه و هو منها بریء لیشینه بها فی الدّنیا کان حقّا علی اللّه أن یذیبه بها یوم القیامه فی النار.

و یقال اتّبع رجل حکیما سبع مأئه فرسخ فی سبع کلمات، فلما قدّم علیه قال: إنّی جئتک للّذی أتاک اللّه من العلم أخبرنی عن السّماء و ما أثقل منها، و عن الأرض و ما أوسع منها، و عن الصّخر و ما أقسی منه، و عن النّار و ما أحرّ منها، و عن الزمهریر و ما أبرد منه، و عن البحر و ما أغنی منه و عن الیتیم و ما أذلّ منه؟ فقال له الحکیم: البهتان علی البریء أثقل من السّماوات، و الحقّ أوسع من الأرض، و القلب القانع أغنی من البحر، و الحرص و الحسد أحرّ من النّار، و الحاجه إلی القریب إذا لم ینجح(1) أبرد من الزمهریر، و قلب الکافر أقسی من الحجر، و النّمام إذا بان أمره أذلّ من الیتیم هذا.

و ینبغی أن یعلم أنّ مراد النّمام بنمیمته إمّا إراده السّوء للمحکیّ عنه، أو إظهار الحب للمحکیّ له أو التفرّج بالحدیث و الخوض فی الفضول و الباطل، و علی کلّ تقدیر فاللاّزم للمحکیّ له عند ما سمع النّمیمه امور ستّه:

الأوّل أن لا یصدّقه لأنّ النّمام فاسق و هو مردود الرّوایه قال تعالی:

«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلی ما فَعَلْتُمْ نادِمِینَ ».

و قد روی إنّ عمر بن عبد العزیز دخل علیه رجل فذکر له عن رجل شیئا فقال له

۱- (۱) انجح حاجته قضاها منه

عمر: إن شئت نظرنا فى أمرک فان کنت کاذبا فأنت من أهل هذه الآیه: إن جائکم فاسق، و إن کنت صادقا فأنت من أهل هذه الآیه: همّاز مشّاء بنمیم، و إن شئت عفونا عنک، قال: العفو لا أعود إلیه أبدا.

الثّانی أن ینهاه عن ذلک و ینصح له و یقبح علیه فعله قال اللّه تعالی:

«وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْکَرِ ».

روی فی بعض مؤلفات أصحابنا من ارشاد القلوب أنّ رجلا دخل علی علیّ بن الحسین علیهما السّلام و قال له: إنّ فلانا لایزال یذکرک فی قصصه بشرّ، فقال علیه السّلام له:

یا هذا و اللّه ما راعیت حقّ مجالسه الرّجل حیث نقلت الینا حدیثه و خنته فیما ائتمنک به. و لا أدّیت حقّی أیضا حین أعلمتنی ما أکره، أما علمت أنّ النّمام من سکان النّار؟ و لکن قل له: إن الموت یعمّنا، و القبر یضمّنا، و القیامه تجمعنا، و اللّه یحکم بیننا و هو خیر الحاکمین، نقلناه بالمعنی.

الثّالث أن یبغضه فی اللّه فانّه بغیض عند اللّه، و یجب بغض من یبغضه اللّه تعالی و أیضا فانّه قد واجهک بما لم یواجهک به من حکی عنه، حیث استحیاک و ذکرک بسوء فی غیبتک و النمام ذکرک بسوء فی مواجهتک و لم یستح منک، و قد قیل:

سبّک من بلّغک، روی إنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام سعی إلیه برجل، فقال: یا هذا نحن نسأل عمّا قلت فان کنت صادقا مقتناک، و إن کنت کاذبا عاقبناک، و إن شئت أن نقیلک أقلناک، فقال: أقلنی یا أمیر المؤمنین.

الرّابع ألّا تظن بأخیک الغائب السوء لقوله تعالی:

«اِجْتَنِبُوا کَثِیراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ».

قال رجل لعبد اللّه بن عامر و کان أمیرا: بلغنی أنّ فلانا أعلم الأمیر أنی ذکرته بسوء قال: قد کان ذلک، قال: فأخبرنی بما قال حتی أظهر کذبه عندک، قال: ما احبّ أن أشتم نفسی بلسانی، و حسبی أنّی لم أصدّقه فیما قال، و لا أقطع عنک الوصال.

الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسّس و البحث عن حقيقه ما قاله لقوله تعالى: و لا تجسّسوا.

السّادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النّمام عنه و لا تحكى نميمته فتكون نمّاما و مغتابا و تكون قد أتيت ما نهيت عنه.

روى كعب الأخبار أنّ بنى اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السّلام مرّات فماسقوا، فأوحى اللّه تعالى إليه أنى لا أستجيب لك و لمن معك و فيكم نمّام قد أصرّ على النّميمه، فقال موسى عليه السّلام: يا ربّ من هو دلّنى عليه حتى اخرجه من بيننا قال: يا موسى أنهيكم عن النميمه و أكون نمّاما، فتابوا جميعا فسقوا.

بقى الكلام فى السعايه

و هى النميمه إلاّ أنها إذا كانت إلى من يخاف من جانبه كالسلطان و الأمير و نحوهما تسمّى سعايه و هى أقبح من النميمه و أفحش منها لما يترتّب عليها من المضارّ.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: السّاعى بالناس إلى النّاس لغير رشده، قيل: يعنى ليس بولد حلال، و ذكرت السعايه عند بعض الصّالحين فقال: ما ظنّكم بقوم يحمد الصّدق من كلّ طائفه من النّاس إلاّ منهم.

و رفع بعض السعاه إلى الصاحب بن عباد رقعه نبّه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقّع على ظهرها: السّعايه قبيحه و إن كانت صحيحه فان كنت أجريتها مجرى النّصح فخسرانك فيها أفضل من الرّبح، و معاذ اللّه أن نقبل مهتوكا فى مستور، و لو لا أنّك فى خفاره شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك، فتوقّ يا ملعون العيب، فانّ اللّه أعلم بالغيب الميّت رحمه اللّه، و اليتيم جبره اللّه، و المال ثمره اللّه، و الساعى لعنه اللّه.

و بالجمله فشرّ النمام عظيم و خطره جسيم ينبغى التوقّى منه و الحذر من نميمته كيلا تقع فى طول حسره و ندامه.

فقد روى حمّاد بن سلمه أنّه باع عبدا و قال للمشترى ما فيه عيب إلّا النميمه قال: قد رضيت، فاشتراه فمكث الغلام أيّاما ثمّ قال لزوجه مولاه: إنّ سيّدى

لا يحبّك و هو يريد أن يتسرّى عليك فخذى الموسى و احلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبّك، ثمّ قال للزّوج: إنّ امرأتك اتخذت خليلا و تريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها فجاءت المرأه بالموسى فظنّ أنّها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأه و قتلوا الزوج و وقع القتال بين القبيلتين و اشتدّ الفساد فى البين..

الثالث

فى اذاعه الاسرار و إفشاء الفواحش

و قد نهى عنهما فى الشرع الأنور لما فيهما من الأذى و التهاون بحقّ الاخوان و الاصدقاء، و حذر عن الثانى فى الكتاب الكريم قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَهُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ».

و لا يخفى دلالته على المقصود، فانّ افشاء الفاحشه لا يكون إلّا عن محبّه اشاعتها و إن كان حبّ الاشاعه أعمّ، إذ يصدق على حبّ شيوعها بين المؤمنين و إن لم يكن الاشاعه من المحبّ نفسه.

و حذّر عن الأوّل فى غير واحد من الأخبار، مثل ما روى فى الكافى باسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: قلت له: عوره المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: نعم: قلت: تعنى سفلويه؟ قال: ليس حيث تذهب إنما هو إذاعه سرّه.

و عن زيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: فيما جاء فى الحديث عوره المؤمن على المؤمن حرام قال عليه السّلام: ما هو أن ينكشف فترى منه شيئا إنّما هو تروى عليه أو تعيبه.

و عن محمّد بن عجلان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ اللّه عزّ و جلّ عيّر أقواما بالاذاعه فى قوله:

«وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ ».

فايّاكم و الاذاعه.

و عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام قال: يحشر العبد يوم القيامه و ما ندى(۱) دما فيدفع إليه شبه المحجمه(۲) أو فوق ذلك فيقال: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا ربّ إنّك لتعلم أنّك قبضتنى و ما سفكت دما، فيقول: بلى سمعت من فلان روايه كذا و كذا فرويتها عليه فنقلت حتّى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها فهذا سهمك من دمه، هذا.

و يتأكّد الحرمه فى إذاعه أسرار الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام و يدلّ عليه ما فى الكافى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله اللّه عزّ و جلّ:

«وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ».

فقال: أما و اللّه ما قتلوهم بأسيافهم و لكن أذاعوا سرّهم و أفشوا عليهم فقتلوا.

و عن يونس بن يعقوب عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطاء و لكن قتلنا قتل عمد.

و عن محمّد الخزاز عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزله من جحدنا حقّنا.

و عن نصر بن ساعد مولى أبى عبد اللّه عن أبيه عليهما السّلام: قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: مذيع السّر شاك، و قائله عند غير أهله كافر. و من تمسّك بالعروه الوثقى فهو ناج، قلت: ما هو؟ قال التّسليم.

و عن أبى خالد الكابلى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال: إنّ اللّه جعل الدّولتين دولتين: دوله آدم و هى دوله اللّه، و دوله إبليس، فاذا أراد اللّه أن يعبد علانيه كانت دوله آدم، و إذا أراد اللّه أن يعبد فى السرّ كانت دوله إبليس، و المذيع لما أراد اللّه

۱- (۱) ما ندى أى ما اراق دما.

۲- (۲) المحجمه ما يحجم به الحجام و حرفت الحجامه ككتابه لغه

ستره مارق من الدّين.

و عن عبد الرّحمن بن الحجاج عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: من استفتح نهاره باذاعه سرّنا سلّط اللّه علیه حرّ الحدید و ضیق المحابس، هذا.

و الأخبار فی هذا المعنی کثیره، و فیما رویناه کفایه لمن له درایه، و اللّه الهادی.

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه اشاره است بفساد زمان بنی امیه و بنی مروان و حال روزگار سایر مخالفان چنانچه فرموده:

و آن زمان زمانی است که نجات نیابد در آن مگر هر مؤمنی که گمنام باشد، اگر حاضر شود آن مؤمن در مجالس نشناسند او را، و اگر غایب شود نجویند او را، ایشانند چراغهای هدایت در صراط مستقیم، و نشانهای سیر و حرکت در شب بسوی منهج قویم، نیستند در میان مردمان گردش کنندگان با فساد و سخن چینی، و نه فاش سازندگان اسرار و عیبهای بندگان، ایشان می گشاید حق تعالی از برای ایشان درهای رحمت خود را، و ببرد از ایشان شدت عقوبت خود را.

ای گروه مردمان زود باشد که بیاید بر شما زمانی که سرنگون کرده می شود در او اسلام همچنان که سرنگون می شود ظرف با آنچه در او است، ای جماعت مردمان بدرستی که خداوند تعالی نگاه داشته شما را از این که ظلم و جور نماید در حق شما و نگه نداشته شما را از این که امتحان نماید شما را، و گفته در حالتی که بزرگ است از حیثیت گویندگی «إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ وَ إِنْ کُنّا لَمُبْتَلِینَ » یعنی بدرستی که در این نشانها و علامتهای است و اگر چه هستیم ما آزمایش و امتحان کنندگان

و من خطبه له عليه السّلام و هى المأه و الثالثه من المختار

اشاره

فى باب الخطب

خطب بها عند خروجه إلى البصره و قد تقدّم مختارها بخلاف هذه الرّوايه و هى الخطبه الثالثه و الثلاثون.

أمّا بعد فإنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا، و لا يدّعى نبوّه و لا وحيا، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، و يبادر بهم السّاعه أن تنزل بهم، يحسر الحسير، و يقف الكسير، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته إلاّ هالكا لا خير فيه، حتّى أراهم منجاتهم، و بوّئهم محلّتهم، فاستدارت رحاهم، و استقامت قناتهم، و أيّم اللّه لقد كنت فى ساقتها حتّى تولّت بحذافيرها، و استوسقت فى قيادها، ما ضعفت و لا جبنت، و لا خنت و لا وهنت، و أيم اللّه لأبقرنّ الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته.

اللغه

(المنجاه) محلّ النّجاه و يحتمل المصدر و (حسر) البصر يحسر حسورا من باب قعد كلّ و انقطع من طول مدى و نحوه و هو حسير، و حسر البعير ساقه حتّى أعياه كأحسره، و حسر البعير أيضا من باب ضرب و فرح أعيا كاستحسر

ص:۲۰۹

فهو حسير يتعدّى و لا يتعدّى و ناقه (كسير) مكسوره و (استوسقت) الابل اجتمعت و (قياد) و زان كتاب حبل يقاد و مضى تفسير ساير الألفاظ فى شرح الخطبه المشار إليها المتقدّمه.

الاعراب

جمله ليس أحد حال من فاعل بعث و الرابط الواو، و جمله يسوقهم حال من فاعل قاتل و الرابط الضـمير، و قوله ان تنزل بهم إما بدل من السّاعه أو مفعول له ليبادر أى مخافه أن تنزل بهم على حدّ قوله تعالى:

«يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ».

أى كراهه أن تضلّوا، و إلاّ هالكا إما استثناء من مفعول يلحقه أو من الضّمير فى عليه و الثانى أظهر لأنّه كان مقيما على الهالك و غيره إلاّ أنّ الالحاق إلى الغايه كان مختصّا بغير الهالك فحسن الاستثناء.

فان قلت: إذا كان اقامته عليهما على السواء فما معنى الاسـتثناء من الضمير؟ قلت: إنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إن كان مبعوثا إلى الناس كافه مقيما عليهم مريـدا لالحاقهم إلى الغايه طامعا فى إيمانهم جميعا، إلاّ أنّ اللّحوق المترتب على الالحاق الذى كان غـايه للاقـامه لمـا لم يكن ممكنا فى حقّ الهالك فجاز الاسـتثناء من كلّ من الاقامه و الالحاق باعتبار اللّحوق المترتّب عليهما، و وجه أظهريه الاستثناء فى الثانى هو أن ترتب اللّحوق عليه بلا واسطه و على الأوّل مع الواسطه فافهم، و يوضح ما ذكرته من كونه مقيما على الكلّ حريصا على ايمانهم و إن لم يؤمنوا قوله تعالى:

«أَمّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى وَ ما عَلَيْكَ أَلاّ يَزَّكّى » و قوله «إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللّهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ ».

المعنى

اشاره

اعلم أنّه قد تقدّم فى شرح الخطبه الثالثه و الثّلاثين أنه عليه السّلام خطب بهذه

الخطبه عند الخروج لحرب أهل الجمل و أنّ غرضه عليه السّلام منه التّنبيه على أنّ حربه عليه السّلام معهم إنّما هى لاقامه الحقّ و إزاله الباطل، و تقدّم أيضا تحقيق الكلام فيها و فى توضيح أكثر فقراتها و لا حاجه إلى إعاده ما تقدّم و نذكر هنا ما لم يسبق ذكره ثمه فنقول:

قوله عليه السّلام:(أمّا بعد فان اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس أحد من العرب) حين بعثه (يقرأ كتابا و لا يدّعى نبوّه) و هو محمول على بعض العرب أى الغالب منهم أو المراد بالكتاب الكتاب الحق إن اريد بهم العموم فلا ينافى وجود الصحف المحرّفه من التوراه و الانجيل و الزبور بينهم حسبما مرّت إليه الاشاره.

(فقاتل بمن أطاعه من عصاه) أى جاهد باستعانه المؤمن الموحّد العاصى المتمرّد (يسوقهم إلى منجاتهم و يبادر بهم الساعه أن تنزل بهم) أى يسارع بهم إلى الارشاد و الهدايه و يعجل فى انقاذهم من الجهاله مخافه أن تنزل بهم السّاعه على ما هم عليه من العمى و الضلاله فيستحقّوا بذلك السّخط و العقاب و يستوجبوا به أليهم العذاب.

(يحسر الحسير و يقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته) يقول عليه السّلام إنّه كان ينقطع الغىّ العاجز و يقف المكسور فكان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يزال مقيما عليه حتى يلحقه الغايه و يوصله الغرض و هو من باب الاستعاره شبّه النّاس فى سلوكهم طريق الآخره بإبل يسار بها فى الأسفار و أثبت لهم وصفالحسيروالكسير الذى هو من أوصاف الابل.

و المراد أنّ من عجز و وقف قدم عقله فى سلوك طريق الحقّ لضعف فى اعتقاده أو قصور فى آله إدراكه لا يزال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مقيما عليه آخذا بعضده جاذبا له بأنواع التدبير و الجواذب إلى ما يمكن من العقيده المرضيّه و الأعمال الزّكيّه التى هى الغايه القصوى من خلقه الانسان.

و قريب من ذلك ما فى شرح المعتزلى قال: هذا الكلام من باب الاستعاره و المجاز يقول عليه السّلام: كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لحرصه على الاسلام و إشفاقه على المسلمين

ص:٢١١

و رأفته بهم يلاحظ حال من تزلزل اعتقاده أو عرضت له شبهه أو حدث عنده ريب لا يزال يوضح له و يرشده حتّى يزيل ما خامر سرّه من وساوس الشّيطان و يلحقه بالمخلصين من المؤمنين و لم يكن ليقصّر فى مراعاه أحد من المكلّفين فى هذا المعنى (إلاّ هالكا لا خير فيه) أصلا لعناده و إصراره على الباطل و مكابرته للحقّ كأبى جهل و أبى لهب و نظرائهما (حتّى أريهم منجاتهم و بوّئهم محلتهم) أراد بهما دين الاسلام إذ به ينجى فى العقبى و ينزل فى أشرف المنازل و يؤتى.

(فاستدارت) به صلّى اللّه عليه و آله(رحاهم و استقامت قناتهم)كنّيباستداره رحاهم عن انتظام امورهم لأنّ الرّحى لا تستدير إلاّ بعد تكامل الآله و انتظام أدواته، و أراد باستقامه قناتهم ظهور قهرهم و غلبتهم و حصول القوّه لهم، لأنّ القناه سبب للقوّه و لا تستقيم إلاّ فى حال الظفر و الغلبه.

(و أيم اللّه لقد كنت فى ساقتها حتى تولّت بحذافيرها) قال الشّارح المعتزلى هذا الضّمير المؤنّث يرجع إلى غير مذكور لفظا، و المراد الجاهليّه كأنها جعلها مثل كتيبه مصادمه لكتيبه الاسلام، و جعل نفسه من الحاملين عليها بسيفه حتى فرّت و أدبرت و أتبعها يسوقها سوقا و هى موليه بين يديه حتى أدبرت بحذافيرها أى كلّها عن آخرها (و استوسقت فى قيادها) أى اجتمعت فى ذلّ الانقياد كالابل التى تستوثق فى قيادها.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى شجاعته و أمانته بقوله:(ما ضعفت) فى القتال (و لا جبنت) من لقاء الأبطال (و لا خنت) فى تبليغ أمر اللّه (و لا وهنت) فى إقامه دين اللّه (و أيم اللّه) سبحانه (لأبقرنّ الباطل حتى اخرج الحقّ من خاصرته) تقدّم معناه فيما سبق فليراجع ثمه.

تكمله

هذه الخطبه رويها المحدّث العلامه المجلسىّ (ره) فى البحار من ارشاد الشيخ بنحو آخر أوجبت الحال ايرادها قال:

لما توجّه أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه إلى البصره نزل الرّبذه فلقاه بها

آخر الحاجّ فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه و هو فى خبائه قال ابن عباس رضى اللّه عنه فأتيته فوجدته يخصف نعلا فقلت له عليه السّلام: نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منا إلى ما تصنع فلم يكلّمنى حتى فرغ من نعله ثمّ ضمّها إلى صاحبتها و قال عليه السّلام لى:

قوّمهما، فقلت: ليس لهما قيمه، قال: على ذلك(۱) قلت: كسر درهم، قال عليه السّلام:

و اللّه لهما أحبّ إلىّ من أمركم هذا إلاّ أن اقيم حقا أو أدفع باطلا، قلت: إنّ الحاجّ اجتمعوا ليستمعوا من كلامك فتأذن لى أن أتكلّم فان كان حسنا كان منك و إن كان غير ذلك كان منّى، قال عليه السّلام: لا، أنا أتكلّم، ثمّ وضع عليه السّلام يده على صدرى و كان شثن الكفّين فالمنى ثمّ قام فأخذت بثوبه و قلت: نشدتك(۲) اللّه و الرّحم قال عليه السّلام: لا تنشدنى ثمّ خرج فاجتمعوا عليه فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد فانّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس فى العرب أحد يقرأ كتابا و لا يدّعى نبوّه فساق الناس إلى منجاتهم، أم و اللّه ما زلت فى ساقتها ما غيّرت و لا بدّلت و لا خنت حتى تولّت بحذا فيرها، مالى و لقريش، أم و اللّه لقد قاتلتهم كافرين و لاقاتلنّهم مفتونين، و إنّ مسيرى هذا عن عهد إلىّ فيه، أم و اللّه لأبقرنّ الباطل حتى يخرج الحقّ من خاصرته، ما تنقم منّا قريش إلاّ أنّ اللّه اختارنا عليهم فادخلناهم فى حيّزنا و أنشد:

أدمت لعمرى شربك المحض خالصا و أكلك بالزّبد المقشره التمرا

و نحن و هبناك العلاء و لم تكن عليا و حطنا حولك الجرد و السمرا

(۳) و لمّا نزل عليه السّلام بذى قار أخذ البيعه على من حضره، ثمّ تكلّم فأكثر من الحمد للّه و الثناء عليه و الصلاه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال:

قد جرت امور صبرنا عليها و فى أعيننا القذى تسليما لأمر اللّه

۱- (۱) أى على ذلك التحقير الذى تظهره، بحار.

۲- (۲) لعله نشده على أن يدع الكلام اليه ظنا منه أن المصلحه فى ذلك

۳- (۳) الجرد فضاء لانبات فيه و السمره بالضم من شجر الطلح و الجمع سمر و مضى فى شرح الخطبه الثالثه و الثلاثين لهما معنى آخر أحسن من ذلك فليتذكر، منه

فیما امتحننا به رجاء الثّواب علی ذلک و کان الصّبر علیها أمثل من أن یتفرّق المسلمون و یسفک دمائهم نحن أهل البیت و عتره الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أحقّ الخلق بسلطان الرّساله و معدن الکرامه الّتی ابتدأ اللّه بها هذه الأمّه، و هذه طلحه و الزّبیر لیسا من أهل النّبوه و لا من ذرّیه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حین رأیا أنّ اللّه قد ردّ علینا حقّنا بعد أعصر لم یصبرا حولا واحدا و لا شهرا کاملا حتّی وثبا علیّ دأب الماضین قبلهما لیذهبا بحقی و یفرّقا جماعه المسلمین عنّی ثمّ دعا علیه السّلام علیهما.

الترجمه

از جمله خطب عالیه المضامین آن امام مبین است که فرموده:

أما بعد از حمد خدا و درود بر حضرت مصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم پس بدرستی که حق تعالی برانگیخت محمّد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم را در حالتی که نبود هیچ احدی از عرب که بخواند کتاب حق را، و نه دعوی نبوتی بکند، و نه وحی و خطابی را از جانب خدا، پس مقاتله کرد بمعونه کسانی که اطاعت نمودند او را با کسانی که معصیت و نافرمانی کردند با و در حالتی که میراند ایشان را بجانب رستگاری.

و مبادرت می نمود برایشان بر ساعت موت که مبادا نازل شود بر ایشان در حالتی که عاجز می شد عاجز شونده و می ایستاد شکسته پس اقامت می نمود ختمی مآب سلام اللّه علیه و آله و ثابت قدم می شد بر آن عاجز پریشان و شکسته ناتوان تا این که می رسانید هر یک از ایشان را بمقصد خودشان مگر کسی که در هلاکت بوده که در آن هیچ امید خیری و صلاحی نبوده باشد.

تا این که بنمود بمردم محل نجاه ایشان را، و جای داد ایشان را در مقام خودشان، پس دوران نمود آسیای ایشان، و راست شد نیزه ایشان.

و سوگند بخدا بتحقیق که بودم من از جمله راننده های لشکر جهالت و ضلالت تا این که باز گشتند آن لشکر بتمامی، و مجتمع شدند در قید و ریسمان خودشان که جامع ایشان بود در حالتی که ضعیف نشدم و نترسیدم و خیانت ننمودم

ص:۲۱۴

و سستی نکردم، و قسم بخدا هر آینه البته می شکافم باطل را تا این که بیرون آورم حق را از تهی گاه آن.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الرابعه من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

حتّی بعث اللّه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شهیدا و بشیرا و نذیرا خیر البریّه طفلا، و أنجبها کهلا، و أطهر المطهّرین شیمه، و أجود المستمطرین دیّمه، فما أحلولت لکم الدّنیا فی لذّاتها، و لا تمکّنتم من رضاع أخلافها، إلّا من بعد ما صادفتموها جائلا خطامها، قلقا وضینها، قد صار حرامها عند أقوام بمنزله السّدر المخضود، و حلالها بعیدا غیر موجود، و صادفتموها و اللّه ظلّا ممدودا إلی أجل معدود، فالأرض لکم شاغره، و أیدیکم فیها مبسوطه، و أیدی القاده عنکم مکفوفه، و سیوفکم علیهم مسلّطه، و سیوفهم عنکم مقبوضه، ألا إنّ لکلّ دم ثائرا، و لکلّ حقّ طالبا، و إنّ الثّائر فی دمائنا کالحاکم فی حقّ نفسه، و هو اللّه الّذی لا یعجزه من طلب، و لا یفوته من هرب، فاقسم باللّه

يا بنى أميّه عمّا قليل لتعرفنّها فى أيدى غيركم، و فى دار عدوّكم.

اللغه

(الكهل) بفتح الأوّل من جاوز الثلاثين، و قيل من بلغ الأربعين، و قيل من جاوز أربعا و ثلاثين إلى إحدى و خمسين و (جادت) السماء جودا بالفتح أمطرت و قيل الجود المطر الغزير و (المستمطرين) فى أكثر النسخ بصيغه المفعول و هو الأظهر و فى بعض النسخ بصيغه الفاعل و (الدّيمه) المطر الدّايم فى سكون.

و (احلولى) الشىء صار حلوا و (الرّضاع) بالفتح مصدر رضع الصّبىّ أمّه بالكسر اى امتصّ ثديها و (الأخلاف) جمع خلف بالكسر و هو حلمه ضرع الناقه أو نفس الضرع لكلّ ذات خفّ و ظلف و (الخطام) بالكسر ما يقاد به البعير و (قلق) ككتف المضطرب المتحرّك الذى لا يستقرّ فى مكانه و (الوضين) بطان منسوج بعضه ببعض يشدّ به الرّحل على البعير كالخرام للسّرج.

و قال الشّارح المعتزلى ما يشدّ به الهودج على بطن البعير كالبطان للقتب و التصدير للرحل و الحزام للسرج و (المخضد) عطف العود اللّين يقال خضدت العود فانخضد أى ثنيته فانثنى من غير كسر و خضدت الشجر أى قطعت شوكه و السدر المخضود الذى انثنى أغصانه من كثره الحمل أو الذى قطع شوكه فصار ناعما أملس.

و (شغرت) الأرض كمنعت أى لم يبق بها أحد يجمعها و يضبطها و بلده شاغره برجها اذا لم تمنع من غاره أحد، و عن النهايه قيل الشغر الاتساع و منه حديث علىّ عليه السّلام فالأرض لكم شاغره أى واسعه و (الثار) الدّم و الطّلب به و ثار به كمنع طلب دمه كثاره و قتل قاتله و الثائر الذى لا يبقى على شىء حتى يدرك ثاره

الاعراب

شهيدا و بشيرا و نذيرا منصوبات على الحال من مفعول بعث، و خير البريه

ص:۲۱۶

و المعطوفات عليه منصوبات على الوصف و تحتمل الحال أيضا، و طفلا و كهلا منصوبان على الحال أيضا و اضافه أطهر إلى المطهّرين معنويّه، و شيمه تميز، و إضافه أجود إلى المستمطرين معنويه أيضا بمعنى من إن كان المضاف إليه بصيغه المفعول كما فى أكثر النسخ و بمعنى اللام إن كان بصيغه الفاعل.

و ديمه تميز على الأوّل و على الثانى يحتمل التميز و هو الأظهر و يحتمل أن يكون مفعولا للمستمطرين فتدبّر، و الفاء فى قوله: فالأرض فصيحه، و عن فى قوله عمّا قليل بمعنى بعد، و ما زايده كما مرّ غيره مرّه.

المعنى

اعلم أنّ صدر هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوق لذكر محامد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و مناقبه، و بعده اشاره إلى بيان حال بنى اميّه لعنهم اللّه قاطبه، و ذيله اخبار بما سيكون من مآل حال بنى اميّه و تنبيه على أنهم يسعون فى دماء عتره الرّسول فينتقم اللّه منهم و يجزيهم بما كسبت أيديهم، و اللّه عزيز ذو انتقام قال عليه السّلام (حتّى بعث اللّه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شهيدا) على أوصيائه و امّته و على الأنبياء و اممهم كما قال تعال:

«وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّهٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ ».

و قد مرّ تحقيق هذه الشهاده فى شرح الخطبه الاحدى و السّبعين بما لا مزيد عليه فليراجع إليه (و بشيرا و نذيرا) و هما من ألفاظ الكتاب العزيز قال تعالى:

«إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ » قال الطبرسىّ أرسلناك يا محمد بالحقّ قيل: بالقرآن، و قيل: بالاسلام، و قيل على الحقّ بشيرا من اتّبعك بالثواب، و نذيرا من خالفك بالعقاب و لا تسأل عن أصحاب الجحيم أى لا تسأل عن أحوالهم، و فيه تسليه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ قيل له:

إنّما أنت بشير و نذير و لست تسأل عن أصحاب الجحيم و ليس عليك اجبارهم على القبول منك.

(خير البريّه طفلا) لأنّ الخيريّه إنّما هى بالأعمال الصّالحه و الأخلاق الفاضله، و التسديد بسلوك سبيل الحقّ و هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منذ أيّام طفوليته و صباه كان ملازما لذلک سابقا فيه على غيره.

(و أنجبها كهلا) أى أفضلها، و قيل: أكرمها فلقد كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حال كهوليّته و دعوته منبع كلّ كرم و فضل (أطهر المطهرين شيمه) أى طبيعه و جبله و خلقا لم تدنسه الجاهليه بأنجاسها، و لم تلبسه من مدلهمّات ثيابها(و أجود المستمطرين ديمه)أى أجود الأشخاص الذين يطلب منهم الأمطار و يرجى منهم الاحسان(١) ،أو أكثر جودا للّذين يطلبون البذل و الانعام، و على كلّ تقدير فقد شبّهه عليه السّلام بالسّحاب الماطر و الغيث الهاطل، و أراد بذلک كثره جوده و عطاياه، فلفظ المستمطرين استعاره للراجين أو المرجوّين منهم الاحسان، و ذكر الجود و الدّيمه ترشيح للاستعاره، هذا.

و قوله عليه السّلام:(فما احلولت لكم الدّنيا فى لذّاتها) قال الشارح المعتزلى الخطاب لمن فى عصره من بقايا الصّحابه و لغيرهم من التّابعين الذين لم يدركوا عصر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قيل: الخطاب لبنى اميه و أمثالهم، و الأول أوفق بظاهر المخاطبه، و الثّانى أظهر بملاحظه سياق الكلام و الفقرات الآتيه.

و كيف كان فالمعنى أنّه ما صارت لكم الدّنيا حلوا فى لذّاتها(و لا تمكنتم من رضاع أخلافها)استعاره بالكنايه شبه عليه السّلام الدّنيا بناقه مرضعه تنتفع بها و يمتصّ من ثدييها، و الجامع وجوه الانتفاع و أثبت لها الأخلاف تخييلا و ذكر الرّضاع ترشيح، و المقصود أنّكم ما تمكنتم من الانتفاع بالدّنيا و الابتهاج بلذّاتها (إلّا من بعد ما صادفتموها) أى أصبتموها و وجدتموها(جائلا خطامها قلقا وضينها)

١- (١) هذا مبنى على كون المستمطرين بصيغه المفعول و اضافه اجود اليه بمعنى من و الثانى مبنى على كونه بصيغه الفاعل و كون الاضافه بمعنى اللام، فافهم.

استعاره بالکنایه أیضا و ذکر الخطام و الوضین تخییل و ذکر الجولان و القلق ترشیح قال المحدّث المجلسیّ (ره): و الغرض عدم تمکّنهم من الانتفاع بالدّنیا و صعوبتها علیهم و عدم انقیاد هالهم کما یستصعب النّاقه علی راکبها إذا کانت جائله الخطام قلقه الوضین لا یثبت رحلها تحت راکبها.

أقول: و الأظهر عندی أنّ الغرض بذلک الاشاره إلی أنهم لم یتمکّنوا من الانتفاع بالدّنیا و من رضاع أخلافها و تولیه أمرها إلاّ من بعد ما أصابوها و لیس لها صاحب و لا فیها أمر و سلطان حقّ یمنعهم من تولی أمرها و التّصرف فیها بمنزله ناقه لیس لها صاحب و لا لها راکب فانّ الناقه إذا کان لها راکب یرکبها یمسک خطامها و یشدّ وضینها و یملک أمرها و یمنع من تسلّط الغیر علیها، فجولان الخطام و اضطراب الوضین إنّما یکونان مع عدم من یملک أمرها و بتلک الحال یتمکّن منها من یصادفها.

و یؤید ما ذکرته قوله(قد صار حرامها عند أقوام بمنزله السدر المخضود)فانه ظاهر فی أنّ المراد بالأقوام الخلفاء المتقدّمین الذین ولوها بلا وجه شرعیّ فانجرّ الأمر منهم إلی بنی امیّه و تداولوها بینهم دوله جاهلیه هذا.

و تشبیه الحرام بالسّدر المخضود إشاره إلی کثره أکلهم له و رغبتهم به إن کان المخضود بمعنی المعطوف من کثره الحمل، و إن کان بمعنی مقطوع الشّوک فوجه الشّبه أنّ نواهی اللّه سبحانه و وعیداته علی فعل الحرام تجری مجری الشوک للسّدر فی کونها مانعه منه زاجره عنه کما یمنع الشوک عن اجتناء ثمره السّدر و لما کان هؤلاء الأقوام قد اغمضوا عن النّواهی و الوعیدات و لم یبالوا بها فصار الحرام عندهم بمنزله السّدر النّاعم الأملس الخالی عن الشّوک فی سهوله التناول (و) من أجل عدم المبالات أیضا صار (حلالها بعیدا غیر موجود) أی بین هؤلاء الأقوام أو بین عموم الناس لعدم دلیل لهم یرشدهم إلی الحلال و ینقذهم من الحرام ثمّ نبّه علیه السّلام علی سرعه زوال الدّنیا و انقضائها بقوله (و صادفتموها و اللّه ظلاّ ممدودا إلی أجل معدود) تهدیدا لهم عن الابتهاج بها و تحذیرا عن الاغترار بلذّاتها.

ص:۲۱۹

ثمّ أشار إلى تسلّطهم فى الأرض و تمكّنهم من التّصرف فيها بأىّ نحو شاءوا و قال (فالأرض لكم شاغره) أى ليس بها حام يحميها و لا أمير يضبطها و يمنعكم منها بل هى مخلاه لكم أو أنها غير ضيقه عليكم و أنتم فيها فى اتساع (و أيديكم فيها مبسوطه) بالجور و العدوان و وجوه التّصرّف بأىّ نحو كان (و أيدى القاده) أى الولاه الحقّ (عنكم مكفوفه) لقلّه النّاصر و المعين و غلبه الشقاق و النّفاق (و سيوفكم عليهم مسلّطه و سيوفهم عنكم مقبوضه) و كأنه إشاره إلى وقعه كربلا و ما كان من بنى اميّه و تابعيهم فيها من سفكك الدّماء.

و نبّه عليه السّلام على أنّ الدّم الذى سفكوه لا يكون هدرا، و أنّ له طالبا يطلبه فقال (ألا إنّ لكلّ دم ثائرا و لكلّ حق طالبا و أنّ الثائر فى دمائنا) و الطّالب لحقنّا (كالحاكم فى حقّ نفسه) يستوفى حقه بنفسه و يحكم بعلمه من غير افتقار إلى بيّنه و إثبات و حكم حاكم آخر (و هو اللّه الذى لا يعجزه من طلب و لا يفوته من هرب) أى لا يعجزه مطلوب و لا يفوته هارب بل ينتقم منه و يأخذ بقوده و لا يخفى ما فى هذه الفقرات من التأكيد و التهديد، حيث استفتح الكلام أوّلا بكلمه ألا الاستفتاحيه المفيده للايقاظ و التّنبيه، و أكّده بكلمه إنّ و الّلام و الجمله الاسميّه، و عقّبه بأنّ ثائر دمهم هو اللّه القوىّ العزيز الشّأن، و وصفه بأنه حاكم مختار غير مفتقر و قادر قاهر مدرك مقتدر.

ثمّ لا يخفى ما فى حصر ثائرهم فى اللّه، فانّ دمائهم قد سفكت باللّه و اللّه و فى سبيل اللّه، فحرىّ لها أن يكون ثائرها هو اللّه تعالى، لاضافه تلك الدّماء الطيّبه إليه سبحانه و تعلّقها عليه دون غيره.

و يشير إلى ذلك المعنى ما فى زيارته عليه السّلام: السّلام عليك يا ثار اللّه و ابن ثاره، فانّ معنى الاضافه هو أنهم عليهم السّلام لمّا قتلوا مظلومين فى سبيل اللّه، و لم يسفك دمائهم إلاّ أن قالوا: ربنا اللّه، فصار تلك الدّماء حقيقا بأن تضاف إليه سبحانه و تكون حقّا له مختصه به تعالى، و يحقّ له جلّ شأنه أن يكون ثائرها بالاستقلال بالانتقام أو نصره من وليّه على القصاص و قد قال تعالى:

«وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً » روى فى الكافى عن الصّادق عليه السّلام أنّها نزلت فى الحسين عليه السّلام لو قتل أهل الأرض به ما كان مسرفا، هذا.

و يجوز أن يكون الاضافه فى ثار اللّه تشريفا و تكريما، فانّ اللّه أجلّ و أعلى من أن يوصف بأوصاف الجسم و يكون له ثار و دم و نحوهما، و إنما يضاف إليه بعض الأشياء إظهارا لرفعه شأنه و علوّ قدره، كما يقال روح اللّه و بيت اللّه ثمّ إنّه لما هدّدهم بانتقام اللّه منهم أخبرهم بزوال الملك عنهم فقال عليه السّلام:(فاقسم باللّه يا بنى أميه عما قليل لتعرفنّها) أى الخلافه و الاماره، أو الدّنيا كما هى مرجع الضمائر المتقدّمه (فى أيدى غيركم و فى دار عدوّكم) و قد وقع الأمر بموجب اخباره عليه السّلام، فانّ الأمر بقى فى أيدى بنى اميّه نيفا و ثمانين سنه، ثمّ عاد إلى البيت الهاشمى، و انتقل إلى أشدّ النّاس عداوه لهم أعنى بنى العباس قال الشارح المعتزلى سار عبد اللّه(۱) بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس فى جمع عظيم للقاء مروان بن محمّد بن مروان، و هو آخر خلفاء الامويّين، فالتقيا بالزّاب من أرض الموصل و مروان فى جموع عظيمه و اعداد كثيره، فهزم مروان، و استولى عبد اللّه بن علىّ على عسكره، و قتل من أصحابه قتلا عظيما، و فرّ مروان هاربا حتى أتى الشام و عبد اللّه يتبعه فسار إلى مصر فاتّبعه عبد اللّه بجنوده، فقتله بنوصبر الاشمونين من صعيد مصر، و قتل خواصه و بطانته كلّها.

و قد كان عبد اللّه قتل من بنى اميّه على نهر ابى فطرس من بلاد فلسطين قريبا من ثمانين رجلا قتلهم مثله، و احتذى أخوه داود بن علىّ بالحجاز فعله، قتل منهم قريبا من هذه العدّه بأنواع المثل.

و كان مع مروان حين قتل أبناء عبد اللّه و عبيد اللّه، و كانا وليّى عهده، فهربا

۱- (۱) و هو عمّ السفاح جهزّه السفاح لقتال مروان بن محمد المشهور بالحمار، منه

فى خواصهما إلى اسوان من صعيد مصر، ثمّ صارا إلى بلاد النّوبه و نالهم جهد شديد و ضرّ عظيم.

فهلك عبد اللّه بن مروان فى جماعه ممّن كان معه قتلا و عطشا و ضرّا، و شاهد من بقى منهم أنواع الشدائد و ضروب المكاره.

و وقع عبيد اللّه فى عدّه ممن يجامعه من أهله و مواليه فى البلاد مستترين راضين أن يعيشوا سوقه بعد أن كانوا ملوكا، فظفر بعبيد اللّه أيّام السّفاح فحبس فلم يزل فى السّجن بقيّه أيّام السّفاح، و أيّام المنصور، و أيّام المهدى، و أيّام الهادى، و بعض أيام الرّشيد و أخرجه الرشيد و هو شيخ ضرير، فسأله عن خبره فقال حبست غلاما بصيرا و اخرجت شيخا ضريرا، و قتل عبد اللّه بن علىّ بدمشق خلقا كثيرا من أصحاب مروان و موالى بنى اميه و أتباعهم، و نزل عبد اللّه على نهرابى فطرس فقتل من بنى اميه هناك بضعا و ثمانين رجلا و ذلك فى ذى القعده من سنه اثنتين و ثلاثين و مأئه.

و روى أبو الفرج الاصفهانى فى كتاب الأغانى قال: نظر عبد اللّه بن علىّ فى الحرب إلى فتى عليه ابهه الشرف و هو يحارب مستقبلا فناداه يا فتى لك الأمان و لو كنت مروان بن محمّد قال: إن لا أكنه فلست بدونه، فقال: لك الأمان و لو كنت من كنت فأطرق ثمّ أنشد:

أذلّ الحياه ذكره الممات فكلّا أراه طعاما وبيلا

و إن لم يكن غير احداهما فسيرا إلى الموت سيرا جميلا

ثمّ قاتل حتّى قتل فاذا هو ابن مسلمه بن عبد الملك بن مروان.

أقول: انقراض الدّوله الأمويّه و استيصالهم و قتل نفوسهم كان بيد عبد اللّه بن محمّد المكنّى بأبى العباس الملقب، بالسّفاح، و هو أوّل خلفاء العبّاسيه كما صرّح به و باسمه و لقبه فى القاموس، و المعروف أنّ اسمه أحمد، و قد بويع له بالخلافه يوم الجمعه لثلاث عشره ليله خلت من شهر الرّبيع الأوّل سنه اثنتين و ثلاثين و مأئه صعد المنبر يوم بويع و خطب النّاس، فقام إليه السيد الحميرى فأنشده:

ردتكموها يا بنى هاشم فجدّدوا من آيها الطامسا

ردتكموها لا على كعب من أمسى عليكم ملكها نافسا

ردتكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا

خلافه اللّه و سلطانه و عنصر كان لكم دارسا

قد ساسها قبلكم ساسه لم يتركوا رطبا و لا يابسا

لو خيّر المنبر فرسانه ما اختار إلاّ منكم فارسا

و الملك لو شودر فى سائس لما ارتضى غيركم سايسا

لم يبق عبد اللّه بالشام من آل أبى العاص امرأ عاطسا

فلست من أن تملكوها إلى هبوط عيسى منكم آيسا

و قد روى حديثه مع بنى اميه ابو مخنف لوط بن يحيى بطرز غريب و نهج عجيب، بعبارات فصيحه، و ألفاظ بليغه أحببت ايرادها بعينها.

قال حديث السّفاح لمّا جلس على كرسىّ الاماره للخلافه و سبب قتل بنى اميّه على يده تحريص العبد سديف مولا بنى هاشم رضى اللّه عنه قال حدّثنا محمّد بن قتاده عن زيد بن علىّ أنه كان فى مجلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد سمع أنّ ملك بنى اميه إذا ماد و انقضى رجعت الخلافه إلى بنى العبّاس، و أول من وليّها السّفاح، و قد تسامعت به ملوك الأرض و أذعنوا له بالطّاعه و خطبوا له فى مشارق الأرض و مغاربها، و قد نقش اسمه على الدّراهم، و خافت الملوك و التجأت إليه الامم و هربت من سطوته شياطين العرب و العجم، و تطايرت بنو اميّه شرقا و غربا و سهلا و جبلا مخافه من سلطانه و شدّه بأسه و سيفه و قهره، و لما كان بينهم من الضغائن و الحقود القديمه و الامور السالفه.

ثمّ إنهم كتبوا إليه يطلبون منه الامان، و يسألونه التعطف و الاحسان، و أن لا يؤاخذهم بما كان من المداخله، و أن يجعلهم أهل بطانته و ظهارته و أهل مملكته فكتب لهم كتابا و ذكر لهم أنه غير غنىّ عنهم و أنه يحتاج إلى خدمتهم، و ضمن لهم الأموال و العطايا و الاقطاع.

و اجتمع إليه منهم الكبير و الصّغير، و الرّؤسا و آل زياد و آل مروان و آل

یزید بن معاویه فلمّا اجتمعوا کلّهم إلیه و کان عدّتهم سبعین ألف فارس و یقدمهم یزید بن عبد الملک بن مروان ساروا فی رتبتهم و عددهم حتی قدموا الأنبار و دخلوا إلی أبی العباس أحمد السّـفاح علی مراتبهم، و أعدّ لهم کراسی من الذهب و الفضه لیجلسوا علیها یسلّمون عن یمینه و شماله.

ثمّ إنّه جعل منهم أمراء و حجابا و ندما و وکلاء و کانوا یجلسون من حوله و أقرب النّاس إلیه و أعزّهم علیه و کان الخاص و العام یتعجبون منه و من فعله بهم و یقولون ما رأینا رجلا أعجب من هذا الرّجل قطّ، یقرّب أعدائه و یقفی أشغالهم و یعطیهم أمواله و ضیاعه، و کان العاقل یقول إنما یفعل بهم ذلک لیبیدهم و ینعم علیهم حتی یجتمعوا و یتکاملوا ثمّ یأخذهم أخذه شدیده فینذرهم.

قال أبو الحسن: فبینما ذات یوم جالس علی مرتبته و بنو امیّه من حوله و علیهم الدّروع المطرزه بطراز الذهب و العمایم الملوّنه متقلدین بالسیوف المحلاّه بالذهب و الفضه، و فی أوساطهم المناطق المحلاّه بالجوهر.

إذ دخل بعض حجابه و هو مذعور، فقال له: یا أمیر المؤمنین العجب کلّ العجب، فقال له: و ما ذلک العجب؟ قال: یا أمیر المؤمنین إنّ علی الباب رجلا ذمیم المنظر عظیم المخبر شخب اللّون رثّ الأطمار و علاه الغبار ممّا حلّ به من الأسفار و من تحته مطیه بالیه قد قطع بها غیاهب الدّجی و مهامه(۱) الثری فلو أنّ لها لسانا لنطقت به ممّا لحقها من التعب و النصب، و الرّجل فوقها جالس کالنسر البالی و الشیخ الفانی، فانی أتعجّب منه و من مطیته و قد أناخها ببابک و عقلها بفاضل زمامها ثمّ قال لها بشری یا ناقتی بالکرامه الکبری و المسرّه العظمی، و قد بلغت ما هو لک فی سرور و حبور(۲) و حللت بمن هو أهل للمحل السعد و قد نال أعلی المراتب فالحمد للّه فما علیک بعد الیوم سفر و لا تعب و لا جهد، فقلت له: إنّک لعدیم العقل

۱- (۱) المهامه جمع مهمهه و هی المفازه البعیده و البلد القفر، منه

۲- (۲) الحبور السرور، منه

تخاطب ناقه عجماء فقال: نعم اخاطبها و ابشّرها ثمّ أنشا يقول:

أقول لها يا ناق سيرى و ابشرى بجود كريم الوالدين هجان

فتى أبتغى منه الكرامه و العطاء و من سفرى تعفى و طول هوانى

ألا أيّها السّفاح و السّيد الذى له همم تسطو بكلّ مكان

أتت ناقتى تشكو إليک تأسّفا فصنها من الأسفار و السّيران

ثمّ إنّه أقبل يريد الدّخول عليک عاجلا و الورود إليک راجلا فمنعته من ذلک و قلت له: ما الذى تريد منه؟ فقال: استأذن بالدخول على أمير المؤمنين فانّى قد أتيت إليه من بلد بعيد و سفر صعب شاق شديد، كنت أخوض سواد اللّيل و حنادس الظلام و أقطع المهامه و الآكام(۱) شوقا إلى طلعته و محبته فى بهجته، و اريد التطلع إلى رؤيته و الأمور كامنه فى الجوارح، و النّيران مضرمه فى الجوانح، اريد برؤيته اخمادها و اطفاء شهوقها من كلامه و فتح منظره و مرآه فقلت له: امض و تطيّب و غيّر أثوابک ليطرد منک و عث السفر ثمّ أقبلک حتى اوصلک إلى أمير المؤمنين.

فنظر إلىّ بعين الغضب و هو مزور(۲) و قال: إنّى آليت على نفسى أن لا أنزع ثوبا و لا أستعمل طيبا و لا ألذّ بعيش حتى أصل إلى أمير المؤمنين و ها هو على الباب منتظر ردّ الجواب عن أمير المؤمنين.

قال: فلمّا سمع السّفاح بنعته و صفته قال صاحبنا و عبدنا سديف و ربّ الكعبه ثمّ إنّه أذن له بالدخول عليه و قال: إنّه عزيز علينا قريب إلى قلوبنا.

قال: فلما سمع بنو اميه بذكر سديف تغيّر لونهم و اقشعرّت منهم الأبدان و نظر بعضهم إلى بعض و ارتعدت منهم الفرائص و أخذهم الجزع و الهلع(۳) قبل دخول سديف عليهم.

۱- (۱) جمع الاكمه و هو التل الصغير

۲- (۲) أى ناظر بمؤخر عينيه

۳- (۳) و هو الرعده تعرض الانسان

قال أبو الحسن: و كان من خبر سديف معهم أنّه كان عبدا لبنى هاشم و كان فصيح اللّسان قوىّ الجنان شاعرا ماهرا يصول بلسانه مقتدرا بكلامه، و كان كلّ موسم من مواسم الحج يخرج فيعلوقبّه زمزم ثمّ يصيح بالناس فيجتمعوا إليه و يعتمدوا بين يديه، فاذا تكاملوا عنده يبسط لسانه بمدح مواليه من بنى هاشم و يهجو بنى اميّه و يصغر ملكهم و يحرّض النّاس عليهم ليخلعوا الخلافه منهم و يجعلوها فى بنى هاشم الذين جعلها اللّه فيهم و هم أهل بيت محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فلمّا كان فى بعض الأعوام و قد حضر النّاس الموسم أكمل ما يكون من المواسم أقبل سديف فصعد زمزم ثمّ صاح برفيع صوته يا أهل الأرض و يا أهل الأبطح و الصّفا و باب مكّه و الكعبه العليا و من ساير الأقطار شرقا و غربا، فدونكم فاسمعوا ما أقول و اللّه على ما أقول وكيل.

ثمّ تكلّم فى بنى اميّه بكلّ شؤم فأخذه بنو اميّه فضربوه حتّى ظنّوا أنّهم قد قتلوه و ألقوه على مزبله فأقبلت إليه امرئه فسقته شرابا و لجأ إلى رءوس الجبال قال فلمّا سمع بنو اميّه الذين هم عند السّفاح بذكر سديف قال بعضهم لبعض: أليس قد قتل اللّه سديفا فأراحنا منه و إنّا لنراه قد عاش بعد موته لينال مناه منّا.

ثمّ انه دخل على السّفاح و نظر إلى بنى اميّه و ما هم عليه و انشأ يقول:

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل(۱) من بنى العباس

طلبوا ثار هاشم فسقوها بعد ميل من الزمان و ياس

لا تقيلن عبد شمس عثارا و اقطعوا كلّ وصله و غراس(۲)

ذلها أظهر التودّد منها و بها منكم كجز «كحدخ» المواسى

فلقد غاظنى و غاظ سواى قربها من نمارق و كراسى

أنزلوها بحيث أنزلها اللّه بدار الهوان و الاتعاس

۱- (۱) البهلول وزان عصفور السيد الجامع لكلّ خير منه

۲- (۲) الغراس بالكسر ما يغرس من الشجر منه

و اذا كروا مصرع الحسين و زيد و قتيلا بجانب المهراس(۱)

و القتيل الذى بحرّ ان أضحى(۲) ثاويا بين غربه و تناسى

و قيل: انّ سديف دخل على السّفاح و يده على يد سليمان بن عبد اللّه ثمّ انشأ يقول:

لا يغرّنک ما ترى من رجال إنّ بين الضّلوع داء دويا

فضع السّيف و ارفع الصوت حتى لا ترى فوق ظهرها امويا

طيّب نفسک و قرّ عينک هنيّه إنّ صبرک هو الجميل ادیّا

قال: فقال له السّفاح: أهلا بطلعتك و مرحبا برؤيتک، قدمت خير مقدم، و غنمت خير مغنم، فلك الاكرام و الانعام، و أما ما أنت له من الأعداء فالصّفح أجمل، فانّ أكرم النّاس من عفا إذا قدر، و صفح إذا ظفر.

ثمّ إن السّفاح نادى يا غلام عليّ بتخت من الثياب و كيس من الورق، فأتاه بذلك، فقال السّفاح: خذه و غيّر ثيابک و أصلح حالك وعد إلينا فى غداه غد إنشاء اللّه فلك عندنا ما تحبّ و ترضى، و ستبلغ الرّضا و فوق الرّضا.

قال: فخرج سديف من عند السّفاع و هو فرحان شديد الفرح.

قال: و إنّ بنى اميّه بقوا فى دهشه و بهته و حيره ينظر بعضهم إلى بعض، فعلم السّفاح ما عندهم و ما خامرهم فاراد أن يطمئنّهم حتّى يطمئنّوا إليه و يقبلوا بأجمعهم إليه.

فقال لهم: يا بنى اميّه لا يكبرنّ عليكم ما سمعتم من هذا العبد، فانه ما تكلّم إلّا بقلّه عقله و كثره جهله، و ليس له رأى سديد و لا ينبغى أن يلتفت إلى قوله و لا إلى رأى العبيد، و لعمرى إنّه ما كان الواجب أن يذكر مواليه و أن يفعل ذلك الفعال التى لا يفعلها إلّا الجهال، فترك ما فى قلوبهم و ما خامرهم، فقال: إنّ لكم عليّ أفضل الهبات و فوق ما تأملون من الكرامات، فانّ هذا زمان و ذاك زمان و نحن

۱- (۱) اراد به حمزه و المهراس ماء بأحد.

۲- (۲) و قتيل حران هو ابراهيم بن محمد

جرثومه العفو و دعامته فابشروا و طيبوا قلوبكم، فانّى اقدّم لكم العطايا، و أحسن لكم الجزاء و ابلغكم الأمل و المنى.

فخرجوا من عنده و قد كشف السّفاح بعض ما كانوا يحذرون من الهمّ و الغمّ ثمّ اجتمعوا فى مسائهم بالمشوره.

فقال قائلهم: الهرب الهرب ما دام العبد سديف لكم فى الطلب، و اللّه لاقرّ لكم قرار، و لا كان لكم منجأ و لا من طلبه و ثاره ملجأ، و قد كان يعاديكم و هو وحيد فريد لا معين له و لا نصير و لا مجير، فكيف و قد أتت أيّامه و ارتفعت أعلامه و ظهرت عداوته، فخذوا لأنفسكم و انظروا امائكم من قبل أن يغشيكم من هذا الرّجل أمر شنيع.

فقالوا: يا ويلك إنّ أمير المؤمنين قد أحسن إلينا فى الخطاب، و وعدنا بجايزه و سديف أقلّ عنده من ذلك و تفرّقوا إلى منازلهم.

فلمّا كان من الغد بكر القوم إلى السّفاح فدخلوا إليه، و سلّموا إليه، فردّ عليهم بأحسن ردّ، و قرّب مراتبهم، و أعلى منازلهم، و رفع مجالسم، ففرحوا بذلك فرحا شديدا، ثمّ أقبل إليهم و سألهم من حالهم و مجيئهم إليه و قضى لهم الحوائج.

فبينما هم فى أسر ما كانوا فيه إذ دخل عليهم سديف و قد غيّر أثوابه، فسلّم على السّفاح و أشار إليه بيده، و قال: نعم صباحك، و بان فلاحك، و ظهر نجاحك كشف اللّه بك رواكد الهموم، و فداك أبى لانّك آخذ بالثّار، و كاشف عن قومك و ضيمه(۱) العار، و الضارب بالسّيف الثار، و قاتل الاشرار، فحاشاك يا بن الرّؤساء من بنى العبّاس، و السّاده من بنى هاشم، و السّراه من بنى عبد مناف ثمّ أنشأ يقول

أصبح الملك عالى الدّرجاتبكرام و ساده و حمات

يا سليل المطهّرين من الرجسو يا رأس منبر الحاجات

لك أعنى خليفه اللّه فى الأرضذا المجد و أهل الحياه و الممات

ص:۲۲۸

۱- (۱) الوضيمه الظلم

غدرونا بنو اميّه حتى صار جسمى سقيما بالمصيبات

و استباحوا حريمنا و سبونا و رمونا بالذّل و النّكبات

أين زيد و اين عون و من حلّ ثاويا بالفرات

و الامام الذى بحران أضحى هو امام الهدى و رأس الثقات

كيف أسلو ممن قتلوه جهرا و هتكوا بعد ذلك الحرمات

قال: فلما سمع السّفاح كلام سديف أطرق إلى الأرض زمانا حتى سكن ما لحقه ثمّ إنّه رفع رأسه و قال له: قل كلامك و تذكر ما فات، و خذ ما هو آت، فانّ أحلم الناس من صفح عمن ثلمه، و صان عرضه عمن ظلمه، فلك عندنا أفضل الكرامه و الجزاء، و حسن المنظر و بلوغ المنى، فانصرف يا سديف و لا تعد إلى مثلها أبدا.

فخرج سديف من عند السّفاح يفور غضبا و يذمّ صحبته. فلمّا خرج من عندهم أقبل السّفاح على بنى اميّه و هم مطرقون و جلون، فقال لهم: إنّى أعلم أنّ كلام هذا الشّيخ العبد قد أرجفكم و قد أثّر فى قلوبكم، فلا تعبأوا بكلامه، فانّى لكم كما تحبّون و فوق ما تأملون، و سأزيد لكم العطاء، و أقرب لكم الجزاء و أقدّمكم على غيركم.

فخرجوا من عنده و قد سكن مابهم، و اجتمعوا للمشوره فيما بينهم.

فقال قائل منهم: هلمّوا بنا حتّى ندخل بكليتنا السّفاح و نسأله أن يسلّم الينا العبد فنقتله أو نستعبده، فجدّو يا قوم فى طلبه فانّ السّفاح لا يمنعنا من ذلك و لا يعصينا و نحن سبعون ألف سيّد لأجل عبد ذميم، و إنّكم إن فاتكم أو توانيتم لم يزل العبد معه حتّى يهلككم و يدمّركم، و أنه لا شك قد نصب لكم أشراكا فلا يفلت منكم أحد فاحذروا ثم احذروا.

و قال قائل منهم: إنّ السّفاح إنّما يظهر لكم ما يظهر لتطمئنّوا إليه ثمّ لتؤخذوا على ما كان منكم، فلا تعبأوا بكلام السّفاح.

فقال بعضهم فما كان يمنعه منّا و هو مالك رقابنا و ما نراه إلّا مجسنا إلينا و وطأ مجالسنا و رفع مواضعنا و وعدنا بالخير و العطاء الجزيل.

ص:۲۲۹

قال يا قوم قد أضعتم قولي و عصيتم أمرى و خالفتمونى فاذا دخلتم عليه فليدخل بعضكم و يبقى بعضكم على الباب حتّى ننظر ما يكون، فاذا أكرم قوما بالجزاء و العطاء دخل الباقون و يفعلون مثل ما فعلوا أوّل مرّه، و تقدّموا عليه و أنتم آمنون على هذا الترتيب.

قال فلمّا انسدل الظلام و هجع النّوام بعث السّفاح إلى سديف فأحضره عنده فلّما دخل عليه سديف قال له: يا ويلك يا سديف إنّك لعجول فى أمرك، مفش لسرّك، لا تستعمل الكتمان.

فقال سديف: الكتمان قد قتلنى، و التحمّل أمرضنى، و النّظر إلى هؤلاء الظالمين قد أسقمنى، و لن يخفى عليك شيء من أمرى و ما حلّ بى و بأهلك و عشيرتك و مواليك و أقاربك: من قتل الرّجال، و ذبح الأطفال، و هتك النسوان، و حمل حريم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على الأقتاب بغير غطاء و لا وطاء، يطاف بهم البلدان، فأىّ عين لا ترقا مدامعها، و أىّ قلب لا يتفجع عليهم، فاستوف لهم الدّماء، و اضرب بحسامك العدى، و خذ بالثّار من الظلمه لأئمه الهدى و مصابيح الدّجى، و ساده الآخره و الاولى.

ثمّ إنّ سديفا بكى و أنشأ يقول:

يحقّ لى أن ادم ما عشت فى حزن أجرى الدّموع على الخدّين و الذّقن

يا آل أحمد ما قد كان حزبكم كأنّ حزبكم فى النّاس لم يكن

رجالكم قتلوا من غير ذى سبب و أهلكم هتكوا جهرا على البدن

سكينه لست انسيها و قد خرجت فى هيئه فجعه من شدّه الحزن

أبكى الحسين أم أبكى نسوه هتكت أم ابكى فاطمه أم ابكى الحسن

أم ابكى ليث الوغافى الروع حيدره أم ابكى ابن رسول اللّه ذى المنن

اشكو إلى اللّه ما ألقاه من امم ما أرتضى منهم بالفعل و السّنن

قال فعند ذلك بكى السّفاح بكاء شديدا و زاد عليه الأمر حتى اصفرّ لونه و نادى بأعلى صوته: وا محمّداه وا عليّاه وا سيّداه وا قوماه وا أهلاه و اعشيرتاه و بكى سديف

حتّى اغمى عليه.

فلمّا أفاق قال له السّفاح: يا سديف قد بلغ الكتاب أجله، و قد حان و قرب ما تؤمله فكان بى و قد اطلقت لك السّبيل تضرب بسيفك فى أعراضهم كيف شئت.

قال سديف: أما و اللّه لان أطلقت لى السّبيل لأرضينّ الجليل، و آخذ منهم ثار الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ارضينّك يا مولاى.

قال له السّفاح: نم ليلتك قرير العين و أتنى فى غداه غد اعطيك أملك، و ابلغك رجاك.

قال: فبات سديف فى تلك أرقا قلقا يدعو ربّه و يسأله تمام ما وعده السّفاح.

ثمّ إنّ السّفاح لمّا أصبح ذلك اليوم سّماه يوم النيروز و هو الذى سمّاه بنو العبّاس نوروز القتل لأنه اليوم الذى قتل السفاح فيه بنى اميه و سنّ تلك بنى العباس، فأمر السّفاح مناديا ينادى، إنّ أمير المؤمنين أبا العبّاس السّفاح قد بسط الأنطاع، و صبّ عليها خزائنه و قال: اليوم يوم عطاء و جوائز، و ضربت البوقات و الطّبول، و نشرت الرايّات و خفقت الأعلام.

ثمّ انّ السّفاح نصب سرير ملكه و زيّن قصره و بسط الأنطاع بين يديه، و أفرغ الدّنانير و الدّراهم و الأسوره و مناطق المراكب الثقال من الذهب و الفضّه.

قال: فلما فرغ من ذلك، و رتب الزينه و العدّه عمد إلى أربع مأئه من غلمانه أشدّهم و أشجعهم، فدفع إليهم الأعمده و السّيوف، و قال لهم: كونوا فى الخبره و أسبلوا عليكم السّتور، فاذا رأيتمونى قد جلدت بقلنسوتى الأرض اخرجوا وضعوا السّيوف فى رقاب كلّ من ترونه و لو كانوا من بنى عمّى.

قالوا: سمعا و طاعه، و قرّر معهم الوصيّه، فلما تعالى النّهار أقبل إليه النّاس فى الزّينه و البهجه الحسنه للسلام و العطاء.

قال: و أقبل بنو اميّه حتّى تكاملوا السّبعين ألف من آل يزيد و آل مروان فلمّا بلغوا القصر نزلوا عن خيولهم و دفعوا عدادهم و سيوفهم إلى عبيدهم و دخلوا على جارى عادتهم و هم يرفلون فى حللهم و أثوابهم و لم يعلموا ما يراد بهم، و يزعمون

أنّهم مسرورون.

قال: و كان فيهم رجل من جلساء السّفاح و كان شاعرا و قد مدح السّفاح بقصيده حسنه، و قد أجازه السّفاح عليها فقال له الحجاب الذين عرفوه: ارجع فما هو يوم عطاء و إنّما هو يوم مكر و خداع، فلا تورد نفسك مورد الهلاک و الموت، فقد رأينا أمير المؤمنين قد أعطاک و أرضاک، فما نحبّ أن تقع فی الهلاک، قال: رضيت أن أرد مورد قومی، و أصدر مصدرهم، فقالوا له: ادخل إلى اللعنه و الخزی، فدخل مع القوم على مراتبهم.

و صعد السّفاح إلى أعلى البيت و هو متقلّد بسيفه، ثمّ التفت إلى بنی اميّه فقال: هذا اليوم الذی كنت أعدكم فيه الجزاء و العطاء فمن تحبّون أن أبدأ بالعطاء؟ فقالوا ا ليقربوا إليه و يدخلوا فی قلبه: يا أمير المؤمنين ابدء ببنی هاشم واحدا بعد واحد، فانهم خير العالم و أرباب المراسم، فصاح السّفاح بعبد كان عن يمينه و قد أعلمه بما يريد و كان فصيح اللّسان فرفعه حتى صار دونه.

ثمّ قال له: ناد يا غلام بنی هاشم واحدا بعد واحد حتى نجزل لهم العطاء و نحسن لهم الجوائز عن رضى بلا غضب.

فنادى الغلام برفيع صوته و قال:

أين أبو عبيده بن الحارث بن هاشم هلمّ إلينا فاقبض عطاک، فقال سديف:

يا شيخ و أين أبو عبيده بن الحارث، قال: و ما فعل اللّه به قال: قتله شيخ من هؤلاء القوم يقال له: شيبه بن ربيعه بن عبد الشّمس، فقال: ما علمت بذلک يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و ادع لنا غيره.

فنادى الغلام أين أسد اللّه و أسد رسوله حمزه بن عبد المطلب بن هاشم هلمّ إلينا و اقبض عطاک، فقال سديف: و اين حمزه؟ فقال السّفاح: ما فعل اللّه به؟ قال: قتله امرأه من هؤلاء القوم يقال لها هند بنت عتبه بن ربيعه فی أحد، و ذلک لأنها أعطت الوحشی مولا- حيدر بن طاهر عده حتّى قتله، و أقبلت فشقت جوفه و أخذت كبدته لتأكلها فحوّلها اللّه تعالى فی فيها حجرا فسمّيت آكله الأكباد،

فلمّا لم تقدر أن تأكلها قطعت أصابعه و جعلها قلّاده فى عنقها، فقال السّفاح:

ما علمت بذلک یا غلام اضرب باسمه إذا غاب و ادع لنا غیره.

قال فنادى الغلام أین عقیل بن عبد المطلب بن هاشم هلمّ إلینا و خذ عطاک، قال سدیف: یا أمیر المؤمنین و أین عقیل؟ قال: و ما فعل اللّه به؟ قال: قتله هؤلاء القوم و هو خارج من الشام یرید مدینه الرّسول صلّى اللّه علیه و آله و سلّم، قال السّفاح: ما علمت بذلک یا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غیره.

فنادى الغلام أین مسلم بن عقیل هلمّ إلینا و اقبض عطائک، قال سدیف:

یا مولاى و أین مسلم بن عقیل؟ قال: و ما فعل اللّه به؟ قال: قتله هؤلاء القوم فأخذه عبید اللّه بن زیاد فرمى به عن قصر الاماره و ربطوا برجلیه حبلا و جرّوه فی أسواق الکوفه و نادوا هذا جزاء من خرج على خلافه بنى امیه و سبّوا آبائه و جدّه، قال: ما علمت بذلک یا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غیره.

فنادى الغلام أین أول الناس اسلاما و أفضل الوصیین و یعسوب الدین و الامام البطین على بن أبى طالب هلمّ إلینا و خذ عطائک، فقال سدیف: یا مولاى و أین علیّ بن أبی طالب؟ قال: و ما فعل اللّه به؟ قال: قتله المرادى عبد الرّحمن بن ملجم و زیّن معاویه الشّام بقتله أیّاما و فرح فرحا شدیدا فقال سفّاح: ما علمت بذلک یا غلام اضرب على اسمه اذا غاب و هات غیره.

فنادى الغلام أین ابن بنت رسول اللّه الحسن بن على بن أبى طالب علیهم السلام سیّد شباب أهل الجنه هلمّ إلینا فاقبض عطائک، فبکى سدیف و قال: یا مولاى و این الحسن بن علیّ بن أبی طالب؟ قال السفاح: و ما فعل بولد رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم؟ قال:

قتلته جعده امرأته بسمّ دسّه إلیها معاویه من الشّام، فقال: ما علمت بذلک یا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غیره.

فنادى الغلام این ابن بنت رسول الله و سید شباب أهل الجنه الحسین ابن على بن أبى طالب علیهم السّلام هلمّ إلینا فاقبض عطائک، فبکى سدیف و قال: یا مولاى و أین الحسین بن علیّ بن أبی طالب؟ قال السفّاح: و ما فعل لولد رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم:

قال: قتله أمير هؤلاء الذين هم مقرّبون و هم على كراسىّ الذّهب و الفضه بحضرتك قاعدون، قتلوه بأرض كربلا عطشانا و الفرات ملآن، و أخذوا رأسه و جعلوه على رمح طويل و حملوه من الكوفه إلى أن أدخلوه دمشق إلى يزيد بن معاويه حتّى ندبته الجنّ، ثمّ رثاه رجل من بعض النّاس يقول:

هلال بدا و هلال أفل كذلك يجرى صروف الدّول

فقال: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا كان غائبا و هات غيره.

و نادى الغلام و اين العباس بن على بن أبى طالب أخو الحسين عليهم السّلام هلمّ إلينا فاقبض عطائك، فقطع سديف عليه الكلام، ثمّ قال: كأنّك يا أمير المؤمنين تريد تؤاخذ هؤلاء القوم بما فعلوا أو تجازيهم بما صنعوا هؤلاء الذين ذكرتهم بكأس المنيه قتلهم هؤلاء بأرض كربلا جياعا عطاشا عرايا، قال السّفاح: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غيره.

فقال الغلام و أين زيد بن على بن أبى طالب هلمّ إلينا فاقبض عطائك، قال سديف: يا مولاى و أين زيد؟ قال السّفاح: و ما فعل اللّه به؟ قال: قتله واحد من هؤلاء القوم يقال له هشام بن عبد الملك بن مروان، و صلبه منكوسا و عششت الفاخته جوفه، ثمّ إنهم بعد ذلك أحرقوه بالنار و سحقوا عظامه فى الهاون و ذروه فى الهوى فاجتمع على وجه الماء ثمّ غاص و خرج خلقا سويّا و هو ينادى برفيع صوته «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » و قتلوا ولده من بعده و قبره هنالك، فقال السّفاح: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه و هات غيره.

ثمّ قال: إنّ هؤلاء ساداتنا عاشوا سعداء و ماتوا شهداء بأسياف العدى.

ثم نادى الغلام: اين الامام ابراهيم بن محمد بن عبد اللّه بن العباس هلمّ إلينا و اقبض عطائك، فسكت سديف و لم يعد قولا و لا ردّ جوابا، و أيقن بنو اميّه بالهلاك، لأنّهم هم الذين قتلوه، فقال السّفاح: و يلك يا سديف كنت إذا ذكر لك رجل من بنى هاشم تسرع فى الجواب فما لك قد عجزت عن الخطاب عند ذكر أخى قال: لأنّى أستخيى أن اقابلك فأواجهك بما قد فعل بأخيك، فقال

السفّاح: سألتك باللّه إلاّ ما تخبرنی ما فعل بأخی، قال: قبضه رجل من هؤلاء القوم يقال له مروان و أدخل رأسه فی جراب بقر و ركب فی أسفله كور الحدّادين و أمر النافخ أن ينفخ و الجلاّد يجلد حتّی ضربه عشره آلاف سوط فی ثلاثه أيّام فقام من أوسط القوم رجل يقال له: يزيد بن عبد الملک و قال: يا و يلک يا عبد السّوء لقد عظم تعريضک علی بنی اميّه لقد أشرف أمير المؤمنين علی هلاكنا أجمع فقال: إنّ مقصودی ذلک، فرهق السّفاح لسديف بمؤخّر عينيه و قد امتلاء حنقا و غيظا ثمّ أنشأ يقول:

حسبت اميّه أن سترضی هاشم عنها و يذهب زيدها و حسينها

كذبت و حقّ محمّد و وصيّه حقا ستبصر ما يسیء ظنونها

ستعلم ليلی أیّ دين تداينت و أیّ ديون فی البرايا ديونها

قال: ثمّ إنّ السّفاح بكی و علا صياحه، ثمّ خلع قلنسوته عن رأسه و جلد بها سرير ملكه، و نادی: يا لثارات الحسين، يا لثارات بنی هاشم، يا لثارات بنی عبد المطلب قال: فلمّا نظر الغلمان إلی السّفاح و فعاله فتحوا أبواب الخزاين و خرجوا و فی أيديهم السيوف و الأعمده فوضعوها فی رقاب بنی اميه فعاد الشاعر يدور بينهم يمينا و شمالا و هو يقول: أنا الذی مدحت السّفاح فقال السّفاح لو لم تكن منهم لما دخلت معهم، فقتله السّفاح بيده، و جرّد سيفه و عاد يضرب يمينا و شمالا فلم تكن إلاّ ساعه أو كحلب ناقه حتی قتلوا عن آخرهم.

فبينما العبيد و الخدم و الغلمان حول القصر إذ خرج إليهم الدّم من الأفنيه و امتلاء البواليع من دماء القتلی كأنّه السّيل أو كأفواه القرب، فعظموا ذلک و أنكروه.

فلمّا فرغ السّفاح من القوم أمرهم أن يجمعوا القتلی و يجعلوهم مثل المصطبه و يفرشوا فوقهم الأنطاع، ففعلوا ذلک و جلس عليها السّفاح و سديف و جماعه من بنی هاشم و حشمه.

ثمّ أمر بالموائد فنصبت، و نقلوا إليها الطعام فأكل السفاح و أهله و قومه

ص:٢٣٥

و جعل القتلى يضطربون من تحتهم.

ثمّ أقبل السّفاح على سديف و قال له: برّد ما بقلبك من الغليل؟ فقال:

و اللّه يا سيدى ما أكلت أطيب من أكلتى هذه أبدا.

ثمّ انّ سديف قال: و اللّه لقتل هؤلاء القوم و كبرائهم و أشرافهم فى منازلهم قد تفرقوا فى أقطاعهم و أعمالهم، قال: يا سديف ليت شعرى ما أخرج هؤلاء القوم خفت أن يعلموا ما حلّ بقومهم فينهزموا شرقا و غربا و سهلا و جبلا، و لكن يا سديف الذى عمل هذه الحيله قادر أن يعملها على الباقين حتى لا يبقى منهم صغير و لا كبير على وجه الأرض فقال سديف: فيها يكون زوال القرحه.

فقال السّفاح: يا سديف سترى منّى حيله ما سبقنى إليها أحد و تبلغ ما تحبّه، فأحضر الصّناع فقا لهم: امكّنكم من الأموال و من كلّ ما تريدون ثمّ رسم لهم الأساس فحفروه و كانوا ألف و خمس مأئه صانع، فلمّا فرغوا من حفر الأساس نقل على الحمير و البغال الملح و سدّ به الأساس و لم يزالوا كذلك حتّى اكتفا الاساس من الملح.

ثمّ أمرهم أن يجعلوا اللّبن فوق الملح ففعلوا ذلك و استحلف الصناع بالايمان المغلّظه أنّهم لا يفشون ذلك إلى أحد و أنهم متى فعلوا ذلك حلّ دمائهم و أموالهم فكتموه و لم يظهروه و وعدهم أن يجزل لهم العطا و أمرهم أن يكونوا فى جوانب القصر و أن يخرقوا مجارى القصر للماء إلى الأساس و يصبروا عليه إلى وقت الحاجه ففعلوا ذلك و أحكموه.

ثمّ انّهم أخذوا فى البناء و العمل و رتّب قوما فى البناء و قوما فى عمل المقاصير و قوما فى السّقوف و قوما فى التجصيص و قوما يزوّقون الأبواب بالذّهب و الفضّه و قوما فى تحت العاج و الآبنوس، فما مضت عليهم إلاّ أيّام قلائل حتّى فرغوا من القصر و سقوفه و جميع آلاته، و رفعوا مجالسه و ركبوا أبوابه و أضاءوا مقاصيره، فلما فرغوا من جميع ذلك علّقوا السّتور الملوّنه.

ثمّ إنهم فرشوه و زيّنوه و حملوا إليه جميع الآلات الحسنه الرّفيعه الغاليه

من أفخر ما يكون، ثم أذّن للناس بالدّخول و التّفرّج و التّنزّه فيه، فدخل الخاص و العام و جنح إليه الناس من جميع الأقطار يتعجّبون من حسنه و كماله.

و دخل بنو اميّه أوّلهم و آخرهم صغيرهم و كبيرهم، فلما نظروه و عاينوه حاروا و دهشوا و تخالفوا أنه أشبه بارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد.

و جعلوا يقولون لمن عمل هذا القصر و اعدّت هذه الآلات المفتخره و الزينه، فقال قوم: لا شك إنه يكون هذا القصر لأخيه أبى جعفر المنصور، و قال آخرون: ما هو إلّا لعمّه صالح، و اختلف أقاويلهم فيه.

و بلغ ذلك أبا العباس السّفاح فركب إليهم و قال: يا بنى اميّه سيروا إلىّ حتى أجزل لكم العطاء، و افضّلكم على العرب و السّادات من ذوى الرتب، فنفروا منه نفورا عظيما، فبعث إليهم يقول: يا بنى اميّه ما عملت هذا القصر إلّا لكم فاطمئنّوا بكلامى و ثقوا بما أقول، فانّ قومكم أخبرونى بما دخل قلوبكم من الاضطراب و أنّكم تتخلّفون فزعا منى و من سطوتى و بأسى، و من يمنعنى منكم إذا أردت بكم بأسا، فادخلوا القصر و لا تدخلونه إلّا و هو لكم و أنا أحلف لكم باللّه و رسوله إنّه لكم.

قال: فلمّا جائتهم البشاره اطمأنّوا بها و قال بعضهم: يا ويلكم اسعوا إلى مقاصيركم و منازلكم لكن ألبسوا سلاحكم و شدّوا عدّتكم، فان ثار عليكم أحد من النّاس القوه، ثمّ إنّكم إن تحصّنوا فى هذا القصر لا يقدر عليكم أحد، فقالوا هذا هو الرّأى و الصواب الذى ليس فيه ارتياب، و قال بعضهم: إنا نخشى أنا إذا حصلنا توثق علينا أبوابه و تركب علينا العساكر فنحاصر فى القصر فتصير المقاصير و الأحجار قبورنا، فقال أحدهم: هيهات هيهات ما يكون ذلك أبدا، لأنّه رجل و له اتصال برسول اللّه و هو زعيم القوم و خليفه اللّه على خلقه.

ثمّ اجتمع رأيهم على الانتقال إلى القصر و شاع فى النّاس أنّه لم يرقطّ أحلم من السّفاح، لأنه عمد إلى قوم قتلوا أسلافه و عشيرته فأقطعهم القطايع و بنى لهم الجنان و رفع لهم المراتب.

قال: فأقبلت إليه السّادات ينقلون إلى القصر واحدا بعد واحد يتسابقون إليه و كلّ واحد يطلب له موضعا، فاذا استوى الرّجل فى مقامه لم يغالبه فيه أحد ثمّ إنّهم لم يطمئنوا حتى أو قفوا نفرأ مع عبيدهم على الباب بالسّلاح مخافه الكبسه.

فلمّا تكاملوا أمر السّفاح أن يبسط لهم البسطو عمل سماطا(۱) حسنا، و أكثر من الذبائح و الحلاوات ثمّ إنه أجلس القوم على الموائد و جاء إليه الناصح من خلف ظهره و أعلمه بأنّهم كلّهم قد حصلوا فى القصر إن أردت أن تقتلهم فافعل فما بقى من أعداء اللّه و رسوله إلّا و قد حضر فى القصر.

فلم يكن إلّا ساعه حتّى إذا دار الماء بجوانب القصر و ذاب الملح و القوم فى القصر على الموائد ما يدرون ما حلّ بهم فارتجّ القصر و انصدع فهمّوا بالهزيمه فتصايحت حيطانه و انهدمت أركانه و اهتزّت العمد ففزع القوم من ذلك و دهشوا و وضعوا رؤوسهم على ركبهم و ظنّوا أنّ الأمر من السّماء قد نزل بهم، فقال قائلهم: قد اخذنا بما كان منا، فهم فى الكلام إذ سقطت الجدران و انهدمت الأركان و وقع القصر عليهم بأجمعهم فعجّل اللّه بأرواحهم إلى النّار و بئس القرار، فهلكوهم و عبيدهم و امائهم و نسلهم و ذراريهم فكأنما الأرض قد ابتلعتهم.

و بلغ ذلك السّفاح، فركب و ركب سديف معه و ساروا إلى القصر فوجدوهم قد هلكوا، فسجدوا للّه شكرا.

فقال السّفاح لسديف: هل أخذت بثارك و ثار مواليك؟ فقال سديف: و اللّه لو قتل مثل هؤلاء ألف ضعف ما وفى و لا عدل شسع نعل الحسين عليه السّلام و لا لأحد من مواليه عليه السّلام، و قد بلغنى أنّ بالشام خلقا كثيرا من الامويين و أنّ دمشق مملوّه منهم و من أكابرهم فأنا أرجو من اللّه أن لا يفوتنى منهم أحد.

فقال السّفاح قلت فى هذا المعنى شيئا يا سديف؟ قال، نعم يا مولاى و اسمع ما أقول:

۱- (۱) السماط من الطعام ما يمدّ عليه، قاموس

ألا أبلغن سادات هاشم معشرى و جمع قريش و القبايل من فهر

تميما و مخزونا و أبناء غالب و سكّان بيت اللّه و الركن و الحجر

و من كان منهم بالمدينه ثاويا قريبا من النور المغيب فى القبر

و من بالقرى افدى و من سكن الغرى وصىّ نبى صاحب النهى و الأمر

و من سكن الطفّ المعظّم قدره حسين الرضا المدفون فى البلد القفر

و من حوله من أهله و مواليه و اخوته من خير نسل و من طهر

بأنّ سديفا قد شفى اللّه قلبه بزرق طوال ثمّ مرهفه تبر

فعلت أبا العبّاس فعل أهالك فأوفيت ما أنذرت فى سالف الدهر

من أخذ لثارات الحسين بن حيدر و فاطمه و السّبط الحسن البرّ

و من حلّ بالنهرين فى أرض كربلا و من حوله صرعى من الأنجم الزهر

سلام و رضوان على ساده الورى خيار بنى حوّا و آدم ذو الطهر

صلاه من الرحمن تغشى أئمه هداه اصيبوا بالخديعه و المكر

فاحمد أبا العبّاس يا خير ناصر سديف يرجى منك أن تجلى الفقر

و تجلى كما أجليت منهم قلوبنا فقد أيّدك ربّ البريه بالنّصر

على الارض منهم لا تخلّى واحدا و اشف نفوسا صادعات من الضرّ

فانّك منصور و نور مشرق و حسبك إنّ الحقّ أيّدك بالنصر

و كم كربه أجليتها من قلوبنا بعزم و تأييد تساوى البحر

فيا ساير الأذقان خرّوا و سجّدوا لهيبه أبى العباس فى الليل و الفجر

و لا تقنطوا من فضل من بان فضله فمنه إليكم يعقب النهى و الأمر

على ظالميهم لعنه اللّه ما دجى سحير و ما أضواه ليل من الهجر

قال أبو مخنف: ثمّ إنّ السفاح رجع إلى قصره و بات تلك اللّيله فرحانا مسرورا بما أنا له اللّه من العزّ و الهيبه.

فلمّا أصبح دعا بعمّه صالح بن عبد اللّه بن العبّاس، و عقد له لواء على عسكر و اختار من خيار فرسانه و أمره بالمسير إلى الشّام و قال له: و كلتک دمشق

ص:۲۳۹

و أعمالها فسر إليها و جاز المحسن على إحسانه و المسىء على قدر اسائته، و انظر إلى من بيننا و بينه معاداه فلا تقصر فى إهلاكه و دماره، و هذا سديف عندنا فخذه فى صحبتك فقد علمت نصحه و مروته فلا تمنعه أمرا يريده و امنه على صحبتك و عشيرتك.

فقال صالح: حبّا و كرامه و لو لم توص به لكان حقا علىّ أن لا أفعل شيئا حتّى اوقعه عليه و اشاوره فيه.

فلمّا سمع السّفاح كلام عمّه شكره و جزاه خيرا و جرّد الجيش معه و ضمّ إليه سديفا و ساروا جميعا يجدّون فى سيرهم حتّى دخلوا دمشق فلمّا دخلوها و جلسوا دار الاماره جعل يرتّب الأعمال فى المواضع من أعمالها.

فلما استقرّ أمره جعل يسأل عن أولاد يزيد و آل مروان بن الحكم فيحضرون بين يديه، و كان يقطعهم القطايع الجيّده و يعطى لكلّ منهم ما يطلبه، و سديف يستأذن فيهم و يحمل عليهم فيبيدهم ضربا و طعنا حتى قتل منهم بدمشق ثلاثين ألفا و هو يقول: و اللّه لو قتلت أضعافا مضاعفا من بنى اميّه بل كلّ من طلعت عليه الشمس منهم لما وا فى شسع نعل مولى الحسين عليه السّلام.

و بلغ السّفاح ما فعل سديف فسرّه ذلك، فكتب إلى سديف كتابا و أعاد فيه الشعر الذى قاله فيه قبل سيره مع صالح، فلما فعل صالح ما فعل و قتل من بقى من بنى اميّه انهزم قوم منهم إلى الساحل و ركبوا البحر طالبين إلى بلاد العرب، فجعل يتابعهم و يأخذ خبرهم فاخبر أنهم ركبوا البحر، فبعث خلفهم سريّه و قتل كلّ من انهزم و لم يسلم منهم أحد إلاّ قوم ترسموا بزينه النّسوان و هم الملثّمه إلى يومنا هذا.

فلمّا عاد صالح إلى دمشق و فى بنذر السّفاح و كان قد نذر أنّه متى أفنى بنى اميّه أن يخرب ديارهم، فأخربها جميعا و لم يبق لهم غير الجامع نعمان و دام ملك بنى العباس إلى أن ملك منهم أربعون.

ص:۲۴۰

حتّى تمّ قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعمّه العبّاس لما قال له: يابن أخى رأيت كان قد ظهر من دبرى أربعون زنبورا، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، يا عمّ سيظهر لک من مليک اربعون رجلا و يأخذون الخلافه، فحزن العباس و هجم نفسه، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يا عمّ فقد قضى الأمر و حقّ بالقول و كان ذلک فى الكتاب مسطورا.

أقول: هذا ما انتهى إلينا من خبر السّفاح و سديف و انقراض الدوله الأمويه و رويته كما وجدته و لم يكن النسخه التى نقلنا منها خاليه من السّقم و الاختلال فأصلحت ما أمكن بحسب ما أدّى إليه النّظر، و أستعيذ باللّه من هفوات اللّسان و زلّات البيان.

و قد روى الشارح المعتزلى فى الشرح بعض الرّوايات فى هذا المعنى من كتاب الكامل للمبرّد، و كتاب الاغانى لأبى الفرج الاصفهانى، و مروج الذّهب للمسعودى و غيرها على غير نظم و ترتيب، و استطرفت بعض ما اوردها، لاشتماله على أشعار جيده و أحببت أن لا يخلو الشرح منها.

فأقول: فى الشّرح سئل بعض شيوخ بنى اميّه عقيب زوال الملک عنهم ما كان سبب زوال ملكهم؟ فقال: جار عمّالنا على رعيتنا فتمنّوا الراحه منّا، و تحومل على أهل خراجنا فحملوا عنّا، و خربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا، و وثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا، و امضوا امورا دوننا أخفوا علمها عنّا، و تأخّر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا، و استدعاهم عدوّنا فظافروه على حربنا، و طلبنا أعدائنا فعجزنا منهم لقلّه أنصارنا، و كان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا و فيه لما أتى أبو العباس برأس مروان سجد فأطال، ثمّ رفع رأسه و قال:

الحمد للّه الذى لم يبق ثارنا قبلک و قبل رهطک، الحمد للّه الذى أظفرنا بک و أظهرنا عليک، ما ابالى متى طرقنى الموت، و قد قتلت بالحسين عليه السّلام ألفا من بنى اميّه و احرقت شلو هشام بابن عمّى زيد بن علىّ كما أحرقوا شلوه و تمثّل:

لو يشربون دمى لم يروشا ربهم و لا دمائهم جمعا تروّينى

ثمّ حوّل وجهه إلى القبله فسجد ثانيه ثمّ جلس فتمثّل:

أيا قومنا ان تنصفونا فأنصفت قواطع فى أيماننا تقطر الدّما

إذا خالطت هام الرجال تركتها كبيض نعام فى الثرى قد تحطما

ثمّ قال: فأمّا مروان فقتلناه بأخى إبراهيم، و قتلنا ساير بنى اميّه بحسين عليه السّلام و من قتل معه و بعده من بنى عمّنا أبى طالب.

و فيه عن أبى الفرج الاصفهانى قال حدّث الزبير بن بكار عن عمه أنّ السّفاح «سديفا ظ» أنشد يوما قصيده مدح بها أبا العباس و عنده قوم من بنى اميه كان آمنهم على أنفسهم فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مدحتم؟ فقال: هيهات و اللّه لا يقول أحد فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا:

ما نقموا من بنى اميّه إلاّ أنهم يحلمون إن غضبوا

و أنهم معدن الملوك فما تصلح إلاّ عليهم العرب

فقال له يا ماص كذا من امّه و انّ الخلافه لفى نفسك بعد خذوهم فاخذوا فقتلوا و روى أبو الفرج أيضا أنّ أبا العباس دعا بالغداحين قتلوا و أمر ببساط فبسط عليهم فجلس فوقه يأكل و هم يضطربون تحته، فلما فرغ قال ما أعلم أنى أكلت أكله قط كانت أطيب و لا أهنأ فى نفسى من هذه، فلما فرغ من الأكل قال: جرّوا بأرجلهم و ألقوهم فى الطّريق ليلعنهم الناس أمواتا كما لعنوهم أحياء، قال: فلقد رأينا الكلاب يجرّ بأرجلهم و عليهم سراويلات الوشى حتّى انتنوا، ثمّ حفروا لهم بئرا فالقوا فيها.

و فيه عن أبى الفرج أيضا فى كتاب الأغانى إنّ سديفا أنشد أبا العباس و عنده رجال بنى اميّه فقال:

يابن عمّ النّبىّ أنت ضياء استنبابك اليقين الجليّا

جرّد السيف و ارفع العفو حتى لا ترى فوق ظهرها امويّا

قطن البغض فى القديم و أضحى ثابتا فى قلوبهم مطويّا

و هى طويله فقال أبو العبّاس: يا سديف خلق الانسان من عجل، ثمّ انشد أبو العبّاس متمثّلا:

احیی الضّغاین آباء لنا سلفوا فلن تبید و للآباء أبناء

ثمّ امر بمن عنده فقتلوا.

قال أبو الفرج و أخبرنی علیّ بن سلیمان الأخفش قال: أنشدنی محمّد بن یزید المبرّد لرجل من شیعه بنی العباس یحضّهم علی بنی امیه:

ایّاکم أن تلینوا لاعتذارهم فلیس ذلک إلّا الخوف و الطّمع

لو انهم أمنوا أبدوا عداوتهم لکنهم قمعوا(۱) بالذّل فانقمعوا

ألیس فی ألف شهر قد مضت لهم سقیتم جرعا من بعدها جرع

حتّی إذا ما انقضت أیّام مدّتهم متوا الیکم بالأرحام التی قطعوا

هیهات لا بدّ أن یسقوا بکأسهم ریّا و أن یحصدوا الزرع الذی زرعوا

إنا و اخواننا الأنصار شیعتکم إذا تفرّقت الأهواء و الشیع

و فیه دخلت احدی نساء بنی امیه علی سلیمان بن علیّ و هو یقتل بنی امیه بالبصره فقالت: أیها الأمیر إنّ العدل لیملّ من الاکثار منه و الاسراف فیه، فکیف لا تملّ من الجور و قطیعه الرحم؟ فأطرق، ثمّ قال لها:

سننتم علینا القتل لا تنکرونه فذوقوا کما ذقنا علی سالف الدّهر

ثمّ قال: یا أمه اللّه أوّل راض سنه من یسیرها أ لم تحاربوا علیّا و تدفعوا حقّه؟ أ لم تسمّوا حسنا علیه السّلام و تنقضوا شرطه؟ أ لم تقتلوا حسینا و تسیروا رأسه؟ أ لم تقتلوا زیدا و تصلبوا جسده؟ أ لم تقتلوا یحیی و تمثلوا به؟ أ لم تلعنوا علیّا علیه السّلام علی منابرکم؟ أ لم تضربوا أبانا علیّ بن عبد اللّه بسیاطکم؟ أ لم تخنقوا الامام بجراب النوره فی حبسکم؟ ثمّ قال: أ لک حاجه؟ قالت: قبض عمّالک أموالی، فأمر بردّ أموالها علیها.

و فیه لما استوسق الأمر لأبی العباس السّفاح و فد الیه عشره من امراء الشام فحلفوا له باللّه و بطلاق نسائهم و بایمان البیعه أنّهم لا یعلمون إلی أن قتل مروان أنّ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أهلا و لا قرابه إلّا بنی امیّه.

۱- (۱) قمعه کمنعه قهره و ذلله

أقول و ذلک لأنهم أرادوا أن يطفئوا نور اللّه بأفواههم فأبى اللّه إلاّ أن يتمّ نوره و لو كره الكافرون، و سيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون

الترجمه

از جملهٔ خطب بليغهٔ آن حضرتست كه صدر آن متضمن بيان محامد حضرت رسالتمآب صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ذيل آن اشاره است بأحوال بنى اميه لعنهم اللّه و مآل كار ايشان چنانچه فرموده:

تا آنكه مبعوث فرموده خداوند متعال محمّد مصطفى را در حالتى كه شاهد بود بر امّتان، و بشارت دهنده بود بمطيعان، و ترساننده بود عاصيان را، كه بهترين خلايق بود در حال كودكى، و كريم ترين مردمان بود در حال پيرى، پاكيزه ترين پاك شدگان بود از حيثيت طبيعت، و بخشنده ترين اشخاصى بود كه از ايشان اميد باران احسان گرفته شود از حيثيت بارش.

پس شيرين نشد از براى شما دنيا در لذّتهاى خود، و متمكن نشديد از مكيدن پستانهاى آن مگر بعد از اين كه يافتيد آنرا و رسيديد بآن در حالتى كه در جولان بود مهار آن، و مضطرب بود تنگ پالان آن.

بتحقيق كه گرديده بود حرام آن در نزد طايفهٔ بمنزله درخت سدر پر بار خالى از خار، و حلال آن دور بلكه غير موجود در نزد أهل روزگار، و يافتيد آنرا قسم بخدا در حالتى كه سايه بود كشديده شده تا وقت شمرده شده، پس صفحهٔ زمين از براى شما خاليست از معارض و مانع، و دستهاى شما در آن گشاده شده است و دستهاى پيشوايان از شما باز داشته شده، و شمشيرهاى شما برايشان مسلّط است و شمشيرهاى ايشان از شما باز گرفته شده.

آگاه باشيد بدرستى كه هر خونى را خونخواهى است، و هر حقى را طالبى هست، و بدرستى كه طالب قصاص در خونهاى ما همچه حكم كننده ايست در حق نفس خود و آن عبارتست از حق سبحانه كه عاجز نمى كند او را كسى كه او سبحانه طلب

ص:۲۴۴

کند او را، و فوت نمی شود از او کسی که فرار نماید از او.

پس سوگند می خورم بخدای لایزال أی بنی امیه پس از زمان اندکی هرآینه البته می شناسید دنیا را یا خلاف و امارت را در دستهای غیر خودتان و در خانه دشمنان خود که عبارتست از بنی عباس که انتقال خلافت بایشان شد.

الفصل الثانی

اشاره

ألا إنّ أبصر الأبصار ما نفذ فی الخیر طرفه، ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعی التّذکیر و قبله، أیّها النّاس استصبحوا من شعله مصباح واعظ متعّظ، و امتاحوا من صفو عین قد روّقت من الکدر، عباد اللّه لاـ ترکنوا إلی جهالتکم، و لا تنقادوا إلی أهوائکم، فإنّ النّازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ینقل الرّدی عن ظهره من موضع إلی موضع لرأی یحدثه بعد رأی، یرید أن یلصق ما لا یلتصق، و یقرّب ما لا یتقارب، فاللّه اللّه أن تشکوا إلی من لا یشکی شجوکم، و لا ینقض برأیه ما قد أبرم لکم، إنّه لیس علی الإمام إلاّ ما حمّل من أمر ربّه: الإبلاغ فی الموعظه، و الاجتهاد فی النّصیحه، و الإحیاء للسّنّه، و إقامه الحدود علی مستحقّیها، و إصدار السّهمان علی أهلها، فبادروا العلم من قبل تصویح نبته، و من قبل أن تشغلوا بأنفسکم عن مستثار العلم من عند أهله، و انهوا غیرکم عن المنکر و تناهوا

ص:۲۴۵

عنه، فإنّما أمرتم بالنّهى بعد التّناهى.

اللغه

(الطرف) بالفتح نظر العين و (استصبح) بالمصباح استسرج به و (الامتياح) نزول البئر و ملؤ الدلاء منها و (الترويق) التصنفيه و منه الرواق بالكسر و هو الصافى من الماء و غيره و (الشفا) شفير الشّىء و جانبه و (الجرف) بالضمّ و بضمّتين ما تجرّفته السّيول و أكلته من الأرض و (الهار) الضعيف الساقط المنهدم يقال هار الجرف يهور هورا فهو هائر و هار كقاض.

و (اشكيت) زيدا بهمزه الأفعال أزلت شكايته و (الشجو) الهمّ و الحزن و (ابرم) الأمر أى أحكمه، و الحبل أى جعله طاقين ثمّ فتله و (الاصدار) الارجاع من الصدر و هو الرّجوع و (السهمان) كالسهمه بالضّم فيهما جمع السهم و هو الحظ و النّصيب و (صوّح) النبت أى يبس و تشقّق أو جفّ أعلاه و (المستثار) مصدر بمعنى الاستثاره و هو الانهاض و التهييج.

الاعراب

مصباح فى بعض النسخ بالتّنوين فيكون واعظ بدلا و فى بعضها بلا تنوين بالاضافه، و على ذلك فيحتمل أن يكون الاضافه لاميه و أن تكون من اضافه المشبّه به إلى المشبّه من قبيل لجين الماء، و فى نسخه الشارح المعتزلى من شعله بمصباح واعظ بتنوين شعله و اضافه مصباح مع الباء الجاره و هى باء الآله منعلّقه باستصبحوا.

و ينقل الرّدى عن ظهره عن بمعنى على كما فى قوله:

لاه ابن عمّك لا أفضلت فى حسب عنّى و لا أنت ديّانى فتخزونى

أى للّه درّ ابن عمّك لا أفضلت فى حسب علىّ، و فى أكثر النّسخ على ظهره و هو الأنسب، و قوله فاللّه اللّه بالنصب فيهما و العامل محذوف أى اتقوا اللّه، و احذرّكم اللّه و قوله الابلاغ فى النّصيحه بالرفع بدل بعض من ما.

ص:۲۴۶

المعنى

اعلم أنه عليه السّلام لما نبّه فى الفصل السّابق على تقصير المخاطبين من بنى اميه و من يحذ و حذوهم فيما يجب عليهم رعايته، و أشار إلى أنّ المقصرين فى حقهم و الظالمين لهم و السّاعين فى دمائهم مؤاخذون بتقصيرهم مجزيّون بسوء أعمالهم، عقّبه بهذا الفصل حثا لهم على طاعته و ملازمته، و ترغيبا على الاقتباس من أنوار هدايته، و تحذيرا من الركون إلى الجهاله و التيه فى بوادى الرّدى و الضّلاله، و صدّر ذلک بذكر محاسن التفكّر و البصيره توطئه و تمهيدا فقال:

(ألا إنّ أبصر الابصار ما نفذ فى الخير طرفه) أراد بنفوذه فى الخير رؤيته المحاسن و اتباعها، فانّ أفضل ابصار البصر ما يفيد للمبصر بصيره و يجلب له فايده فى تحصيل السّعاده الأبديه و الكمالات النفسانيه (ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى التذكير و قبله) أى أفضل سماع الاسماع أن يحفظ التذكير و المواعظ و يتدبّر فيها فيقبلها.

(أيّها النّاس استصبحوا من شعله مصباح واعظ متّعظ) أى استسرجوا من شعله سراج واعظ لغيره متّعظ فى نفسه، فانّ من لم يكن متّعظا فى نفسه لا يكون موعظته مؤثره فى القلوب، بل تكون القلوب نافره منه و النفوس مشمئزّه قال الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليک إذا فعلت عظيم

و لا يخفى عليک أنّ اضافه مصباح إلى واعظ إن كانت من اضافه المشبّه به الى المشبّه فذكر الشعله و الاستصباح ترشيح للتّشبيه و وجه الشبه كونهما من أسباب الهدايه، و إن كانت الاضافه بمعنى اللام فلفظ المصباح استعاره لموعظه الواعظ و الشعله و الاستصباح ترشيح الاستعاره، و يحتمل أن يكون ذكر الشعله تخييلا و الاستصباح ترشيحا على ما ذهب إليه بعض البيانيّين من عدم الملازمه بين التخييل و الاستعاره بالكنايه و إمكان وجوده بدونها، و كذلک لو كان مصباح منوّنا و واعظ بدلا منه إلّا أنّ المستعار له على الأوّل هو الموعظه، و على الثانى يحتمل أن يكون الموعظه و أن يكون نفس الواعظ

ص:۲۴۷

و كيف كان فالاشاره بالواعظ المتّعظ إلى نفسه الشريف و مثله قوله:(و امتاحوا من صفو عين قد روقّت من الكدر)فانه استعار صفو العين للعلوم الحقه و هو من استعاره المحسوس للمعقول و الجامع أنّ العلم به حياه للأرواح كما أنّ صفو العين به حياه الأبدان و ذكر الترويق و الامتياح ترشيح للاستعاره أو الترويق تخييل و الامتياح ترشيح على ما مرّ و أراد الترويق من الكدر خلوّ تلك العلوم من شوائب الأوهام و بالامتياح أخذها من منبعها و هو أمر لهم باقتباس العلوم الشّرعيه و المعارف الحقه منه عليه السّلام.

و لما أمر بذلك أردفه بالنهى عن الركون إلى الجهاله فقال عليه السّلام (عباد اللّه لا تركنوا إلى جهالتكم) أى لا تميلوا إليها (و لا تنقادوا إلى أهوائكم) أى الأهواء الباطله المخرجه عن كرائم الأخلاق إلى رذائلها و عن حقّ المصالح إلى باطلها (فانّ النازل بهذا المنزل).

يحتمل أن يكون المراد به من ادّعى الخلافه من غير استحقاق لها الذى وضع نفسه فى مقام و نزل بمنزل ليس له أهليّه به و يشعر بذلك ما سيأتى من نهيه عليه السّلام عن الشكايه إلى من لا يقدر على ازاله الشكوى و ما ذكر بعده من أوصاف الامام الحقّ عليه السّلام.

إلاّ أنّ الأظهر بقرينه ما سبق أنّ المقصود به من نزل منزل الركون إلى الجهاله و مقام الانقياد إلى الأهواء، فانه لما نهى عن الركون و الانقياد علّله بذلك و أردفه به، يعنى أنّ من ركن إلى جهالته و انقاد إلى هواه و استبدّ برأيه و استغنى به عن امامه فقد أسّس بنيان دينه على باطل لاقوام له و لاثبات.

و مثله مثل (نازل بشفا جرف هار) مشرف على السقوط و الانهدام و هو اقتباس من قوله سبحانه:

«أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ »

يعنى من أسّس بنيان دينه على قاعده محكمه هى الحقّ الذى هو التّقوى من اللّه و طلب مرضاته بالطاعه خير أمّن أسّس بنيانه على قاعده هى أضعف القواعد و هو الباطل و النفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلّه الثّبات و الاستمساك.

قال الزمخشرى فى الكشاف: وضع شفا الجرف فى مقابل التقوى لأنّه جعله مجازا عمّا ينافى التقوى ثمّ قال:

فان قلت: فما معنى قوله فانهار به فى نار جهنّم؟ قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به فى نار جهنّم على معنى فطاح به الباطل فى نار جهنّم إلّا أنّه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف، و ليصوّر أن المبطل كأنّه أسّس بنيانه على شفا جرف من أوديه جهنّم فانهار به ذلک الجرف فهوى فى قعرها، و لا ترى أبلغ من هذا الكلام و لا أدّل على حقيقه الباطل و كنه أمره منه، هذا.

و لما نبّه عليه السّلام على أنّ الرّاكن إلى جهالته و المنقاد إلى هواه المستبدّ برأيه الزاعم لنفسه الاستقلال مقيم على باطل و نازل بمنزل فى معرض السّقوط و التهدّم، و كان الباطل مستلزما للهلاک الدّائم، عقّبه بقوله (ينقل الرّدى) أى الهلاک الناشى عن باطله (على «عن» ظهره من موضع إلى موضع لرأى) فاسد (يحدثه بعد رأى يريد أن يلصق ما لا يلتصق و يقرّب مالا يتقارب) أى يريد اثبات باطله بحجج باطله ثمّ حذّرهم عن الرّجوع إلى الجهّال و عن اتباع أئمه الضّلال بقوله:(فاللّه اللّه أن تشكوا إلى من لا يشكى شجوكم) أى لا يقدر على إزاله حزنكم برفع الأسباب الموجبه له، و ذلک لعدم بصيرته فى مجارى الامور و عدم معرفته بوجوه المصالح (و لا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم) أى لا يقدر على كشف المعضلات و حلّ المشكلات فى المعاش و المعاد لقلّه البصيره و المعرفه، و فى بعض النسخ: و ينقض برأيه بدون لا، و هو أولى، أى لا تشكوا إلى من ينقض برأيه الفاسد و نظره الكاسد ما قد أحكمه الشرع فى حقكم بالآيات الباهره و السنه الزاهره.

ثمّ لما نهاهم من الرجوع إلى من لا يتمكّن من إزاله الشّكوى و الشّجوى و لا

يستطيع حلّ المبرمات المغلقات، أردفه ببيان ما يجب على الامام بالنسبه إلى رعيّته ليعرفوا وظايف الامام و لوازم الامامه، فيتابعوا من اتّصف بها و يراجعوا إليه فى أمر الدّين و الدّنيا، و يرفضوا غيره و ينتهوا عنه فقال عليه السّلام (إنه ليس على الامام) الحقّ (إلاّ) القيام ب (ما حمّل من أمر ربّه) و هو امور خمسه:(الابلاغ فى الموعظه، و الاجتهاد فى النصيحه، و الاحياء للسنه، و إقامه الحدود على مستحقّيها، و إصدار السّهمان على أهلها) و من المعلوم أنه عليه السّلام قام بتلك الوظايف فأدّى ما حمّله و بالغ فى الموعظه و النصيحه و كفى به شهيدا ما ضمنه خطبه الشريفه، و أحيى الشريعه و أمات البدعه، و أقام الحدود من دون أن يأخذه فى اللّه لومه لائم، و عدل فى القسمه شهد بكلّ ذلك المؤالف و المخالف.

و أمّا غيره عليه السّلام من المنتحلين للخلافه فقد قصّروا فى ذلك و أحيوا البدعه، و فرّطوا فى إجراء الحدود، و فضلوا فى قسمه السّهام كما يظهر ذلك بالرّجوع إلى ما ذكره الأصحاب من مطاعنهم، و قد تقدّمت فى غير موضع من الشرح و تأتى أيضا فى مقاماتها اللاّئقه، هذا.

و لعلّ غرضه من النفى أعنى قوله عليه السّلام ليس على الامام إلاّ ما حمّل قطع الأطماع الفاسده و التوقّع للتفضّل فى القسمه كما كان دأب المتخلّفين و ديدنهم.

و لمّا نهيهم عن الرّكون إلى الجهل و الرّجوع إلى قاده الضلال عرفهم ما يجب رعايته على الامام من لوازم منصب الامامه و أمرهم بالرجوع إليه و بالأخذ من قبسات علمه فقال عليه السّلام:

(فبادروا العلم من قبل تصويح نبته) أى من قبل أن يجفّ نباته، و هو كنايه عن ذهاب رونقه أو عن اختفائه بفقدانه عليه السّلام (و من قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله) أى من قبل أن تكونوا مشغولين بتخليص أنفسكم من شرور بنى اميه و فتنها التى ستنزل بكم عن استثاره العلم و تهييجه و استخراجه من عند أهله، و أراد بأهله نفسه الشريف (و انهوا غيركم عن المنكر و تناهوا عنه فانما امرتم بالنّهى بعد التّناهى).

قال الشارح المعتزلی: فی هذا الموضع اشکال، و ذلک أنّ لقائل أن یقول النهی عن المنکر واجب علی العدل و الفاسق فکیف قال: إنّما امرتم بالنّهی بعد التناهی؟ و الجواب إنه لم یرد أنّ وجوب النهی عن المنکر مشروط بانتهاء ذلک الناهی من المنکر، و إنما أراد أنی لم آمرکم بالنّهی عن المنکر إلاّ بعد أن أمرتکم بالانتهاء عن المنکر فالترتیب إنّما هو فی أمره علیه السّلام لهم بالحالتین المذکورتین لا فی نهیهم و تناهیهم.

فان قلت: فلما ذا قدّم أمرهم بالانتهاء علی أمرهم بالنهی؟ قلت: لأنّ إصلاح المرء لنفسه أهمّ من الاعتناء باصلاحه لغیره انتهی.

و أقول: لا حاجه إلی ما تکلّفه فی الجواب، و الأولی أن یقال: إنّه علیه السّلام أمر بالنهی و التناهی معا أوّلا، و هو دلیل علی وجوب الأمرین کلیهما، و اتبعه بقوله:

فانّما امرتم بالنهی آه تنبیها علی أنّ التناهی فی نظر الشارع مقدّم علی النّهی و وجوبه آکد، لأنّ إصلاح النفس مقدّم علی إصلاح حال الغیر، و لأنّ النهی إنما یثمر بعد التناهی، و یکون تأثیره فی النفوس أقوی، و انفعال الطّبایع منه أشد أو آکد کما یشهد به العقول السلیمه و التجربه المستمره و توافقت علیه الشرائع و الآراء و دلّت علیه الأحادیث و الأخبار.

ففی الوسائل عن الکلینی باسناده عن طلحه بن زید عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی.

«فَلَمّا نَسُوا ما ذُکِّرُوا بِهِ أَنْجَیْنَا الَّذِینَ یَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ».

قال علیه السّلام کانوا ثلاثه أصناف: صنف ائتمروا و أمروا فنجوا، و صنف ائتمروا و لم یأمروا فمسخوا، و صنف لم یأتمروا و لم یأمروا فهلکوا.

و عن الصّدوق باسناده عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال فی وصیّته لولده محمّد بن الحنفیه: یا بنی اقبل من الحکماء مواعظهم و تدبّر أحکامهم، و کن آخذ النّاس

بما تأمر به، و أكفّ الناس عما تنهى عنه و أمر بالمعروف تكن من أهله، فانّ استتمام الامور عند اللّه تبارك و تعالى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و من الخصال مسندا عن محمّد بن أبى عمير رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنما يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عامل بما يأمر به تارك لما ينهى عنه، عادل فيما يأمر عادل فيما ينهى، رفيق فيما يأمر رفيق فيما ينهى.

و من المجالس باسناده عن المفضل بن عمر قال قلت لأبى عبد اللّه الصّادق عليه السّلام بم يعرف الناجي؟ فقال: من كان فعله لقوله موافقا فهو ناج، و من لم يكن فعله لقوله موافقا فانما ذلك مستودع.

و عن أبى حمزه عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام فى حديث وصف المؤمن و المنافق قال عليه السّلام: و المنافق ينهى و لا ينتهى و يأمر بما يأتى.

و عن الارشاد للحسن بن محمّد الدّيلمى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: رأيت ليله أسرى بى إلى السماء قوما تقرض شفاههم بمقاريض من نار ثمّ يرمى، فقلت يا جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: خطباء امّتك يأمرون النّاس بالبرّ و ينسون أنفسهم و هم يتلون الكتاب أ فلا يعقلون.

و الرّوايات فى هذا المعنى كثيره و فيما رويناه كفايه لمن له درايه، و فى هذا المعنى قال أبو الأسود الدّئلى:

و إذا جريت مع السّفيه كما جرى فكلا كما فى جريه مذموم

و إذا عتبت على السّفيه و لمته فى مثل ما تأتى فأنت ظلوم

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

و ابدء بنفسك فانهها عن عيبها فاذا انتهيت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما و عظت و يقتدى بالعلم منك و ينفع التعليم

و اللّه الهادى و هو الموفق.

ص:۲۵۲

الترجمه

فصل دویم از این خطبه متضمن نهی از رکون بجهالت و أمر باقتباس أنوار علم و هدایت است چنانچه فرموده:

آگاه باشید بدرستی که بيناترين چشمها آن چشمی است که نفوذ کند در أمر خير نظر با بصيرت او، آگاه باشيد بدرستی که شنواترين گوشها آن گوشی است که حفظ کند نصيحت را و قبول نمايد آنرا.

ای گروه مردمان طلب افروختن چراغ نمائيد از شعله چراغ پند دهنده و پند گيرنده، و بکشيد دلو آب معرفت را از چشمهٔ صافی زلال که صافی شده باشد از کدورت و تيره گی شبهات باطله.

ای بندگان خدا ميل ننمائيد بسوی جهالت خود، و اطاعت نکنيد مر خواهشهای نفسانيهٔ خود را، پس بتحقيق که نازل شونده باين منزل نازل شده است بکنار رودخانه سيل برده افتاده در حالتی که نقل ميکند هلاکت را بر پشت خود از محلّی بمحلّی بجهت رأی فاسدی که پديد می آرد آنرا بعد از رأی فاسد ديگر، إراده ميکند که بچسباند چيزی را که قابل چسبيدن نيست، و نزديک گرداند چيزی را که قابل نزديک شدن نيست.

پس می ترسانم شما را از خدا از اين که شکايت کنيد بکسی که زايل نتواند نمايد اندوه شکايت شما را، و بکسی که نتواند بشکند بارای صائب خود آن چيزی را که محکم شده برای شما، يعنی نتواند حل مشکلات شما را نمايد.

بدرستی که نيست بر امام مگر آنچه که بار کرده شده است بر او از أمر پروردگار خود و آن عبارتست از إکمال موعظه و جهد نمودن در نصيحت، و زنده کردن سنّت نبويّه، و إقامه حدود بر مستحقان آن، و باز گردانيدن سهمها و نصيبها بر أهل آن پس مبادرت کنيد بعلم و معرفت پيش از خشک شدن گياه آن و پيش از اين که مشغول شده باشيد بخلاصی نفس خود از فتنها از بيرون آوردن علم از نزد أهل آن و نهی کنيد از کار زشت و قبيح، و باز ايستيد از آن پس جز اين نيست که مأمور

شده اید شما بنهی کردن غیر بعد از باز ایستادن خود

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و الخامسه من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و شرحها فی ضمن فصلین، و صدرها مرویه فی الکافی باختلاف کثیر تطلع بعد الفراغ من شرح الفصل إنشاء اللّه تعالی

الفصل الاول

اشاره

الحمد للّه الّذی شرع الإسلام فسهل شرایعه لمن ورده، و أعزّ أرکانه علی من غالبه، فجعله أمنا لمن علقه، و سلما لمن دخله، و برهانا لمن تکلّم به، و شاهدا لمن خاصم به، و نورا لمن استضاء به، و فهما لمن عقل، و لبّا لمن تدبّر، و آیه لمن توسّم، و تبصره لمن عزم، و عبره لمن اتّعظ، و نجاه لمن صدّق، و ثقه لمن توکّل، و راحه لمن فوّض، و جنّه لمن صبر، فهو أبلج المناهج، و أوضح الولائج، مشرف المنار، مشرق الجوادّ، مضیّ المصابیح، کریم المضمار، رفیع الغایه، جامع الحلبه، متنافس السّبقه، شریف الفرسان، التّصدیق منهاجه، و الصّالحات مناره، و الموت غایته، و الدّنیا مضماره، و القیمه حلبته، و الجنّه سبقته.

ص:۲۵۴

منها فی ذکر النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

حتّی أوری قبسا لقابس، و أنار علما لحابس، فهو أمینک المأمون، و شهیدک یوم الدّین، و بعیثک نعمه، و رسولک بالحقّ رحمه، أللّهمّ اقسم له مقسما من عدلک، و اجزه مضاعفات الخیر من فضلک، أللّهمّ أعل علی بناء البانین بنائه، و أکرم لدیک نزله، و شرّف منزلته، و آته الوسیله، و أعطه السّناء و الفضیله، و احشرنا فی زمرته غیر خزایا و لا نادمین، و لا ناکبین، و لا ناکثین، و لا ضآلّین، و لا مضلّین، و لا مفتونین. قال السیّد (ره) و قد مضی هذا الکلام فیما تقدّم إلاّ أنا کرّرناه ههنا لما فی الرّوایتین من الاختلاف.

اللغه

(شرع) اللّه لنا کذا من باب منع أی أوضحه و أظهره و سنّه و الشّریعه کالمشرعه مورد الناس للاستسقا سمیّت بذلک لوضوحها و ظهورها، قال الأزهریّ و لا تسمیّها العرب مشرعه حتی یکون الماء عدّ الا انقطاع له کماء الأنهار، و یکون ظاهرا معیّنا و لا یستقی منه برشاء فان کان من ماء الأمطار فهو الکرع بفتحتین و (السّلم) بکسر السین و سکون اللاّم الصّلح یقال خذوا بالسّلم أی بالصّلح و یطلق علی المسالم أی المصالح کما یطلق الحرب علی المحارب و علیه ما فی الزّیاره: أنا سلم لمن سالمکم و حرب لمن حاربکم.

و (توسّم) الشیء تفرّسه و تخیّله و (الأبلج) المتّضح من بلج الصّبح أضاء و أشرق و (المنهج) الطریق الواضح المستقیم و (الولیجه) بطانه الرّجل و خاصّته،

و فی شرح المعتزلی هو المدخل إلی الوادی و غیره و (المشرف) المرتفع و (المضمار) موضع یضمر فیه الخیل للسّباق أو زمان التضمیر.

و (الحلبه) بالحاء المهمله و الباء الموحّده وزان سجده خیل تجمع للسباق من کلّ أوب و لا تخرج من وجه واحد یقال جاءت الفرس فی آخر الحلبه أی فی آخر الخیل و (السبقه) محرّکه ما یتراهن علیه المتسابقان و (القبس) الشعله و (أوری) اشعل و (العلم) محرّکه المنار و الجبل و نحوهما مما یرشد به إلی الطریق و (الحابس) الواقف بالمکان و (النزل) بضمّتین ما یهیّأ للنّزیل من الطعام و (السناء) الرّفعه و (الزّمره) الجماعه من النّاس (و خزی) خزیا من باب علم ذلّ و هان، و خزایا جمع خزیان مثل حیران و حیاری و غیر ان و غیاری.

الاعراب

قبسا بالنصب مفعول أوری أی أوری رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبسا و لا یجوز جعله حالا من فاعل أوری إذ لم یسمع أوری إلاّ متعدّیا یقال: وری الزند کوعی خرجت ناره و أوریته و ورّیته بالتضعیف أخرجت ناره، و علما منصوب علی المفعول أیضا و یحتمل الحال لأنّ أنار یستعمل متعدّیا و لازما.

قال الفیومی: النور الضّوء و هو خلاف الظلمه و الجمع أنوار، و أنار الصبّح أثاره أضاء و نوّر تنویرا و استنار استناره کلّها لازمه بمعنی، و نار الشیء ینور نیارا بالکسر أضاء أیضا فهو نیّر و هذا یتعدّی بالهمزه و التضعیف انتهی.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من کلامه علیه السّلام ملتقط من فصلین أوّلهما فی ذکر وصف الاسلام و بیان فضایله، و ثانیهما فی مدح رسول اللّه و تعظیمه و تبجیله و ذکر أوصافه الکمالیّه، و عقبه بالدّعاء الخیر علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

ص:256

أما الفصل الاول

فهو قوله (الحمد للّه الذی شرع الاسلام) أی سنّ الاسلام أو أوضحه و أظهره (فسهل شرایعه لمن ورده)شبّه الاسلام بنهر جار دائم الجریان و استعار عنه علی سبیل الکنایه و الجامع أنّ کلاّ منهما یروی الغلیل و العطشان إلاّ أنّ الماء یروی من غلل الأبدان و الاسلام من غلّ الأرواح، أو أنّ بکلّ منهما یحصل الطهاره و النظافه إلا أنّ الماء یطهرّ من القذر و النّجس، و الاسلام من الکفر و الرّجس و استعار الشرائع للاسلام علی سبیل التخییل، و المراد أنه سبحانه سهّل موارد العقول لمن أراد الدخول إلی الاسلام.

قال الشارح البحرانی: و تسهیله لها ایضاح قواعده و خطاباته بحیث یفهمهما الفصیح و الألکن، و یشارک الغبیّ فی ورد مناهله الفطن الذکیّ.

(و أعزّ أرکانه علی من غالبه) استعاره بالکنایه ایضا فانه شبهه بحصن عال و قصر مشید مستحکم البنیان، و محکم القواعد و الأرکان و اثبات الأرکان تخییل، و الجامع کونهما محفوظا من أن یهدم و یغالب، یعنی أنه سبحانه أعزّه و حماه من أن یتسلّط علیه المشرکون و یغلب علیه الکافرون کما قال تعالی:

«وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلاً ».

(فجعله أمنا لمن علقه) لا یخفی ما فی هذه الفقره و ما یتلوها من حسن الخطابه حیث ناط بکلّ واحده من اللّفظات لفظه تلایمها و تناسبها لو نیطت بغیرها لما انطبقت علیها و لا استقرّت فی قرارها، أ لا تراه کیف رتّب الأمن علی التعلّق، و السّلم.

علی الدّخول، و البرهان علی التکلّم، و الشهاده علی المخاصمه و کذا غیرها، فلو غیّر الاسلوب و قال: أمنا لمن تکلّم، و برهانا لمن دخل لکان الکلام معیبا مختلّ المعنی خارجا عن قانون الخطابه.

إذا عرفت ذلک فأقول: مراده علیه السّلام بهذه الفقره أنه سبحانه جعل الاسلام سببا لأمن من تعلّق به فی الدّنیا من إراقه الدّماء و فی الآخره من النار و من غضب الجبار (و سلما لمن دخله.)

ص:۲۵۷

قیل: استعار علیه السّلام لفظ السّلم باعتبار عدم اذاه لمن دخله فهو کالمسالم له أقول: و الأشبه أن یکون المراد أنّ من دخل الاسلام یکون الاسلام صلحا بینه و بین المسلمین به یحقن دمه و یقرّ علی ما یملکه (و برهانا لمن تکلّم به) أی من تکلّم مصاحبا بالاسلام و متّصفا به فهو برهان له بمعنی أنّ فیه بیّنه و حجّه یدلّ علی حقّیته (و شاهدا لمن خاصم به) أی من کان من المسلمین فی مقام المخاصمه بالملل الخارجه فالاسلام شاهد له، یعنی أنّ فیه ما هو شاهد و یشهد بصحّه قوله قال سبحانه:

«أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ وَ یَتْلُوهُ شاهِدٌ ».

قال الطریحی: أی برهان من اللّه و بیان و حجّه علی أنّ دین الاسلام حقّ، و هو دلیل العقل و یتلوه أی یتبع ذلک البرهان شاهد یشهد بصحّته و هو القرآن (و نورا لمن استضاء به) إذ به یهتدی إلی الجنّه، و یسلک إلیه کما یهتدی بالنور(و فهما لمن عقل)إذ بالدخول فیه و بریاضه النّفس بقواعده و أرکانه یتهیّأ الذّهن لقبول الأنوار الالهیّه و فهم الأسرار الحقّه فهو سبب للفهم الذی هو جوده تهیّؤ الذّهن لقبول ما یرد علیه فاطلق لفظه علیه مجازا من باب إطلاق اسم المسبّب علی السّبب (و لبّا لمن تدبّر)قال البحرانی: لما کان اللبّ هو العقل اطلق علیه لفظ العقل و إن کان سببا له، و أراد العقل بالملکه و ما فوقه من مراتب العقل فانّ الاسلام و قواعده أقوی الأسباب لحصول العقل بمراتبه (و آیه لمن توسّم) أی علامه یهتدی به إلی الحقّ للمتوسّم و هو المتفرّس المتأمّل المتثبّت فی نظره حتّی یعرف حقیقه سمت الشیء (و تبصره لمن عزم) یعنی أنه موجب لبصیره من قصد علی فعل الخیر و تبصره له فی إتیانه به علی ما ینبغی أن یکون علیه.

(و عبره لمن اتّعظ) یعنی من کان متدیّنا بدین الاسلام و نظر فیما وقع فی القرون الخالیه للام الماضیه و أنهم کیف اختر متهم أیدی المنون و انتسفتهم القرون فهو یعتبر بذلک و یتّعظ به.

ص:۲۵۸

و یحتمل أن یکون المراد أن نفس الاسلام عبره للمتّعظین، و ذلک لأنّ من لاحظ رونق الاسلام و نظر فی علوّ قدره و ارتفاع کلمته و ظهور سلطانه و ظفر المسلمین علی قلّتهم علی المشرکین مع کثرتهم. یحصل له بذلک عبره و بصیره فی الرّجوع إلی الحقّ.

(و نجاه لمن صدّق) یعنی أنّه سبب لنجاه من صدّق الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیما جاء به من عند اللّه سبحانه به یحصل له الخلاص فی الدّنیا من القتل و فی الآخره من العذاب (و ثقه لمن توکّل) إذ من دان بدین الاسلام و عرف المواعید الکریمه الثابته فی الکتاب و السنّه للمتوکلین یحصل له بذلک توکّل علی اللّه و حسن ثقه به (و راحه لمن فوّض) فانّ المسلم إذا کمل إسلامه و فوّض أمره إلی اللّه سبحانه کفاه اللّه جمیع أموره و أراحه من الاهتمام لها و به یشعر قوله سبحانه:

«وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ».

(و جنّه لمن صبر) أی من صبر علی ما فیه من مشاقّ الطّاعات و کلفه العبادات المالیه و البدنیّه یکون الاسلام وقایه له و جنّه من عذاب النّار و حرّ الجحیم.

(فهو أبلج المناهج) أی معروف الطرق و سیأتی بیانها (و أوضح الولایج) أی ظاهر البواطن و الاسرار لمن نظر إلیه بعین الاعتبار، أو أنه واضح المداخل معروف المسالک کما مرّ فی تفسیر قوله علیه السّلام فسهّل شرایعه لمن ورده (مشرف المنار) أی رفیعه الاعلام، و سیأتی بیان ذلک أیضا (مشرق الجواد) و هو قریب من أبلج المناهج(مضیء المصابیح)المراد بها إما الأدلّه و البراهین الداله علی حقّیته من الکتاب و السّنه، و استعار لها لفظ المصباح باعتبار أنها یهتدی بها إلیه کما یهتدی بالمصباح فی الظلمات، و إمّا الأئمه الهادون إلیه و المرشدون إلی معالمه، و ذکر الاضائه ترشیح.

(کریم المضمار رفیع الغایه جامع الحلبه متنافس السبقه شریف الفرسان) قال الشارح المعتزلی: کأنه جعل الاسلام کخیل السباق التی مضمارها کریم و غایتها

رفیعه عالیه و حلبتها جامعه حاویه و سبقتها متنافس فیها و فرسانها أشراف.

أقول: أراد بالفرسان المسلمین المؤمنین، و فسّر سایر ما کان محتاجا إلی التّفسیر بقوله (التصدیق منهاجه) الذی تقدم وصفه بأنه أبلج و أراد به التّصدیق باللّه و برسوله و بما جاء به من عند اللّه سبحانه و الاتیان بلفظ الجمع فیما سبق و بصیغه الافراد هنا أنّ الجمع باعتبار تعدد أفراده و الافراد بملاحظه نفس النوع و معلوم أنّ هذه التصدیقات أنوار واضحه الهدی.

(و الصّالحات مناره) أراد بها الأعمال الصّالحه و جعلها منارا باعتبار إضاءتها و اشراقها (و الموت غایته) و إنما جعله غایه له باعتبار انقطاع التکلیف عنده و انتهائه إلیه و وصفه بالرفعه فیما سبق باعتبار أنّه باب الوصول إلی حظیره القدس و الجنّه المأوی التی هی أرفع الغایات و منتهی المقاصد.

(و الدّنیا مضماره) لأنه دار مجاز لا دار قرار، و وصفها بالکرم سابقا باعتبار أنّ فیها یحصل الاستعداد للفوز بالدّرجات العالیه و المقامات المتعالیه، و لا ینافی ذلک ما ورد فی ذمّها، لأنه ناظر إلی ذمّ من رکن إلیها و قصّر نظره فیها و غفل عما وراها، فانّ من أبصر بها بصرته، و من أبصر إلیها أعمته.

(و القیامه حلبته) أی ذات حلبته و موضعها الذی یجتمع الکلّ فیها من کلّ ناحیه لأنها یوم الجمع (و الجنّه سبقته) جعلها اللّه سبحانه جزاء للسابقین، و فی مثلها فلیتنافس المتنافسون.

و أما الفصل الثانی

المسوق لبیان تمجید الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تعظیمه فهو ما أشار إلیه السّید بقوله (منها فی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی أوری قبسا لقابس) أی أظهر نور الحقّ و أخرج شعله الهدایه للطالبین المهتدین(و أنار علما لحابس)أصل إناره العلم للحابس أن یوقد علیه النار و یستنار لیهتدی به الضّال الحابس أی الذی حبس ناقته و وقف لا یدری کیف یهتدی المنهج، و استعاره هنا لاظهاره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنور الهدایه لیهتدی بها من حبسته ظلمه الحیره و الشبهه عن سلوک سبیل الحقّ.

و المراد بأنوار الهدایه المعجزات الباهره و الأدلّه القاهره من الکتاب

و السنّه، و يحتمل أن يكون العلم مستعارا لأئمه الدين و الاناره كنايه عن النصّ عليهم بالامامه (فهو أمينك المأمون) على أداء رسالاتك (و شهيدك يوم الدّين) على مخلوقاتك و قد تقدّم تحقيق هذه الشهاده فى شرح الخطبه الحاديه و السّبعين (و بعيثك نعمه) أى مبعوثك إلى الخلق نعمه عليهم بهدايتهم به إلى جنّتك (و رسولك بالحقّ رحمه) لعبادك أن يقعوا فى مهاوى الهلاك بسخطك كما قال عزّ من قائل:

«وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ » ثمّ دعا فى حقّه صلوات اللّه عليه و آله بقوله:(اللّهمّ اقسم له مقسما من عدلك) أى قسمه و حظّا و نصيبا هو مقتضى عدلك، و هو أن يبلغ نفسه النفيس الذى هو محلّ الرّساله أقصى مراتب القرب و الوصول بماله من الاستعداد و القابليه و الكمالات النفسانيه التى جعلته قابلا لذلك.

و لما دعا له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بما يستحقه زاد على ذلك فدعا له بقوله (و اجزه مضاعفات الخير من فضلك) و سأل بذلك أن يتفضّل عليه بزياده من فضله فيضاعف له الخير بمقتضى فضله و كرمه.

(اللّهمّ اعل على بناء البانين بنائه) و المراد به إمّا إعلاء ما بناه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الشريعه و شيّده من الدّين على ساير ما شيّده الأنبياء و بنوه من الشرائع و الدّين، و إمّا إعلاء ما بناه لنفسه من مراتب الكمال و درجات العزّ و الجلال، و على التقديرين فلفظ البناء استعاره و الاعلاء ترشيح.

(و أكرم لديك نزله) استعار عليه السّلام لفظ النزل لما هيّأه اللّه سبحانه فى حقّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الثواب الجزيل و الأجر الجميل (و شرّف عندك منزله) فى حظيره القدس (و آته الوسيله) و هو امتثال لما طلبه من امته بقوله: سلوا اللّه لى الوسيله.

قال الشارح البحرانى: دعا عليه السّلام أن يؤتيه ما يتوسّل به إليه و يقرّبه منه و هو أن يكمل استعداده لما هو أتمّ القوّه على الوصول إليه.

ص:۲۶۱

أقول: و ليس بشيء، بل المراد بها ما ورد فى الأخبار من أنها أعلا درجه فى الجنّه لها ألف مرقاه ما بين المرقاه إلى المرقاه حصر الفرس الجواد مأئه عام، و هى ما بين مرقاه جوهر إلى مرقات ياقوت إلى مرقاه ذهب إلى مرقاه فضّه، فيؤتى بها يوم القيامه حتّى تنصب مع درجه النّبيّين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبى و لا صدّيق و لا شهيد إلّا قال: طوبى لمن كان هذه الدرجه درجته (و اعطه السّناء) أى الرفعه (و الفضيله).

ثمّ دعا عليه السّلام لنفسه. و لصالحى المؤمنين بقوله:(و احشرنا فى زمرته) و جماعته (غير خزايا) و خجلين بمعصيه اللّه (و لا نادمين) على التفريط فى جنب اللّه (و لا ناكبين) منحرفين عن سبيل اللّه (و لا ناكثين) ناقضين لعهد(١) اللّه (و لا ضالّين) عن سواء السبيل (و لا مفتونين) باللغو و الأباطيل.

و اعلم أنّ هذا الفصل أعنى الفصل الثانى من هذا الكلام قد مضى روايته من السّيد (ره) فى الكتاب و هى الخطبه الحاديه و السّبعون إلاّ أنّه (ره) كرّره ههنا لما فى الروايتين من الاختلاف و بالمراجعه إليهما يعرف مواقعه، و قد قدّمنا فى شرح ما سبق نكات بديعه و فوائد نافعه من أراد الانتفاع فليراجع إليه.

و هنا لطيفه يعجبنى ايرادها فى المقام

و هى أنّ الشارح المعتزلى قال بعد الفراغ من شرح هذا الفصل من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام:

قلت: سألت النقيب أبا جعفر و كان منصفا بعيدا عن الهوى و العصبيّه عن هذا الموضع فقلت له: و قد وقفت على كلام الصحابه و خطبهم فلم أر فيهم من يعظّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تعظيم هذا الرّجل و لا يدعو كدعائه، فإنا قد وقفنا من نهج البلاغه

١- (١) المراد به ما عهده لعباده من أن يعبدوه و يخلصوا له الدين كما قال عز من قائل ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين و أن أعبدونى هذا صراط مستقيم و لقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون منه،.

و من غيره على فصول كثيره مناسبه لهذا الفصل تدلّ على إجلال عظيم و تبجيل شديد منه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقال: و من أين لغيره من الصحابه كلام مدوّن لتعلم منه كيفيّه ذكرهم للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هل وجد لهم إلّا كلمات متبدّده لا طائل تحتها.

ثمّ قال: إنّ عليّا عليه السّلام كان قويّ الايمان برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التّصديق له، ثابت اليقين قاطعا بالأمر متحققا له، و كان مع ذلك يحبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لنسبته منه و تربيته له و اختصاصه به من دون الصّحابه و بعد فشرفه له لأنّهما نفس واحده فى جسمين الأب واحد، و الدّار واحده، و الأخلاق مناسبه، فاذا عظّمه فقد عظّم نفسه، و إذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه، و لقد كان يودّ أن تطبق دعوه الاسلام مشارق الأرض و مغاربها، لأنّ جمال ذلك لا حق به و عائد إليه، فكيف لا يعظّمه و يبجّله و يجتهد فى أعلاء كلمته؟! قال الشّارح فقلت له: قد كنت اليوم أنا و جعفر بن مكى الشاعر نتجارى هذا الحديث.

فقال جعفر: لم ينصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحد نصره أبى طالب و بنيه له أمّا أبو طالب عليه السّلام فكفّله و ربّاه ثمّ حماه من قريش عند إظهار الدّعوه بعد إصفاقهم و إطباقهم على قتله، و أمّا ابنه جعفر فهاجر بجماعه من المسلمين إلى حبشه فنشر دعوته بها، و أمّا علىّ عليه السّلام فانّه أقام عماد الملّه بالمدينه.

ثمّ لم يمن أحد من القتل و الهواء و التشريد بما منى به بنو أبى طالب أمّا جعفر فقتل يوم بموته، و أما علىّ عليه السّلام فقتل بالكوفه بعد أن شرب نقيع الحنظل و تمنّى الموت، و لو تأخّر قتل ابن ملجم له لمات أسفا و كمدا، ثمّ قتل ابناه بالسمّ و السّيف و قتل بنوه الباقون مع أخيهم بالطّف و حملت نسائهم على الأقطاب سبايا إلى الشام و لقيت ذرّيتهم و أخلافهم بعد ذلك من القتل و الهوان و الصلب و التشريد فى البلاد و الحبس و الضرب ما لا يحيط الوصف بكنهه، فأىّ خير أصاب هذا البيت من نصرته و محبّته و تعظيمه بالقول و الفعل؟

ص:۲۶۳

فقال و أصاب فيما قال: فهلّا قلت:

«يَمُنُّونَ عَلَيْکَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَکُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْکُمْ أَنْ هَداکُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِينَ ».

ثمّ قال إنّ اللّه زوى الدّنيا عن صالحى عباده و أهل الاخلاص له لأنّه لم يرها ثمنا لعبادتهم و لا كفوا لاخلاصهم و أرجا جزائهم إلى دار أخرى غير هذه الدّار فى مثلها فليتنافس المتنافسون.

أقول: للّه درّ النّقيب فلقد أبدع فى الكلام و أصاب فى الجواب و راعى الانصاف و جانب الاعتساف و أفصح عن الحقّ و أبان الصّدق إلّا أنّه لا يكاد ينقضى عجبى منه و من مثله انه مع هذا الفضل و الذّكاء كيف تشبّث بأذيال المتخلّفين و لم يتمسّك بالعروه الوثقى و الحبل المتين، فانّ محصّل ما ذكره يرجع إلى وجوه:

الأوّل أنّ غيره عليه السّلام من الصّحابه لم يوجد لهم كلام منظم و لا بيان منتظم حتّى يعرف منه كيفيّه تعظيمهم للنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تبجليهم له و لا بدّ أن يكون سرّ ذلك إمّا قلّه معرفتهم بأساس البلاغه أو وهن اعتقادهم فى أمر الرّساله و زعمهم أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بشر مثلهم يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق، و مثل ذلك لا يستحقّ بهذا التبجيل و الاكرام و التوقير و الاعظام.

الثانى أنّ صدور أمثال هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السّلام كان من قوّه الايمان و الايقان و شدّه التحقيق و التصديق و القطع و اليقين الذى كان له عليه السّلام فى أمر الرساله و هو بظاهره يفيد أنّ غيره عليه السّلام لم يكن لهم هذا القطع و اليقين و لا لهم معرفه تلك المعرفه و كانوا يظنّونه ظنّا و ما هم بمعتقدين، و مع ذلك كيف يجوز ترجيحهم عليه و تقديمهم و تأخيره و تعظيمهم و تحقيره، و من المعلوم أنّ الخلافه هو النيابه و النائب كلّما كان أشدّ معرفه بمراتب المنوب عنه و آكد يقينا بشئوناته كان قيامه بوظايف النيابه و إتيانه بمطلوب المنوب عنه و مقاصده أكمل و أتمّ، و لو لم يكن له معرفه بها فكيف يقوم بالأمر و يتصرّف فيه.

الثّالث أنّه كان يحبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان له نسبه مخصوصه إليه و اختصاص خاصّ به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم يكن لساير الصحابه ذلك الاختصاص و النسبه و المحبّه أقول: و بعد الاعتراف بذلك كيف يجوز القول بخلافه غيره؟ فانّ التجربه و الوجدان شاهدان على أنّ المراد إذا نزلت به داهيه أو وقع فى بليه أو دنا أجله يفوّض أمره إلى خاصّيته و بطانته و يوصى إليه وصيّته و لا يقدّم الأجانب على الأقارب و الأباعد على الخواصّ.

الرّابع أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان مع النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمنزله نفس واحده، و هو كذلك فقد شهدت به آيه المباهله، و هى تدلّ على منتهى كماله عليه السّلام و فضله و شرفه و بلوغه فى ذلك الغايه و تقدّمه فيه على الكلّ حيث جعله سبحانه بمنزله نفس النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مع ذلك كلّه كيف جاز ترجيح غيره عليه.

«أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ».

و قوله و لقد كان عليه السّلام يودّ أن يطبق دعوه الاسلام مشارق الأرض و مغاربها.

أقول: فلقد كان كذلك و أما غيره فلقد كانوا «يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ ». هذا و أمّا ما رواه من جعفر بن مكى فى المذاكره التى كانت بينه و بينه من أنه لم ينصر أحد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نصره أبى طالب عليه السّلام و بنيه و أنّه ما ابتلى أحد فيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمثل ما ابتلى فيه هؤلاء فهو كما قال إلاّ أنه غلط فى قوله و أىّ خير أصاب هذا البيت من نصرته و محبّته و تعظيمه بالقول و الفعل.

أما أوّلا فلأنه ليس لأمثال هؤلاء الجهال أن يتفوّهوا بمثل هذا الكلام الدال على ابداء المغايره بين البيتين و المجانبه بين الجسمين الذين هما بمنزله نفس

واحده حسبما قدّمناه.

و أما ثانيا فلأنه كما قال النّقيب ليس لآل أبى طالب عليه السّلام منّه فى ذلك على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، بل المنّه للّه و لرسوله على جميع الخلايق.

و أما ثالثا فلأنه لم يكن غرض آل أبى طالب فيما فعلوا من الموازره و النصره و الحمايه للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الجهاد بين يديه به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعده جلب المنفعه و طلب الخير و إنما كان قصدهم إحياء السنّه و إعلاء لواء الشريعه و إقامه اعماد الاسلام و المله، طلبا لرضوان الحقّ، و حبا له و وفاء بعهده، كما يفصح عن ذلك قوله سبحانه:

«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ » و قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ » الآيه و قوله: صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «لاعطين الرايه غدا رجلا يحبّ اللّه، الحديث».

و أمّا رابعا فلأنّ قوله و أىّ خير أصاب آه.

إن أراد به خير الدنيا ففيه أنّ القنيات الدّنيويه و زخارفها و زبرجها إنّما لها وقع فى نظر أهلها لا فى نظرهم و إنّما هى عندهم بجميع ما فيها أهون و أزهد من عراق(۱) خنزير فى يد مجذوم.

و إن أراد خير الآخره فأقول: و أىّ خير أعظم من أنّ هذا البيت كان تالى بيت الرساله، فقد جعل اللّه الرساله فى بيت عبد اللّه و الخلافه فى بيت أبى طالب و أتا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جوامع الكلم، و عليّا عليه السّلام جوامع الكلام، و جعله مدينه العلم و الحكمه، و جعل عليّا عليه السّلام بابها و جعله منه بمنزله هارون من موسى عليه السّلام، و جعله و أولاده شهداء دار الفناء و شفعاء دار البقاء و صار نعمه اللّه على الأبرار و نقمته على الفجار، و فوّض إليه سقايه الكوثر و قسمه الجنّه و النّار و جعله حامل لواء الحمد و أمين مفاتيح الجنّه.

۱- (۱) و هو العظم الذى نحت عنه اللّحم.

ففی کشف الغمّه من أمالی الطوسی عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: أعطانی اللّه تبارک و تعالی خمسا و أعطا علیّا خمسا: أعطانی جوامع الکلم و أعطی علیّا جوامع العلم، و جعلنی نبیّا و جعله وصیّا، و أعطانی الکوثر و أعطاه السّلسبیل، و أعطانی الوحی و أعطاه الالهام، و أسرا بی إلیه و فتح له أبواب السماء و الحجب حتّی نظر إلیّ و نظرت إلیه.

إلی غیر هذه مما روته الخاصه و العامّه و اللّه ولیّ التوفیق.

تکمله

الفصل الأوّل من فصلی هذا الفصل من هذه الخطبه مرویّ فی الکافی بطریق آخر أحببت إیراده قال:

روی علیّ بن إبراهیم عن أبیه و محمّد بن یحیی عن أحمد بن محمّد بن عیسی و عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد جمیعا عن الحسن بن محبوب عن یعقوب بن السراج عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام، و بأسانید مختلفه عن الأصبغ بن نباته قال: خطبنا أمیر المؤمنین علیه السّلام فی داره أو قال فی القصر و نحن مجتمعون ثمّ أمر صلوات اللّه علیه فکتب فی کتاب و قرء علی النّاس.

و روی غیره أنّ ابن الکوّا سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام عن صفه الاسلام و الایمان و الکفر و النفاق فقال علیه السّلام:

أما بعد فانّ اللّه تبارک و تعالی شرع الاسلام و سهل شرایعه لمن ورده و أعزّ أرکانه لمن حاربه و جعله عزّا لمن تولاه و سلما لمن دخله و هدی لمن ائتمّ به و زینه لمن تجلّله و عذرا لمن انتحله و عروه لمن اعتصم به و حبلا لمن استمسک به و برهانا لمن تکلّم به و نورا لمن استضاء به و شاهدا لمن خاصم به و فلجا لمن حاجّ به و علما لمن وعاه و حدیثا لمن دری و حکما لمن قضی و حلما لمن حرب و لباسا لمن تدبّر و فهما لمن تفطن و یقینا لمن عقل و بصیره لمن عزم و آیه لمن توسّم و عبره لمن اتعظ و نجاه لمن صدّق و تؤده لمن أصلح و زلفی لمن أقرب وثقه لمن توکّل و رخاء لمن

فوض و سبقه لمن أحسن و خيرا لمن سارع و جنه لمن صبر و لباسا لمن اتّقى و ظهيرا لمن رشد و كهفا لمن آمن و أمنه لمن أسلم و روحا لمن صدق و غنى لمن قنع.

فذلك الحقّ سبيله الهدى و ما ثرته المجد و صفته الحسنى فهو أبلج المنهاج مشرق المنار زاكى المصباح رفيع الغايه يسير المضمار جامع الحلبه سريع السبقه أليم النقمه كامل العده كريم الفرسان.

فالايمان منهاجه و الصّالحات مناره و الفقه مصابيحه و الدنيا مضماره و الموت غايته و القيامه حلبته و الجنّه سبقته و النّار نقمته و التّقوى عدّته و المحسنون فرسانه.

فبالايمان يستدلّ على الصّالحات و بالصّالحات تعمر الفقه و بالفقه يرهب الموت و بالموت تختم الدّنيا و بالدّنيا تجوز القيامه و بالقيامه تزلف الجنّه و الجنّه حسره أهل النّار و النّار موعظه للمتقين و التّقوى سنخ الايمان.

الترجمه

و از جمله خطب شريفهٔ أن إمام مبين و وارث علم النّبيين است صلواه اللّه عليه و آله أجمعين در ذكر فضائل ملّت اسلام و مناقب حضرت سيّد الأنام عليه و آله آلاف التّحيه و السّلام مى فرمايد:

حمد بى حدّ معبود بحقى را سزاست كه پديد آورد و ظاهر نمود دين اسلام را پس آسان گردانيد راههاى آنرا بجهه كسى كه بخواهد وارد آن شود، و عزيز گردانيد ركنهاى آنرا بر كسى كه بخواهد غلبه آن نمايد، پس گردانيد آنرا ايمنى از عذاب از براى كسى كه در آويخت بآن، و صلح و آشتى از براى كسى كه داخل شد در آن، و دليل روشن از براى كسى كه تكلّم كرد بآن، و گواه از براى كسى كه مخاصمه نمود بوسيله آن، و نور هدايت از براى كسى كه روشنى جست بآن، و فهم از براى كسى كه عاقل شود، و عقل از براى كسى كه تدبر نمايد، و علامت و نشانه از براى كسى كه تفرّس و تأمّل نمايد و آله بصيرت از براى كسى كه صاحب عزم باشد، و عبرت از براى كسى كه پند گيرد،

ص:۲۶۸

و نجات و خلاصی از برای کسی که تصدیق کرد، و وثوق و اعتماد از برای کسی که توکّل نمود، و راحت و آسایش مر کسی را که تفویض کرد کار خود را بخدا سپر مر کسی را که صبر نمود برنج و عنا پس آن اسلام روشن تر است راههای آن، آشکارتر است سرّهای آن، بلند است مناره آن، تابانست راههای آن، درخشان است چراغهای آن، گرامیست میدان آن، بلند است نهایه آن جمع کننده است حلبهٔ آن یعنی اسبانی که فراهم آورده می شود از أطراف و نواحی متعدّده بجهه اسب دوانی و مسابقت.

رغبت کرده شده است سبقت آن یعنی چیزی که مقرر شده بجهت سبقت کننده از اسب دوانها، بزرگوار است سوارهای آن.

تصدیق بخدا و رسول راه راست اسلام است، و عملهای صالح مناره او است و مرگ غایت او است، و دار دنیا میدان اسب دوان او است، و روز قیامت صاحب حلبه او، و بهشت عنبر سرشت سبقه او.

بعضی دیگر از این در ذکر حضرت رسالتمآب صلواه اللّه و سلامه علیه و آله است که فرمود:

تا این که بر افروخت پیغمبر خدا شعله أنوار دین مبین از برای آتش گیرنده اقتباس نور کننده، و روشن گردانید علامت و نشانه را از برای حبس کننده، یعنی کسی که ایستاده باشد در وادی حیرت و ضلالت، و مرکب خودش را نگه بدارد بجهه یافتن راه هدایت.

پس حضرت رسالت أمین مؤتمن تست در تبلیغ احکام، و شاهدتست بر امّتان و مبعوث و برانگیخته تست از روی نعمت بر جمیع عالمیان، و رسول تست از روی رحمت بآدمیان.

بار خدایا قسمت بده از برای او حظ وافر را از عدل کامل خودت، و جزا بده باو زیادتیهای خیر را از فضل شامل خود.

بار خدایا و بلند گردان بر بنای بنا کنندگان بنای او را، و گرامی دار نزد خودت اجر و جزای او را، و بده او را وسیله را، و عطا کن او را بلندی و فضیلت را

ص:۲۶۹

و محشور گردان ما را در میان گروه او از مؤمنان و صالحان در حالتی که رسوا و خوار نباشیم نزد خلقان، و نه پشیمانان، و نه از راه راست منحرف شوندگان، و نه شکنندگان عهد و پیمان، و نه گمراهان، و نه گمراه کنندگان، و نه در فتنه افتاده شدگان.

الفصل الثانی

اشاره

منها فی خطاب أصحابه: و قد بلغتم من كرامه اللّه لكم منزله تكرم بها إمائكم، و توصل بها جيرانكم، و يعظّمكم من لا فضل لكم عليه، و لا ـ يد لكم عنده، و يهابكم من لا ـ يخاف لكم سطوه، و لا ـ لكم عليه إمره، و قد ترون عهود اللّه منقوضه، فلا تغضبون، و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون، و كانت أمور اللّه عليكم ترد، و عنكم تصدر، و إليكم ترجع، فمكنتم الظّلمه من منزلتكم، و ألقيتم إليهم أزمّتكم، و أسلمتم أمور اللّه فی أيديهم، يعملون فی الشّبهات، و يسيرّون فی الشّهوات، و أيم اللّه لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم.

اللغه

(الوصل) ضدّ القطع و (الذّمه) العهد و الامان و الضمان و الحرمه و الحقّ و (اليد) النّعمه و (أنف) انفا من باب فرح استنكف.

الاعراب

الواو فی قوله علیه السّلام: و أنتم للحال، و الجمله بعدها حال من فاعل تغضبون، و جمله یعملون فی الشبهات استینافیه بیانیه أو حال من الضمیر المجرور فی أیدیهم و لو فی قوله: و لو فرقوکم، بمعنی ان الشرطیه إذ لو ابقیت علی معناها الأصلیّ لدلّت علی الانتفاء عند الانتفاء کما فی قوله تعالی:

«لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَهٌ إِلَّا اللّهُ لَفَسَدَتا ».

و هو باطل و الاتیان بالشرط و الجواب ماضیین إشاره إلی تصویر غیر الحاصل بصوره الحاصل أو تنبیها علی وقوعهما لا محاله.

المعنی

اعلم أنّ هذا الفصل من کلامه علیه السّلام کما قال الشّارح المعتزلی خطاب لأصحابه الذین أسلموا مدنهم و نواحیهم إلی جیوش معاویه التی کان یغیر بها علی أطراف أعمال علیّ علیه السّلام کالأنبار و غیرها ممّا تقدّم ذکرها فی الشرح فقال علیه السّلام لهم (و قد بلغتم من کرامه اللّه لکم) بالاسلام بعد ان کنتم مجوسا و صابئه و عبده أصنام (منزله) عظیمه (تکرم بها امائکم) و عبیدکم و من کان مظنه المهانه و المذله (و توصل بها جیرانکم) أی الملتجئین إلیکم من معاهد أو ذمیّ، فانّ اللّه تعالی حفظ لهم ذمام المجاوره لکم حتّی عصم دمائهم و أموالهم، و یحتمل أن یراد به المجاورون فی المسکن.

(و یعظّمکم من لا فضل لکم علیه و لا ید لکم عنده) کالرّوم و الحبشه، فقد عظموا مسلمی العرب لتقمّصهم بلباس الاسلام و اظهارهم شعاره (و یهابکم من لا یخاف لکم سطوه و لا لکم علیه امره) أی أماره و سلطنه کالملوک فی أقاصی البلاد مثل الهند و الصّین و نحوها، فانهم هابوا دوله الاسلام و إن لم یخافوا سطوتها و سیوفها

و ذلک لأنّه شاع و ذاع أنّهم قوم صالحون إذا دعوا اللّه استجاب اللّه دعوتهم و ینصرهم بملائکته و یمدّهم بجنوده، هذا.

و لما قرّر نعمه اللّه و منته علیهم أردفه بالتوبیخ لهم علی التقصیر فی أداء واجب حقّه، و أشار إلی ارتکابهم بعض مسببات کفران نعمته بقوله:(و قد ترون عهود اللّه منقوضه فلا تغضبون) أراد بذلک رؤیتهم من أهل الشّام و أمثالهم فعل المنکرات من مخالفه الأحکام الشّرعیه و الأوامر الالهیه و البغی و الخروج علی الامام المفترض الطّاعه، و الاغاره علی المسلمین و المعاهدین و عدم إنکارهم علی ذلک و سکوتهم علیه مع تمکّنهم من إزالته و دفعه بالجهاد و الجدل.

و بالجمله فالمراد أنکم ترون عهود اللّه التی أخذها علی العباد باتیان الواجبات و ترک المنهیّات منقوضه فلا تنکرونه و تسکتون علیه (و أنتم لنقض ذمم آبائکم تأنفون) و تستنکفون، و لا ریب أنّ السکوت عن انکار تلک المنکرات مع الاستنکاف عن نقض ذمم الآباء یدلّ علی أنّ عهود اللّه سبحانه أهون و أضعف عندهم من عهود آبائهم، و هو فی حدّ الکفر.

(و کانت امور اللّه علیکم ترد و عنکم تصدر و إلیکم ترجع) قال العلاّمه المجلسیّ (ره) أی أنتم المخاطبون بالأوامر و النواهی، أو کنتم قبل ذلک فی أیام الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم موارد الامور و مصادرها مطیعین له منکرین للمنکرات، و کان المراد بالورود السّؤال و بالصدور الجواب و بالرّجوع التحاکم. و یمکن تعمیم المراد بالورود و الصّدور، فالمراد بالرّجوع رجوع النفع و الضرر فی الدّارین.

و قال الشّارح المعتزلی: کانت الأحکام الشّرعیه إلیکم ترد منّی و من تعلیمی إیّاکم و تثقیفی(۱) لکم، ثمّ یصدر عنکم إلی من تعلّمونه إیّاها من أتباعکم و تلامذتکم، ثمّ یرجع إلیکم بأن یتعلّمها بنوکم و إخوتکم من هؤلاء الاتباع و التّلامذه.

۱- (۱) التثقیف التفهیم من ثقفت الحدیث فهمته لبرعه منه،

(ف) فررتم من الزّحف لما أغارت جيوش الشام عليكم و (مكّنتم الظلمه من منزلتكم) بتخاذلكم عن جهادكم (و ألقيتم إليهم أزمّتكم) كالدّابه التی زمامها بيد راكبها يوجّهها أين شاء و يتصرّف فيها كيف يشاء (و أسلمتم أمور اللّه فی أيديهم) أی جعلتم امور اللّه و أحكامه الجاريه فی بلاده و عباده مسلّمه مفوّضه إليهم موكوله إلی آرائهم، و كلّ ذلك بالتقصير عن مجاهدتهم.

(يعملون فی) التكاليف الشرعيه و الأحكام الالهيّه با (الشبهات) الفاسده و الآراء الكاسده يزعمونها حججا باهره و براهين ساطعه (و يسيرون فی الشّهوات) النفسانيه و ينهمكون فيها.

ثمّ أخبر بمآل حال بنی اميّه المشار إليهم بالظلمه تحذيرا لهم و إنذارا بقوله:(و ايم اللّه لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب) و بدّدوكم فی البلاد(لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم)و ينتقم بسوء أعمالهم عنهم، و كنّی بشّر اليوم عن ظهور المسوره من أهل العراق و خراسان و انتقامهم من بنی اميّه و أهل الشام، و يحتمل أن يكون إشاره إلی ظهور إمام الزّمان عليه السّلام و جمعهم فی الرّجعه، و المراد جمع صنفهم و اللّه ولیّ التّوفيق.

الترجمه

بعض ديگر از اين خطبهٔ شريفه در خطاب بأصحاب خود و توبيخ و ملامت ايشان بتقصير از جهاد أهل شام و أتباع معاويهٔ بی ايمان است می فرمايد:

و بتحقيق كه رسيديد شما از كرامت و نوازش حضرت عزّت مر شما را كه عبارتست از مشرف نمودن شما بشرف اسلام بمنزله و مقامی كه گرامی داشته می شود بسبب آن منزلت كنيزهای شما، و پيوند می شود أشخاصی كه در أمان شما می باشند از أهل ذمه و معاهدين، و تعظيم ميكند شما را كسی كه هيچ فضيلت و مزيتی نيست شما را بر او، و هيچ نعمتی نيست شما را در نزد او، و می ترسد از شما كسی كه نمی ترسد از قهر و غلبه شما، و نيست مر شما را بر او أمارت و حكومت.

و بتحقيق می بينيد شما عهدهای خداوند شكسته شده پس غضب نمی كنيد

ص:۲۷۳

و متغیّر نمی شوید و حال آنکه شما از برای شکستن عهدهای پدران خود استنکاف دارید، و بود أمرهای خدا بر شما وارد می شد و از شما صادر می گردید و بشما راجع بود.

پس تمکین دادید ظالمین را از بنی امیه و بنی مروان و سایر أهل شام بمنزل خودتان، و بیفکندید بسوی ایشان جلو خودتان، و مطیع و منقاد شدید بایشان و سپردید کارهای خدا را در دست ایشان عمل میکنند آنها بشبههای باطله، و سیر میکنند در شهوات و خواهشات نفسانیه، و بخدا سوگند اگر پراکنده کنند ایشان شما را در زیر هر أختری هر آینه جمع کند شما را خدا برای بدترین روزی که از برای ایشانست، که عبارتست از روز ظهور امام زمان علیه السّلام.

و من خطبه له علیه السّلام فی بعض ایام صفین و هی المأه

اشاره

و السادسه من المختار فی باب الخطب

و قد رأیت جولتکم و انحیازکم عن صفوفکم، تحوزکم الجفاه الطّغام، و أعراب أهل الشّام، و أنتم لهامیم العرب، و یآفیخ الشّرف، و الأنف المقدّم، و السّنام الأعظم، و لقد شفی وحاوح صدری أن رأیتکم بآخره تحوزونهم کما حازوکم، و تزیلونهم عن مواقفهم کما أزالوکم، حسّا بالنّضال، و شجرا بالرّماح، ترکب أولیهم أخراهم کالإبل الهیم المطروده، ترمی عن حیاضها، و تذاد عن مواردها.

ص:۲۷۴

اللغه

(جال) الفرس فى الميدان يجول جوله و جولانا قطع جوانبه، و جال القوم جوله انكشفوا ثمّ كرّوا و (انحاز) الرجل إلى القوم بمعنى تحيّز إليهم، قال تعالى: أو متحيّزا إلى فئه، أى مائلا إلى جماعه من المسلمين، و فى القاموس انحاز القوم تركوا مراكزهم و (حزت) الشىء جمعته و ضممته و حزته أيضا غلبته و (الجفاه) جمع جاف و هو الغليظ من النّاس و (الطغام) بالطاء المهمله و الغين المعجمه و زان سحاب الأوغاد من النّاس، و هى جمع وغد و هو الأحمق الضّعيف الرّذل الدّنى.

و (العرب) محركه خلاف العجم مؤنث و هم سكّان الأمصار أو عامّ و الأعراب منهم سكان الباديه لا واحد لها و يقال للواحد أعرابى و (اللّهاميم) جمع اللّهموم بالكسر كالقنديل و القناديل و هو السّابق الجواد من النّاس و الخيل أو جمع اللّهموم بالفتح كاليعسوب و اليعاسيب و هى النّاقه الغزيره و السّحابه الغزيزه القطر و (اليآفيخ) جمع يافوخ و هو ملتقى عظم مقدم الرأس و مؤخره و يقال لمعظم الشىء أيضا و (الوحاوح) جمع الوحوحه و هو صوت معه بحح و (الحسّ) القتل قال تعالى: إذ تحسّونهم باذنه، و (الشجر) الطعن و (الهيم) من الابل العطاش.

الاعراب

جمله و أنتم لهاميم العرب فى محلّ النّصب على الحال من مفعول تحوز، و قوله أن رأيتكم على التأويل بالمصدر فاعل شفى، و حسا و شجرا منصوبان على المصدر

المعنى

اعلم أنه قد تقدّم فى شرح الكلام الخامس و السّتين روايه هذه الخطبه عن نصر بن مزاحم عن زيد بن وهب باختلاف لما هنا و ظهر لك ثمه أنّه عليه السّلام خطب بهذه الخطبه لما انهزم ميمنه أهل العراق ثمّ عادت إلى موقفها و اجتمعت إلى الأشتر

و حمل الأشتر معهم على صفوف أهل الشّام و كشف من بازائهم فخاطبهم أمير المؤمنين بهذا الكلام فقال:

(و قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم) أى انكشافكم و ميلكم عن صفوفكم و هو كنايه عن هزيمتهم و هربهم عدل عليه السّلام فى التعبير عن اللّفظ المنفر الى لفظ غير منفر قال الشارح المعتزلى: و هو باب من أبواب البيان لطيف و هو حسن التّوصل بايراد كلام غير مزعج عوضا عن لفظ يتضمّن تقريعا.

(تحوزكم) أى تغلبكم (الجفاه الطّغام) أى الغلاظ الأوغاد (و أعراب أهل الشام) و الإتيان بلفظ الاعراب إمّا بيان للواقع أو تبكيت لأصحابه و توبيخ لهم بأنه لا يليق بمثلهم فى الشرف و السّودد أن يحوزه أراذل العرب و البدوى منهم و ربما يشعر بذلك قوله عليه السّلام (و أنتم لهاميم العرب) و ساداتها(و يآفيخ الشرف)تشبيههم باليآفيخ لكونهم فى علوّهم و شرفهم بالنسبه إلى العرب كاليآفيخ بالنسبه إلى الأبدان(و)كذلك التشبيه با(الانف المقدم و السنام الأعظم)و استعاره لفظيالأنف و السناملهم باعتبار العزّ و الشرف، فانّ الأنفأعزّ الأعضاء و أشرفها و متقدّم عليها و حسن الوجه به قال الشّاعر:

قوم هم الأنف و الأذناب غيرهم و من يساوى بأنف الناقه الذّنبا

و هكذاالسنامفى عزّته و علوّه بالنسبه إلى باقى أعضاء الجمل (و لقد شفى وحاوح صدرى) و هى كنايه عن تألّمه و حرقه قلبه الناشى عن غلبه العدوّ (أن رأيتكم بآخره) أى آخر الأمر (تحوزونهم كما حازوكم و تزيلونهم عن مواقفهم) و مراكزهم (كما أزالوكم حسّا بالنّضال و شجرا بالرّماح) أى تقتلونهم قتلا بالمراماه، و تطعنونهم طعنا بالرّماح حالكونهم (تركب اوليهم اخربهم) أى الكتيبه الاولى منهم الكتيبه الاخرى مولّين مدبرين (كالابل الهيم) العطاش المجتمعه على الحياض للشرب (المطروده) بعد اجتماعها (ترمى) بالسهام و تدفع (عن حياضها و تذاد) و تطرد (عن مواردها) فانّ طردها على ذلك الاجتماع يوجب ركوب بعضها بعضا و وقوع بعضها على بعض و كذلك تلك الكتائب.

الترجمه

از جملهٔ خطب شریفه آن بزرگوار و سید أبرار است در بعض أیام صفین که خطاب نموده بأصحاب خود در وقتی که شکست خوردند و در مقابل أهل شام فرار را برقرار اختیار کردند، پس در مقام تعرض ملامت ایشان فرمود که:

بتحقیق دیدم جولان کردن و هزیمت نمودن و شکست خوردن شما را در صفهای خودتان که جمع می کردند و بهم می چسباندند شما را مردمان زبر و خشن و رذل و عربهای بادیه نشین أهل شام، و حال آنکه شما جوانمردان عربید و سرهای شرف و أدب و بینی و پیشی گرفته بر دیگران و کوهان بزرگتر از همه.

و بتحقیق شفا داد آوازهای سینه مرا آنکه دیدم شما را در آخر کار جمع می کردید و بهم می چسبانید ایشان را چنانچه آنها جمع و حیازت می کردند شما را، و زایل می کردید ایشان را از محلها و مقامهای خودشان چنانچه ایشان شما را زایل می کردند می کشتید و مستأصل می نمودید ایشان را کشتنی با تیر اندازی، و طعن می کردید بایشان طعنه با نیزه ها در حالتی که برهم می نشستند أوّل ایشان بآخر ایشان مثل شتران تشنه رانده شده که انداخته شده باشند از حوض های خود، و دفع کرده شده باشند از مواضع ورود بر آب.

و من خطبه له علیه السّلام و هی من خطب الملاحم و المأه

اشاره

و السابعه من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

الحمد للّه المتجلّی لخلقه بخلقه، و الظّاهر لقلوبهم بحجّته، خلق

ص:۲۷۷

الخلق من غير رويّه إذ كانت الرّويّات لا تليق إلّا بذوى الضّمائر و ليس بذى ضمير فى نفسه، خرق علمه باطن غيب السّترات، و أحاط بغموض عقايد السّريرات. منها فى ذكر النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اختاره من شجره الأنبياء، و مشكوه الضّياء، و ذوابه العلياء، و سرّه البطحاء، و مصابيح الظّلمه، و ينابيع الحكمه. منها: طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، و أحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجه إليه، من قلوب عمى، و آذان صمّ، و ألسنّه بكم، متتبّع بدوائه مواضع الغفله، و مواطن الحيره، لم يستضيئوا بأضواء الحكمه، و لم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبه، فهم فى ذلك كالأنعام السّائمه، و الصّخور القاسيه، قد انجابت السّرائر، لأهل البصائر، و وضحت محجّه الحقّ لخابطها، و أسفرت السّاعه عن وجهها، و ظهرت العلامه لمتوسّمها، ما لى أراكم أشباحا بلا أرواح، و أرواحا بلا أشباح و نسّاكا بلا صلاح، و تجّارا بلا أرباح، و أيقاظا نوّما، و شهودا غيّبا، و ناظره عميا، و سامعه صمّا، و ناطقه بكما.

ص:۲۷۸

اللغه

قد مضى تفسير الملحمه بأنها الحرب و القتال و الوقعه العظيمه فيها و موضع القتال مأخوذه من اشتباك النّاس فيها كاشتباك لحمه الثوب بالسّدى و (ضمير) الانسان قلبه و باطنه و ما يضمره من الصّور، و جمع على الضمائر تشبيها بالسريره و السّرائر لأنّ باب فعيل إذا كان اسما لمذكر يجمع على أفعله و فعلان كرغيف و أرغفه و رغفان و (السّتره) بالضّم ما استترت به كائنا ما كان و (السّريره) كالسّر هو ما يكتم و (المشكاه) كوّه غير نافذه يجعل فيها المصباح أو عمود القنديل الذى فيه الفتيله أو القنديل.

و (الذّوابه) بالضم مهموزا النّاصيه أو منتهاها من الرأس أو الطّائفه من شعر الرأس و (العليا) بالفتح و المدّ كلّ مكان مشرف و السّماء و رأس الجبل و (السرّه) ما تقطعه القابله و سرّه الوادى أفضل مواضعه و (البطحاء) و الابطح مسيل واسع فيه زقاق الحصا و (المراهم) جمع المرهم و هو دواء مركّب و طلاء لين يطلى به القروح و الجروح قيل إنّه مأخوذ من الراهمه بالكسر و هو المطر الضعيف و (المواسم) كالمياسم جمع الميسم و هو المكواه و الحديد الذى يوسم به الخيل و غيرها.

و (قدح) بالزندرام الايراء به و استخرج النار منه، و الزّند الذى يقدح به النار و هو الأعلى و السّفلى الزنده بالهاء و الجمع زناد كسهم و سهام و (ثقبت) النّار اتقدت و الكواكب أضاءت و (السّائمه) من الأنعام خلاف المعلوفه و (القاسيه) الشديده الغليظه و (انجابت) السّحابه انكشفت و (المحجّه) بالفتح جادّه الطريق و (الخابط) السّائر على غير هدى و (سفر) الصبح و أسفر أضاء، و أسفرت المرأه عن وجهها كشفت النقاب عنه و (الشبح) محركه سواد الانسان و غيره تراه من بعيد و (النوّم) و (الغيب) وزان ركّع و سجّد جمع نائم و غايب و (العمى) و (الصمّ) و (البكم) كلّها بالضمّ.

قال الطّبرسىّ فى تفسير قوله سبحانه:

«صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ».

الأصمّ الذی ولد کذلک و کذلک الأبکم و هو الذی ولد أخرس، و أصل الصمّ السّد فالصمم سدّ الأذن بما لا یقع منه سمع، و أصل البکم الاعتقال فی اللّسان، و هو آفه یمنع من الکلام، و أصل العمی ذهاب الادراک بالعین، و العمی فی القلب مثل العمی فی العین آفه تمنع من الفهم و یقال: ما أعماه من عمی القلب و لا یقال ذلک فی العین و إنما یقال ما أشدّ عماه و ما یجری مجراه.

الاعراب

قوله و لیس بذی ضمیر فی نفسه، الجار و المجرور متعلّق بمقدر صفه لضمیر أی کائن فی نفسه، و یحتمل علی بعد أن یجعل فی بمعنی علی و یکون الظّرف متعلّقا بمقدّر حالا من اسم لیس، أی لیس هو بصاحب ضمیر مستقرّا أو متمکّنا علی نفسه، و الأوّل أظهر و أصحّ لاحتیاج الثانی إلی تکلّف و ابتنائه علی إعمال الفعل الناقص أعنی لیس فی الحال و هو خلاف المشهور.

و قوله علیه السّلام طبیب دوّار، الظاهر أنه خبر محذوف المبتدأ أو مذکور فی أصل الکلام و أسقطه السیّد (ره) حین الالتقاط، و یحتمل أن یکون مبتدأ لکونه نکره موصوفه، و جمله یضع آه، خبره، و جمله قد أحکم، حال من فاعل دوّار، و علی الاحتمال الأوّل أعنی جعل طبیب خبرا یجوز جعل جمله یضع استینافا بیانیا و الاشاره بلفظ ذلک إلی طبّه.

و حیث، ظرف مکان لیضع مبنیّه علی الضمّ للزوم إضافتها إلی الجمل اسمیه أو فعلیه نحو جلست حیث زید جالس و حیث جلس زید، قال ابن مالک فی منظومه النحو:

و ألزموا إضافه إلی الجمل حیث و إذ و إن ینوّن یحتمل

و الحاجه، بالضمّ کما فی أکثر النسخ مرفوع علی الابتداء، و خبره محذوف أو فاعل

ص:۲۸۰

الفعل محذوف أی حیث کان الحاجه إلیه أو حیث الحاجه إلیه حاصله و الجمله مجروره المحل باضافه حیث إلیها، و فی بعض النسخ بجرّ الحاجه و الأوّل أظهر، لأنّ إضافه حیث إلی المفرد شاذّه کما قال فی قوله: ألا تری حیث سهیل طالعا بجرّ سهیل علی إضافه حیث إلیه و ربما قیل: بأنّ سهیل مرفوع علی الابتداء و خبره محذوف فحیث مضافه إلی الجمله و التقدیر حیث سهیل مستقرّ طالعا و متتبع، خبر لمبتدأ محذوف، و جمله لم یستضیئوا منصوبه المحلّ علی الحالیه من مفعول متتبع، و قوله: مالی أریکم أشباحا، استفهام توبیخی، و لا، فی قوله بلا أرواح و بلا أشباح، زایده کما فی قولهم جئت بلا زاد و غضبت من لا شیء و معنی الزیاده أنها وقعت بین شیئین متطالبین لا أنها لو اسقطت لم یخلّ المعنی.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ الفصل الثانی من هذه الخطبه الشریفه فی ذکر الملاحم و الاشاره إلی الوقایع العظیمه و الخطوب الّتی تکون بعده، و هذا الفصل الذی نحن بصدد شرحه مداره علی امور ثلاثه.

الأوّل تحمید اللّه سبحانه و تمجیده باعتبار نعوته الجلالیه و الجمالیه.

و الثانی تبجیل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تعظیمه و ترجیحه علی الأنبیاء و الرّسل.

و الثالث الاشاره إلی بعض کمالات نفسه و کرامات ذاته و أتبعه بتوبیخ الجاهلین من المخاطبین و غیرهم الغافلین عن اقتباس أنواره و اکتساب فیوضاته

اما الاول

فهو قوله (الحمد للّه المتجلّی لخلقه بخلقه) أی الظّاهر المنکشف لمخلوقاته بواسطه ایجاده و ابداعه المخلوقات بقدرته الشامله و حکمته الکامله، و یجوز أن یکون المصدر الثانی أیضا بمعنی المفعول، فالمعنی أنه سبحانه تجلّی للخلق و أجلا معرفته لقلوب عباده بما أوجده من المصنوعات و الموجودات حتّی اشبهت کلّ ذرّه منها مرآه ظهر فیها لهم فهم یشاهدونه علی قدر قبولهم لمشاهدته و تفاوت مراتب المشاهده بحسب تفاوت أشعّه ابصار البصائر.

ص:۲۸۱

و قد تقدّم فى شرح الخطبه الرابعه و الستين فى بيان معنى قوله: و كلّ ظاهر غيره غير باطن «آه» تحقيق أنه تعالى أظهر الأشياء و أجليها و أنّ منتهى ظهوره صار سببا لخفائه فليراجع ثمّه، فانّ هناك فوايد جمّه.

(و الظّاهر لقلوبهم بحجّته) أى الواضح وجوده لقلوب الّذين أنكروه بأوهامهم و ألسنتهم بقيام حجّته الباهره، و أدلّته القاهره عليهم بذلك، فانّه سبحانه لم يحجبهم عن واجب معرفته، و قد مرّ تحقيقه فى شرح قوله: فهو الّذى تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذى الجحود، فى الخطبه التاسعه و الأربعين.

(خلق الخلق من غير رويّه) و فكر فى كيفيّه خلقه لأنّ الفكر عباره عن حركه القوّه المفكّره فى تحصيل المطالب من المبادى و انتقالها منها و اليها، و هى محال عليه سبحانه.

أما أولا فلما أشار اليه بقوله:(اذ كانت الرّويات لا تليق الاّ بذوى الضّماير) و القلوب و المشاعر البدنيّه (و ليس بذى ضمير فى نفسه) فليس له سبحانه رويه و أما ثانيا فلأنّ فايده الرويه هو تحصيل المطالب المجهوله من المعلومات و الجهل محال على اللّه سبحانه، و قد تقدّم ذلك فى شرح الفصل الثالث من خطبه الاشباح و هى الخطبه التّسعون.

(خرق علمه باطن غيب السّترات) أى نفذ علمه فى كلّ مستتر و غايب بحيث لا يحجبه ستر و لا يستره حجاب (و أحاط بغموض عقايد السّريرات) أى بمادقّ و خفى من عقايد أسرار القلوب كما قال تعالى:

«وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى » و قد مرّ بيان علمه بالسّرائر فى شرح الخطبه الخامسه و الثمانين

و أما الثانى منها

و هو الذى فى ذكر النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تبجيله و تعظيمه فهو قوله (اختاره من شجره الأنبياء) استعار عليه السّلام لفظه الشجره لصنف الأنبياء باعتبار أنّ هذا الصنف له فروع و أثمار و أوراق كالشجره، ففروعه أشخاص الأنبياء و آحادهم

و أثماره العلوم و الكمالات و الكرامات التى لهم، و أوراقه المؤمنون و المخلصون من اممهم (و مشكاه الضّياء) قال البحرانى (ره) استعار عليه السّلام لفظ المشكاه لآل إبراهيم و وجه المشابهه أنّ هؤلاء قد ظهرت منهم الأنبياء و سطع من بينهم أنوار النّبوه و الهدايه كما يظهر نور المصباح من المشكاه.

أقول: هذا مبنيّ على كون المشكاه بمعنى القنديل أو الكوّه و على كونها بمعنى عمود القنديل الحامل للفتيله فوجه المشابهه هو أنّ هؤلاء محال أنوار النّبوّه باعتبار أنّ أكثر الأنبياء فيهم كما أنّ المشكاه محلّ النور.

(و ذوابه العلياء) قال الشارح: و يشبه أن يشير به إلى قريش، و وجه المشابهه تدلّيهم فى اغصان الشرف و العلوّ عن آبائهم كتدلّى ذوابه الشّعر عن الرأس أقول: و هو مبنيّ على كون الذّوابه طايفه من الشعر و أما على كونها بمعنى النّاصيه فوجه المشابهه بروز شرفهم و ظهور علوّهم و فضيلتهم، كما أنّ الناصيه بارزه ظاهره و لها تفضيل على ساير الأعضاء فى العزّه و الجلاء.

(و سرّه البطحاء) أى أوسطها من باب استعمال المقيد فى المطلق كالمشفر فى شفه الانسان أو أفضلها، و على كلّ تقدير فالمراد بالبطحاء مكه للمسيل الواسع الذى فيه و يسمّى بالأبطح، قال الشارح المعتزلى: و بنو كعب بن لوى يفتخرون على بنى عامر بن لوى بأنهم سكنوا البطاح و سكنت عامر بالجبال المحيطه بمكه و سكن معها بنو فهر بن مالك رهط أبى عبيده بن الجراح و غيره قال الشاعر:

فحللت منها بالبطاح و حلّ غيرك بالظّواهر

و قال بعض الطالبيّين:

و أنا بن معتلج(۱) البطاح اذا غدا غيرى و راح على متون ظواهر

يفترّ عنّى ركنها و حطيمها كالجفن يفتح عن سواد النّاظر

كجبالها شرقى و مثل سهولها خلقى و مثل ظبائهنّ مجاورى

۱- (۱) اعتلجوا اتخذوا صراعا و قتالا، ق

(و مصابيح الظلمه و ينابيع الحكمه) استعار عليه السّلام لفظ المصابيح و الينابيع للأنبياء الأدلّاء على الحقّ باعتبار أنهم يهتدى بهم من ظلمه الجهاله و يروى ريّهم من غلل(۱) الضّلاله.

و أما الثالث منها

فهو قوله عليه السّلام(طبيب دوّار بطبّه)استعار عليه السّلام لفظ الطبيب لنفسه الشريف باعتبار كونه معالجا لأسقام الأرواح كمعالجه الأطبّاء لأمراض الأبدان، و ذكر الدّوار ترشيح للاستعاره، و وصفه به إشاره إلى كماله لأن الدّوار أكثر تجربه و حذاقه من غيره، و رشحها أيضا بقوله(قد أحكم مراهمه)أى أتقنها و منعها من الفساد، و بقوله(و أحمى مواسمه)أى أسخنها و هيّأها ليكوى بها، و يمكن أن يكونا من باب الاستعاره التمثيليه فيكون المراد باحكام المراهم البشاره بالثواب أو الأمر بالمعروف، و باحماء المواسم الانذار من العقاب أو النهى عن المنكر.

و قوله عليه السّلام (يضع من ذلك) أى من طبّه أو من كل مراهمه و مواسمه (حيث) كانت (الحاجه إليه من قلوب عمى) فيفتح عماها باعدادها لقبول أنوار العلم و الهدايه (و آذان صمّ) فيشفى صممها و يعدّها لقبول المواعظ و النّصايح (و ألسنه بكم) فيعالجها و يعدّها للتكلّم بالحقّ و القول بالصّدق.

(متتبّع بدوائه مواضع الغفله و مواطن الحيره) و هى قلوب الجهّال و ضماير الضّلال، هذا.

و لا يخفى عليك أنّه لو كان الاشاره بلفظه ذلك فى قوله عليه السّلام:يضع من ذلك،إلى المراهم و المواسم لا بدّ أن يكون قوله،قد أحكم مراهمه و أحمى مواسمه،من باب التمثيل على سبيل الاستعاره، إذا المراهم و المواسم بمعناهما الحقيقى لا ينفعان للقلوب المتّصفه بالعمى، فلا معنى لوضعهما فيها، و لو كان المشار إليه به الطبّ كان جمله يضع و ما يتلوها إلى قوله:و مواطن الحيره،من باب التجريد، فيكون كلامه جامعا بين الاستعاره التحقيقيه و الترشيح و التجريد، حيث ذكر لفظ الطّبيب و أراد

۱- (۱) محركه العطش، م

نفسه، و هو استعاره تحقيقيه و قرنها بما يلايم المستعار منه أعنى قوله:دوّارإلى قوله:مواسمه،و هو الترشيح، ثمّ قرنها بما يلايم المستعار له أعنى قوله:يضع، إلى آخر الكلام، و هو التجريد، و مثله قول الشاعر:

لدى أسد شاكى السّلاح مقذّف له لبد أظفاره لم تقلّم

حيث استعار الأسد للرّجل الشجاع و وصفه بشاكى السلاح و هو تجريد لملايمه المستعار له، و رشحه بذكر اللبد و الأظفار لمناسبه المستعار منه فافهم ذلك و اغتنم.

ثمّ لا يخفى عليك أنّ وصفه عليه السّلام القلوب بالعمى باعتبار أنّ القلب جار مجرى العين و غريزه العقل فيه جاريه مجرى قوّه البصر فى العين و قوّه الابصار لطيفه تفقد فى العمى و يوجد فى البصير، و كذلك القوّه العقلانيه فى القلب الجاهل دون العاقل فنسبه البصيره الباطنه إلى القلب كنسبه الابصار إلى البصر إلاّ انّه لا مناسبه بينهما فى الشرف لأنّ القلب بمنزله الفارس و البدن بمنزله الفرس و عمى الفارس أضرّ عليه من عمى الفرس، و لموازنه البصيره للبصر الظّاهر سمّاه اللّه تعالى باسمه فقال:

«ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى ».

سمّى إدراك الفؤاد رؤيه كما سمّى عدم إدراكه عمى فى قوله:

«فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » و فى قوله «مَنْ كانَ فِي هـذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَهِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً ».

و لمّا كان عمى القلب أضرّ على الانسان من عمى البصر، و معالجته أهمّ أثر القلوب على الأبصار و قال: و قلوب عمى، و لم يقل و أبصار عمى، و قد استفيد من كلامه عليه السّلام أنّ القلوب و الآذان و الألسنه الموصوفه بالأوصاف المذكوره كلّها مريضه محتاجه إلى الطبيب.

ص:٢٨٥

و هو كـذلك، فانّ كلّ عضو من أعضاء البـدن خلق لفعل خاصّ به و مرضه أن يتعـذّر عليه فعله الذى خلق لأجله حتّى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه بنوع من الاضطرار.

فمرض اليد أن يتعذّر عليها البطش، و مرض الاذن أن يتعذّر عليها السّماع و مرض العين أن يتعذّر عليها الابصار، و مرض اللسان أن يتعـذّر عليه التكلّم، و مرض القلب أن يتعـذّر عليه فعله الخاص الذى خلق لأجله و هو العلم و الحكمه و المعرفه و حبّ اللّه و عبادته و التلذّذ بذكره و إيثاره ذلك على غيره و الاستعانه بجميع الأعضاء عليه كما قال:

«وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ » ففى كلّ عضو فايده مخصوصه، و فائده القلب الحكمه و المعرفه و خاصيه النفس التى للآدمى ما يتميّز بها عن البهايم، فانه لم يتميّز عنها بالقوّه على الأكل و الوقاع و الابصار و نحوها، بل بمعرفه الأشياء على ما هى عليه و أصل الأشياء و موجدها و مخترعها هو اللّه سبحانه، فلو عرف كلّ شىء و لم يعرف اللّه تعالى فكأنه لم يعرف شيئا، و هو علامه لمرض قلبه كما أنّه لو لم يؤثر المواعظ و النصايح فى اذنه، و العبر و الآيات فى نظره و لم يجرى الحقّ على لسانه عرف بذلك أنّ هذه الجوارح منه مريضه، لكونها علامات لمرضها يستدلّ بها عليها فلا بدّ له من معالجتها و الخلاص من ألمها.

و ربّما يحصل له الغفله عن مرضه فلا يمكن له العلاج بنفسه، فيلزم حينئذ وجود طبيب حاذق دوّار بطبّه ليتبّهه على مرضه و يداوى له، و ليس ذلك إلاّ أمير المؤمنين عليه السّلام و الطيّبون من أولاده، فانّ غيرهم من الأطبّاء أعنى ساير العلما قد استولى عليهم المرض، و الطبيب إذا كان بنفسه مريضا كيف يعالج غيره، فهو طبيب الهى متتبّع بدوائه مواضع الغفله و مواطن الحيره معالج لأمراض القلوب و أسقام الأرواح و النفوس و آفات الأعضاء و المشاعر.

ص:۲۸۶

و قد روی بعض القدماء فی أصل له عن الرّضا علیه السّلام مسندا عن عمّار بن یاسر قال: بینا أنا أمشی بأرض الکوفه إذ رأیت أمیر المؤمنین علیه السّلام جالسا و عنده جماعه من الناس، و هو یصف لکلّ انسان ما یصلح له، فقلت له: یا أمیر المؤمنین أ یوجد عندک دواء الذنوب؟ فقال علیه السّلام: نعم اجلس، فجثوت علی رکبتی حتی تفرّق عنه النّاس، ثمّ أقبل علیّ و قال: خذ دواء أقول لک، قال: قلت: قل یا أمیر المؤمنین، قال علیه السّلام: علیک بورق الفقر، و عروق الصبر، و هلیلج الکتمان، و بلیلج الرضا، و غاریقون الفکر، و سقمونیا الأحزان و اشربه بماء الأجفان، و أغله فی تبخیر الغلق، و دع تحت نیران الفرق، و صفّه بمنخل الأرق، و اشرب علی الحرق، فذاک دواؤک و شفاؤک یا علیل.

و روی فی الاحتجاج عن أبی محمّد العسکری عن علیّ بن الحسین زین العابدین علیهم السّلام أنه قال: کان أمیر المؤمنین علیه السّلام قاعدا ذات یوم فأقبل إلیه رجل من الیونانیّین المدعین للفلسفه و الطبّ، فقال له: یا أبا الحسن بلغنی خبر صاحبک و أنّ به جنونا و جئت لاعالجه فلحقته قد مضی لسبیله و فاتنی ما أردت من ذلک، و قد قیل لی: إنّک ابن عمّه و صهره و أری بک صفارا قد علاک و ساقین دقیقین و ما اریهما تقلانک(۱) فأما الصّفار فعندی دوائه، و أما السّاقان الدّقیقان فلا حیله لتغلیظهما و الوجه أن ترفق بنفسک فی المشی تقلّله و لا تکثره و فیما تحمله علی ظهرک و تحتضنه بصدرک أن تقلّلهما و لا تکثرهما، فانّ ساقیک دقیقان لا یؤمن عند حمل ثقیل انقصافهما(۲) و أما الصفّار فدواؤه عندی و هو هذا.

و اخرج دواء و قال: هذا لا یؤذیک و لا یخیّسک و لکنه یلزمک حمیه من اللّحم أربعین صباحا ثمّ یزیل صفارک.

فقال له علیّ علیه السّلام: قد ذکرت نفع هذا الدّواء الصفّاری فهل تعرف شیئا یزید فیه و یضرّه؟ فقال الرّجل: بلی حبّه من هذا و أشار الی دواء معه، و قال: إن تناوله الانسان و به صفار أماته من ساعته و إن کان لاصفار به صار به صفار حتی یموت فی یومه.

ص:۲۸۷

۱- (۱) أی تحملانک من اقللته أی حملته.

۲- (۲) القصف الکسر

فقال علیه السّلام له فأرنی هذا الضارّ، فأعطاه ایّاه فقال له علیه السّلام کم قدر هذا؟ قال قدر مثقالین سمّ ناقع قدر کلّ حبّه منه یقتل رجلا، فتناوله علیّ علیه السّلام فقمحه و عرق عرقا خفیفا و جعل الرّجل یرتعد فی نفسه و یقول: الآن اوخذ بابن أبی طالب و یقال قتلته و لا یقبل منی قولی انه هو الجانی علی نفسه، فتبسّم علیّ علیه السّلام و قال: یا عبد اللّه أصحّ ما کنت بدنا الآن لم یضرنی ما زعمت أنه سمّ ثمّ قال علیه السّلام: فغمّض عینیک فغمض ثمّ قال: افتح عینیک ففتح و نظر إلی وجه علیّ علیه السّلام فاذا هو أبیض أحمر مشرب الحمره فارتعد الرجل لما رآه، فتبسّم علیّ علیه السّلام و قال: أین الصفّار الذی زعمت أنه بی؟ فقال: و اللّه لکأنّک لست من رأیت قبل کنت مصفارا و أنت الآن مورّد فقال علیّ علیه السّلام: فزال عنی الصّفار بسمّک الذی تزعم أنه قاتلی.

و أمّا ساقای هاتان و مدّ رجلیه و کشف عن ساقیه، فانّک زعمت أنی احتاج إلی أن ارفق ببدنی فی حمل ما احمل علیه لئلا ینقصف السّاقان و أنا اریک أنّ طبّ اللّه عزّ و جلّ طبّ خلاف طبّک، و ضرب بیده إلی اسطوانه خشب عظیمه علی رأسها سطح مجلسه الذی هو فیه و فوقه حجرتان احداهما فوق الاخری و حرّکها فاحتملها فارتفع السّطح و الحیطان و فوقهما الغرفتان.

فغشی علی الیونانی فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: صبّوا علیه ماء فصبّوا علیه ماء فأفاق و هو یقول: و اللّه ما رأیت کالیوم عجبا، فقال له، علیّ علیه السّلام هذه قوّه السّاقین الدّقیقین و احتمالهما أفی طبک هذایا یونانی.

فقال الیونانی: أ مثلک کان محمّد؟ فقال علیّ علیه السّلام: و هل علمی إلاّ من علمه، و عقلی إلاّ من عقله و قوّتی إلاّ من قوّته، لقد أتاه الثقفی و کان أطبّ العرب فقال له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إن کان بک جنون داویتک، فقال له محمّد صلّی اللّه علیه و آله أتحبّ أن اریک آیه لتعلم بها غنای عن طبّک و حاجتک إلی طبّی؟ فقال: نعم، قال: أیّ آیه ترید؟ قال:

تدعو إلیّ ذلک العذق(۱) و أشار الی نخله سحوق فدعاها فانقلع أصلها من الأرض

ص:۲۸۸

۱- (۱) العذق بالفتح النخله بحملها و السحوق من النخله الطویله، ق

و هی تخدّ الأرض خدّا حتی وقفت بين يديه، فقال عليه السّلام له: أكفاك؟ قال: لا، قال: فتريد ما ذا؟ قال: تأمرها أن ترجع إلى حيث جاءت منه و تستقرّ فی مقرّها الذی انقلعت منه، فأمرها، فرجعت و استقرّت فی مقرّها.

فقال اليونانی لأمير المؤمنين عليه السّلام: هذا الذی تذكره عن محمّد غايب عنی، و أنا أقتصر منک علی أقلّ من ذلک، أنا أتباعد عنک فادعنی و أنا لا أختار الاجابه، فان جئت بی إليک فهو آيه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: هذا إنما يكون آيه لک وحدک لأنّک تعلم من نفسک أنّک لم ترده و إنّی لازلت اختيارک من غير أن باشرت منی شيئا أو ممّن أمرته بأن يباشرک، أو ممن قصد إلی اجبارک و ان لم امره الاّ ما يكون من قدره اللّه القاهره و أنت يا يونانی يمكنک ان تدعی و يمكن غيرک أن يقول انی و اطاعتک علی ذلک، فاقترح ان كنت مقترحا ما هو آيه لجميع العالمين.

قال اليونانی إن جعلت الاقتراح إلیّ فأنا أقترح أن تفصّل أجزاء تلک النخله و تفرّقها و تباعد ما بينها ثمّ تجمعها و تعيدها كما كانت.

فقال علیّ عليه السّلام: هذه آيه و أنت رسولی إليها يعنی إلی النخله فقل لها: إنّ وصیّ محمّد رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يأمر أجزائک أن تفترق و تتباعد.

فذهب فقال لها: فتفاصلت و تهافتت و تناثرت و تصاغرت أجزائها حتّی لم ير لها عين و لا أثر حتی كأن لم تكن هناک نخله قط.

فارتعدت فرائض اليونانی و قال: يا وصیّ محمّد رسول اللّه قد أعطيتنی اقتراحی الأوّل فاعطنی الآخر فأمرها أن تجتمع و تعود كما كانت.

فقال علیّ عليه السّلام: أنت رسولی اليها فعد فقل لها: يا أجزاء النخله إنّ وصیّ محمّد رسول اللّه يأمرک أن تجتمعی و أن تعودی كما كانت.

فنادی اليونانی فقال ذلک: فارتفعت فی الهواء كهيئه الهباء المنثور ثمّ جعلت تجتمع جزء جزء منها حتی تصوّر لها القضبان و الأوراق و اصول السّعف و شماريخ الاعذاق ثمّ تألّفت و تجمّعت و استطالت و عرضت و استقرّ أصلها فی مستقرّها و تمكّن

عليهـا ساقهـا و ترقت على الساق قضبـانها و على القضـبان أوراقها و فى اكمتها أعـذاقها و كانت فى الابتـداء شـماريخها متجرّده لبعدها من أوان الرّطب و البسر و الخلال.

فقـال اليونـانى: و اخرى احبّ أن تخرج شـماريخها خلالها و تقلّبها من خضـره إلى صـفره و حمره و ترطيب و بلوغ أناه لتأكل و تطعمنى و من حضرك منها فقال علىّ عليه السّلام: أنت رسولى اليها بذلك فمرها به.

فقال لها اليونانى يأمرك أمير المؤمنين عليه السّـلام بأن تظهرى لنا رطبا فأخلت، و أبسرت و اصفرت و احمرت و ترطبت و ثقلت اعذاقها برطبها.

فقـال اليونـانى: و اخرى احبّها أن تقرّب من بين يـدى أعـذاقها أو تطول يـدى لتناولها و أحبّ شـىء إلى أن تنزل إلى إحـداها و تطول يدى إلى الاخرى الّتى هى اختها.

فقال أمير المؤمنين عليه السّـلام: مد اليد التى تريد أن تناولها و قل يا مقرّب البعيد قرّب يدى منها، و اقبض الاخرى التى تريد أن ينزل العـذق اليهـا و قـل يـا مسـهلّ العسـير سـهّل لى تناول ما يبعـد منها، ففعل ذلك و قاله: فطالت يمناه فوصـلت إلى العـذق، و انحطت الاعـذاق الاـخر فسـقطت على الأرض و قـد طالت عراجينها ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّـلام: إنّك إن أكلت منها و لم تؤمن بمن أظهر لك عجايبها عجّل اللّه عليك من العقوبه التى يبتليك بها ما يعتبر به عقلاء خلقه و جهّالهم.

فقـال اليونـانى: إنى إن كفرت بعـد مـا رأيت فقـد بـالغت فى العنـاد و تنـاهيت فى التعرّض للهلاك، أشـهد أنّك من خاصه اللّه صادق فى جميع أقوالك عن اللّه فأمرنى بما تشاء أطعتك.

قال على عليه السّـلام: آمرك أن تفرد اللّه بالوحدانيه و تشـهد له بالجود و الحكمه و تنزّهه عن العبث و الفساد، و عن ظلم الاماء و العباد، و تشهد أنّ محمّدا الذى أنا وصيّه سيّد الأنام، و أفضل رتبه اهل الاسلام «دار السلام خ»، و تشهد أنّ عليّا الذى أراك ما أراك، و أولاك من النّعم ما أولاك خير خلق اللّه بعد محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أحقّ

خلق اللّه بمقام محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعده و بالقيام لشرايعه و أحكامه، و تشهد أنّ أوليائه أولياء اللّه و أعدائه أعداء اللّه، و أنّ المؤمنين المشاركين لک فيما كلفتک المساعدين لک على ما به أمرتک خير امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صفوه شيعته.

و آمرک أن تواسى اخوانک المطابقين لک على تصديق محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تصديقى، و الانقياد له ولى ممّا رزقک اللّه و فضّلک على من فضّلک به منهم، تسدّ فاقتهم، و تجبر كسرهم، و خلّتهم، و من كان منهم فى درجتک فى الايمان ساويته فى مالک بنفسک و من كان منهم فاضلا عليک فى دينک آثرته بمالک على نفسک حتى يعلم اللّه منک أنّ دينه آثر عندک من مالک، و إنّ أوليائه أكرم عليک من أهلک و عيالک.

و آمرک ان تصون دينک و علمنا الذى أودعناک و أسرارنا التى حملناک و لا تبد علومنا لمن يقابلها بالعناد و يقابلک من أجلها بالشتم و اللعن و التناول من العرض و البدن و لا تفش سرّنا إلى من يشنع علينا و عند الجاهلين بأحوالنا و يعرّض أوليائنا لبوادر الجهال.

و آمرک أن تستعمل التّقيه فى دينک فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِى شَىْ ءٍ إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً » و قد أذنت لک فى تفضيل أعدائنا إن ألجأک الخوف إليه، و فى إظهار البراءه منا إن حملک الوجل عليه، و فى ترک الصلاه المكتوبات إذا خشيت على حشاشتک الآفات و العاهات، فانّ تفضيلک أعدائنا علينا عند خوفک لا ينفعهم و لا يضرّنا، و إنّ إظهار براءتک منّا عند تقيّتک لا يقدح فينا و لا ينقصنا، و لأنّ تتبرّء منّا ساعه بلسانک و أنت موال لنا بجنانک لتبقى على نفسک روحها التى بها قوامها و مالها الذى به قيامها و جاهها الذى به تماسکها و تصول من عرف بک و عرفت به من أوليائنا و إخواننا و أخواتنا من بعد ذلک بشهور و سنين إلى ان يفرّج اللّه تلک الكربه و تزول تلک النعمه فانّ ذلک أفضل من أن تتعرّض للهلاک، و تنقطع به عن عمل فى الدّين و صلاح

اخوانک المؤمنين.

و إيّاک ثمّ إيّاک أن تترک التقيه التى أمرتک بها، فانک شايط بدمک و دماء إخوانک، معرّض لنعمک و نعمتهم على الزّوال، مـذلّ لک و لهم فى أيـدى أعـداء دين اللّه، و قـد أمرک اللّه باعزازهم، فانک إذا خالفت وصـيّتى كان ضـررک على نفسک و إخوانک أشدّ من ضرر الناصب لنا الكافر بنا.

و قد ذكرت الروايه بتمامها على طولها لاشتمالها على مناقب دثره و فوائد جمّه، و تضمّنها توضيح الطب الالهى.

ثمّ انه عليه السّـلام لمـا وصف نفسه بـدورانه بطبّه و تتبّعه بـدوائه مواضع الغفله و مواطن الحيره، و تفقّـده حـال مرضاء القلوب و الأفئـده أردفه بتوبيـخ الغـافلين الحـائرين الجاهلين المفتونين بعـدم رجوعهم إليه و تـداويهم به و اهتـدائهم بأنواره و أخـذهم من علومه و حكمه و بقائهم على مرضهم و ابتلائهم بالآلام و الأسقام فقال عليه السّلام:

(لم يستضـيئوا بأضواء الحكمه) أى لم يكتسـبوا شـيئا من أنوار العلوم و الأخلاق الفاضله (و لم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبه) أى لم يسـتخرجوا المطـالب الحقّه بـالعلوم المضـيئه اسـتخراج النّار بالزنـاد (فهـم فى ذلـک) المعنى أى فى عـدم الاسـتضائه و القـدح (كالأنعام السّائمه) فى الغفله و الانخراط فى سـلک الغضب و الشـهوه بل هم أضلّ سبيلا (و الصـخور القاسيه) فى القساوه و عدم اللّين بسماع الآيات الحقه كما قال تعالى:

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْـدِ ذلِـکَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَـدُّ قَسْوَةً » ثمّ قـال عليه السّـلام (قـد انجـابت السّـرائر لأهـل البصـاير) أى انكشـفت، قال العلاّمه المجلسـىّ (ره): و المراد بالسـرائر ما أضـمره المعانـدون للحقّ فى قلوبهم من اطفاء نور اللّه و هـدم أركان الشـريعه، و قـال الشارح البحرانىّ: اشاره إلى انكشاف ما يكون بعـده لنفسه القدسـيّه و لأهل البصائر من استيلاء بنى اميه و عموم ظلمهم أو انكشاف أسرار الشريعه لأهلها.

(و وضحت محجّه الحقّ لخابطها) أى لمن سار فيها على غير هدى، و لعلّ

ص:۲۹۲

المراد به الاشاره إلى عدم العذر للخابطين فى خبطهم و جهالاتهم مع وضوح معالم الدّين و التنبيه على أنّ ضلالهم ليس لخفاء الحقّ، بل للاصرار على الشّقاق و النفاق.

(و أسفرت الساعه عن وجهها) و هذه الفقره و ما يتلوها وارده فى مقام التحذير و الانذار بقرب القيامه و شبهها بانسان مقبل و أثبت لها الوجه الذى هو من خواصّ المشبّه به على سبيل الاستعاره التخييليه، فانّ أول ما يبدو من الشخص المقبل وجهه و ذكر الاسفار ترشيح.

(و ظهرت العلامه لمتوسّـمها) أى لمتفرّسها قال المجلسىّ (ره): و المراد باسفار الساعه و ظهور العلامه قرب القيامه بعدم بقاء نبىّ ينتظر بعثته و ظهور الفتن و الوقايع التى هى من أشراطها.

(ما لى أراكم أشباحا بلا أرواح و أرواحا بلا أشباح) هذا الكلام يفسّر بوجوه أحدها أنّ المراد بالفقره الأولى تشبيههم بالجمادات و الأموات فى عدم انتفاعهم بالعقل و عدم تأثير المواعظ فيهم كما قال تعالى:«كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ »، و بالفقره الثانيه التنبيه على خفتهم و طيشهم.

الثّانى أنّ المراد الاشاره إلى قصورهم عما يراد بهم من القيام بأمر الجهاد و التنبيه على أنّ بعضهم بمنزله الميّت و الجماد و كجسد بلا روح و بعضهم له عقل و فهم و لكن لا قوّه له على الحرب كروح بلا جسد، فانّ الروح غير ذات الجسد ناقصه عن الاعتماد و التّحريك اللّذين كانا من فعلها، حيث كانت تدبّر الجسد فالمقصود أنّ الجميع عاطلون عمّا يراد منهم.

الثالث أنّه كنايه عن عدم نهوض بعضهم إلى الحرب دون بعض إذا دعوا إليه كما يقوم البدن بدون الرّوح و الرّوح بدون البدن.

الرّابع أنّ المراد أنّهم إذا خافوا ذهلت عقولهم و طارت ألبابهم و كانوا كأجسام بلا أرواح، و إذا آمنوا تركوا الاهتمام بامورهم كأنهم أرواح لا تعلّق لها بالأجسام.

(و نسّاكا بلا صلاح) أى عبّادا ليست عبادتهم على وجه الخلوص و بالوجه المأمور به مقرونه بالشرايط المعتبره، فانّ منها معرفه الامام و طاعته.

ص:٢٩٣

(و تجارا بلاـ أرباح) لعدم ترتّب الثواب أو المنفعه على أعمالهم (و أيقاظا نوّما) أى أيقاظا بأجسامهم و نوّما بنفوسهم فى مراقد الطبيعه و مماهد الغفله (و شهودا غيّبا) أى شاهدين بأبدانهم غائبين بعقولهم عن التّفطن للمطالب الحقه و التلقّى لأنوار الهدايه(و ناظره عميا)أى ناظره الأبصار عميا بالبصاير(و سامعه صمّا)أى سامعه بالآذان صمّا بالقلوب(و ناطقه بكما)أى ناطقه بالألسن الظاهر بكما بالمشاعر الباطنه.

و استعاره لفظ العمى و الصمّ و البكم لهم مع توصيفهم بأضدادها باعتبار تقصيرهم و قصورهم عن النظر فى آيات اللّه و السّماع لنداء اللّه و القول بكلام اللّه فهؤلاء حيث لم ينتفعوا بالأبصار و الألسن و الآذان صاروا بمنزله: صمّ بكم عمى فهم لا يعقلون.

الترجمه

و از جمله خطب شريفهٔ آن إمام مبين و حبل اللّه المتين است، و آن از جمله خطبها ئيست كه ذكر فرموده در آن حوادث روزگار و فتنهاى خونخوار را چنانچه فرموده:

حمد بيقياس معبود بحق را سزاست كه ظاهر است و هويدا بخلق خود بسبب ايجاد فرمودن مخلوقات خود، و آشكار است از براى قلوب منكرين با دليلهاى روشن و متين خود، خلق كرد مخلوقات را بدون فكر و رويّه از جهه اين كه فكرها لايق نيست مگر بصاحبان قلبها و نيست خداوند متعال صاحب قلب در نفس خود، و نافذ شد و دريد علم او باطن آنچه كه غايب است از امور مستوره، و احاطه كرد به پنهانى عقيدهاى غير ظاهره.

بعض ديگر از اين خطبه در ذكر اوصاف حضرت خاتم الأنبياء عليه آلاف التحيه و الثنا است چنانچه مى فرمايد:

اختيار نمود حضرت عزّت آن جناب را از شجرهٔ طيبه پيغمبران، و از چراغدان روشنى و از چنين مكان عالى و از نافهٔ مكّه معظمه و از چراغهاى تاريكى و ظلمت و از

چشمه های علم و حکمت.

بعض دیگر از این خطبه اشاره است بفضایل خود و ملامت اصحاب می فرماید طبیبی است حاذق که بسیار گردنده است با طب خود در حالتی که محکم نموده مرهم های خود را، و گرم نموده آلتهای داغ خود را می گذارد آن طبیب طبّ خود را بمحلی که حاجت بوده باشد بآن از قلبهای کور و گوشهای کر و زبانهای کنك، تتبع کننده است آن طبیب بدوای خود محلّهای غفلت و موطنهای حیرت را کسب روشنی نکرده اند ایشان بروشنیهای حکمت و عرفان، و آتش نیفروخته اند بآتش زنه های علمهای درخشان، پس ایشان در این ظلمت و غفلت مانند چهارپایان چرا کننده هستند، و مثل سنگهای سخت می باشند.

بتحقیق که منکشف ظاهر شد سرها بجهه أهل بصیرت ها، و واضح و روشن گردید جادّه حق از برای خبط کننده گمراه، و کشف نقاب نمود قیامت از روی خود، و ظاهر گشت علامت قیامت از برای دریابنده آن بفراست.

چیست مرا که می بینم شما را قالبهای بی روح، و روحهای بی غالب، و عبادت کنندگان بیصلاحیت، و تجارت کنندگان بی منفعت، و بیداران خواب رفته، و حاضران غایب شونده، و بینایان کور، و شنوندگان کر، و گویندگان لال، یعنی شما بحسب مشاعر ظاهره بیدار و حاضر و بصیر و سمیع و ناطق می باشید، و بملاحظهٔ مشاعر باطنه در خواب و غایب و کور و کر و لال هستید.

الفصل الثانی

اشاره

رایه ضلاله قد قامت علی قطّبها، و تفرّقت بشعبها، تکیلکم بصاعها، و تخبطکم بباعها، قائدها خارج من الملّه، قائم علی الضّلّه، فلا یبقی یومئذ منکم إلاّ ثفاله کثفاله القدر، أو نفاضه کنفاضه

ص:۲۹۵

العكم، تعرككم عرك الأديم، و تدوسكم دوس الحصيد، و تستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطّير الحبّه البطينه من بين هزيل الحبّ. أين تذهب بكم المذاهب، و تتيه بكم الغياهب، و تخدعكم الكواذب، و من أين تؤتون، و أنّى تؤفكون، و لكلّ أجل كتاب، و لكلّ غيبه إياب، فاستمعوه من ربّانيّكم، و أحضروه قلوبكم، و استيقظوا إن هتف بكم، و ليصدق رائد أهله، و ليجمع شمله، و ليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزه، و قرفه قرف الصّمغه، فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، و ركب الجهل مراكبه، و عظمت الطّاغيه، و قلّت الدّاعيه، و صال الدّهر صيال السّبع العقور، و هدر فنيق الباطل بعد كظوم، و تواخى النّاس على الفجور، و تهاجروا على الدّين، و تحابّوا على الكذب، و تباغضوا على الصّدق.

فإذا كان ذلك كان الولد غيظا، و المطر قيظا، و تفيض اللّئام فيضا و تغيض الكرام غيضا، و كان أهل ذلك الزّمان ذئابا، و سلاطينه سباعا، و أوساطه أكّالا و فقراءه أمواتا و غار الصّدق، و فاض الكذب، و استعملت المودّه باللّسان، و تشاجر النّاس بالقلوب، و صار الفسوق نسبا، و العفاف

عجبا، و لبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا.

اللغه

(القطب) حديده تدور عليها الرّحى و ملاك الأمر و مداره، و سيّد القوم و (الشعب) بضم الأوّل و فتح الثانى جمع شعبه كغرفه و غرف و هى الطائفه من الشىء، و من الشجره الغصن المتفرّع منها، و فى بعض النسخ لشعبها بفتح الأوّل و سكون الثانى وزان فلس و هى القبيله العظيمه.

و (الخبط) بالفتح ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، و خبط البعير الأرض بيده ضربها و (الباع) قدر مدّ اليدين و (ثفاله) القدر بالضمّ ما سفل فيه من الطبيخ و الثقل ما استقرّ تحت الشيء من الكدر و (النفاضه) بالضمّ ما سقط من المنفوض من نفض الثوب حرّكه لينتفض و (العكم) بالكسر العدل و نمط تجعل فيه المرأه ذخيرتها.

و (داس) الرّجل الحنطه دقّها ليخرج الحبّ من السّنبل و (البطينه) السّمينه و (الهزيل) ضدّ البطين و (تاه) يتيه تيها بالفتح و الكسر تحيّر و (الغيهب) الظلمه و الشديد السّواد من الليل و (تؤتون) بالبناء على المفعول و (الرّبانى) منسوب إلى الربّ و فسّر بالمتألّه العارف باللّه، أو الذى يطلب بعلمه وجه اللّه، أو العالم العامل المعلّم و (الرائد) الذى يتقدّم القوم يبصر لهم الكلاء و مساقط الغيث و (الفلق) الشقّ و (الخرزه) محرّكه الجوهر و ما ينظم و (قرفت) الشيء قرفا من باب ضرب قشرته.

و (الصمغ) ما ينحلب من شجر العضا و نحوها و فى القاموس و لكلّ شجر صمغ و الصمغ العربى غراء القرظ و الواحده صمغه و الجمع صموغ مثل تمر و تمره و تمور فى المثل، و تركته على مثل مقرف الصمغه، و يروى مقلع لأنّ الصمغه إذا قرفت لم يبق لها أثر.

ص:۲۹۷

و (الهدر) ترديد الصوت فى الحنجره من غير شقشقه و (الفنيق) بتقديم النون على الياء وزان أمير الفحل المكرّم لا يوذى لكرامته على أهله و لا يركب و (الكظوم) الامساك و السّكوت و (القيظ) بالظاء صميم الصّيف و فى بعض النسخ فيضا بالضاد أى كثيرا.

و (اكالا) بالضمّ و التّشديد جمع آكل مثل طلّاب و قال الشّارح المعتزلى بعد روايته أكالا بفتح الهمزه و تخفيف الكاف يقال ما ذقت أكالا أى طعاما، ثمّ قال:

و فى هذا الموضع اشكال لأنه لم ينقل هذا الحرف إلاّ فى الجحد خاصه كقولهم ما بها صافر فالأجود الرّوايه الاخرى و هى آكالا بمدّ الهمزه على افعال جمع أكل و هو ما اكل كقفل و أقفال، و قد روى أكالا بضم الهمزه على فعال و قالوا إنه جمع أكل كعرق و عراق و ظئر و ظؤار إلاّ أنّه شاذّ عن القياس و وزن واحدهما مخالف لوزن اكال لو كان جمعا و (غار) الماء فى الأرض ذهب و (فاض) أى كثر حتى سال.

الاعراب

قوله رايه ضلاله خبر لمبتدأ محذوف، و جمله تعر ككم، إمّا صفه لرايه أو حال من فاعل قامت، و الباء فى قوله عليه السّلام اين تذهب بكم المذاهب، للتعديه، و كذا فى قوله تتيه بكم، و إن، فى قوله عليه السّلام إن هتف بكم، بكسر الهمزه شرطيه و فى بعض النسخ بالفتح فيكون مصدريّه أى لتهافه بكم، و فاعل فلق راجع إلى الرائد، و الطّاغيه فاعل عظمت و هو مصدر بمعنى الطّغيان و قيل إنه صفه لمحذوف أى الفئه الطّاغيه، و كذا الداعيه تحتمل الوجهين.

المعنى

أعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام منقطع عمّا قبله التقطه السّيد (ره) من كلامه و أسقط ما قبله على ما هو عادته فى الكتاب و لعلّه إشاره إلى ما يأتى و يحدث فى آخر الزمان من الفتن كظهور السّفيانى و غيره و لما كان المخبر به محقق

الوقوع لكونه مأخوذا من معدن الرساله متلقى من الوحى الالهى بدء الكلام بالجمله الماضويّه مقرونه بحرف التحقيق فقال عليه السّلام (رايه ضلاله)أى هذه رايه ضلاله(قد قامت على قطبها)و هو كنايه عن انتظام أمرها(و تفرّقت بشعبها)أى بطوايفها فيكون كنايه عن انتشار فتنها فى الآفاق و تولّد فتن اخرى عنها أو بفروعها فيكون استعاره تشبيها لها بالشجره ذات الأغصان المتفرّعه عنها.

و فى شرح المعتزلى ليس التفرّق للرّايه نفسها بل لنصارها و أصحابها، فحذف المضاف و معنى تفرّقهم أنهم يدعون إلى تلك الدّعوه مخصوصه فى بلاد متفرّقه أى تفرّق ذلك الجمع العظيم فى الأقطار و اعين إلى أمر واحد انتهى.

أقول: هذا المعنى مبنىّ على روايه شعبها بسكون العين، و على ذلك فلا حاجه إلى تقدير المضاف إذ نصّ معنى الكلام على ذلك أنه تفرّقت رايه الضلاله بقبيلتها.

و قوله:(تكيلكم بصاعها)بصيغه المضارع جريا على الأصل لكون المخبر به من الامور المستقبله، و هو استعاره بالكنايه، و المراد به أنها تأخذكم للاهلاك زمره زمره كالكيال يأخذ ما يكيل جمله جمله، أو أنه يقهركم أربابها على الدخول فى أمرهم و يتلاعبون بكم يرفعونكم و يضعونكم كما يفعل كيال البرّ به إذا كاله بصاعه، أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللاّم كما فى قوله تعالى: و إذا كالوهم، اى تحملكم على دينها و دعوتها و تعاملكم بما يعامل به من استجاب لها، أو تفرز لكم من فتنتها شيئا و يصل إلى كلّ منكم نصيب منها.

(و تخبطكم بباعها) أى تضربكم بيدها كالضارب للشجر بعصاه أو البعير الضارب بيده الأرض و على الوجهين يفيد الذلّه و الانقهار، و التعبير بالباع دون اليد لكونه أبلغ فى افاده قوّه الخبط.

(قائدها خارج عن الملّه) أى ملّه الاسلام (قائم على الضلّه) أى مصرّ على الضلال (فلا يبقى يومئذ) أى يوم قيامها على قطبها و تفرّقها بشعبها(منكم إلاّ ثفاله كثفاله القدر)و استعار لفظ الثفاله للبقيّه منهم باعتبار عدم الخير و المنفعه فيهم

و بملاحظه كونهم من الأرذال ليس لهم ذكر بين النـاس و لالهم شـهره و لا يعتنى بقتلهم كما لا يعتنى بثفاله القـدر و لا يلتفت إليها.

و كـذلك الكلام فى قوله(أو نفـاضه كنفـاضه العكم)و المراد بها ما يبقى فى العـدل بعـد التخليه من غبار أو بقيه زاد لا يعبأ بها فينتفض (تعركـكم عرك الأديم) أى تـدلككم و تحككم كمـا يـدلك الجلـد المـدبوغ و يحكّ، و أراد به تغليب الفتن لهم و تذلّلهم بها (و تدوسكم دوس الحصيد) أى تدقكم دقّ الزرع المحصود المقطوع و أشار به إلى منتهى ذلّتهم و اهانتهم.

(و تستخلص المؤمن) أى تشخصه لنفسه (من بينكم) مثل (استخلاص الطير الحبّه البطينه) السمينه (من بين هزيل الحبّ) و الغرض به أنها شخص المؤمن بالقتل و الأذى و ايقاع المكروه به و تستخلصه من بين ساير الناس بشدّه النكايه و الأذيّه.

ثمّ استفهم عليه السّلام عنهم على سبيل التقريع لهم و التوبيخ ببقائهم على ضلالتهم و قال (اين تذهب بكم المذاهب) أى الطرق المنحرفه عن الحقّ، و المراد بها العقائد الفاسده، و اسناد الاذهاب إليها على المجاز مبالغه (و تتيه بكم الغياهب) أى تجعلكم ظلمات الجهالات تائها متحيّرا فى بوادى الضّلال (و تخدعكم الكواذب)أى تمكر بكم الامنيات الكاذبه و الأوهام الباطله التى لا أصل لها.

«كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ».

(من أين تؤتون) أى من أىّ جهه و طريق يأتيكم من يضلّكم من الشّياطين أو تأتيكم تلك الأمراض المزمنه (و أنّى تؤفكون) أى كيف(۱) تصرفون عن قصد

۱- (۱) هذه التفاسير مبنيه على الاختلاف فى معنى أنّى الاستفهاميه فقيل انها بمعنى كيف و قيل بمعنى اين و قيل بمعنى متى و الى كلّ ذهب فريق فى قوله تعالى: نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم و بذلك اختلف آراء الفقهاء فى مسئله جواز الوطى فى الدبر، منه.

السبیل أو أین تقلبون و تذهبون، أو متی یکون انصرافکم عن الغفله و الجهاله.

و قوله (فلکلّ أجل کتاب و لکلّ غیبه إیاب) یحتمل أن یکون منقطعا عمّا قبله و یکون بینه و بین ما قبله ما یربطه به فأسقط السید (ره) علی مجری عادته و أن یکون متّصلا به، فانه لما استفهم عن تیههم و انخداعهم و تقلّبهم توبیخا و تقریعا و تنبیها علی غفلتهم عن الحقّ أردفه بذلک توکیدا لما أراد و أشار به الی أنهم لیسوا بمهملین، بل کلّ ما عملوه فی زمان الغفله محفوظ مکتوب و أنهم لیسوا فی الدّنیا بباقین، و سوف یخرجون منها و ینزعون فیکون تهدیدا لهم بالاشاره إلی قرب الموت و أنهم بمعرض أن یأخذهم علی غفلتهم، و المعنی أنه لکلّ أمد و وقت حکم مکتوب علی العباد، و لکلّ غیبه إیاب و رجوع.

ثمّ أکّده ثانیا بقوله (فاستمعوا من ربّانیّکم) ای اصغوا الحکم و المواعظ و ما ینجیکم من الرّدی و یدلّکم علی الرّشاد من المتألّه العارف باللّه المبتغی بعلمه وجه اللّه سبحانه، و أراد به نفسه الشریف (و أحضروه قلوبکم) أراد إقبالهم بکلّهم إلیه لا ـ الغیبه بالقلوب و الحضور بالأبدان فقط (و استیقظوا ان هتف بکم) أی استیقظوا من نوم الغفله إن ناداکم و تنبّهوا من رقده الضلّه إن دعاکم (و لیصدق رائد أهله) أی وظیفه الرائد أن یصدق، و فی المثل: الرائد لا یکذب أهله.

و لعلّ المراد بالرائد نفسه أی وظیفتی الصدق فیما اخبرکم به ممّا تردون علیه من الامور المستقبله فی الدّنیا و الآخره، کما أنّ وظیفتکم التوجّه و الاستماع و احضار القلب (و لیجمع شمله) أی ما تشتّت من أمره، و المراد به الأفکار و العزائم أی یجب علیّ نصحکم و تذکیرکم بقلب فارغ من الخطرات و الوساوس، و التوجّه إلی هدایتکم و إرشادکم باقبال تامّ، و یجوز أن یراد بالشّمل من تفرّق من القوم فی فیافی الضّلاله (و لیحضر ذهنه) فیما یقول و یتفوّه به.

(فلقد فلق) الرائد (لکم الأمر فلق الخرزه) أی أوضح لکم أمر الدّین و ما جهلتموه من أحکام الشرع المبین، أو أمر ما یحدث من الفتن ایضاحا تامّا، فأظهر لکم باطن الأمر کما یری باطن الخرزه بعد شقّها.

ص:۳۰۱

(و قرفه قرف الصمغه) أى ألقاه بكلّيته اليكم و لم يدّخر شيئا عنكم كما أنّ قارف الصمغه لا يترك منها شيئا إذا قرفها و لا يبقى منها أثر بعد قرفها.

و قوله عليه السّلام:(فعند ذلك) قال الشارح البحرانى متّصل بقوله من بين هزيل الحبّ. فيكون التشويش من السيّد (ره)، و فى البحار و يمكن أن يكون إشاره إلى كلام آخر سقط من البين.

أقول: و الأظهر أن يكون الاشاره به إلى ما سبق من الأمور المذكوره، أى عند ما قام رايه الضّلال على قطبها، و تفرّقت بشعبها، و عركتكم عرك الاديم، و استخلصت المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبّ البطين (أخذ الباطل مآخذه) أى ثبت و استحكم (و ركب الجهل مراكبه) أى قوى سلطانه و ظهر شوكته (و عظمت الطّاغيه) أى الطّغيان و الضلال أو الفتنه الطاغيه (و قلّت الدّاعيه) أى الدّعوه إلى الحقّ أو الفرقه الدّاعيه إلى الهدى.

(و صال الدّهر) و حمل على أهله(صيال السبّع العقور)تشبيه الدّهر بالسبع فى الصّيال باعتبار كونه منشأ لتلك الشرور و المفاسد (و هدر فنيق الباطل بعد كظوم) تشبيه الباطل بالفنيق باعتبار كونه مكرما عند أهله، و ذكر الهدر و الكظوم من باب ترشيح التشبيه و أراد بهما ظهوره بعد خفائه و خمول أهله فى زمان ظهور الحقّ و قوّته.

(و تواخى الناس على الفجور) أى كان محبّه بعضهم لبعض و اتّصال أحدهم بالآخر على الفجور و اتباع الأهواء (و تهاجروا على الدّين) أى كان مهاجره بعضهم عن بعض من جهه كون المهجور عنه صاحب معرفه و دين (و تحابّوا على الكذب) و هو من شئونات التواخى على الفجور (و تباغضوا على الصّدق) و هو من شئونات التّهاجر على الدّين.

(فاذا كان ذلك) و حدثت تلك الامور (كان الولد غيظا) على والده عاقّا له أو مبغوضا لوالده لاشتغال كلّ امرء بنفسه من شدّه تلك البليه فيتمنّى أن لا يكون له ولد (و المطر قيظا) قد مرّ أنّ القيظ هو صميم الصيّف قال فى البحار فيحتمل

ص:٣٠٢

أن يكون المراد تبدّل المطر بشدّه الحرّ أو قلّه المطر أو كثرته فى الصّيف دون الرّبيع و الشتاء، أو المراد أنه يصير سببا لاشتداد الحرّ لكثرته فى الصّيف إذ يثور به الأبخره و يفسد الهواء أو يصير على خلاف العاده سببا لشدّه الحرّ، و عن النهايه بعد تفسيره القيظ بما ذكرناه قال: و منه حديث أشراط السّاعه أن يكون الولد غيظا و المطر قيظا، لأنّ المطر إنما يراد للنبات و برد الهواء و القيظ ضدّ ذلك هذا و على ما فى بعض النسخ من روايه فيضا بالضاد فالمقصود كونه كثيرا مجاوزا عن الحدّ، لكونه حينئذ مفسدا للزرع و الثمار كما هو المشاهد بالتجربه و العيان (و تفيض اللّئام) أى تكثر (فيضا و تغيض الكرام) أى تقلّ (غيضا)ثمّ قسّم أهل ذلك الزّمان بقوله(و كان أهل ذلك الزّمان ذئابا و سلاطينه سباعا و أوساطه اكالا و فقراؤه أمواتا)قال البحرانى (ره): أهل كلّ زمان ينقسمون إلى ملوك و أكابر و أوساط و أداني، فاذا كان زمان العدل كان أهله فى نظام سلكه فيفيض عدل الملوك على من يليهم، ثمّ بواسطتهم على من يليهم حتّى ينتهى إلى أدانى النّاس، و إذا كان زمان الجور فاض الجور كذلك فكانت السّلاطين سباعا ضاريه مفترسه لكلّ ذى سمن و كان أهل ذلك الزمان و أكابره ذئابا ضاريه على أوساط الناس، و كانت الأوساط اكّالا لهم، و كانت الفقراء أمواتا لانقطاع مادّه حياتهم ممّن هو أعلى منهم رتبه، و تجوّز بلفظ الأموات عن غايه الشدّه و البلاء لكون الموت غايه ذلك إطلاقا لاسم السّبب الغائى على مسبّبه.

(و غار الصّدق) أى قلّ و ذهب كالماء الغائر فى الأرض (و فاض الكذب) أى كثر و ظهر كالماء الفايض السّائل (و استعملت المودّه باللسان و تشاجر الناس بالقلوب) لكثره النّفاق و غلبه الشقاق (و صار الفسوق نسبا) أى يحصل انسابهم من الزنا، و قيل أى يصير الفاسق صديقا للفاسق حتى يكون ذلك كالنّسب بينهم (و) صار (العفاف عجبا) لقلّه وجوده بينهم و ندرته.

(و لبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا) الموجود فى النسخ رفع الاسلام على أنه فاعل لبس فيكون من باب المجاز العقلى، و المقصود أنهم لبسوا الاسلام كلبس

ص:۳۰۳

الفر و المقلوب، قال المحدّث العلامه المجلسيّ (ره): الظاهر أنّ المراد به تبديل شرايع الاسلام و قلب أحكامه و اظهار النيات و الأفعال الحسنه و إبطان خلافها، و فى شرح البحرانى: لما كان الغرض الأصلى من الاسلام أن يكون باطنا ينتفع به القلب و يظهر فيه منفعته، فقلب المنافقون غرضه و استعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم أشبه قلبهم له لبس الفرو إذا كان أصله أن يكون خمله ظاهرا لمنفعه الحيوان الذى هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا، و اللّه ولىّ التوفيق.

الترجمه

اين رايه رايت گمراهى است كه قايم شده بر مدار خود، و پراكنده شده با فرعها و شاخهاى خود، كيل كند شما را بصاع خود، و فرو كوبد شما را با دست خود، كشندهٔ آن رايت خارجست از دين ايستاده است بر گمراهى.

پس باقى نمى ماند در آن روز از شما مگر دردى واپس مانده ديك، يا خورده ريز ته مانده مثل خورده ريز ته مانده جوال، بمالد شما را آن رايت مثل ماليدن چرم، و بكوبد شما را مانند كوفتن زرع درويده در خرمن، و برگزيند مؤمن را از ميان شما بجهه انداختن در بلا مثل برگزيدن مرغ دانه چاق و فربه را از ميان دانه لاغر.

كجا مى برد شما را راههاى كج، و متحيّر مى سازد شما را ظلمتهاى جهالت، و فريب مى دهد شما را آرزوهاى كاذبه، و از كجا آورده مى شويد، و چه طور برگردانيده مى شويد از جادّهٔ حق، پس مر هر أجليرا از آجال كتابيست، و هر غيبت را باز گشتى است.

پس گوش كنيد و بشنويد نصيحت را از ربانى خودتان يعنى از كسى كه أهل اللّه است و عارفست بأحكام اللّه و مراد خود نفس نفيس آن بزرگوار است، و حاضر نمائيد بسوى آن ربانى قلبهاى خود را، و بيدار شويد از خواب غفلت اگر صدا كند

شما را و بایـد که راست گویـد مرشـد قوم بأهل خود، و بایـد که جمع کنـد آن مرشـد تفرقه خواطر خود را، و باید که حاضـر سازد ذهن خود را.

پس بتحقیق که شکافت از برای شـما کار دین را، و واضح نمود مثل شـکافتن مهره که ظاهر شود باطن آن، و مقشّـر نمود آن کار را مثل مقشّر نمودن صـمغ از درخت، یعنی تمام أمر را بجهه شـما القاء نمود و هیچ چیز از آن فرو نگذاشت چنانچه کسی که از درخت صمغ را باز گیرد تمامی آن را باز گیرد که هیچ چیز از آن باقی نمی گذارد.

پس نزد آن حـال فرا گیرد باطل محلّ فرا گرفتن خود را، و سوار شود جهالت بر مرکب های خود، و بزرگ شود طغیان، و کم شود دعوت بسوی حق، و حمله آورد روزگار هم چه حملهٔ حیوان درّنـده گزنـده، و آواز دهـد شتر نر باطل بعـد از سـکوت و خاموشـی، و مواخاه و آشتی کننـد مردمان بر فعل ناشایست، و مهاجرت میکننـد و دوری میکننـد از یکدیگر بر دین، و دوستی میکنند با یکدیگر بر دروغ، و دشمنی کنند بر راستی.

پس زمانی که حال بر این منوال باشد میباشد فرزند سبب خشم پدر و باران سبب گرمائی و حرارت، و بسیار شوند لئیمها بسیار شـدنی، و کم شوند کریمها کم شدنی، و میباشد أهل آن زمان گرگان و پادشاهی آن زمان درندگان و مردمان میانه آن زمان طعمه هـای سـتمکاران، و فقرای آن زمـان مردگان، و نقصان پـذیرد و فرو می رود راستی، و زیاد می شود دروغ و ناراستی، و استعمال کرده می شود دوستی بزبان، و تشاجر و تنازع می کنند مردمان بقلبها در آن أو ان، و بگردد فسق فجور نسب و أصـل ایشان، و پاکدامنی و عفت مایهٔ شـكفت و تعجب و می پوشد اسـلام لباس پوستین را در حالتی که بوده باشد آن پوستین پشت رو کرده شده، و این کنایه است از تقلب أحوال دین و تبدّل أحکام شرع مبین، و اللّه العالم بحقایق کلام ولیه.

ص:۳۰۵

و من خطبه له عليه السّلام و هى المأه و الثامنه من المختار

اشاره

فى باب الخطب

و شرحها فى ضمن فصول:

الفصل الاول

اشاره

كلّ شىء خاضع له، و كلّ شىء قائم به، غنى كلّ فقير، و عزّ كلّ ذليل، و قوّه كلّ ضعيف، و مفزع كلّ ملهوف، من تكلّم سمع نطقه، و من سكت علم سرّه، و من عاش فعليه رزقه، و من مات فإليه منقلبه، لم ترك العيون فتخبر عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقك، لم تخلق الخلق لوحشه، و لا استعملتهم لمنفعه، و لا يسبقك من طلبت، و لا يفلتك من أخذت، و لا ينقص سلطانك من عصاك، و لا يزيد فى ملكك من أطاعك، و لا يردّ أمرك من سخط قضاءك، و لا تستغنى عنك من تولّى عن أمرك، كلّ سرّ عندك علانيه و كلّ غيب عندك شهاده، أنت الأبد لا أمد لك، و أنت المنتهى لا محيص عنك، و أنت الموعد لا منجا منك إلّا إليك، بيدك ناصيه كلّ دآبّه، و إليك مصير كلّ نسمه، سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك، و ما أصغر عظمه فى جنب قدرتك، و ما أهول ما نرى من

ملكوتـك، و مـا أحقر ذلـك فى ما غاب عنّا من سـلطانك، و ما أسـبغ نعمك فى الـدّنيا، و ما أصـغرها فى نعم الآخره. منها: من ملائكه أسـكنتهم سـمواتك، و رفعتهـم عـن أرضـك، هـم أعلـم خلقـك بـك، و أخـوفهم لـك، و أقربهـم منـك، لم يسـكنوا الأصـلاب، و لم يضـمّنوا الأرحـام، و لم يخلقوا من مـاء مهين، و لم يشـعّبهم ريب المنون، و إنّهم على مكـانهم منك، و منزلتهم عنـدك و اسـتجماع أهوائهم فيـك، و كثره طـاعتهم لـك، و قلّه غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك، لحقّروا أعمالهم، و لزروا على أنفسهم، و لعرفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك، و لم يطيعوك حقّ طاعتك.

اللغه

(لهف) لهفا من باب فرح حزن و تحسّـر، و اللّهوف و اللّهيف و اللّهفان و اللاّهف المظلوم المضـطرّ يسـتغيث و يتحسّر و (أفلت) الطائر و غيره إفلاتا تخلّص و أفلتّه اذا أطلقته و خلّصـته يسـتعمل لازما و متعدّيا، و فلت فلتا من باب ضـرب لغه و فلته أنا يستعمل أيضا لازما و متعدّيا.

و(الناصيه)الشعر المسترسل فى مقدّم الراس أى شعر الجبهه و قال الأزهرىّ منبت الشعر و اطلاقها على الشعر مجاز من باب تسميه الحالّ باسم المحلّ و (ماء مهين) أى ضـعيف حقير و هى النطفه و (انشـعبت) أغصان الشـجره و تشعّبت تفرّقت و (المنون) الدّهر من مننت الشىء قطعته، لأنه يقطع الأعمار و (زرى) عليه زريا من باب رمى

ص:۳۰۷

و زريه و زرايه بالكسر عابه و استهزء به قال أبو عمر الشيبانى: الزّارى على الانسان هو الذى ينكر عليه و لا يعدّه شيئا.

الاعراب

قوله: لم ترک العيون فتخبر عنک، فى بعض النسخ تخبر بالنصب و هو الأظهر و فى بعضها بالجزم، و الأوّل مبنىّ على كونه منصوبا بان مضمره وجوبا بعد الفاء السببيّه المسبوقه بالنفى، و الثانى مبنىّ على جعل الفاء لمجرّد عطف ما بعدها على ما قبلها، فيكون ما بعدها شريكا لما قبلها فى الاعراب.

قال فى التصريح: و لک فى نحو ما تأتينى فاكرمک أن تقدّر الفاء لمجرّد عطف لفظ الفعل على لفظ ما قبلها فيكون شريكه فى اعرابه فيجب هنا الرّفع لأنّ الفعل الذى قبلها مرفوع و المعطوف شريک المعطوف عليه و كأنّک قلت ما تأتينى فما اكرمک فهو شريكه فى النفى الداخل عليه.

و إن تقدّر الفاء أيضا لعطف مصدر الفعل الذى بعدها على المصدر المؤل ممّا قبلها، و لكن يقدّر النفى منصبّا على المعطوف عليه و ينتفى المعطوف لأنه مسبّب عنه و قد انتفى، و المعنى ما يكون منک اتيان فكيف يكون منّى إكرام.

و قوله عليه السّلام: لا يفلتک، من باب الحذف و الايصال أى لا يفلت منک على حدّ قوله:

استغفر اللّه ذنبا لست محصيه ربّ العباد اليه الوجه و العمل

أى من ذنب، و قوله: سبحانک ما اعظم ما نرى، سبحانک منصوب على المصدر و عامله محذوف وجوبا، أى أسبّح سبحانا فحذف الفعل لسدّ المصدر مسدّه و تبعه اللاّم أيضا فى الحذف تخفيفا فاضيف المصدر إلى كاف الخطاب، و هذه اللفظه وارده فى هذا المقام للتعجّب كما فى قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى روايه أبى هريره: سبحان اللّه إنّ المؤمن لا ينجس، صرّح به فى التوضيح، و معنى التعجّب انفعال يعرض للنّفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، و لهذا قيل: إذا ظهر السّبب بطل العجب، و يشترط أن يكون المتعجّب منه عادم النظير أو قليل النّظاير، فما يكثر نظائره فى الوجود لا يستعظم

فلا يتعجّب منه.

قوله عليه السّلام ما اعظم ما نرى، تأكيد للتعجّب، فانّ ما فى ما أعظم تعجّبه أيضا و ماء الثانيه موصوله، و قد طال التشاجر بين علماء الأدبيّه فى ماء التّعجب و صيغه أفعل بعدها بعد اتفاقهم على اسميتها و كونها مبتدأ، فالمحكىّ عن سيبويه و جمهور البصريّين أنّها نكره تامّه بمعنى شيء و ابتدء بها على نكارتها لتضمّنها معنى التّعجب.

قال الرّضىّ (ره): فانّ التعجّب كما ذكرنا إنّما يكون فيما يجهل سببه فالتنكير يناسب معنى التعجّب، فكان معنى ما أحسن زيدا، فى الأصل شيء من الأشياء لا أعرفه جعل زيدا حسنا، ثمّ انتقل إلى إنشاء التعجّب و انمحى عنه معنى الجعل فجاز استعماله فى التعجّب عن شيء يستحيل كونه جعل جاعل، نحو ما أقدر اللّه و ما أعلمه، و ذلك لأنه اقتصر من اللفظ على ثمرته و هى التعجّب من الشيء سواء كان مجعولا ـ و له سبب أولا، فما مبتداء و افعل فعل ماض خبره و فيه ضمير راجع إلى ما هو فاعله و المنصوب بعده مفعوله، فعلى ذلك يكون فتحه أفعل فتحه بناء فاعراب ما أحسن زيدا مثل اعراب زيد ضرب عمرا حرفا بحرف(1).

و قال الأخفش فى أحد قوله إنّ ما موصوله بمعنى الذى و ما بعدها من الجمله الفعليه صله لها لا محلّ لها من الاعراب، أو نكره موصوفه بمعنى شيء و ما بعدها صفه لها، فمحلّها رفع تبعا لمحلّ ما، و على التقديرين فالخبر محذوف وجوبا أى الذى أحسن زيدا أو شيء أحسن زيدا موجود أو شيء عظيم.

و استبعدوه بأنّ فيه التزام وجوب حذف الخبر مع عدم ما يسدّ مسدّه، و بأنه ليس فيه معنى الابهام اللّايق بالتعجّب، و أيضا إذا تضمّن الكلام افهاما و ابهاما فالمعتاد تقدّم الابهام، و فيما ذكره يكون الأمر بخلاف ذلك إذ فيه تقديم الافهام بالصّله أو الصفه و تأخير الابهام بالتزام حذف الخبر.

ص:۳۰۹

۱- (۱) و مذهب السيبويه ضعيف من وجه و هو أنّ استعمال ماء نكره غير موصوفه نادر نحو فنعماهى على قول و لم يسمع مع ذلك مبتداء، شرح الرضى

و ذهب الفرّاء و ابن درستويه و ربما عزّى إلى الكوفيّين إلى أنّ ما استفهاميه ما بعدها خبرها.

قال نجم الأئمه و هو قويّ من حيث المعنى، لأنّه كان جهل سبب حسنه فاستفهم عنه، و قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجّب نحو: ما أدراك ما يوم الدّين و أ تدرى من هو، و للّه درّه أيّ رجل كان قال و للّه غنيّا خيرا أيّما فتى.

و ربما يضعف بأنّ فيه نقل من الاستفهام إلى التعجّب و النقل من انشاء إلى انشاء مما لم يثبت، هذا.

و بقى الكلام فى أفعل و قد ظهر من كلام البصريّين أنه فعل ماض و فتحته فتحه بناء للزومه مع ياء المتكلم نون الوقايه نحو ما أفقرنى إلى رحمه اللّه و ما أحوجنى اليها، و قال الكوفيّون غير الكسائى(۱) إنه اسم و فتحته فتحه اعراب كفتحه عندك فى زيد عندك، و يؤيد قولهم تصغيرهم اياه(۲) فى نحو ما احيسنه و ما اميلحه قال الشاعر:

يا ما اميلح غزلانا شددن لنا

و اعتذروا عن فتحه الخبر بأنّ مخالفه الخبر للمبتدأ تقتضى نصبه و أحسن إنّما هو فى المعنى وصف لزيد لا لضمير ما، فلذلك كان منصوبا، بيان ذلك. أنّ الخبر إذا كان فى المعنى هو المبتدأ كاللّه ربّنا أو مشبه به نحو: أزواجه امّهاتهم، ارتفع ارتفاعه، و إذا كان مخالفا له بحيث لا يحمل عليه حقيقه أو حكما خالفه فى الاعراب كما فى زيد عندك، و الناصب له عندهم معنوىّ و هو معنى المخالفه التى اتّصف بها، و لا حاجه على قولهم إلى شىء يتعلّق به الخبر، و امّا انتصاب زيدا فلمشابهه المفعول به، لأنّ ناصبه وصف قاصر فأشبه نصب الوجه فى قولك زيد حسن الوجه هكذا قال فى التوضيح و شرحه.

۱- (۱) فانه وافق البصريّين فى القول بكونه فعلا، منه.

۲- (۲) و اجيب بأن التصغير فى افعل شاذ و وجه تصغيره انه اشبه الاسماء عموما لجموده و انه لا مصدر له و اشبه افعل التفضيل خصوصا بكونه على وزنه و بدلالته على الزياده، منه

و قال نجم الأئمه بعد حكايه هذا المذهب أعنى مذهب الكوفيّه فى أفعل و كونه اسما كأفعل التفضيل: و لو لا انفتاح أفعل التعجّب و انتصاب ما بعده انتصاب المفعول به لكان مذهبهم جديرا بأن ينصر.

و قد اعتذروا لفتح آخره بكونه متضمنّا لمعنى التعجّب الذى كان حقيقا بأن يوضع له حرف كما مرّ فى بناء اسم الاشاره، فبنى لتضمنه معنى الحرف و بنى على الفتح لكونه أخفّ.

و اعتذروا لنصب المتعجّب منه بعد افعل بكونه مشابها للمفعول لمجيئه بعد افعل المشابه لفعل مضمر فاعله فموقعه موقع المفعول به فانتصب انتصابه فهو نحو قوله:

و لدنا بعده بذناب(١) عيش اجبّ الظّهر ليس له سنام

بنصب الظهر، و هو ضعيف، لأنّ النّصب فى مثل أجبّ الظهر و حسن الوجه توطئه لصحه الاضافه إلى ذلك المنصوب و لا يضاف أفعل إلى المتعجّب منه هذا.

و قوله عليه السّلام لم يخلقوا من ماء مهين، حرف من ابتدائيه نشويّه، و قوله:

و انّهم على مكانهم، جمله مستأنفه و خبر إن الجمله الشرطيه الآتيه أعنى قوله:

لو عاينوا آه، و على فى قوله: على مكانهم، للاستعلاء المجازى، و المعنى أنهم حالكونهم مستقرّين على مكانهم المعيّن لهم منك و منزلتهم الموجوده لهم عندك لو عاينوا ما خفى عليهم لحقّروا أعمالهم.

المعنى

قال الشارح المعتزلى: من أراد أن يتعلّم الفصاحه و البلاغه و يعرف فضل الكلام بعضهم على بعض فليتأمّل هذه الخطبه، فانّ نسبتها إلى كلّ فصيح من الكلام عدا كلام اللّه و رسوله نسبه الكواكب المنيره الفلكيه إلى الحجاره المظلمه الأرضيه، ثمّ لينظر الناظر إلى ما عليها من البهاء و الجلاله و الرواء

ص:٣١١

١- (١) ذناب كل شيء عقبه و الجبّ القطع و بعير أجبّ بيّن الجبب أى مقطوع السنام

و الدّيباجه و ما يحدثه من الروعه و الرهبه و المخافه و الخشيه، حتى لو تليت على زنديق ملحد و مصمم على اعتقاد نفى البعث و النشور، لهدت قواه و رعبت قلبه، و أصعقت على نفسه و زلزلت اعتقاده.

فجزى اللّه قائلها عن الاسلام أفضل ما جزى به وليا من أوليائه، فما أبلغ نصرته له تاره بيده و سيفه، و تاره بلسانه و نطقه، و تاره بقلبه و فكره.

إن قيل جهاد و حرب فهو سيّد المجاهدين و المحاربين، و إن قيل وعظ و تذكير فهو أبلغ الواعظين و المذكرين، و إن قيل فقه و تفسير فهو رئيس الفقهاء و المفسرين و إن قيل عدل و توحيد فهو إمام أهل العدل و الموحّدين، و ليس للّه بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد.

ثمّ نعود إلى الشرح فنقول: افتتح عليه السّلام كلامه بالتوحيد و التنزيه و الاجلال و ذكر نعوت الجمال و الجلال، و عقّبه بالموعظه و التذكير و الانذار و التحذير فقال (كلّ شيء خاشع له) أو خاضع له كما فى بعض النسخ، أى متذلّل معترف بالفاقه إليه سبحانه و الحاجه الى تخليقه و تكوينه، و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده.

فالمراد بالخشوع الخضوع التكوينى و الافتقار الذاتى اللّازم المهيه الممكن مثل نفس الامكان، هذا.

و قال الشارح البحرانى (ره): الخشوع هنا مراد بحسب الاشتراك اللفظى إذ الخشوع من الناس يعود إلى تطامنهم و خضوعهم للّه، و من الملائكه دؤبهم فى عبادتهم ملاحظه لعظمته سبحانه و من ساير الممكنات انفعالها عن قدرته و خضوعها فى رقّ الامكان و الحاجه اليه، و المشترك و إن كان لا يستعمل فى جميع مفهوماته حقيقه فقد بينّا أنّه يجوز استعماله مجازا فيها بحسب القرينه، و هى هنا اضافته لكلّ شيء، أو لأنه فى قوّه المتعدّد كقوله تعالى: إنّ اللّه و ملائكته يصلّون على النبىّ فكانه قال: الملك خاشع له و البشر خاشع له، انتهى.

أقول: و أنت خبير بما فيه أمّا أوّلا فلأنّ كونه من المشتركات اللّفظيه ممنوع، بل المستفاد من كلام أكثر

اللّغويين أنّه موضوع لمطلق الخضوع أعنى الذلّ و الاستكانه، و ربما يفرّق بينه و بين الخضوع كما فى مجمع البحرين و غيره بأنّ الأوّل فى البدن و البصر و القلوب و الثانى فى البدن، و قال الفيومى خشع خشوعا خضع و خشع فى صلاته و دعائه أقبل بقلبه، و هو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت و اطمأنّت، و قال خضع خضوعا ذلّ و استكان، و الخضوع قريب من الخشوع إلاّ أنّ الخضوع أكثر ما يستعمل فى الاعناق و الخشوع فى الصوت، و قال الفيروز آبادى الخشوع الخضوع أو قريب منه أو هو فى البدن و الخشوع فى الصوت و البصر، و قال خضع خضوعا تطامن و تواضع و قريب من ذلك كلام ساير أهل اللّغه.

و على قولهم فهو إما من باب الاشتراك المعنوى فيكون استعماله فى الانسان و الملك و غيرها من باب استعمال العامّ فى افراده.

و إما من باب الحقيقه و المجاز إن خصّصناه بذوات الأبدان و الابصار، فيكون اطلاقه على غيرها مجازا و استعماله فى الجميع بعنوان عموم المجاز، و على أىّ تقدير فالقول بكونه مشتركا لفظيا و توهّم تعدّد الوضع فيه باطل.

و أمّا ثانيا فلأنّ تجويز استعمال اللّفظ المشترك فى معانيه المتعدّده و لو بالمجاز و القرينه خلاف ما عليه المحقّقون من الاصوليّين، و قد حقّقناه فى ديباجه هذا الشرح و فى حواشينا على قوانين الاصول بما لا مزيد عليه.

نعم لا بأس بجواز استعماله فى معنى عام شامل للمعانى المتعدّده بعنوان عموم الاشتراك كاستعمال لفظ الأمر فى مطلق الطلب الشامل للوجوب و الندب على القول بكونه حقيقه فيهما، كما لا ريب فى جواز استعمال اللّفظ فى معنى عام شامل لمعناه الحقيقى و المجازى و يسمّى بعموم المجاز كالمثال الذى ذكرناه على القول بكون الأمر حقيقه فى الوجوب مجازا فى الندب، و لا يمكن حمل مراد الشّارح على ذلك، لمنافاته بقوله: و الخشوع هنا مراد بحسب الاشتراك اللّفظى فافهم.

و أمّا ثالثا فلأنّ جعل خاشع بمنزله المتعدّد بالعطف قياسا بقوله يصلّون فى الآيه الشريفه فاسد، فانّ يصلّون فى الآيه لفظ جمع و خاشع لفظ مفرد و كون الأوّل فى قوّه المتعدّد لا يدلّ على كون الثّانى كذلك مع امكان منع أصل

الدّعوی فی الآیه أیضا لاحتمال حذف الخبر فیها أی إنّ اللّه یصلّی و ملائکته یصلّون علی حدّ قوله: نحن بما عندنا و أنت بما عندک راض و الرّأی مختلف أو کونها من باب عموم الاشتراک بأن یکون معنی یصلّون یعتنون باظهار شرف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تعظیمه کما فسّرها به الطبرسیّ و البیضاوی و غیرهما علی ما مرّ تفصیلا و توضیحا فی دیباجه الشرح.

و هذا کلّه مبنیّ علی التنزّل و المماشاه و إلاّ فنقول: إنّ کون الآیه بمنزله المفرد المتکرّر المتعدّد لا یوجب الحاقها به فی جمیع الأحکام، فانّ المفرد المتکرّر شیء، و ما بمنزلته شیء آخر، فاطلاق المکرّرات و إراده المعانی المتعدّده منها لا یوجب جواز إراده المعانی المتعدّده مما هو بمنزلتها کما لا یخفی.

فقد وضح و اتّضح بما ذکرنا کلّه أنّ الآیه الشریفه لا دلاله فیها علی جواز استعمال اللفظ المشترک فی أکثر من معنی، و أنّ کلام الامام علیه السّلام لیس من هذا القبیل فافهم ذلک و اغتنم.

(و کلّ شیء قائم به) لأنّ جمیع الممکنات إمّا جواهر أو أعراض، و لیس شیء منها یقوم بذاته فی الوجود أمّا الأعراض فظاهر، لظهور حاجتها إلی المحلّ الجوهری، و أما الجواهر فلأنّ قوامها فی الوجود انما هو بعللها، و تنتهی إلی المبدأ الأوّل و علّه العلل جلّت عظمته فهو إذا الفاعل المطلق الذی به قوام وجود کلّ موجود، هکذا قال الشارح البحرانی، ثمّ قال: و اذ ثبت أنّه تعالی غنّی عن کلّ شیء فی کلّ شیء ثبت أنّ به قوام کلّ شیء فثبت أنّه القیّوم المطلق اذ مفهوم القیّوم هو القائم بذاته المقیم لغیره، فکان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف.

(غنی کلّ فقیر) قال الشارح: و یجب أن یحمل الفقیر علی ما هو أعمّ من الفقر المتعارف و هو مطلق الحاجه لیعمّ التمجید کما أنّ الغنی هو سلب مطلق الحاجه و إذ ثبت أنّ کلّ ممکن فهو مفتقر فی طرفیه منته فی سلسله الحاجه إلیه و أنّه تعالی المقیم له فی الوجود ثبت أنه تعالی رافع حاجه کلّ موجود بل کلّ ممکن، و هو المراد بکونه غنی له و اطلق علیه تعالی لفظ الغنی و إن کان الغنی به مجازا إطلاقا لاسم السّبب علی المسبّب.

ص:۳۱۴

(و عزّ كلّ ذليل) يعنى أنه سبحانه سبب عزّه كلّ من كان به ذلّه، لأنّه العزيز المطلق الذى لا يعادله شىء و لا يغلبه شىء، فكلّ عزّه لكلّ موجود منتهيه إليه سبحانه، و قد سبق تفسير العزيز فى شرح الخطبه الرّابعه و السّتين.

(و قوّه كلّ ضعيف) معنى هذه الفقره كسابقتها، و قد مرّ تفسير القوى من أسمائه سبحانه فى شرح الخطبه الرابعه و السّتين أيضا، و روى أنّ الحسن عليه السّلام قال: واعجبا لنبىّ اللّه لوط إذ قال لقومه:

«لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ ».

أ تراه أراد ركنا أشدّ من اللّه، و فى المجمع عن الصادق عليه السّلام لو يعلم أىّ قوّه له، و عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رحم اللّه أخى لوطا لو يدرى من معه فى الحجره لعلم أنّه منصور حيث (حين خ ل) يقول، لو أنّ لى بكم قوّه أو آوى الى ركن شديد، أىّ ركن أشد من جبرئيل معه فى الحجره و رواه فى عقاب الأعمال عن أبى جعفر عليه السّلام مثله.

(و مفزع كلّ ملهوف) يعنى أنه تعالى ملجأ كلّ مضطرّ محزون حال حزنه و اضطراره فيفرّج همّه و يكشف ضرّه و يرفع اضطراره كما قال تعالى:

«أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ »و قال:«وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ ».

و هذا العطف يستلزم عموم قدرته و شمول علمه تعالى بشهاده فطره المضطرّ بنسبه جميع أحوال وجوده إلى جوده و شهاده فطرته أيضا بعلمه بحاله و اطلاعه على ضرورته و وجوه اللهف و الاضطرار غير معدوده، و جهات الحاجه و الافتقار غير محصوره، و لا يقدر الاجابه لها على كثرتها إلاّ الحقّ و القادر المطلق، و أما غيره سبحانه فانما يكون مفزعا و ملجئا لمضطرّ لا لكلّ مضطرّ فكونه مفزعا مجاز لا حقيقه و اتّصافه به اضافىّ لا حقيقىّ.

ص:٣١٥

فمفزع جميع العباد فی الداهيه و الناويه(۱) ليس إلاّ اللّه الحیّ القيّوم السّميع البصير العالم القادر الخبير المجيب الدّعوات الكاشف للكربات المنجح للطّلبات المنفّس لكلّ حزن و همّ المفرّج من كلّ ألم و غمّ و قال تعالی:

«وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِی الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِيّاهُ ».

يعنی إذا كنتم فی البحر و خفتم الغرق ذهب عن خواطركم كلّ من تدعونه فی حوادثكم إلاّ إيّاه وحده، فلا ترجون هناك النجاه إلاّ من عنده.

روی فی التّوحيد انه قال رجل للصّادق عليه السّلام يابن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم دلّنی علی اللّه ما هو فقد أكثر علیّ المجادلون و حيّرونی، فقال عليه السّلام: يا عبد اللّه هل ركبت سفينه قطّ؟ قال: بلی، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينه تنجيك و لا سباحه تغنيك؟ قال: بلی، قال: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئا من الأشياء قادر علی أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: بلی، قال الصادق عليه السّلام: فذلك الشیء هو اللّه القادر علی الانجاء حين لا منجی و علی الاغاثه حيث لا مغيث.

و (من تكلّم سمع نطقه و من سكت علم سرّه) يعنی أنه سبحانه سميع عليم محيط بما أظهره العبد و أبداه، خبير بما أسّره و أخفاه فی حالتی نطقه و سكوته، و هو إشاره إلی عموم علمه و إحاطته سبحانه و عدم التفاوت فيه بين السرّ و الاعلان، و الاظهار و الكتمان و قد مضی تحقيق الكلام فی هذا المعنی فی شرح الفصل السادس و السّابع من الخطبه الاولی و فی شرح الخطبه الرابعه و السّتين.

(و من عاش فعليه رزقه و من مات فاليه منقلبه) يعنی أنه مرجع العباد الأحياء منهم و الأموات، و به قيام وجودهم حالتی الحياه و الممات، و تقدّم تحقيق الكلام فی الرزق فی شرح الفصل الأوّل من فصول الخطبه التسعين.

(لم تركك العيون فيخبر عنك) التبقات من الغيبه إلی الخطاب، يعنی امتنع الرؤيه من العيون لك فامتنع اخبارها عنك، و قد تقدّم بيان وجه امتناع الرؤيه فی

۱- (۱) الناويه وزان سحاب الداهيه.

شرح الخطبه التاسعه و الأربعين، و فى اسناد الاخبار إلى العيون توسّع، و المراد نفى امكان الاخبار المستند إلى المشاهده الحسيّه عنه تعالى.

(بل كنت قبل الواصفين من خلقك) أى بالذات و العليه، و هو وارد فى مقام التعليل لنفى الرؤيه.

قال الشارح المعتزلى: فان قلت فأىّ منافاه بين هذين الأمرين أليس من الممكن أن يكون سبحانه قبل الواصفين له، و مع ذلك يدرك بالابصار إذا خلق خلقه ثمّ يصفونه رأى عين قلت بل ههنا منافاه ظاهره و ذلك لأنه إذا كان قديما لم يكن جسما و لا عرضا و ما ليس بجسم و لا عرض يستحيل رؤيته فيستحيل أن يخبر عنه على سبيل المشاهده (لم تخلق الخلق لوحشه) لاستحاله الاستيحاش كالاستيناس فى حقّه سبحانه حسب ما عرفت تفصيلا فى شرح الفصل السادس من فصول الخطبه الاولى (و لا استعملتهم لمنفعه) تعود اليک و إنما هى عايده اليهم لنقصانهم فى ذاتهم و لو كانت عايده اليه سبحانه لزم نقصه فى ذاته و استكماله بغيره و هو محال، و قد تقدّم توضيح ذلک فى شرح الخطبه الرابعه و الستين و (لا يسبقک من طلبت) أى لا تطلب أحدا فيسبقک و يفوتک (و لا يفلتک من أخذت) أى من أخذته لا يفلت منک بعد أخذه، و الغرض بهذين الوصفين الاشاره إلى كمال قدرته و تمام ملكه، فانّ ملوک الدّنيا أيّهم فرضت ربما يفوت منهم هارب و ينجو من قيد اسرهم المأخوذ بحيله و نحوها، و أما اللّه العزيز القادر القاهر فلا يمكن فى حقّه ذلک.

(و لا ينقص من سلطانک من عصاک و لا يزيد فى ملكک من أطاعک) و هو تزيد له سبحانه عن قياس سلطانه و ملكه بسلطنه ملوک الزّمان، فانّ كمال سلطان أحدهم إنما هو بزياده جنوده و كثره مطيعيه و قلّه مخالفيه و عصاته، و نقصان سلطانه إنما هو بعكس ذلک، فأما الحقّ تعالى فلمّا كان سلطانه بذاته لا لغيره مالک الملک يعطى الملک من يشاء و ينزع الملک ممّن يشاء و يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء لم

يتصوّر خروج العاصى بعصيانه عن كمال سلطانه حتّى يؤثر فى نقصانه، و لا طاعه المطيع فى ازدياد ملكه حتى تؤثر فى زيادته.

و محصلّ ذلك كلّه أنه تعالى كامل من جميع الجهات فى ذاته و صفاته بذاته و لذاته و لا حاجه له فى عزّه و سلطانه إلى الغير، و لا تأثير للغير فى ملكه و سلطنته بالنقصان و الزياده، و إلاّ لزم نقصه فى ذاته استكماله بغيره، و هو باطل.

(و لا يردّ أمرك من سخط قضائك) المراد بالأمر هنا الأمر التّكوينى المشار إليه بقوله سبحانه:

«إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ».

و اريد الأمر لكونه بارتفاع الوسايط لا بدّ فيه من وقوع المأمور به لا محاله من غير احتمال تمرّد و عصيان و أما الأمر التشريعى كما فى قوله:

«فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ » و قوله: «وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ ».

و نحوهما فهو لكونه بالواسطه و على ألسنه الرّسل و الملائكه، فيمكن فيه العصيان و عدم الطّاعه فمعنى قوله: انه لا يردّ أمرك الملزم أى المقدّرات الحادثه على طبق العلم الأزلى من سخط قضائك و كرهه، و قد مرّ فى شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الاولى ماله ربط بتوضيح المقام، و فى هذه الفقره أيضا دلاله على كمال قدرته و عموم سلطانه لافادته أنّ كلّ ما علم وجوده فلا بدّ من وجوده، سواء كان محبوبا للعبد أو مبغوضا له كما قال تعالى:

«وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ » و قال «إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ ما لَهُ مِنْ دافِعٍ ».

و تخصيص السّاخط للقضاء بالعجز عن ردّ الأمر لأنّ من شأنه أن لو قدر على ردّ الأمر و القدر لفعل.

(و لا يستغنى عنك من تولّى عن أمرك) أراد به الأمر التشريعى، و من المعلوم

أنّ من تمرّد عن أمره و خالفه اشدّ افتقارا و حاجه إلى غفرانه و رحمته ممن قام بوظايف الطاعه و العباده، و الأظهر أن يراد به الأعمّ من ذلک، و يکون المعنى أنّ من أدبر و تولّى عن حکمه و لم يرض بقضائه و قدره لا يمکن استغنائه عنه و انقطاع افتقاره منه.

و يوضح ذلک ما رواه الصّدوق فی التّوحيد باسناده عن سعد الخفاف عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام لرجل: ان کنت لا تطيع خالقک فلا تأکل رزقه، و إن کنت و اليت عدوّه فاخرج من ملکه، و إن کنت غير قانع بقضائه و قدره فاطلب ربّا سواه.

(کلّ سرّ عندک علانيه و کلّ غيب عندک شهاده) و هما إشارتان إلى عموم علمه و إحاطته، و قد مرّ ذلک فی شرح الفصل السّابع من الخطبه الاولى و نقول هنا مضافا إلى ما مرّ: انّ واجب الوجود سبحانه مجرّد غايه التجرّد، و الغيبه و الخفاء إنّما يتصوّران بالنسبه إلى القلوب المحجوبه بحجب الطّبيعه و سترات الهيآت البدنيه و الأرواح المستولى عليها نقصان الامکان الحاکم عليها بجهل أحوال ما هو أکمل منها، و الواجب تعالى لتجرّده و بساطته و منتهى کماله لا يحجبه شیء عن شیء و فوق کلّ شیء ليس فوقه شیء حتى يقصر عن إدراکه.

(أنت الأبد فلا أمد لک) أی أنت الدّائم فلا غايه لک يقف عندها وجودک و ذلک لاستلزام وجوب الوجود امتناع العدم و الانتهاء إلى الغايه، و يمکن ان يکون إطلاق الأبد عليه سبحانه من باب المجاز مبالغه فی الدّوام، و الأصل أنت ذو الأبد على حدّ قوله: فانما هی إقبال و إدبار، و قوله: فأنت طلاق، و هذا المجاز شايع فی عرف العرب.

(و أنت المنتهى فلا محيص عنک) أی إليه مصير الخلائق و وقوفهم عنده و إليه انتهاؤهم و إيابهم فيجزى کلّ أحد ما يستحقّه من الثواب و العقاب، فلا محيد عن حکمه و لا مهرب عن أمره و لا معدل يلجئون إليه کما قال تعالى:

«وَ أَنَّ إِلى رَبِّکَ الْمُنْتَهى » و قال «إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ » (و أنت الموعد فلا منجى منک إلّا إليک) و معناها قريب من سابقتها أى لا مخلص و لا ملجأ لأحد منه سبحانه إلّا إليه، و لا عاصم من عذابه إلّا هو عزّ و جلّ فيعصم منه و يرفعه عنه إما بالتوبه و الانابه، أو بالمنّ و الرّحمه.

(بيدک ناصيه کلّ دابّه) أى أنت مالک لها قادر عليها تصرفها کيف تشاء غير مستعصيه عليک، فانّ الأخذ بالناصيه تمثيل لذلک قال المفسّرون فى تفسير قوله سبحانه:

«ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها ».

هو تمثيل لغايه التسخير و نهايه التذليل، و کان العرب إذا اسر الأسير فأرادوا إطلاقه و المنّ عليه جزوا ناصيته فکان علامه لقهره.

و قال الشارح البحرانى: و انما خصت النّاصيه لحکم الوهم بأنّه تعالى فى جهه فوق فيکون أخذه بالناصيه، و لأنها أشرف ما فى الدابه فسلطانه تعالى على الأشرف يستلزم القهر و الغلبه و تمام القدره.

أقول: و الأظهر أنّ تخصيصها من جهه جريان العاده بأنّ الممسک للدابه و المريد لتسخيرها إنّما يستمسک و يقبض ناصيتها بيدها، فأجرى کلامه تعالى و کلام وليّه عليه السّلام على ما هو المتعارف المعتاد.

(و اليک مصير کلّ نسمه) أى مرجع کلّ نفس ثمّ نزّهه سبحانه و قدّسه عن أحکام الأوهام بکونه تعالى مشابها لمدرکاتها فقال: (سبحانک ما أعظم ما نرى من خلقک و ما أصغر عظمه فى جنب قدرتک) و هو تعجّب فى معرض التمجيد من عظم ما يشاهد من مخلوقاته تعالى من الأرض و السّماء و الجوّ و الهواء و النبات و الماء و الشجر و الحجر و الشّمس و القمر و الانسان و الحيوان و البرّ و البحر و اللّيل و النّهار و السّحاب و الغمام و الضّياء و الظّلام إلى غير هذه مما لا ينتهى إلى حدّ و لا يستقصى بعدّ ثمّ من حقاره هذه کلّها بالنسبه إلى ما تعتبره العقول من مقدوراته و ما يمکن فى

كمال قدرته من الممكنات الغير المتناهيه و من البيّن أنّ قياس الموجود على الممكن و نسبته إليه فى العظم و الكثره يستلزم صغره و حقارته ثمّ قال (و ما أهول ما نرى من ملكوتك و ما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من سلطانك) و هو تعجّب من هول ما وصلت إليه العقول من عظمه ملكوته ثمّ من حقارته بالنسبه إلى ما غاب عنها و خفى عليها مما هو محتجب تحت أستار القدره و حجبّ العزّه من بدايع الملاء الأعلى و عجائب العالم العلوى و سكّان حظائر القدس.

ثمّ قال (و ما اسبغ نعمك فى الدّنيا و ما أصغرها فى نعم الآخره) و هو تعجّب من سبوغ نعمه على عباده فى الدّنيا بما لا تحصى ثمّ من حقارتها بالقياس إلى نعم الآخره و ما أعدّه للمؤمنين فيها من الجزاء الأوفى، فانّ نسبتها إليها نسبه المتناهى إلى ما لا يتناهى كما هو ظاهر لا يخفى.

ثمّ إنّه سلام اللّه عليه و آله لما افتتح كلامه بذكر أوصاف العظمه و الكبرياء للرّب العزيز تبارك و تعالى عقّبه بذكر حالات ملائكه السماء و أنّهم على ما هم عليه من القدس و الطهاره و الفضايل الجمّه و الكمالات الدثره الّتى فضّلوا بها على الاشباح و الأقران و تميزوا بها عن نوع الانسان، و من العلم و المعرفه التى لهم بخالقهم، و الخوف و الخشيه التى لهم من بارئهم، و الخضوع و الخشوع الذى لهم لمعبودهم لم يعبدوه حقّ عبادته و لم يطيعوه حقّ طاعته.

فقال (من ملائكه أسكنتهم سماواتك و رفعتهم عن أرضك) هذا محمول على الأغلب أو المراد أنّ مسكنهم الأصلى هو السّماء، فلا ينافى كون بعضهم فى الأرض لاقتضاء المصلحه و التّدبير مثل الكرام الكاتبين و المجاورين بمرقد الحسين عليه السّلام و نظرائهم.

(هم أعلم خلقك بك) لتجرّدهم و بعد علومهم من منازعه النفس الأماره التى هى مبدء السّهو و النسيان و الغفله، فيكونون أبلغ معرفه و أكمل علما (و أخوفهم لك) لأنّ العلم كلما كان أكمل كان الخوف آكد و الخشيه أشدّ كما قال تعالى:

«إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ».

ص:٣٢١

قال الطبرسی أی لیس یخاف اللّه حقّ خوفه و لا یحذر معاصیه خوفا من نقمته إلاّ العلماء الذین یعرفونه حقّ معرفته و إنما خصّ العلماء بالخشیه لأنّ العالم أحذر لعقاب اللّه من الجاهل، حیث یختصّ بمعرفه التوحید و العدل و یصدّق بالبعث و الحساب و الجنّه و النّار.

(و أقربهم منک) أی من حیث الشرف و الرتبه لا بالمکان و المنزله، لتنزّهه سبحانه عن المحلّ و المکان و تقدّسه من لوازم الامکان، و غیر خفیّ أنّ تفضیلهم علی غیرهم فی القرب و الشرف إنما هو إضافیّ لا حقیقیّ فقد قدّمنا فی شرح الفصل الخامس من فصول الخطبه التسعین أنّ بعض أفراد البشر کالنبیّ و الأئمه علیهم السّلام أفضل منهم و أشرف، و قد تقدّم فی الفصل المذکور شرح حالات الملائکه مستوفا، و کذلک فی شرح الفصل التّاسع من فصول الخطبه الاولی من أراد الاطّلاع فلیراجع إلیه.

و قوله (لم یسکنوا الأصلاب) و ما یتلوه من الجملات الثّلاث السّلبیه إشاره إلی ارتفاعهم عن النقصانات البشریه، أی لم یسکنوا أصلاب الآباء (و لم یضمّنوا الأرحام) أی أرحام الامّهات یعنی لم یخالطوا المحالّ المستقذره (و لم یخلقوا من من ماء مهین) أی ضعیف حقیر (و لم یشعبهم ریب المنون) أی لم یفرّقهم حوادث الدهر، و هو إشاره إلی سلامتهم من الأمراض و الأسقام البدنیه العارضه للموادّ العنصریه المانعه من الاستغراق التامّ، و التّوجه الکلّی لشهود أنوار الحضره الرّبوبیه.

(و أنّهم علی مکانهم منک و منزلتهم عندک) یعنی أنهم علی ما هم علیه من القرب و الزلفی (و استجماع أهوائهم فیک) أی کمال محبّتهم لک و رغبتهم و شوقهم الیک (و کثره طاعتهم لک) بحیث لا یفترون عن تسبیحک و لا یسئمون عن تقدیسک (و قلّه غفلتهم عن أمرک) التعبیر بقلّه الغفله لمحض المشاکله و المقابله بکثره الطاعه، و إلاّ فلا یتصوّر فی حقّهم الغفله کما یدلّ علیه قوله سبحانه:

«فَالَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ یُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا یَسْأَمُونَ ».

و فی دعاء الصّحیفه العلویّه السجّادیه علی صاحبها آلاف الصّلاه و السّلام و التحیّه فی الصّلاه علی حمله العرش: اللّهمّ و حمله عرشک الذی لا یفترون من تسبیحک و لا یسأمون من تقدیسک و لا یستحسرون عن عبادتک و لا یؤثرون التقصیر علی الجدّ فی امرک و لا یغفلون عن الوله الیک.

فانّ المقصود ذلک کلّه الاشاره إلی کمال مراتبهم فی صنوف العبادات و التأکید لاستغراقهم فی مقام المعرفه و المحبّه و بیان خلوّ عبودیّتهم من النقصانات اللاّحقه، فانّ کلاّ من هذه الصّفات المنفیه لو وجد کان نقصانا فیما یتعلّق به و اعراضا عن الجهه المقصوده.

و بالجمله فالغرض أنّ هؤلاء الملائکه الرّوحانیّات مع هذه المراتب و الکمالات التی لهم (لو عاینوا کنه ما خفی علیهم منک) أی لو عرفوک حقّ معرفتک (لحقروا أعمالهم) علما منهم بأنها لا تلیق بحضرتک (و لزروا علی أنفسهم) أی عابوها و عاتبوها لمعرفتهم بکونهم مقصّرین فی القیام بوظایف عبودیّتک (و لعرفوا أنّهم لم یعبدوک حقّ عبادتک و لم یطیعوک حقّ طاعتک) لظهور أنّ العباده و الطاعه إنما هی علی قدر المعرفه و کلّما کانت المعرفه أکمل کانت العباده أکمل، فعبادتهم الحالیه علی قدر معرفتهم الموجوده، فلو ازدادت المعرفه ازدادت العباده لا محاله.

الترجمه

از جمله خطب فصیحه آن سرور عالمیان و مقتدای آدمیانست در ذکر صفات کمال و نعوت جلال خداوند متعال و أوصاف فرشتگان و غرور بندگان بمتاع این جهان و بیان حشر و نشر انسان و ذکر صفات پیغمبر آخر الزّمان علیه و آله أفضل الصّلاه و السّلام چنانچه فرموده:

هر چیز فروتنی کننده است بر حضرت عزّت، و هر چیز قایم است در وجود بجناب احدیت او، توانگری هر فقیر است، و عزّت هر ذلیل و حقیر، و قوّت هر ضعیف و ناتوان، و پناهگاه هر مضطرّ و محزون، هر کس تکلّم نمود شنود او گفتار او را،

و هر كه خاموش شد دانست أسرار او را، و هر كه زندگانى نمايد بر او است روزى او، و هر كه وفات نمايد بسوى اوست باز گشت او، نديد تو را چشمها تا خبر دهد از تو صاحبان ديدها، بلكه بودى تو پيش از وصف كنندگان از خلايق خودت، نيافريدى خلق را از جهه ترس و وحشت، و طلب عمل ننمودى از ايشان بجهه جلب منفعت، پيشى نمى گيرد بتو كسى كه طلب كردى تو او را، و خلاصى نيافت از تو كسى كه أخذ نمودى تو او را، و كم نمى نمايد پادشاهى تو را كسى كه معصيت تو را نمود، و زياد نمى كند در ملك تو كسى كه اطاعت تو را كرد، و ردّ نمى كند أمر تو را كسى كه ناخوش دارد حكم تو را، و مستغنى نمى باشد از تو كسى كه رو گردان شود از فرمان تو، هر نهانى در نزد تو آشكار است، و هر غايبى در نزد تو حاضر، توئى صاحب دوام پس هيچ نهايتى نيست تو را، و توئى محلّ نهايت خلايق پس هيچ گريز گاهى نيست از تو، و توئى وعده گاه همه پس جاى نجاتى نيست از تو مگر بسوى تو، در دست قدرت تست موى پيشانى هر جنبنده، و بسوى تست باز گشت هر نفس تنزيه ميكنم تو را تنزيه كردنى چه بزرگست آنچه كه مى بينيم از مخلوقات، و چه كوچكست بزرگى آن در جنب قدرت تو، و چه هولناكست آنچه كه مشاهده مى كنيم از پادشاهى تو، و چه حقير است اين در جنب آنچه كه پنهانست از مادر سلطنت تو، و چه وافر است نعمتهاى تو در دنيا، و چه كوچكست اين نعمتها در جنب نعمتهاى آخرت.

بعض ديگر از اين خطبه در صفت فرشتگان فرموده:

از ملائكه كه ساكن نمودى ايشان را در آسمانهاى خود، و برداشتى ايشان را از زمين خود، ايشان داناترين مخلوقات تو است بتو، و ترسنده ترين خلايق است مر تو را، و مقرّب ترين ايشان است از تو، ساكن نشده اند ايشان در پشت پدران، و نهاده نشده اند در رحمهاى مادران، و آفريده نشده اند از نطفه كه ضعيف است و بى مقدار، و پراكنده نساخته است ايشان را حوادث روزگار.

و بدرستى كه ايشان در مكان قربى كه ايشان را است از تو، و منزلت و مرتبتى كه

ایشـان را است نزد تو، و کمـال خواهشـهائیست که ایشان را است در تو، و کثرت عبادتی که ایشان را است بتو، و کمی غفلتی که ایشـان را است از امر تو اگر مشاهـده کننـد پایان آنچه که پنهانست برایشان در معرفت، هر آینه حقیر می شـمارند عملهای خودشان را و هر آینه عتاب می نمایند بر نفسـهای خود، و هر آینه می دانند که ایشان نپرستیده اند تو را حقّ پرسـتش، و فرمان نبرده اند تو را همچنان که لایق فرمان برداری تست.

الفصل الثانی

اشاره

سبحانـک خالقـا و معبودا، بحسن بلائـک عنـد خلقک، خلقت دارا و جعلت فیها مأدبه، مشـربا، و مطعما، و أزواجا، و خـدما، و قصورا، و أنهارا، و زروعا، و ثمارا، ثمّ أرسـلت داعیا یدعو إلیها، فلا الدّاعی أجابوا، و لا فیما رغّبت إلیه رغبوا، و لا إلی «علی خ ل» ما شوّقت إلیه اشـتاقوا، أقبلوا علی جیفه قد افتضـحوا بأکلها، و اصـطلحوا علی حبّها، و من عشق شـیئا أعشـی بصـره، و أمرض قلبه، فهو ینظر بعین غیر صـحیحه، و یسـمع باذن غیر سـمیعه، قد خرقت الشّـهوات عقله، و أماتت الدّنیا قلبه، و ولهت علیها نفسه، فهو عبـد لها، و لمن فی یدیه شـیء منها، حیثما زالت زال إلیها، و حیثما أقبلت أقبل علیها، لا ینزجر من اللّه بزاجر، و لا یتّعظ منه بواعظ، و هو یری المأخوذین علی الغرّه، حیث لا إقاله و لا رجعه، کیف نزل بهم ما کانوا

ص:۳۲۵

يجهلون، و جاءهم من فراق الدّنيا ما كانوا يأمنون، و قدموا من الآخره على ما كانوا يوعدون. فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكره الموت، و حسره الفوت، ففترت لها أطرافهم، و تغيّرت لها ألوانهم، ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجا، فحيل بين أحدهم و بين منطقه، و إنّه لبين أهله، ينظر ببصره، و يسمع باذنه، على صحّه من عقله، و بقاء من لبّه، يفكّر فيم أفنى عمره، و فيم أذهب دهره، و يتذكّر أموالا جمعها، أغمض فى مطالبها، و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، و أشرف على فراقها، تبقى لمن ورائه، ينعّمون فيها، و يتمتّعون بها، فيكون المهناء لغيره، و العبء على ظهره، و المرء قد غلقت رهونه بها، فهو يعضّ يده ندامه على ما أصحر له عند الموت من أمره، و يزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره، و يتمنّى أنّ الّذى كان يغبطه بها، و يحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ فى جسده، حتّى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله، لا ينطق بلسانه، و لا يسمع بسمعه، يردّد طرفه بالنّظر فى وجوههم، يرى حركات ألسنتهم، و لا يسمع رجع كلامهم، ثمّ ازداد

الموت التياطا، فقبض بصره كما قبض سمعه، و خرجت الرّوح من جسده، فصار جيفه بين أهله، قد أوحشوا من جانبه، و تباعدوا من قربه، لا يسعد باكيا، و لا يجيب داعيا، ثمّ حملوه إلى مخطّ من الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله، و انقطعوا عن زورته.

اللغه

(المأدبه) بفتح الهمزه و ضمّها وزان مسعده و مكرمه طعام صنع لدعوه أو عرس من أدب فلان أدبا من باب ضرب إذا عمل مأدبه و (و له) الرّجل من باب ضرب و منع و حسب اذا تحيّر من شدّه الوجد و فى بعض النسخ و لهت بالتضعيف و نصب نفسه على المفعول و (الغرّه) بكسر الغين المعجمه الاغترار و الغفله يقال اغترّه فلان أى أتاه على غرّه منه و (أطراف) البدن الرأس و اليدان و الرّجلان و (و لج) يلج ولوجا أى دخل و (المصرّح) خلاف المشتبه و هو الظاهر البيّن و (التبعات) جمع التبعه و هو الاثم، و (المهنأ) المصدر من هنأ الطعام يهنأ و هنوء يهنوء بالكسر و الضم إذا صار هنيئا و (العبء) الثقل و (أصحر) أى ظهر و انكشف و اصله من أصحر القوم اذا برزوا من المكمن الى الصحرا و (رجع) الكلام ما يتراجع منه و (الالتياط) الالتصاق و (الاسعاد) الاعانه و(المخطّ من الأرض)بالخاء المعجمه كنايه عن القبر يخطّ أولا ثمّ يحفر، و فى بعض النسخ بالحاء المهمله و هو المنزل من حطّ القوم إذا نزلوا.

الاعراب

خالقا و معبودا منصوبان على الحال من كاف الخطاب فى سبحانك، و العامل فيهما هو المصدر لتضمّنه معنى الفعل و يحتملان الانتصاب على التميز.

ص:۳۲۷

قال الشارح المعتزلی: و الباء فی قولهبحسن بلائک،للتعلیل کقوله تعالی:

«ذلِـكَ بِـأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُـلُهُمْ »، أی لأنّهم، فتکون متعلّقه بما فی سبحانک من معنی الفعل أی اسبّحک لحسن بلائک، و یجوز أن تتعلّق بمعبود أی یعبد لذلک، انتهی.

و الأظهر أن تکون متعلّقه بقوله خلقت، و تقدیمها علیه للتّوسّع، و المعنی خلقت دارا بسبب حسن بلائک کما تقول ضربت زیدا بسوء أدبه، و قوله مأدبه قال الشارح البحرانی: المأدبه هنا الجنّه، و المنصوبات الثمانیه ممیّزات لتلک المأدبه أقول: و هو غلط إذ المأدبه سواء ارید به معناه الاصلی أو المجازی أعنی الجنه لا ابهام فیه حتی یحتاج إلی التمیز، بل الظاهر أنّ المراد به فی المقام مطلق ما یصنع لدعوه من طعام أو غیره.

و انتصاب المنصوبات الثمانیه إما علی أنّها عطف بیان کما هو مذهب الکوفیّین و جماعه من البصریّین من علماء الأدبیّه حیث جوّزوا عطف البیان فی النکرات و جعلوا منه قوله سبحانه: «أَوْ كَفّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ »، فیمن نوّن کفّاره.

و إما علی البدل کما هو مذهب جمهور البصریّین حیث خصّوا عطف البیان بالمعارف زعما منهم أنّ البیان بیان کاسمه، و النکره مجهوله و المجهول لا یبین المجهول.

و فیه أنّ بعض النکرات قد یکون أخصّ من بعض و الأخصّ یبیّن غیر الأخصّ کما فی کلام الامام علیه السّلام، و قوله: و لا فیما رغبت رغبوا، الظرف متعلّق برغبوا، و رغبت صله ما، و العاید محذوف بقرینه المقام و دلاله الکلام أی فیما رغبت فیه، و جمله أقبلوا، استیناف بیانیّ، و نفسه بالضمّ فاعل و لهت، و لمن فی یدیه، عطف علی لها.

و جمله و هو یری، منصوبه المحلّ علی الحال من فاعل یتّعظ، و قوله: فغیر موصوف ما نزل بهم، غیر بالرّفع خبر مقدّم علی مبتدئه أعنی ماء الموصوله لافاده الحصر و الدّلاله علی أنّ غیر ما نزل قابل لأن یوصف کما فی قوله سبحانه: لا فیها

غول، أی لیس غول فی خمور الجنه بخلاف خمور الدّنیا و ایراد المسند الیه بلفظ الموصول للتفخیم و التهویل کما فی قوله: فغشیهم من الیمّ ما غشیهم.

و وصل جمله اجتمعت لسابقتها لما بینهما من کمال الاتّصال و کون الثانیه أو فی بتمام المراد و اقتضاء المقام الاعتناء بشأنه لکونه فظیعا فی نفسه و نظیرها قوله سبحانه:

«أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَ بَنِينَ وَ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ ».

فانّ المراد التنبیه علی نعم اللّه، و الثّانیه أو فی بتادیته لدلالتها علیها بالتفصیل، فالجمله الثانیه فی المقامین منزّله منزله بدل البعض، و کذلک وصل جمله یفکر لسابقتها لما بینهما من کمال الاتصال أیضا لکونها من سابقتها بمنزله التّأکید المعنوی مثل: لا ریب فیه، فی قوله تعالی: «ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ »، و وزانهما وزان جائنی زید نفسه، و هذا کله من محسّنات البیان و إنما نبّهنا علیه مع عدم مدخلیه فی الاعراب اشاره إلی بعض وجوه الحسن فی کلامه علیه السّلام.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من کلامه تحذیر للمتمرّدین العصاه و المذنبین الغواه، و تنفیر لهم عن الرکون إلی الدّنیا و إلی زخارفها و ما فیها، و تذکیر لهم بما یحلّ بساحتهم من سکرات الموت و ینزل بفنائهم من حسرات الفناء و الفوت.

و افتتح بتسبیحه تعالی و تقدیسه فقال:(سبحانک خالقاً و معبوداً) أی أنزّهک تنزیها عن الشرکاء و الأمثال فی حاله خلقک و معبودیّتک لا موجد غیرک و لا معبود سواک (بحسن بلائک عند خلقک خلقت دارا) أی خلقت دارا بسبب ابتلاء عبادک و امتحانا لهم و تمیزا بینهم و تفرقه بین السّعداء أعنی الطالبین المشتاقین إلی تلک الدار، و بین الأشقیاء و هم الرّاغبون المعرضون عنها، و المراد بالدّار دار الآخره،

و ما فی شرح البحرانی منأنّ لفظ الدّار مستعار للاسلام باعتبار أنه یجمع أهله و یحمیهم کالدّار، لا یخفی بعده و الأظهر ما ذکرناه، و یشعر به قوله سبحانه:

«تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ ».

و یؤیّده قوله (و جعلت فیها مأدبه) فانّه لو أرید بالدّار الاسلام لا بدّ من حمل الظرف أعنی قوله: فیها، علی المجاز بخلاف ما لو ارید بها الآخره و الأصل فی الکلام الحقیقه، و المراد بالمأدبه الجنّه التی هیأت للمتّقین و دعی الیها عباد اللّه الصّالحون، و أعدّ اللّه سبحانه لهم فیها ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و ما تشتهیه أنفسهم.

(مشربا و مطعما) أی شرابا و طعاما (و أزواجا) من الحور العین (و خدما) من الولدان المخلّدین (و قصورا) عالیه (و أنهارا) جاریه (و زروعا) زاکیه (و ثمارا) طیّبه (ثمّ أرسلت داعیا یدعو) الناس (الیها) إی إلی هذه الدّار أو المأدبه، و أراد بالداعی محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو إیّاه مع سایر الأنبیاء.

(فلا الدّاعی أجابوا و لا فیما رغبت الیه) من الدار الآخره الباقیه و نعیمها (رغبوا و لا إلی ما شوّقت الیه) من حور الجنه و قصورها و أنهارها و ثمارها و سایر ما اعدّ فیها.

(اشتاقوا اقبلوا علی جیفه قد افتضحوا بأکلها) استعار علیه السّلام لفظ الجیفه للدنیا باعتبار نفره طباع أهل البصیره. و المعرفه عنها و کونها مستقذره فی نظر أرباب الیقین و أولیاء الدّین کالجیفه المنتنه التی ینفرّ عنها النّاس و یفرّون منها، أو باعتبار اجتماع أهلها علیها و فرط رغبتهم إلیها و کون همّ کلّ واحد جذبها إلی نفسه بمنزله جیفه منبوذه تجتمع علیها الکلاب و یجذبها کلّ إلیه قال الشاعر:

و ما هی إلّا جیفه مستحیله علیها کلاب همّهنّ اجتذابها

فان تجتنبها کنت سلما لأهلها و ان تجتذ بها نازعتک کلابها

و أما افتضاحهمبأكلهافلانّها بعد ما كانت بمنزله الجيفه يكون آكلها مفتضحا بأكلها لا محاله، و هو ترشيح للاستعاره.

و قوله عليه السّلام(و اصطلحوا على حبّها)أى اتفقوا على محبّتها و توافقوا عليها، فانّ أصل الصلح هو التراضى بين المتنازعين و تجوّز به عن التوافق و الاتفاق للملازمه بينهما (و من عشق شيئا) أى كان مولعا به شديد المحبّه له، فانّ العشق هو الافراط فى الحبّ و التجاوز عن حدّ الاعتدال.

قال جالينوس الحكيم العشق من فعل النفس و هى كامنه فى الدّماغ و القلب و الكبد، و فى الدماغ ثلاث مساكن التخيّل فى مقدّمه، و الفكر فى وسطه، و الذكر فى آخره فلا يكون أحد عاشقا حتى اذا فارق معشوقه لم يخل من تخيّله و فكره و ذكره فيمتنع من الطعام و الشراب باشتغال قلبه و كبده من النوم باشتغال الدّماغ بالتخيّل و الذكر و الفكر للمعشوق، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، و متى لم يكن كذلك لم يكن عاشقا.

و كيف كان فالمراد أنّ من أفرط فى محبّه شيء (اغشى) ذلك الشيء (بصره و أمرض قلبه) أى يكون فرط حبّه لذلك الشيء مانعا عن توجّهه الى ما يلزمه التوجّه إليه و حاجبا عن النظر إلى مصالحه و ما يلزمه الاشتغال به فيكون غافلا عما عداه، صارفا أوقاته بكلّيته إلى هواه، و يكون(١) عشقه مانعا عن ادراكه العقول، و يكون عشقه ايضا مانعا عن ادراكه لعيوب المعشوق، و عن التفاته الى مساويه، و من هنا قيل:

و عين الرّضا عن كلّ عيب كليله كما أنّ عين السّخط تبدى المساويا

و غرضه عليه السّلام أنّ أهل الدّنيا لكثره حبّهم لها و فرط رغبتهم إليها قصرت أبصارهم عن النظر إلى اخراهم، و مرضت قلوبهم عن التوجه إلى عقباهم، و صرفوا

١- (١) قال ارسطوا لعشق عمى الحسّ عن ادراك عيوب المحبوب و هو من الامراض المعروفه من انواع الماليخوليا الذى هو تشويش الظنون و الفكر الى الفساد و الخوف و عن الامالى عن المفضل بن عمر قال سألت الصادق (عليه السلام) عن العشق فقال (عليه السلام) قلوب خلت عن ذكر اللّه فأذاقها اللّه حبّ غيره، منه

أوقـاتهم بكلّيتهـا إليها و إلى زخارفها و قنياتها، غافلين عن ادراك عيوباتها و مساويها و لم يعرفوا أنها غـدّاره مكّاره، غرّاره يونق منظرهـا و يوبق مخبرهـا، و لم تف إلى الآـن لأحـد من عشّاقهـا، و لم تصـدق ظنّ أحـد من طالبيها و راغبيها (فهو ينظر بعين غير صحيحه و يسمع باذن غير سميعه) لغفلته عما سوى المحبوب و عدم تتبّهه بما فيه من العيوب فلا ينظر اليه بنظر البصيره و الاعتبار حتى يبصـر مـا فيه من المفاسـد و المضـار، و لاـ يسـتمع إلى المواعـظ و الزواجر و النواهى و الأوامر حتّى يأخـذ عـدّته ليوم تبلى السرائر.

(قـد خرقت الشـهوات عقله) شـبّه العقل بالثوب اذ كما أنّ الثوب زينه الانسان و وقايه للبدن من الحرّ و البرد فكذلك العقل زينه للمرء و وقـايه له من حرّ نـار الجحيم يعبـد به الرّحمن و يكتسب به الجنـان، و جعـل عقـل الرجـل الموصوف بمنزله ثوب خلق و رشح الاسـتعاره بـذكر الخرق إذا الثوب إذا كـان خرقـا خلقـا ممزقا لا ينتفع به صاحبه فكـذلك العقل إذا كان مفرقا بالشـهوات الباطله مصـروفا فى اللّـذات العاجله لا ينتفع به فيما خلق لأجله البته و فى الحقيقه هذه القوّه نكر أو شـيطنه و ليست بالعقل و إنما هى شبيهه بالعقل.

(و أمـاتت الـدّنيا قلبه) فلاـ انتفـاع له به كميّت لا نفع له (و ولهت عليها نفسه) أى صار فى فرط محبّته للـدّنيا بمنزله الواله عليها و المفتون بها (فهو عبد لها و لمن فى يديه شىء منها) لأنه اذا كانت همته مصروفه اليها و أوقاته مستغرقه فى جمعها و جبايتها صار زمـام أمره بيـدها (حيثمـا زالت زال اليها و حيثما أقبلت أقبل عليها) كعبـد دائر فى حركاته و سـكناته مـدار مولاه بل عبوديته لها أشـدّ و أخسّ من عبوديه العبـد لسيّده، إذ طاعه العبد و انقياده لسيّده ربما يكون قسّريا و خدمه ذلك لدنياه عن وجه الشّوق و الرّغبه و الرضاء و المحبه و فى هذا المعنى قال الشاعر:

ما النّاس إلّا مع الدّنيا و صاحبها فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظّمون أخا الدّنيا فان و ثبت يوما عليه بما لا يشتهى و ثبوا

(لا ينزجر من اللّه بزاجر و لا يتّعظ منه بواعظ و هو يرى) الكتب الالهيه و الصحف

ص:۳۳۲

السّـماويّه و الأخبار النّبويّه المشـحونه بـذمّ الـدّنيا النّاهيه عن الركون اليها و الاعتماد عليها، مضافا إلى رؤيته المخرجين عن الدّنيا بجبر و قهر، و المقلعين عنها بكره و قسر (المأخوذين على الغرّه) و حاله الاغترار و الغفله المشغولين بالدّنيا و شهواتها الغافلين عن هادم اللّذات و سكراته (حيث لا اقاله) لهم عن ذنوبهم (و لا رجعه) لهم إلى الدّنيا ليتداركوا سيئات أعمالهم.

(كيف نزل بهم) من شدايـد الأهوال (ما كانوا يجهلون و جاءهم من فراق الدّنيا ما كانوا يأمنون و قدموا من) عقبات (الآخره على ما كانوا يوعدون) فانه لو تفكّر فى ذلك و تذكّر ذلك يوشك أن يؤثر فيه و يقلّ فرحه بالدّنيا و شعفه بها.

لأنـه بعـد ما لاحظ أحوال هؤلاء الماضـين و تصوّر تبـدّد أجزائهم فى قبورهم، و محو التراب حسن صورهم، و أنهم كيف ارملوا نسائهم و ايتموا أولادهم و ضـيّعوا أموالهم، و خلت عنهم مجالسهم و مدارسهم، و انقطعت عنهم آثارهم و معالمهم، و عرف أنّه عن قريب كائن مثلهم انقلع لا محاله عن هواه و ارتدع عن حبّ دنياه

تفانوا جميعا فما مخبرو ماتوا جميعا و مات الخبر

تروح و تغد و بنات الثريفتمحو محاسن تلك الصّور

فيا سائلى عن اناس مضواأما لک فيما ترى معتبر

لا سيّما لو عمق نظره فى ما حلّ بالأموات بعد موتهم، و ما نزل بساحتهم حين موتهم، لكان ندمه أشدّ و حسرته آكد.

(ف) انه (غير موصـوف مـا نزل بهم) من الشّدائـد و الآلام، و يحتمـل أن يكون ضـمير بهم راجعـا إلى الـذين لم يجيبوا الـدّاعى المقـدّم ذكرهم بقوله: فلاـ الـدّاعى أجـابوا و لاـ فيما رغبت إليه رغبوا (اجتمعت عليهم سـكره الموت و حسـره الفوت ففترت لها أطرافهم و تغيّرت لها ألوانهم) و ذلک لأنّ ألم النزع يسرى جميع اعضاء البدن و يستوعب الأطراف و يوجب ضعفها و فتورها.

قال الغزالى: و اعلم أنّ شدّه الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقه

ص:٣٣٣

إلاـ من ذاقها، و من لم يـذقها فانما يعرفها بالقياس إلى الآلام التى أدركها، بيان ذلك القياس أنّ كلّ عضو لا روح فيه فلا يحسّ بالألـم، فـاذا كان فيه فالمـدرك للألم هو الرّوح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سـرى الأثر إلى الروح فبقـدر ما يسـرى إلى الروح يتألّم، و المؤلم يتفرّق على اللّحم و الدم و ساير الأجزاء فلا يصيب الرّوح إلاّ بعض الألم، فان كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح و لا يلاقى غيره، فما اعظم ذلك الألم و ما أشدّ، و النزع عباره عن مؤلم نزل بنفس الرّوح، فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء المنتشـر فى أعماق البـدن إلاّ و قـد حلّ به الألم، فلو أصابته شوكه فالألم الـذى يجده إنّما يجرى فى جزء من الرّوح يلاقـى ذلـك الموضوع الـذى أصابته الشوكه، و إنما يعظم أثر الاحتراق لأنّ أجزاء النار تغوص فى ساير أجزاء البـدن، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا و باطنا إلاّـ و تصيبه النّار، فتحسـر الأجزاء الرّوحانيه المنتشـره فى ساير أجزاء اللحم، و أمّا الجراحه فانّما تصيب الموضوع الـذى مسّه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزع يهجم على نفس الرّوح و يستغرق جميع أجزائه، فانّه المنزوع المجذوب من كلّ عرق من العروق و عصب من الأعصاب و جزء من الأجزاء و مفصل من المفاصل و من أصل كلّ شعره و بشره من الفرق إلى القـدم حتّى قالوا إنّ الموت لأشد من ضـرب بالسّـيف و نشر بالمناشير و قرض بالمقاريض، لأنّ قطع البدن بالسيف إنما يولمه لتعلّقه بالرّوح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح، و إنما يستغيث المضروب و يصيح لبقاء قوّته فى قلبه و فى لسانه، و إنّما انقطع صوت الميّت و صياحه مع شـدّه ألمه لأنّ الكرب قـد بالغ فيه و تصاعد على قلبه و بلغ كلّ موضع منه، فهدّ كلّ قوّه و ضعف كلّ جارحه، فلم يترك له قوّه الاستغاثه.

و إلى ذلـك أشار بقوله(ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين أحـدهم و بين منطقه)و استعار لفظ الولوج لما يتصوّر من فراق الحياه بعضو عضو، فأشبه ذلك دخول جسم فى جسم آخر، و المقصود بـذلك شـدّه تأثير الموت فى أبـدانهم و ايجابه لضـعف اللّسان عن قوّه النطق و التكلّم.

ص:٣٣۴

نعم فی روایه الکافی باسناده عن زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال: الحیاه و الموت خلقان من خلق اللّه فاذا جاء الموت فدخل فی الانسان لم یدخل فی شیء إلّا و خرج منه الحیاه.

فانّ ظاهر هذه الروایه مفیده لکون الولوج فی کلامه مستعملا فی معناه الحقیقی اللهمّ إلّا أن یرتکب المجاز فی ظاهر هذه أیضا فافهم.

(و انه لبین أهله ینظر) الیهم (ببصره و یسمع) کلامهم (باذنه) و لا یتمکّن من اظهار ما فیه من الشدّه و الحسره علیهم لمکان ضعفه و عجزه مع أنه (علی صحّه من عقله و بقاء من لبّه) فهو راغب عن الدّنیا مقبل إلی الآخره، مشغول بحاله محاسب علی نفسه، متحسّر علی ما قدّمت یداه، نادم علی ما فرّط فی جنب مولاه.

(یفکّر فیم أفنی عمره و فیم أذهب دهره) و یتأثّر علی غفلته فی أیّام مهلته (و یتذکّر أموالا جمعها) و استغرق أوقاته فیها (أغمض فی مطالبها) و تساهل فی اکتسابه أیّامه و ذلک لعدم مبالاته بأنها من حلال أو حرام (و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها) أی من وجوه مباحه و ذوات شبهه.

کما اشیر إلیه فی النبوی المعروف قال علیه السّلام إنما الامور ثلاثه: أمر بیّن رشده فیتّبع، و أمر بیّن غیّه فیجتنب، و شبهات بین ذلک فمن ترک الشبهات نجی من المحرّمات و من أخذ بالشّبهات وقع فی المحرّمات و هلک من حیث لا یعلم.

(قد لزمته تبعات جمعها) و آثام جبایتها (و أشرف علی فراقها تبقی لمن ورائه ینعّمون فیها و یتمتّعون بها) و هم إما أهل طاعه اللّه فسعدوا بما شقی، و إمّا أهل معصیته فکان عونا لهم علی معصیتهم (فیکون المهنأ لغیره و العبؤ علی ظهره) أی یکون هنائه تلک الأموال أی کونها هنیئه لغیره، و وزرها و ثقلها علی ظهره.

و فی الحدیث النبویّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المرویّ عن ارشاد القلوب قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إذا حمل المیّت علی نعشه رفرف روحه فوق النعش و هو ینادی: یا أهلی و ولدی لا تلعبنّ بکم الدّنیا کما لعبت بی، جمعته من حلّ و غیر حلّ و خلّفته لکم فالمهنأ لکم

و التعب علىّ فاحذروا مثل ما قد نزل بى، و نعم ما قيل:

يمرّ أقاربى جنبات قبرى كأنّ أقاربى لم يعرفونى

و ذو الميراث يقتسمون مالى و ما يألون أن جحدوا ديونى

و قد أخذوا سهامهم و عاشوا فياللّه أسرع ما نسونى

و قوله عليه السّلام(و المرء قد غلقت رهونه بها)قال الشارح المعتزلى: معناه أنه لما كان قد شارف الرّحيل و أشفى على الفراق صارت تلك الأموال التى جمعها مستحقّه لغيره و لم يبق له فيها تصرّف، و أشبهت الرّهن الذى غلق على صاحبه، فخرج عن كونه مستحقا له و صار مستحقا لغيره و هو المرتهن.

و اورد عليه بأنه و إن كان محتملا إلّا أنه يضيع فائده قوله: بها، لأنّ الضمير يعود إلى الأموال المجموعه، و هو إشاره إلى المال الذى انغلق الرّهن به فلا نكون هى نفس الرّهن.

و قال الشارح البحرانى: ضربه عليه السّلام مثلا لحصول المرء فى تبعات ما جمع و ارتباطه بها عن الوصول إلى كماله و انبعاثه الى سعادته بعد الموت، و قد كان يمكنه فكاكها بالتوبه و الأعمال الصالحه، فأشبه ما جمع من الهيآت الرّديّه فى نفسه عن اكتساب الأموال، فارتهنت بها بما على الراهن من المال.

أقول: و يتوجّه عليه أنّ الراهن على ذلك التوجيه هو نفس المراد و لو كان مراده عليه السّلام ذلك لقال و المرء قد صار رهينا بها كما قال تعالى: كلّ نفس بما كسبت رهينه.

و الذى يلوح على النّظر القاصر هو أن يقال: إنّه من باب الاستعاره التمثيليه و الغرض تشبيه حال هذا المرء المحجوب عن الترقّى إلى مدارج الكمال الغير المتمكّن من الوصول إليها بجمع تلك الأموال بحال من غلقت عليه أمواله المرهونه فى مقابل دين المرتهن فى عدم امكان وصوله اليها و محجوريته عنها، أو أنّ رهونه استعاره لبعض ما فعله من الأعمال الصالحه و ذكر الغلق ترشيح، و تشبيه تلك الأعمال

بالرّهن باعتبار عدم تمكّنه من الانتفاع بها و محجوبيّته عنها بما جمعه من الأموال فصارت تلك الأموال حاجبه مانعه عن انتفاعه بها بمنزله دين المرتهن المانع عن تصرف الراهن فى العين المرهونه الموجب لحجره عنها و عن استفادته بها، و إنّما صارت تلك الأموال سببا للحجب و المنع عن الانتفاع، لكون حقّ النّاس مقدّما على حقّ اللّه، و لذلك كان أوّل عقبات القيامه موضوعه للحكم بين النّاس و أخذ المظالم، هذا ما يخطر بالخاطر القاصر، و اللّه العالم بحقايق كلام وليّه عليه السّلام (فهو يعضّ يده ندامه على ما أصحر له عند الموت من أمره) و انكشف له حينئذ من تفريطه كما يعضّ يوم القيامه إذا عاين العقاب و شاهد طول العذاب قال سبحانه:

«وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى ».

قال فى التفسير أى يعضّ على يديه ندما و أسفا، قال عطا: يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين ثمّ تنبتان لا يزال هكذا كلّما نبتت يداه أكلهما ندامه على ما فعل، هذا فغضّ اليد فى الآيه مستعمل على التّفسير المذكور فى معناه الحقيقى، و فى كلامه عليه السّلام كنايه عن النّدم و التّحسّر على ما فرّط فى جنب اللّه و قصر فى امتثال أمر مولاه (و يزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره) من الأموال التى جمعها و خلّفها لغيره (و يتمنّى انّ الذى كان يغبطه بها و يحسده عليها قد حازها دونه) لما ظهر له من تبعاتها و سوء عاقبتها.

(فلم يزال الموت يبالغ فى جسده حتى خالط لسانه سمعه فصار بين أهله لا) يقدر أن (ينطق بلسانه و لا) أن (يسمع بسمعه) لانقطاع مادّه الحياه عن السّمع

ص:٣٣٧

و اللّسان (يردّد طرفه بالنظر فى وجوههم) أى مخاطباتهم و (يرى حركات ألسنتهم و لا يسمع رجع كلامهم) أى ما يتراجعونه من الكلام لبطلان قوّته السّامعه و بقاء قوّته الباصره بعد.

(ثمّ ازداد الموت التياطا به) أى التصاقا (فقبض بصره كما قبض سمعه و خرجت الرّوح من جسده) و ظاهر هذا الكلام بملاحظه ما سبق من قوله: ثمّ ازداد الموت فيهم و لوجا فحيل بين أحدهم و بين منطقه آه، و ما سبق أيضا من قوله: فلم يزل الموت يبالغ فى جسده حتى خالط لسانه سمعه، يفيد لبطلان آله النطق فى الانسان قبل آلتى السمع و البصر، ثمّ بطلان آله البصر و إنّما تبطل مع خروج الرّوح و مفارقتها عن البدن.

قال الشارح البحرانى: و ليس ذلك مطلقا بل فى بعض الناس و أغلب ما يكون ذلك فيمن تعرض الموت الطبيعى لآلاته و الاّ فقد تعرض الآفه لقوّه البصر و آلته قبل آله السّمع و آله النطق، و الذى يلوح من اسباب ذلك أنه لما كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحراره الغريزيه عن فناء الرّطوبه الأصليه التى منها خلقنا، و كان فناء تلك الرطوبه عن عمل الحراره الغريزيه فيها التجفيف و التحليل، و قد تعينها على ذلك الأسباب الخارجيه من الأهويه و استعمال الأدويه المجففه و ساير المجففات، كان كلّ عضو أيبس من طبيعته و أبرد أسرع إلى البطلان و أسبق إلى الفساد.

إذا عرفت ذلک فنقول: أما أنّ آله النطق أسرع فسادا من آله السمع، فلأنّ آله النطق مبتيّه على الأعصاب المحركه و مركبه منها، و آله السمع من الاعصاب المفيده للحسّ و اتّفق الأطباء على أنّ الأعصاب المحرّكه أيبس و أبرد، لكونها منبعثه من مؤخّر الدماغ دون الأعصاب المفيده للحسّ، فانّ جلّها منبعث من مقدّم الدّماغ فكان لذلک أقرب إلى البطلان، و لأنّ النطق أكثر شروطا من السّماع لتوقفه مع الآله و سلامتها على الصّوت و سلامه مخارجه و مجارى النفس، و الأكثر شرطا أسرع إلى الفساد.

ص:٣٣٨

و أما بطلان آله السمع قبل البصر فلأنّ منبت الأعصاب التى هى محلّ القوّه السامعه أقرب إلى مؤخّر الدّماغ من منابت محلّ القوّه الباصره، فكانت أيبس و أبرد و أقبل لانطفاء الحراره الغريزيه، و لأنّ العصب المفروش على الصّماخ الذى رتّبت فيه قوه السّمع احتاج أن يكون مكشوفا غير مسدود عنه سبيل الهواء بخلاف العصب الذى هو آله البصر، فكانت لذلك أصلب و الأصلب أيبس و أسرع فسادا، هذا مع أنّه قد يكون ذلك لتحلّل الروح الحامل للسّمع قبل الرّوح الحامل للبصر أو لغير ذلك، و اللّه اعلم.

و قوله عليه السّلام (فصار جيفه بين أهله) لا يخفى ما فى هذا التعبير من النكته اللّطيفه، و هو التنفير عن التعلّق بهذا البدن العنصرى و النهى عن التعزّز بهذا الهيكل الجسمانى، فإنّ من كان أوّله جيفه و آخره جيفه و هو فى الدّنيا حامل الجيف كيف يجوز له الاغترار بوجوده، و التعزّز و التّكبر بذاته لا سيّما بعد ملاحظه كون آخره جيفه أقذر من ساير الجيف حتّى جيفه الكلب و الخنزير، حيث إنّ ساير الجيف لا توجب على من لامسها الغسل بخلاف ميته الانسان فانّ ملامستها توجب غسل المسّ خصوصا لو لاحظ أنّ أقرب النّاس إليه و آنسهم به من الآباء و الاخوان و البنات و الولدان:

(قد أوحشوا من جانبه و تباعدوا من قربه) مع كمال انسهم به و محبّتهم له، و جهه استيحاشهم منه حكم أوهامهم السخيفه على قواهم المتخيله بمحاكات حاله فى نفس المتوهم و عزل العقل فى ذلك الموضع، و لذلك أنّ المجاور لميّت فى موضع ظلمانى منفرد يتخيل أنّ الميّت يجذ به إليه و يصيره بحاله المنفوره عنها طبعا.

و بالجمله فالمرء إذا خرجت روحه من جسده تنافر الناس عنه و يبقى فريدا وحيدا (لا يسعد باكيا) على بكائه (و لا يجيب داعيا) على دعائه.

(ثمّ حملوه) أى حفده الولدان و حشده الاخوان(الى محطّ من الأرض)أى قبره الذى يحطّ و ينزل فيه و على ما فى بعض النسخ من روايه مخط بالخاء المعجمه تكون كنايه عن القبر لكونه يخط أولا ثمّ يحفر أو عن اللحد لكونه كالخطّ فى الدّقه

(فأسلموه فيه إلى عمله و انقطعوا عن زورته) و وجد ما عمله محضرا فان كان العمل صالحا فنعم المونس و المعين، و إن كان سيئا فبئس المصاحب و القرين و العدوّ المبين أقول: لو كان كلام يؤخذ بالأعناق فى التزهيد عن الدّنيا و الترغيب الى الآخره لكان هذا الكلام الذى فى هذا الفصل، و ما أبعد غوره و اجزل قدره، فانّ عمده ما أوجب رغبه الراغبين إلى الدّنيا و الرّاكنين اليها و المغترّين بها إنما هى امور ثلاثه احدها حبّ المال و الثانى حبّ الوجود و الثالث حبّ الأولاد و البنين و الأزواج و الأقربين، فزهّد عليه السّلام عن كلّ ذلک بأحكم بيان و أوضح برهان.

أما عن المال فبأنه عن قريب يفارقه و ينتقل عنه و يكون لذّته و مهنائه لغيره و يبقى وزره و تبعته عليه.

و أمّا عن وجوده و نفسه فبأنّه سينمحى أعضاؤه و جوارحه و يبطل قواه و آلاته و يكون بالآخره جيفه منبوذه بين أهله.

و أما عن الأولاد و الابناء و الاخوان و الأقرباء فبأنهم سيفارقونه و يتنفّرون عنه و يستوحشون منه، فمن كان مآل ما أحبّه ذلک فكيف يغترّ بذلک مع علمه بأنّ كلّ ذلک واقع لا محاله و اعتقاده بأنّ الموت لا يمكن الفرار منه البته.

قال علىّ بن الحسين عليهما السّلام: عجب كلّ العجب لمن أنكر الموت و هو يرى من يموت كلّ يوم و ليله، و العجب كلّ العجب لمن أنكر النشأه الآخره و هو يرى النشأه الاولى و قال اللّه سبحانه:

«أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَهٍ».

روى الأعمش عن خثيمه قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود على نبيّنا و آله و عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر اليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر الىّ كأنه يريدنى، قال عليه السّلام: فما ذا تريد؟ قال: اريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتّى تحملنى إلى أقصى الهند، ففعلت الرّيح ذلک ثمّ قال سليمان عليه السّلام لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا:

رأيتک تديم النظر إلى واحد من جلسائى، قال: نعم كنت أتعجّب منه، لأنى كنت

أمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعه قريبه و كانت عندك فتعجّبت من ذلك.

و فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن عمرو بن عثمان عن مفضل بن صالح عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أخبرنى جبرئيل أنّ ملكا من ملائكه اللّه كانت له عند اللّه منزله عظيمه فتعتّب عليه فأهبطه من السماء إلى الأرض، فأتى ادريس عليه السّلام فقال: إنّ لك من اللّه منزله فاشفع لى عند ربك، فصلّى ثلاث ليال لا يفتر و صام أيّامها لا يفطر، ثمّ طلب الى اللّه فى السحر فى الملك، فقال الملك: إنك قد اعطيت سؤلك و قد اطلق لى جناحى و أنا احبّ أن اكافيك فاطلب إلىّ حاجه قال: ترينى ملك الموت لعلّى آنس به فانه ليس يهنئنى مع ذكره شىء، فبسط جناحه ثمّ قال: اركب، فصعد به يطلب ملك الموت فى السماء الدّنيا، فقيل له: اصعد، فاستقبله بين السماء الرابعه و الخامسه فقال الملك: يا ملك الموت ما لى أراك قاطبا؟ قال:

العجب انى تحت ظلّ العرش حيث امرت أن أقبض روح آدمى بين السماء الرابعه و الخامسه، فسمع إدريس عليه السّلام بها فامتعض فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه، و قال اللّه عزّ و جلّ: و رفعناه مكانا عليّا و نعم ما قيل:

انّ الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بوّاب و لا حرس

فكيف تفرح بالدّنيا و لذّتها يا من يعدّ عليه اللّفظ و النّفس

أصبحت يا غافلا فى النقص منغمسا و أنت دهرك فى اللّذات منغمس

لا يرحم الموت ذا جهل لغرّته و لا الذى كان منه العلم يقتبس

كم أخرس الموت فى قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس

قد كان قصرك معمورا به شرف فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

ايقاظ

فى ذكر بعض ما ورد فى وصف الموت و حالات الميّت.

فأقول: قال الغزالى: روى عن مكحول عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: لو أنّ شعره من شعر الميت وضعت على أهل السّماوات و الأرض لماتوا باذن اللّه، لأنّ فى كلّ شعره الموت و لا يقع الموت بشىء إلاّ لمات، قال: و يروى لو أنّ قطره من

ألم الموت وضعت على جبال الدّنيا كلها لذابت، قال: و قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ العبد ليعالج كرب الموت و سكرات الموت و أنّ مفاصله يسلّم بعضها على بعض تقول:

عليك السلام تفارقنى و افارقك الى يوم القيامه.

و فى الكافى باسناده عن جابر قال قال علىّ بن الحسين عليهما السّلام ما ندرى كيف نصنع بالناس، إن حدّثناهم بما سمعنا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضحكوا، و إن سكتنا لم يسعنا، قال: فقال ضمره بن معبد: حدّثنا فقال: هل تدرون ما يقول عدوّ اللّه إذا حمل على سريره؟ قال: فقلنا: لا، قال عليه السّلام: فانه يقول لحملته ألا تستمعون إنى أشكو إليكم عدوّ اللّه خدعنى و أوردنى ثمّ لم يصدرنى، و أشكو اليكم اخوانا و اخيتهم فخذلونى، و أشكو اليكم أولادا حاميت عليهم فخذلونى «فأسلمونى خ» و أشكو اليكم دارا أنفقت فيها حريبتى فصار سكّانها غيرى، فارفقوا بى و لا تستعجلونى قال: فقال ضمره يا أبا الحسن إن كان هذا يتكلّم بهذا الكلام يوشك أن يثب بجهد على أعناق الذين يحملونه؟ قال: فقال علىّ بن الحسين عليهما السّلام: اللهمّ إن كان ضمره هزاء من حديث رسولك فخذه أخذ أسف، قال: فمكث أربعين يوما ثمّ مات، فحضره مولى له قال: فلما دفن أتى علىّ بن الحسين عليهما السّلام فجلس إليه فقال له: من أين جئت يا فلان؟ قال: من جنازه ضمره فوضعت وجهى عليه حين سوى عليه فسمعت صوته و اللّه أعرفه كما كنت أعرفه و هو حىّ يقول: و يلك يا ضمره بن معبد اليوم خذلك كلّ خليل، و صار مصيرك إلى الجحيم، فيها مسكنك و مبيتك و المقيل قال: فقال علىّ ابن الحسين عليهما السّلام: أسأل اللّه العافيه هذا جزاء من يهزء من حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سألته عن قوله اللّه عز و جلّ:

«وَ قِيلَ مَنْ راقٍ وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ ».

قال: فانّ ذلك ابن آدم إذا حلّ به الموت قال: هل من طبيب إنه الفراق أيقن بمفارقه الأحبّه قال، و التفّت السّاق بالسّاق التفّت الدّنيا بالآخره، ثمّ إلى ربّك يومئذ المساق قال: المصير إلى ربّ العالمين.

و عن عبد اللّه بن سليم العامرى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ عيسى بن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريّا عليه السّلام و كان سأل ربّه أن يحييه له، فدعا فأجابه و خرج إليه من القبر، فقال له ما تريد منّى؟ فقال له: اريد أن تونسنى كما كنت فى الدّنيا، فقال له يا عيسى ما سكنت عنّى حراره الموت و أنت تريد أن تعيدنى إلى الدّنيا و تعود علىّ حراره الموت، فتركه فعاد إلى قبره.

و عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن أبى أيّوب عن يزيد الكناسى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ فتيه من أولاد ملوك بنى إسرائيل كانوا متعبّدين، و كانت العباده فى اولاد ملوك بنى إسرائيل و أنهم خرجوا يسيرون فى البلاد ليعتبروا، فمرّوا بقبر على ظهر الطّريق قد سفى عليه السّافى ليس منه إلاّ اسمه، فقالوا: لودعونا اللّه السّاعه فينشر لنا صاحب هذا القبر فساءلناه كيف وجد طعم الموت، فدعوا اللّه و كان دعائهم الذى دعوا به: اللّه أنت إلهنا يا ربّنا ليس لنا إله غيرك و البدىء الدّايم غير الغافل الحىّ الذى لا يموت لك فى كلّ يوم شأن تعلم كلّ شىء بغير تعليم، انشر لنا هذا الميت بقدرتك، قال: فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس و اللّحيه ينفض رأسه من التراب فزعا شاخصا بصره إلى السماء، فقال له: ما يوقفكم على قبرى؟ فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت فقال لهم: قد سكنت فى قبرى تسعه و تسعون «تسعين خ ل» سنه ما ذهب عنّى ألم الموت و كربه، و لا خرج مراره طعم الموت من حلقى فقال له: متّ يوم متّ و أنت على ما نرى أبيض الرّأس و اللّحيه؟ قال: لا و لكن لما سمعت الصيحه اخرج اجتمعت تربه عظامى إلى روحى و بقيت فيه فخرجت فزعا شاخصا بصرى مهطعا إلى صوت الدّاعى فابيضّ لذلك رأسى و لحيتى.

و فى عقايد الصّدوق (ره) قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام: صف لنا الموت، فقال عليه السّلام:

على الخبير سقطتم هو أحد امور ثلاثه يرد عليه: إما بشاره بنعيم الأبد، و إما بشاره بعذاب الأبد و إما تخويف و تهويل و أمر مبهم لا يدرى من أىّ الفرق هو، أمّا وليّنا و المطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد، و أما عدوّنا و المخالف لأمرنا فهو المبشّر بعذاب الأبد

و أما المبهم أمره الـذى لا يـدرى ما حاله فهو المؤمن المسـرف على نفسه لا يدرى ما يؤل إليه حاله، يأتيه الخبر مبهما مخوفا ثمّ لن يشوبه اللّه عزّ و جلّ بأعدائنا و لكن يخرجه من النّار بشـفاعتنا، فاعملوا و أطيعوا و لا تتّكلوا و لا تستصغروا عقوبه اللّه، فانّ من المسـرفين من لا يلحقه شفاعتنا إلّا بعد عذاب اللّه بثلاثمأه ألف سنه قال: و سئل عن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام ما الموت الذى جهلوه؟ فقال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، و أعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا من جنّتهم إلى نار لا تبيد و لا تنفد.

قـال: و قيـل لعلىّ بن الحسـين عليهمـا السّـلام: مـا الموت؟ قـال: للمؤمن كنزع ثيـاب و سـخه قمله أو فـكّ قيود و أغلال ثقيله و الاسـتبدال بأفخر الثّياب و أطيبها روايح و أوطى المراكب و آنس المنازل، و للكافر كخلع ثياب فاخره و النقل عن منازل أنيسه و الاستبدال بأوسخ الثياب و أخشنها و أوحش المنازل و أعظم العذاب.

قـال: و قيـل للصـادق عليه السّـلام: صف لنا الموت، فقال: هو للمؤمن كأطيب ريـح يشـمّه فينفس لطيبه فيقطع التعب و الألم كلّه عنه، و للكافر كلسع الأفاعى و لـذع العقارب و أشـدّ، قيل له: فانّ قوما يقولون هو أشـدّ من نشـر بالمناشـير و قرض بالمقاريض و رضـخ بالحجاره و تـدوير قطب ارحيه فى الأحـداق، فقال: هو كذلك على بعض الكافرين و الفاجرين، ألا ترون من يعاين تلك الشدائد، فذلكم الذى هو أشد من هذا و هو أشدّ من عذاب الدّنيا، قيل: فما لنا نرى كافرا يسـهل عليه النزع فينطفى و هو يتحدّث و يضـحك و يتكلّم، و فى المؤمنين من يكون أيضا كـذلك، و فى المؤمنين و الكافرين من يقاسـى عنـد سـكرات الموت هـذه الشدائد؟ فقال عليه السّـلام: ما كان راحه للمؤمن فهو من عاجل ثوابه، و ما كان من شدّه فهو تمحيصه من ذنوبه ليرد إلى الآخره تقيا طاهرا نظيفا مسـتحقا لثواب اللّه ليس له مانع دونه، و ما كان هناك من سـهوله على الكافرين فليستوفى أجر حسناته فى الدّنيا ليرد إلى الآـخره و ليس له إلاّـ ما يوجب عليه العـذاب، و ما كان من شـدّه على الكافرين هناك فهو ابتـداء عقاب اللّه تعالى عند نفاد حسناته، ذلك بأنّ اللّه عزّ و جلّ عدل لا يجور.

ص:۳۴۴

و روى عن الصّادق عليه السّلام قال: جاء رجل إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: يا رسول اللّه ما بالى لا أحبّ الموت؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ألك مال؟ قال: نعم، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قدمته أمامك قال: لا، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فمن ثمّ لا تحبّ الموت.

قال: و جاء رجل إلى أبى ذر رحمه اللّه و قال ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمّرتم الدّنيا و خرّبتم الآخره فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب، و قيل له كيف ترى قدومنا على اللّه تعالى؟ فقال: أما المحسن فكالغائب يقدم على اهله، و أما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه و هو منه خائف، قيل: و كيف ترى حالنا عند اللّه؟ قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب اللّه تعالى حيث يقول:

«إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ » قال رجل «الرجل ظ» فأين رحمه اللّه؟ قال:

«إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ».

تنبيه

أحببت أن أورد هنا الرّوايه المتضمّنه لتكلّم الميّت مع سلمان الفارسى رضى اللّه عنه و ما أخبره به من حالات سكرات الموت و ما بعدها من الشدائد و الدّواهى لأنّ فيها تنبيها للغافلين و تذكره للجاهلين.

فأقول: روى غير واحد من أصحابنا أنار اللّه برهانهم عن أبى الفضل سديد الملّه و الدّين شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل بن أبى طالب القمّى فى الجزء الثانى من كتابه كتاب الفضايل عن أبى الحسن بن علىّ بن محمّد المهدى بالاسناد الصّحيح عن الأصبغ ابن نباته أنه قال: كنت مع سلمان الفارسى و هو أمير المداين فى زمان أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و ذلك أنه قد ولّاه المداين عمر بن الخطاب فقام إلى أن ولى الأمر علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

قال الأصبغ فأتيته يوما و قد مرض مرضه الذى مات فيه، قال: فلم أزل أعوده

فی مرضه حتّی اشتدّ به الأمر و أيقن بالموت، قال: فالتفت إلىّ و قال لی: يا أصبغ عهدی برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم يقول يا سلمان سيكلّمك ميّت إذا دنت وفاتك و قد اشتهيت أن أدری وفاتی دنت أم لا، فقال الأصبغ: بماذا تأمرنی يا سلمان يا أخی؟ قال له ان تخرج و تأتينی بسرير و تفرش لی عليه ما يفرش للموتی ثمّ تحملنی بين أربعه فتأتون بی الی المقبره.

فقال الاصبغ: حبا و كرامه، فخرجت مسرعا و غبت ساعه و أتيته بسرير و فرشت عليه ما يفرش للموتی، ثمّ أتيته بقوم حملوه إلی المقبره، فلما وضعوه فيها قال لهم:

يا قوم استقبلوا بوجهی القبله، فلما استقبل بوجهه القبله نادی بأعلی صوته:

السّلام عليكم يا أهل عرصه البلاء، السّلام عليكم يا محتجبين عن الدّنيا قال: فلم يجبه أحد فنادی ثانيه، السّلام عليكم يا من جعلت المنايا لهم غذاء، السلام عليكم يا من جعلت الأرض عليهم غطاء، السّلام عليكم يا من القوا أعمالهم فی دار الدّنيا، السّلام عليكم يا منتظرين النفخه الاولی سألتكم باللّه العظيم و النبیّ الكريم إلّا أجابنی منكم مجيب فأنا سلمان الفارسی مولی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فانه قال لی:

يا سلمان إذا دنت وفاتك سيكلّمك ميّت، قد اشتهيت أن أدری دنت وفاتی أم لا.

فلما سكت سلمان من كلامه فاذا هو بميّت قد نطق من قبره و هو يقول:

السّلام عليك و رحمه اللّه و بركاته، يا أهل البناء و الفناء المشتعلون بعرصه الدّنيا و ما فيها، نحن لكلامك مستمعون، و لجوابك مسرعون فسل عمّا بدا لك يرحمك اللّه تعالی.

قال سلمان: أيّها الناطق بعد الموت و المتكلّم بعد حسره الفوت أمن أهل الجنه بعفوه أم من أهل النار بعدله؟ فقال: يا سلمان أنا ممن أنعم اللّه تعالی عليه بعفوه و كرمه، و أدخله الجنه برحمته.

فقال له سلمان: الآن يا عبد اللّه صف لی الموت كيف وجدته و ما ذا لقيت منه و ما رأيت و ما عاينت؟ قال: مهلا يا سلمان فواللّه إنّ قرضا بالمقاريض و نشرا بالمناشير لأهون علیّ من غصّه من غصص الموت، و تسعين ضربه بالسّيف أهون من نزعه

من نزعات الموت.

فقـال سـلمان: مـا كان حالك فى دار الـدّنيا؟ قال: اعلم أنى كنت فى دار الـدّنيا ممن ألهمنى اللّه تعالى الخير و العمل به و كنت اؤدّى فرائضه و أتلو كتابه، و كنت أحرص فى برّ الوالدين و أجتنب الحرام و المحارم و أنزع من المظالم و اكدّ اللّيل و النّهار فى طلب الحلال خوفا من وقعه السؤال، فبينا أنا فى ألذّ العيش و غبطه و فرح و سرور إذ مرضت و بقيت فى مرضى أيّاما حتى انقضت من الدّنيا مدّتى و قربت موتى، فأتانى عند ذلك شخص عظيم الخلقه فظيع المنظر فوقف(۱) مقابل وجهى لا إلى السماء صاعدا و لا إلى الأرض نازلا، فأشار إلى بصرى فأعماه، و إلى سمعى فأصمه، و إلى لسانى فأخرسه فصرت لا ابصر و لا اسمع و لا انطق، فعند ذلك بكى أهلى و اخوانى و ظهر بخبرى إلى اخوانى و جيرانى.

فقلت له عند ذلك: من أنت يا هذا الذى أشغلتنى عن مالى و أهلى و ولدى فقد ارتعدت فرايصى من مخافتك.

فقال: أنا ملك الموت أتيتك لقبض روحك و لأنقلك من دار الـدّنيا إلى دار الآخره، فقـد انقضت مـدّتك من الدّنيا، و جاءت منيّتك.

و بينـا هو كـذلك يخاطبنى إذا أتانى شـخصان و لهما منظر أحسن ما يكون و ما رأيت من الخلق أحسن منهما، فجلس أحـدهما عن يمينى و الآخر عن شمالى فقالا:

السّلام عليك أيها العبد و رحمه اللّه و بركاته، قد جئناك بكتابك فخذه الآن و انظر ما فيه

۱- (۱) لعلّ هـذا الرجـل قـد كـان عليه من الـذنوب ما أراد اللّه تمحيصـها عنه عنـد الموت و لـذا رأى ملك الموت على تلك الصوره كما ترى انه ما ذكر حضور الوصى (عليه السلام) عند موته و قد قامت به الضروره و فى الامالى من صام أربعه و عشرين يومـا من رجب فاذا نزل به ملك الموت ترائى له فى صوره شاب عليه حله من ديباج اخضـر على فرس من افراس الجنان و بيـده حرير اخضـر ممثلا بالمسك الاذفر و بيده قدح من ذهب مملو من شـراب الجنان فسـقاه اياه عند خروج نفسه يهون عليه سكرات الموت الخبر. نفس الرحمن.

فقلت لهما: من أنتما يرحمكما اللّه و أىّ كتاب لى أنظره و أقرء؟ فقالا: نحن الملكان اللّذان كنامعک فى دار الدّنيا على كتفيک نكتب مالـک و مـا عليک فهـذا كتاب عملک، فلما نظرت فى كتاب حسـناتى بيـد الرّقيب فسـرّ لى ما فيه و ما رأيت من الخير و فرحت و ضـحكت عنـد ذلـک و فرحت فرحا شديـدا، و نظرت إلى كتاب السّـيئآت و هو بيـد العتيـد فسائنى ما رأيت و أبكانى، فقالا لى: ابشر فلک الخير.

ثمّ دنى منى الشخص الأوّل فجذب الرّوح فليس من جذبه يجذبها إلاّ و هى تقوم مقام كلّ شدّه من السّماء إلى الأرض، فلم يزل كـذلک حتّى صارت الروح فى صـدرى، ثمّ أشار الىّ بجـذبه لو أنّها وضـعت على الجبال لذابت، فقبض روحى من عرنين أنفى فعلا من اهلى عند ذلک الصّراخ و ليس من شىء يقال أو يفعل إلاّ و أنا به عالم.

فلمـا اشـتدّ صـراخ القوم و بكـاؤهم جزعـا علىّ التفت اليهم ملک الموت بغيض و حنق و قال: معاشـر القوم ممّ بكائكم فو اللّه ما ظلمناه فتشـكون و لا اعتدينا عليه فتصـيحون و تبكون و لكن نحن و أنتم عبيد ربّ واحد و لو امرتم فينا كما امرنا فيكم لا متثلتم فينـا كمـا امتثلنـا فيكم، و اللّه مـا أخـذناه حتى فنى رزقه و انقطعت مـدّته و صار إلى ربّ كريم يحكم فيه ما يشاء و هو على كلّ شىء قدير فان صبرتم أوجرتم و إن جزعتم أثمتم كم لى من رجعه إليكم آخذ البنين و البنات و الآباء و الأمّهات.

ثمّ انصرف عند ذلک عنّى و الروح معه فعند ذلک أتاه ملک آخر فأخذها منه و طرحها فى ثوب أخضر من الحرير و صعد بها و وضعها بين يدى اللّه فى أقلّ من طبقه جفن.

فلمّا حصـلت الرّوح بين يدى ربى سـبحانه سألها عن الصـغيره و الكبيره، و عن الصّـلاه و الصّـيام فى شهر رمضان و حجّ بيت اللّه الحرام و قراءه القرآن و الزكاه و الصّدقات و ساير الأوقات و الأيام و طاعه الوالدين و عن قتل النفس بغير الحقّ

و أكل مال اليتيم و مال الرّبا و الزّنا و الفواحش و عن مظالم العباد، و عن التهجّد باللّيل و النّاس نيام و ما يشاكل ذلك، و ما بعد ذلك ردّت الرّوح إلى الأرض باذن اللّه تعالى.

فعند ذلك أتانى الغاسل فجرّدنى من أثوابى و أخذ فى تغسيلى، فنادته الرّوح باللّه عليك يا عبد اللّه رفقا بالبدن الضعيف فو اللّه ما خرجت من عرق إلاّ انقطع و لا من عضو إلاّ انصدع فو اللّه لو سمع الغاسل ذلك القول لما غسل ميّتا أبدا.

ثمّ أنّه أجرى علىّ الماء و غسّلنى ثلاثه أغسال و كفّننى فى ثلاثه أثواب و حنّطنى بحنوط و هو الزّاد الذى خرجت به الى الآخره، ثمّ جذب الخاتم من يدى اليمنى فدفعه إلى أكبر أولادى و قال: آجرك اللّه فى أبيك و أحسن لك الاجر و العزاء.

ثمّ أدرجنى فى الكفن و لفّنى و نادى أهلى و جيرانى و قال هلمّوا إليه بالوداع فقاموا عند ذلك لو داعى.

فلمّا فرغوا من وداعى حملت على سرير خشب و حملونى على أكتاف أربعه، و الرّوح عند ذلك بين وجهى و كفى واقفه على نعشى و هى تقول: يا أهلى و أولادى لا تلعب بكم الدّنيا كما لعبت بى، فهذا ما جمعته من حلّ و من غير حلّ و خلّفته بالهناءه و الصّحه فاحذرونى فيه.

و لم أزل كذلك حتى وضعت للصّلاه فصلّوا علىّ، فلما فرغوا من الصّلاه و حملت إلى قبرى ادليت فيه ثمّ رفعت روحى بين كتفى و وجهى ادنيت من قبرى و طرحت على شفير القبر، فعاينت هو لا عظيما.

يا سلمان يا عبد اللّه لما وضعت فى قبرى خيّل لى أنّى سقطت من السّماء إلى الأرض فى لحدى، و شرج علىّ اللّبن و حثى علىّ التراب و زارونى «و ارونى ظ» و انصرفوا، فرجعت الرّوح إلىّ فأخذت فى النّدم فقلت: يا ليتنى كنت مع الراجعين.

فعند ذلك سلبت الرّوح من اللّسان و انقلبت السّمع و البصر فلما نادى المنادى بالانصراف أخذت فى الندم و بكيت من القبر و ضيقه و ضغطته و كنت قلت: يا ليتنى كنت مع الراجعين لعملت عملا صالحا فجاوبنى مجيب من جانب القبر:

«كَلاّ إِنَّها كَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ».

فقلت من أنت يا هذا الذى تكلّمنى و تحدّثنى؟ قال: أنا متبه، قلت: و ما متبه؟ قال: أنا ملك و كلنى اللّه بجميع خلقه لأنبّههم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدى اللّه.

ثمّ إنّه جذبنى و أجلسنى و قال لى: اكتب عملك و مالك و ما عليك فى دار الدّنيا، قلت: انى لا احصيه و لا أعرفه، قال: أو ما سمعت قول ربّك: أحصيه اللّه و نسوه؟ ثمّ قال لى: اكتب الآن و أنا أملى عليك، فقلت: أين البياض؟ فجذب جانبا من كفنى فاذا هو رقّ فقال: هذه صحيفتك، فقلت: من أين القلم؟ قال: سبّابتك، فقلت: من أين المداد؟ فقال: ريقك.

ثمّ أملى علىّ جميع ما فعلته فى دار الدّنيا من أوّل عمرى إلى آخره، فلم يبق من أعمالى صغيره و لا كبيره، ثمّ تلى علىّ:

«لا يُغادِرُ صَغِيرَهً وَ لا كَبِيرَهً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ».

ثمّ إنّه أخذ الكتاب و ختمه بخاتم و طوّقه فى عنقى فخيّل لى أنّ جبال الدّنيا جميعا قد طوّقها فى عنقى، فقلت له: يا متبه و لم تفعل بى هكذا؟ قال:

ألم تسمع قول ربّك «وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً اِقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ».

فهذا ما تخاطب به يوم القيامه و يؤتى بك و بكتابك بين عينيك منشورا لتشهد به على نفسك.

ثمّ انصرف عنّى فبقيت أبكى على نفسى على حسره الدّنيا و أقول: يا ليتنى

عملت خيرا حتّى لا يكتب علىّ شرّ.

فبينا أنا كذلك و إذا أنا بملك منكر أعظم منظرا و أهول شخصا ما رأيته فى الدّنيا، و معه عمود من الحديد لو اجتمعت عليه الثقلان ما حرّكوه، فراعنى و أفزعنى و هدّدنى و دنا منّى فجذبنى بلحيتى، ثمّ انه صاح بى صيحه لو سمعها أهل الأرض لماتوا جميعا ثمّ قال لى: يا عبد اللّه أخبرنى من ربّك و من نبيّك و ما دينك و ما كنت عليه فى دار الدّنيا؟ فاعتقل لسانى من فزعه و تحيّرت فى أمرى و ما أدرى ما أقول و ليس فى جسمى عضو إلاّ فارقنى من الفزع و انقطعت أعضائى و أوصالى من الخوف.

فأتتنى رحمه من ربّى فأمسك بها فى قلبى و شدّ بها ظهرى و اطلق بها لسانى و رجع إلىّ ذهنى فقلت له عند ذلك: يا عبد اللّه لم تفزعنى و أنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّ اللّه ربّى و محمّد نبيّى و الاسلام دينى و القرآن كتابى و الكعبه قبلتى و علىّ امامى و بعده أولاده الطاهرون أئمتى، و المؤمنون اخوانى و أنّ الموت حقّ و السّؤال حقّ و الصّراط حقّ و الجنه حقّ و النّار حقّ و أنّ السّاعه آتيه لا ريب فيها و أنّ اللّه يبعث من فى القبور فهذا قولى و اعتقادى و عليه القى ربّى فى معادى.

فعند ذلك قال لى: يا عبد اللّه ابشر بالسلامه فقد نجوت منّى فنم نومه العروس ثمّ مضى عنّى.

ثمّ أتانى شخص أهول منه يعرف بنكير، فصاح صيحه هائله أعظم من صيحه الاولى، فاشتبكت أعضائى بعضها فى بعض كاشتباك الأصابع، ثمّ قال لى: هات الآن عملك يا عبد اللّه و ما خرجت عليه من دار الدّنيا و من ربّك و من نبيّك و ما دينك؟ فبقيت حايرا متفكّرا فى ردّ الجواب لا أعرف جوابا و لا انطق بخطاب لما رأيت و سمعت منه.

فعند ذلك صرف اللّه عنّى شدّه الرّوع و الفزع و ألهمنى حجّتى و حسن التوفيق و اليقين فقلت: ارفق بى و لا تزعجنى يا عبد اللّه و امهل علىّ حتّى أقول لك، فقال: قل

فقلت: انی خرجت من شهاده أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله، و أنّ أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب و الأئمه الطاهرین من ذرّیته أئمتی و أنّ الموت حقّ و القبر حقّ و الصّراط حقّ و المیزان حقّ و الحساب حقّ و مسائله منکر و نکیر حقّ، و أنّ الجنّه و ما وعد اللّه فیها من النّعیم حقّ و أنّ النّار و ما وعد اللّه من العذاب حقّ، و أنّ السّاعه آتیه لا ریب فیها و أنّ اللّه یبعث من فی القبور.

ثمّ قال لی: یا عبد اللّه ابشر بالنّعیم الدّائم و الخیر المقیم ثمّ إنّه أضجعنی و قال: نم نومه العروس، ثمّ انه فتح لی بابا من عند رأسی إلی الجنّه و بابا من عند رجلی الی النار ثمّ قال لی: یا عبد اللّه انظر إلی ما صرت إلیه فی الجنّه و إلی ما نجوت منه من نار الجحیم، ثمّ سدّ الباب التی من عند رجلی و ابقی الباب الذی هو من عند رأسی فجعل یدخل علیّ من روح الجنّه و نعیمها و أوسع لحدی مدّ البصر(۱) و اسرج لی سراجا أضوء من الشمس و القمر و خرج عنّی.

فهذه صفتی و حدیثی و ما لقیته من شدّه الأهوال، و أنا أشهد باللّه أنّ مراره الموت فی حلقی إلی یوم القیامه، فراقب اللّه أیّها السائل من رفعه المسائل، و خف من هول المطّلع و ما قد ذکرته، هذا الذی لقیته و أنا من الصّالحین ثمّ انقطع عند ذلک کلامه عن سلمان.

فقال سلمان للأصبغ و من کان معه: هلمّوا إلیّ و احملونی، فلمّا وصل إلی منزله قال: حطونی رحمکم اللّه، فلمّا حططناه إلی الأرض و شهدناه فقال:

اسندونی، ثمّ رمق بطرفه إلی السّماء و قال: یا من بیده ملکوت کلّ شیء و إلیه یرجعون و هو یجیر و لا یجار علیه بک آمنت و علیک توکلت و بنبیّک أقررت و بکتابک صدقت، و قد أتانی ما وعدتنی یا من لا یخلف المیعاد فلقنی جودک، و أقبضنی إلی رحمتک، و أنزلنی إلی دار کرامتک فانی اشهد اللّه لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له،

۱- (۱) و مضی عنی و انا یا سلمان لم اجد عند اللّه شیئا یحبّه اللّه اعظم من ثلاثه: صلاه اللیله شدیده البرد، و صوم یوم شدیده الحرّ، و صدقه بیمینک لا یعلم بها شمالک «خ ل»

و أشـهد أنّ محمّـدا عبده و رسوله، و أنّ عليّا أمير المؤمنين و الأئمّه من ذرّيته أئمتّى و ساداتى فلمّا أكمل شـهادته قضـى نحبه و لقى ربّه رضى اللّه تعالى عنه.

فقال بينما نحن كذلك إذ أتا رجل على بعله شـهباء متلثّما فسـلّم علينا فرددنا السّـلام عليه فقال: يا أصـبغ اجهدوا فى أمر سلمان، فأخـذنا فى أمره فأخذ معه حنوطا و كفنا فقال: هلمّوا فانّ عندى ما ينوب عنه، فأتيناه بماء و مغسل، فلم يزل يغسله بيده حتّى فرغ و كفّنه و صـلّى عليه فصـلّينا خلفه، ثمّ إنّه دفنه بيـده فلمّـا فرغ من دفنه همّ بالانصـراف تعلّقنـا به و قلنا له: من أنت يرحمك اللّه؟ فكشف لنا عن وجهه فسطع النور من ثناياه كالبرق الخاطف فاذا هو أمير المؤمنين فقلت له يا أمير المؤمنين كيف كان مجيئك و من أعلمك بموت سلمان؟ قال: فالتفت إلىّ و قال: آخذ عليك يا أصبغ عهد اللّه و ميثاقه و أنّك لا تحدّث به أحدا ما دمت حيّا فى دار الـدّنيا، فقلت يا أمير المؤمنين أموت قبلك فقال: لا يا أصـبغ بل يطول عمرك، قلت له: يا أمير المؤمنين خذ علىّ عهدا و ميثاقا فانّى لك سامع مطيع انى لا احدّث به حتّى يقضى اللّه من أمرك ما يقضى و هو على كلّ شىء قدير.

فقال: يا أصـبغ بهذا عهدنى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فانى قد صلّيت هذه السّاعه بالكوفه و قد خرجت اريد منزلى فلمّا وصـلت إلى منزلى اضـطجعت، فأتانى آت فى منامى و قال: يا على إنّ سلمان قد قضى نحبه فركبت بغلتى و أخذت معى ما يصـلح للموتى فجعلت أسـير فقرّب اللّه لى البعيد كما ترانى، و بهذا أخبرنى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم انه دفنه و واراه فلم أر أصعد إلى السّماء أم فى الأرض نزل، فأتى الكوفه و المنادى ينادى بصلاه المغرب فحضر عندهم(۱).

و هـذا ما كان من حـديث وفاه سـلمان الفارسـى (ره) على التمام و الكمال و الحمـد للّه حقّ حمـده و قد رويت الخبر على طوله لاقتضاء المقام ذلك من حيث اشتماله على

۱- (۱) هذه الروايه كما ترى صـريحه فى أنّ وفات سـلمان رضى اللّه عنه كان أيام خلافه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفه و المسـتفاد من الروايات الاخر أنّ وفاته كان عنـد كونه (عليه السـلام) بالمدينه و لعلّنا نشـير الى تلك فى أواخر الشـرح ان ساعدنا التوفيق انشاء اللّه، منه

كثير من أحوال الميّت و أهوال البرزخ المسوق لها هذا الفصل من كلامه عليه السّلام، و أوردت ذيله مع خروجه عن مقتضى المقام لأنّى إن ساعدنى التوفيق إنشاء اللّه اورد فى شرح باب الكتب و الوصايا مبدء أمر سلمان و كيفيّه اسلامه و بعض مناقبه فأحببت أن اورد هنا مآل أمره و منتهاه ليطلع النّاظر فى الشرح على بدايه حاله و نهايته مع ما فيه من اعجاز عجيب لأمير المؤمنين سلام اللّه عليه و على آله الطّيبين هذا.

و لا يخفى ما فى هذه الرّوايه من الكفايه للمهتدى الطالب للرّشاد، بما فيها من التّنبيه و الايقاظ من الغفله و الرقاد، فانّ هذا الميّت مع كونه ممّن ألهمه اللّه الخير و الصلاح و كونه من أهل السعاده و الفلاح إذا كان حاله ذلك، و مصير أمره كذلك فكيف بنا و نحن المنهمكون فى الشّهوات و المستغرقون فى بحار السّيئآت.

تروّ عنا الجنائز مقبلات و نلهوحين تذهب مدبرات

كروعه ثلّه لمغار ذئب فلمّا غاب عادت راتعات

اشتغلنا ببدوات الخواطر، و نسينا اللّه و اليوم الآخر، و غفلنا عن أخذ الزاد ليوم المعاد، و لا سبب لهذه الغفله إلّا قسوه القلوب بكثره المعاصى و الذّنوب، فليس لنا خلاص و مناص، و لا معاذ و لا ملاذ، و لا مطمع و لا رجاء إلّا فى بحر الكرم و الجود، و التّفضل من واجب الوجود

و لما قسى قلبى و ضاقت مذاهبيجعلت رجائى نحو عفوك سلّما

تعاظمنى ذنبى فلمّا قرنتهبعفوك ربّى كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذّنب لم تزلتجود و تعفو منّه و تكرّما

الترجمه

تنزيه ميكنم تو را تنزيه كردنى در آن حال كه آفريننده مخلوقاتى و معبود موجودات بسبب حسن امتحان خود در حين آفريدن، آفريدى خانهٔ را كه عبارت است از خانهٔ آخرت و مهيا نمودى در آن مهمانى را: شرابى و طعامى و زنانى و خدمتگذارانى و غرفه هاى رفيعه و نهرهاى لطيفه و زراعتهاى خوب و ميوه هاى

مرغوب، بعد از آن فرستادی دعوت کنندهٔ را که می خواند مردمان را بسوی آن پس این مردمان نادان نه دعوت کننده را اجابت نمودند، و نه در آنچه ترغیب نمودی راغب شدند، و نه بسوی آنچه که مشتاق نمودی بسوی آن شایق گشتند.

روی آوردند بر جیفهٔ دنیای غدّار در حالتی که مفتضح و رسوا شدند بسبب خوردن آن، و اتفاق و آشتی کردند بر دوستی آن، و هر که عاشق گشت بچیزی پرده کشید آن چیز چشم او را، و ناخوش گردانید قلب او را، پس او نظر می کند با چشم نا صحیح، و می شنود با گوش ناشنوا، در حالتی که دریده و پاره کرده شهوات دنیویه عقل او را، و کشته دنیای دنی قلب او را، و واله و شیفته شده بر دنیا نفس او.

پس آن محبّ دنیا بنده دنیا است و بنده کسیست که در دستهای آن چیزیست از متاع دنیا، هر کجا که گردید دنیا گردید آن شخص بسوی آن، و هر کجا که روی آورد دنیا روی نهاد او بر آن در حالتی که منزجر نمی شود از خدا بزجر کننده و متعظ نمی شود از حق تعالی بموعظه نماینده، و حال آنکه می بیند کسانی را که گرفتار شدند در حالت غفلت و مغروری در مکانی که نیست هیچ فسخ و اقاله مر ایشان را و نه رجوع و بازگشتی در حق ایشان، چگونه نازلشد بایشان چیزی که جاهل بودند بآن، و آمد مالشان در مفارقت دنیا چیزی که خاطر جمع بودند از آن، و آمدند از آخرت بر آنچه که بودند که وعده داده می شدند بآن.

پس قابل وصف و تعریف نیست چیزی که نازلشد به آنها، جمع شد برایشان سختی و شدت مرگ و حسرت و پشیمانی وفات، پس سست گشت از جهه سکرات موت اعضاء ایشان، و تغییر یافت از جهه آن رنگهای ایشان.

بعد از آن افزون شد مرگ در ایشان از حیثیت دخول، پس حایل شد میان هر یک از ایشان و میان سخن گفتن او، و بدرستی که او در میان اهل خود نگاه میکند بدیدهٔ خود و می شنود بگوش خود بر صحت عقل خود و باقی بودن ادراک خود، تفکر می کند که در چه چیز فانی کرد عمر خود را، و در چه چیز گذرانید روزگار خود را، و بیاد می آورد مالهائی را که جمع نمود آنها را، و اغماض نمود در مواضع طلب آنها، و أخذ

نمود آنها را از جاهائی که واضح و روشن بود حلیّت آن، و از جاهای شبهه ناک آنها بتحقیق که لازم شد او را گناههای جمع آوری آنها، و مشرف شد بر مفارقت آنها باقی ماند آنها از برای پس ماندگان او در حالتی که منعم میشوند بر آنها، و متمتع می باشند به آنها، پس باشد گوارائی آن اموال از برای غیر او، و بار گران و وزر و بال آنها بر پشت او، و حال آنکه آن مرد بسته شده گروهای او بسبب آن مالها، پس او گزد دندان خود را از روی ندامت و پشیمانی بر آنچه که ظاهر شد باو در حین مرگ از امر خود، و ترک رغبت میکند در آنچه که راغب بود در آن در مدّت عمر خود، و آرزو میکند این که کاشکی آن شخصی که غبطه می نمود باو بسبب آن اموال و حسد می برد بر او در آنها آن شخص حیازت نمودی و جمع می کردی آنها را نه او.

پس همیشه مرگ ثابت بود مبالغه می کرد در بدن او تا آنکه آمیخته شد بقوّهٔ ناطقهٔ او سامعهٔ او، پس گردید در میان اهل خود بحیثیتی که قادر نبود سخن بگوید با زبان خود، و نه بشنود با گوش خود در حالتی که گرداند چشم خود را بنگاه کردن در رویهای ایشان، بیند حرکتهای زبانهای ایشان را، و نمی شنود تردید سخنان و جواب باز دادن ایشان را.

پس از آن زیاده می شود مرگ در حیثیّت چسبیدن باو، پس أخذ کند چشم او را همچنان که قبض نمود گوش او را، و خارج شود روح از تن او، پس گردد جیفه و مرداری در میان اهل خود در حالتی که وحشت کنند از جانب او و دوری جویند از نزدیکی او، و موافقت نمی کند گویندهٔ خود را، و جواب نمی تواند بدهد برخوانندهٔ خود.

پس از آن بردارند او را بسوی منزل او در زمین پس سپارند او را در آن منزل بعمل خودش و بریده شوند از زیارت کردن او.

شارح فقیر کثیر التقصیر می گوید که مخفی نماند کفایت این کلام بلاغت نظام در مقام وعظ و تذکیر و انذار و تحذیر و هدایت سرگشتگان بادیه ضلالت

ص:۳۵۶

و نجات دادن غرق شدگان دریای غفلت را، و لنعم ما قیل:

دلا یکدم از خواب بیدار شو ز سر مستی کبر هشیار شو

بعبرت نظر کن سوی رفتگان که فردا شوی عبرت دیگران

بزرگی که سودی بگردون سرش نگه کن که چون خاک شد پیکرش

ز دور زمان نگذرد اندکی که خواهی تو هم بود از ایشان یکی

الفصل الثالث

اشاره

حتّی إذا بلّغ الکتاب أجله، و الأمر مقادیره، و الحق آخر الخلق بأوّله، و جاء من أمر اللّه ما یریده من تجدید خلقه، أماد السّماء و فطرها، و أرجّ الأرض و أرجفها، و قلع جبالها و نسفها، و دکّ بعضها بعضا من هیبه جلاله، و مخوف سطوته، و أخرج من فیها، فجدّدهم بعد إخلاقهم و جمعهم بعد تفریقهم، ثمّ میّزهم لما یرید من مسائلتهم: عن خفایا الأعمال، و خبایا الأفعال، و جعلهم فریقین: أنعم علی هؤلاء، و انتقم من هؤلاء. فأمّا أهل الطّاعه، فأثابهم بجواره، و خلّدهم فی داره، حیث لا یظعن النّزّال، و لا یتغیّر لهم الحال، و لا تنوبهم الأفزاع، و لا تنالهم الأسقام، و لا تعرض لهم الأخطار، و لا تشخصهم الأسفار، و أمّا أهل المعصیه، فأنزلهم شرّ دار، و غلّ الأیدی إلی الأعناق، و قرن

النّواصى بالأقدام، و ألبسهم سرابيل القطران، و مقطّعات النّيران، فى عذاب قد اشتدّ حرّه، و باب قد أطبق على أهله، فى نار لها كلب و لجب، و لهب ساطع، و قصيف هائل، لا يظعن مقيمها، و لا يفادى أسيرها، و لا تفصم كبولها، لا مدّه للدّار فتفنى، و لا أجل للقوم فيقضى.

اللغه

(الكتاب) بمعنى المكتوب من كتب بمعنى حكم و قضى يقال كتب القاضى بالنّفقه و (ماد) يميد ميدا و ميدانا تحرّك و أماده حرّكه، و فى بعض النّسخ أمار، و الموران الحركه (و أرجّ) الأرض زلزلها أرجّت الأرض و أرجّها اللّه يستعمل لازما و متعدّيا و فى بعض النسخ و رجّ الأرض بغير همز و هو الأفصح المطابق لقوله تعالى إذا رجّت الأرض رجّا و (الرّجفه) الزّلزله الشّديده و (نسفها) قلعها من اصولها.

و قوله (بعد اخلاقهم) فى بعض النسخ بفتح الهمزه و فى بعضها بالكسر من خلق الثّوب بالضّم اذا بلى فهو خلق بفتحتين و أخلق الثوب بالالف لغه و أخلقته يكون الرّباعى لازما و متعدّيا هكذا فى المصباح، و قال الطّريحى: و ثوب اخلاق اذا كانت الخلوق فيه كلّه و (ظعن) ظعنا و ظعنا من باب نفع سار و ارتحل، و يتعدّى بالهمزه و بالحرف يقال أظعنته و ظعنت به و (الاخطار) جمع الخطر محرّكه كأسباب و سبب و هو الاشراف على الهلاك و خوف التّلف.

و (شخص) يشخص من باب منع خرج من موضع إلى غيره و يتعدّى بالهمزه فيقال أشخصته و (السّربال) القميص و (القطران) بفتح القاف و كسر الطاء و بها قرأ السّبعه فى قوله تعالى سرابيلهم من قطران، و ربما يكسر القاف و يسكن الطّاء

و هو شیء أسود لزج منتن یطلی به الابل.

و (المقطّعات) الثیاب التی تقطع و قیل: هی قصار الثیاب و (الکلب) محرّکه الشدّه و یقال کلب الدّهر علی أهله اذا ألحّ علیهم و اشتدّ و (اللّجب) بالتحریک أیضا الصّوت و (القصیف) الصّوت الشدیده و (تفصم) بالفاء من انفصم و هو کسر الشیء من غیر إبانه، و فی بعض النسخ بالقاف و هو الکسر مع إبانه و (الکبول) جمع الکبل کفلس و فلوس و هو القید یقال کبلت الأسیر و کبلته إذا قیدته فهو مکبول و مکبل قال الشّاعر:

لم یبق الاّ أسیر غیر منقلب و موثق فی عقال الاسر مکبول

الاعراب

قوله: فأما أهل الطّاعه فأثابهم بجواره، أما حرف شرط و تفصیل و توکید أما أنها شرط فبدلیل لزوم الفاء بعدها، و أما أنها تفصیل فلکونها مکرّره غالبا قال تعالی: و أمّا السّفینه فکانت لمساکین، و أمّا الغلام، و أمّا الجدار، الآیات، و أما أنها مفیده للتوکید فقد أفصح عنه الزمخشری حیث قال: فایده أمّا فی الکلام أن تعطیه فضل توکید، تقول زید ذاهب فاذا قصدت توکید ذلک و أنه لا محاله ذاهب و أنّه بصدد الذهاب و أنه منه علی عزیمه تقول: أمّا زید فذاهب، و لذلک قال سیبویه فی تفسیره: مهما یکن من شیء فزید ذاهب، فهذا التفسیر مفید لفائدتین: بیان کونه تأکیدا، و أنه فی معنی الشرط.

و قوله: حیث لا یظعن النزال، حیث ظرف مکان بدل من قوله فی داره، و هی من الظّروف الواجبه الاضافه الی الجمل و مبنیّه علی الضمّ أمّا بناؤها فلأنها مضافه فی المعنی إلی المصدر الذی تضمّنته الجمله إذ معنی جلست حیث جلس زید جلست مکان جلوسه و إن کانت فی الظّاهر مضافه إلی الجمله فاضافتها الیها کلا اضافه فشابهت الغایات المحذوف ما اضیفت الیه فلهذا بنیت علی الضمّ کالغایات.

قال نجم الأئمه الرّضیّ: و اعلم أنّ الظرف المضاف إلی الجمله لما کان ظرفا

للمصـدر الـذى تضـمّنته الجمله على ما قرّرنا لم يجز أن يعود من الجمله اليه ضـمير فلا يقال آتيك يوم قـدم زيد فيه، لأنّ الرّبط الذى يطلب حصوله من مثل هذا الضمير حصل باضافه الضمير الى الجمله و جعله ظرفا لمضمونها، فيكون كانّك قلت يوم قدوم زيـد فيه، أى فى اليوم و ذلك غير مسـتعمل و إنما وجب الرّبط لما لم يكن الظرف مرتبطا بأن كان منوّنا نحو يوما قـدم فيه زيد، قال تعالى: يوم تسوّد وجوه و قد يقول العوام: يوم تسودّ فيه الوجوه و نحوه، و هو شاذّ و بذلك ظهر عدم الحاجه الى الضّـمير فى قوله حيث لا يظعن النزال، فانّ معناه مكان عدم ظعن النزال فافهم ذلك فانّه ينفعك فى كثير من المقامات الآتيه.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّـلام متضـمّن لبيان حال العباد فى المعاد و كيفيّه محشرهم و منشرهم و بعثهم و جمعهم و إثـابه المطيعين منهم و عقـاب العاصـين و أكثر مـا أورده عليه السّـلام هنـا مطابق لآيات الكتاب الكريم و القرآن الحكيم حسـبما تطلع عليه فيمـا يتلى عليـك فـأقول: قوله:(حتّى اذا بلغ الكتـاب أجله و الأـمر مقـاديره) أراد بالكتاب ما كتبه اللّه تعالى سـبحانه و قضاه فى حقّ النّاس من لبثهم فى القبور إلى يوم الحشـر و النشور و بالأمر(١) الامورات المقدّره الحادثه فى العالم السفلى المشار اليها بقوله تعالى:

«وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ».

فالمعنى أنّه إذا بلغ المقضـى فى حقّ العباد غايته و نهايته فى الامورات المقدّره مقاديرها المعلومه و حدودها المعينه التى اقتضت الحكمه الالهيه و التـدبير الأزلى بلوغها اليها (و الحق آخر الخلق بأوّله) أى انتزعوا جميعا عن الـدّنيا و أحاط بهم الموت و الفنا و اجتمعوا فى القبور بعد سكنى القصور (و جاء من أمر اللّه) و حكمه (ما يريده من

١- (١) و قـد تقـدّم فى شـرح الفصـل التـاسع من الخطبه الاـولى فى بيان معنى قوله (عليه السـلام) و مختلفون بقضائه و أمره، ما ينفعك ذكره فى المقام فليراجع، منه

تجدید خلقه) أی بعثهم و حشرهم (أما السّماء و فطرها) أی حرّکها و شقّها، و هو اشاره إلی خراب هذا العالم.

و به نطق قوله سبحانه: یوم تمور السّماء مورا، أی تضطرب و تموج و تتحرّک، و فی سوره المزمّل: السّماء منفطر به و کان وعده مفعولاـ قال الطّبرسیّ: المعنی أنّ السّماء تنفطر و تنشقّ فی ذلک الیوم من هو له، و فی سوره الانفطار: إذا السّماء انفطرت، قال الطّبرسیّ تشقّقت و تقطّعت، (و أرجّ الأرض و أرجفها) أی حرّکها و زلزلها کما قال تعالی فی سوره الواقعه: إذا رجّت الأرض رجّا، قال الطّبرسیّ أی حرکت حرکه شدیده، و قیل زلزلت زلزالا شدیدا، و قیل معناه رجّت بما فیها کما یرجّ الغربال بما فیه فیکون المراد ترجّ باخراج من فی بطنها من الموتی، و فی سوره النّازعات: یوم ترجف الراجفه تتبعها الرادفه، قیل أی تضطرب الأرض اضطرابا شدیدا و تحرّک تحرّکا عظیما یعنی یوم القیامه تتبعها الرادفه أی اضطرابه اخری کائنه بعد الاولی فی موضع الرّدف من الراکب فلا تزال تضطرب حتی یفنی کلّها.

(و قلع جبالها و نسفها) و هو موافق لقوله تعالی فی سوره طه:

«وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ یَنْسِفُها رَبِّی نَسْفاً فَیَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً لا تَری فِیها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً ».

قال الطّبرسیّ أی و یسألک منکر و البعث عند ذکر القیامه عن الجبال ما حالها فقل:

یا محمّد ینسفها ربّی نسفا، أی یجعلها ربّی بمنزله الرّمل، ثمّ یرسل علیها الرّیاح فیذریها کتذریه الطعام من القشور و التّراب فلا یبقی علی وجه الأرض منها شیء و قیل یصیّرها کالهباء، و قیل إنّ رجلا من ثقیف سأل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کیف تکون الجبال یوم القیامه مع عظمها؟ فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ اللّه یسوقها بأن یجعلها کالرّمال ثمّ یرسل علیها الرّیاح فتفرّقها، فیذرها، ای فیدع أما کنها من الأرض إذا نسفها، قاعا، أی أرضا ملساء، و قیل منکشفه، صفصفا، أی أرضا مستویه لیس للجبل فیها أثر،

لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، أى ليس فيها منخفض و لا مرتفع و فى سوره الواقعه:

«وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا ».

أى فتت فتأ أو كسرت كسرا، فكانت غبارا متفرّقا كالذى يرى من شعاع الشّمس اذا دخل من الكوّه و فى سوره المزّمل:

«يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا ».

قال الطّبرسىّ: أى رملا سائلا مستأثرا عن ابن عباس و قيل: المهيل الذى اذا وطأه القدم زلّ من تحتها و إذا اخذت أسفله انهار أعلاه، عن الضحاك، و المعنى أنّ الجبال تنقلع من اصولها فتصير بعد صلابتها كالرّمل السّائل و دلّ بعضها بعضا من هيبه جلاله و مخوف سلطنته، و يشهد به قوله سبحانه فى سوره الحاقّه:

«فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ ».

أى رفعت الأرض و الجبال من اماكنها و ضرب بعضها ببعض حتّى تفتت الجبال و سفتها الرّياح و بقيت الأرض شيئا واحدا لا جبل فيها و لا رابيه، بل تكون قطعه مستويه، و قال علىّ بن إبراهيم القمّى فى تفسيرها: قد وقعت فدكّ بعضها على بعض، و قال الطّبرسىّ أى كسرتا كسره واحده لا تثنى حتى يستوى ما عليها من شىء مثل الأديم الممدود.

(و اخرج من فيها فجدّدهم بعد اخلاقهم) أى بعد كونهم خلقا باليا أو بعد جعله لهم كذلك (و جمعهم بعد تفريقهم) يحتمل أن يكون المراد به جمع اجزائهم بعد تفتتهم و تأليف أعضائهم بعد تمزيقهم و جمع نفوسهم فى المحشر بعد تفرّقهم فى مشارق الأرض و مغاربها و الثّانى أظهر (ثمّ ميّزهم لما يريد من مسائلتهم عن خفايا الأعمال و خبايا الأفعال) أى أعمالهم الّتى فعلوها فى خلواتهم (و جعلهم فريقين أنعم على هؤلاء و انتقم من هؤلاء) كما قال تعالى:

«إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ » و فى سوره الرّعد:

«مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ عُقْبَى الْكافِرِينَ النّارُ ».

و اليه أشار بقوله (فأمّا أهل الطّاعه) و السّعاده (فأثابهم بجواره) و قربه (و خلّدهم فى داره) الاضافه للتشريف و التكريم و فيها تشويق و ترغيب الى هذه الدّار لا سيّما و انها دار خلود (حيث لا يظعن النزال) أى لا يرتحل النازلون فيها عنها و لا يجوز عليهم الانتقال (و) دار سلامه و استقامه (لا يتغيّر لهم الحال و) دار أمن و كرامه (لا تنوبهم الأفزاع و) دار صحّه و عافيه (لا تنالهم الأسقام و) دار سرور و لذّه (لا تعرض لهم الأخطار و) دار استراحه (لا تشخصهم الأسفار) و فى هذه كلّها اشاره إلى سلامه أهل الجنان من الهموم و الأحزان، و آفات الأجساد و الأبدان، و طوارق المحن و البلاء العارضه لأهل الدّنيا، و فيها حسبما اشرنا اليه حثّ و ترغيب اليها و إلى المجاهده فى طلبها.

فتنبّه أيّها المسكين من نوم الغفله، و استيقظ من رقده الجهاله، و عليك بالمجاهده و التّقوى، و نهى النفس عن الهوى لتصل إلى تلك النعمه العظمى و تدرك الجنّه التى عرضها الأرض و السموات العلى، و تفكّر فى أهلها و ساكنيها «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَهَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ ».

جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللّؤلؤ الرّطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر متّكئين على أرائك منصوبه على أطراف أنهار مطرده بالخمر و العسل محفوفه بالغلمان و الولدان مزيّنه بالحور العين من الخيرات الحسان، كأنّهنّ الياقوت و المرجان لم يطمثهنّ انس قبلهم و لا جانّ، يمشين فى درجات الجنان

ص:٣٦٣

و اذا اختالت احديهنّ فى مشيها حمل اعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرايف الحرير ما تتحيّر فيه الأبصار مكلّلات بالتّيجان المرصّعه باللّؤلؤ و المرجان مشكلات غنجات عطرات امنات من الهرم و البوس و حوادث الزّمان مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثمّ يطاف عليهم و عليهنّ بأكواب و أباريق و كأس من معين بيضاء لذّه للشّاربين، و يطوف عليهم ولدان مخلّدون كأمثال اللّؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون، فى مقام أمين فى جنّات و نهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، لا يرهقهم قتر و لا ذلّه بل عباد مكرمون لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و من ريب المنون آمنون، خالدون فيها و يأكلون من أطعمتها و يشربون من أنهارها لبنا و خمرا و عسلا مصفّى، و أىّ أنهار أراضيها من فضّه بيضاء و حصبائها مرجان، و يمطرون من سحاب من ماء النسرين على كثبان الكافور و يجلسون على أرض ترابها مسك أذفر، و نباتها زعفران.

فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها، و يوقن بأنه لا يموت أهلها و لا تحلّ الفجائع بمن نزل بساحتها، و لا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها، كيف يأنس بدار قد أذن اللّه فى خرابها، و نودى بالرّحيل قطانها، و اللّه لو لم يكن فيها الاّ سلامه الأبدان مع الأمن من البلاء و الموت و ساير الحدثان، لكان جديرا بأن يهجر الدّنيا بسببها، و لا تؤثر عليها مع كون التنغّص و التصرّم من ضروراتها، فانّ نعم الدّنيا زايله كلّها فانيه، و نعم الجنّه دائمه باقيه، و أهل الدّنيا كلّهم متنغّصون هالكون، و أهل الجنّه منعّمون آمنون.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ينادى مناديا أهل الجنه انّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبدا، و انّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، و انّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدا و انّ لكم أن تنعّموا فلا تيأسوا أبدا، فذلك قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّهُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

(و أمّا أهل المعصيه) و الشّقاوه (فأنزلهم شرّ دار) و بئس القرار (و غلّ الأيدى إلى

الأعناق) بأغلال و سلاسل من نار قال سبحانه:

«إِذِ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ یُسْحَبُونَ فِی الْحَمِیمِ ثُمَّ فِی النّارِ یُسْجَرُونَ » و فی سوره یس: «إِنّا جَعَلْنا فِی أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِیَ إِلَی الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ».

قال الطّبرسیّ: یعنی أیدیهم، کنّی عنها و ان لم یذکرها لأنّ الأعناق و الأغلال تدلّان علیها، و ذلک انّ الغلّ انما یجمع الید الی الذقن و العنق و لا یجمع الغلّ العنق الی الذقن، و روی عن ابن عباس و ابن مسعود انهما قرءا انّا جعلنا فی أیمانهم أغلالا، و قرأ بعضهم فی أیدیهم، و المعنی فی الجمیع واحد، لأنّ الغلّ لا یکون فی العنق دون الید و لا فی الید دون العنق، و قوله: فهم مقمحون(۱) ، أراد أنّ أیدیهم لما غلّت الی أعناقهم و رفعت الأغلال أذقانهم و رؤوسهم صعدا فهم مرفوع و الرّأس برفع الأغلال ایّاها «وَ جَعَلْنا مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَیْناهُمْ فَهُمْ لا یُبْصِرُونَ ».

اشاره الی ضیق المکان فی النار بحیث لا یجدون متقدّما و لا متأخّرا إذ سدّ علیهم جوانبهم فأغشیناهم بالعذاب فهم لا یبصرون فی النار.

(و قرن النّواصی بالأقدام) بالأغلال و الأصفاد کما قال تعالی فی سوره الرحمن «یُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِیماهُمْ فَیُؤْخَذُ بِالنَّواصِی وَ الْأَقْدامِ ».

قال الطّبرسیّ فی تفسیر: تأخذهم الزّبانیه فتجمع بین نواصیهم و أقدامهم بالغلّ

ص:۳۶۵

۱- (۱) المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه و یقال قمح البعیر اذا رفع رأسه و لم یشرب الماء، مجمع البیان.

ثمّ يسحبون فى النّار و يقذفون فيها(و ألبسهم سرابيل القطران)كما قال عزّ من قائل فى سوره إبراهيم:

«وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ » قال المفسّر و هو ما يطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب و الجلد، و هو شىء أسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثمّ يرسل النار فيهم ليكون أسرع اليهم و أبلغ فى الاشتعال و أشدّ فى العذاب، و قيل السّربال من قطران تمثيل لما يحيط بجوهر النّفس من المهلكات الرّديه و الهيآت الموحشات المؤلمه (و مقطّعات النّيران) قيل: المقطّعات كلّ ثوب يقطع كالقميص و الجبّه و نحوهما لا ما لا يقطع كالازار و الرّداء، و لعلّ السرّ فى كون ثياب أهل النار مقطعات كونها أشدّ فى العذاب لاشتمالها على جميع البدن، و فى مجمع البيان فى تفسير قوله:

«فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ » قال ابن عباس: حين صاروا إلى جهنّم لبسوا مقطّعات النيران، و هى الثياب القصار و قيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار و هى أشدّ ما تكون حمى، و قيل أنّ النّار تحيط بهم كاحاطه الثياب التى يلبسونها (فى عذاب قد اشتدّ حرّه و باب قد اطبق على أهله) لكونهم فى العذاب مخلّدين، و فى النار محبوسين، و من خروج الباب ممنوعين، فالأبواب عليهم مغلقه، و أسباب الخروج بهم منقطعه قال سبحانه:

«كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ ».

قال الحسن: انّ النار ترميهم بلهبها حتّى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بمقامع فهو وا فيها سبعين خريفا، فاذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرّون ساعه فذلك قوله: كلّما أرادوا الآيه، و أمّا أهل الجنّه فأبوا بها عليهم مفتوحه كما قال تعالى:

«وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَهً لَهُمُ الْأَبْوابُ ».

(فی نـار لهـا کلب و لجب و لهب سـاطع) أی لها شـدّه و صوت و اشـتعال مرتفع (و قصـیف هائل) أی صوت شدیـد مخوف (لا یظعن مقیمهـا) بـل کلّمـا أرادوا أن یخرجوا منهـا أعیـدوا فیهـا و قیـل لهم ذوقوا عـذاب النّار الـذی کنتم به تکـذّبون (و لا ینادی أسیرها) أی لا یؤخذ عنه الفدیه فیخلص کأسراء الدّنیا (و لا تفصهم کبولها) و قیودها بل هی و ثیقه محکمه (لا مدّه للدّار فتفنی و لا أجل للقوم فیقضی) بل عذابها أبدیّ سرمدیّ.

قـال رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: یؤتی بالموت یوم القیامه کأنه کبش أملـح فیذبـح بین الجنّه و النّار، و یقال: یا أهل الجنّه خلود بلا موت، و یا أهل النّار خلود بلا موت.

فیا أیّها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فیه من شواغل هـذه الـدّنیا المؤذنه بالزّوال و الانقضاء، دع التّفکر فیما أنت مرتحل عنه و اصرف الفکر الی موردک و مصیرک و قد اخبرت بأنّ النار مورد للجمیع اذ قیل:

«وَ إِنْ مِنْکُمْ إِلّا وارِدُها کانَ عَلی رَبِّکَ حَتْماً مَقْضِیًّا ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظّالِمِینَ فِیها جِثِیًّا ».

فـانت من الورود علی یقین و من النّجـاه فی شکّ، فاستشـعر فی قلبک هول ذلک المورد فعساک تسـتعدّ للنجاه منه، و تأمّل فی حـال الخلاـیق و قـد قـاسوا من دواهی القیـامه مـا قـاسوا، فبینمـا هم فی کربهـا و أهوالها وقوفا ینتظرون حقیقه أنبائها، اذ أحاطت بالمجرمین ظلمات ذات شـعب و أظلّت علیهم نار ذات لهب، و سـمعوا لها زفیرا و جرجره تفصح عن شدّه الغیظ و الغضب، فعند ذلـک أیقن المجرمون بالهلاـک و العطب، و جثت الاـمم علی الرکـب، حتی اشـفق البرآء من سوء المنقلب، و خرج المنادی من الزّبانیه قائلا أین فلان بن فلان المسوّف نفسه فی الدّنیا بطول الأمل

المضيّع عمره فى سوء العمل، فيبادرونه بمقامع من حديد، و يستقبلونه بعظائم التّهديد و يسوقونه الى العذاب الشّديد، و ينكسونه فى قعر الجحيم، و يقولون له: ذق إنّك أنت العزيز الكريم.

فاسكنوا دارا ضيقه الأرجاء، مظلمه المسالك، مبهمه المهالك يخلد فيها الأسير، و يوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، و مستقرّهم الجحيم، الزّبانيه تقمعهم، و الهاويه تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، و مآلهم منها فكاك، قد شدّت أقدامهم إلى النواصى، و اسودّت وجوههم من ظلمه المعاصى.

ينادون من أكنافها، و يصيحون فى أطرافها، يا مالك قد حقّ علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك اخرجنا منها فانّا لا نعود، فتقول الزّبانيه لات حين أمان، لا خروج لكم من دار الهوان، فاخسئوا فيها و لا تكلّمون، و لو اخرجتم لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون و على ما فرّطوا فى جنب اللّه يتأسّفون، و لا يغنيهم الأسف و لا ينجيهم النّدم، اذ زلّت بهم القدم، بل يكبّون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم، و النّار من تحتهم، و النار عن أيمانهم، و النّار عن شمائلهم. فهم غرقى فى النّار، طعامهم و شرابهم نار، و لباسهم نار، و مهادهم نار.

فهم بين مقطعات النّيران، و سرابيل القطران، و ضرب المقامع، و ثقل السّلاسل، و هم يتجلجلون فى مضايقها، و يتحطّمون فى دركاتها، و يضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النّار كغلى القدور، و يهتفون بالويل و العويل و الثبور، و مهما دعوا بذلك صبّ من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما فى بطونهم و الجلود، و لهم مقامع من حديد، تهشم بها جباههم، فيتفجّر الصّديد من أفواههم، و تنقطع من العطش اكبادهم، و تسيل على الخدود أحداقهم و يسقط من الوجنات لحومها، و يتمعّط (۱) من الأطراف جلودها، و كلّما نضجت جلودهم بدّلوا جلودا غيرها

۱- (۱) معط الشعر من باب تعب سقط.

قد عريت من اللّحم عظامهم، فبقيت الأرواح منوطه بالعروق و علايق العصب، و هى تنش فى نفخ تلك النيران و هم مع ذلك يتمنّون الموت فلا يموتون.

فكيف بك لو نظرت اليهم و قد اسودّت و جوههم أشدّ سوادا من الحميم، و اعميت ابصارهم، و ابكمت ألسنتهم، و قصمت ظهورهم، و كسرت عظامهم. و جدعت آذانهم، و مزّقت جلودهم، و غلّت أيديهم إلى أعناقهم، و جمع بين نواصيهم و أقدامهم و هم يمشون على النار بوجوههم و يطؤن حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائهم، و حيّات الهاويه و عقاربها متشبّثه بظواهر أعضائهم.

قال أبو الدّردا: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يلقى على أهل النّار الجوع حتّى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن و لا يغنى من جوع، و يستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصّه فيذكرون انّهم كانوا يجيزون «يجرعون» الغصص فى الدّنيا فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذ ادنت من وجوههم شوت وجوههم، فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم فيقولون: ادعوا اخزنه جهنم، قال: فيدعون فيقولون: ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوما من العذاب، و يقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا و ما دعاء الكافرين إلاّ فى ضلال، قال فيقولون ادعوا مالكا، فيدعون، فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربّك، قال فيجيبهم إنّكم ما كثون.

قال الاعمش انبئت أنّ بين دعائهم و بين اجابه مالك إيّاهم ألف عام قال:

فيقولون: ادعوا ربّكم، فلا أحد خير من ربّكم فيقولون:

«رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنّا قَوْماً ضالِّينَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنّا ظالِمُونَ ».

قال: فيجيبهم: اخسئوا فيها و لا تكلّمون، قال: فعند ذلك يئسوا من كلّ خير، و عند ذلك اخذوا فى الزّفير و الحسره و الويل.

و عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى:

«سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ ».

قال صبروا مأئه سنه ثمّ جزعوا مأئه سنه ثمّ صبروا مأئه سنه ثمّ قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا.

و قال محمّد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم اللّه عزّ و جلّ فى أربعه فاذا كانت الخامسه لم يتكلّموا بعدها أبدا يقولون:

«رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » فيقول اللّه تعالى مجيبا لهم: «ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ » ثمَّ يقولون: «رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً » فيجيبهم اللّه تعالى: «أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ » فيقولون:

«رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنّا نَعْمَلُ » فيجيبهم اللّه تعالى:

«أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » ثمّ يقولون: «رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنّا قَوْماً ضالِّينَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنّا ظالِمُونَ » فيجيبهم اللّه تعالى «اِخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ ».

فلا يتكلّمون بعدها أبدا، و ذلك غايه شدّه العذاب، و هذه بعض أحوال أهل النّار اجمالا، و أمّا تفصيل غمومها و أحزانها و محنها و حسراتها فلا نهايه لها، فالعجب

كلّ العجب لی و لأمثالی نضحك و نلهو و نشتغل بمحقرات الدّنیا و قیناتها، و لا ندری أنحن من أهل الجنّه و فیها منعّمون، أم من أهل النّار و فیها معذّبون، و کیف لنا بالجنّه مع شرور أنفسنا و غرورها، و لا رجاء بل لا طمع إلّا برحمه الغفّار و شفاعه الشّفعاء الأطهار نعوذ باللّه من النّار و من غضب الجبّار.

الترجمه

تا این که زمانی که برسد مکتوب در حقّ بندگان بنهایه خود، و امورات مقدّره بغایه خود، و لا حق گردانیده شود آخر مردمان بأوّل ایشان، و بیاید از فرمان خدای متعال آنچه اراده کرده باشد آنرا از تازه کردن خلق خود، بحرکت بیاورد آسمان را، و بشکافد آنرا، و حرکت دهد زمین را، و بجنباند آنرا، و برکند کوههای زمین را، و پراکنده گرداند أجزای آنها را مثل ریك، و بکوبد بعضی از آنها بعضی را از هیبه جلال پروردگار، و ترس سطوت خداوند قهّار، و بیرون بیاورد هر کس که باشد در بطن زمین، پس تجدید نماید ایشان را بعد از کهنه بودن ایشان، و جمع کند ایشان را بعد از پراکنده نمودن ایشان، بعد از آن تمیز می دهد در ما بین ایشان از برای آنچه که اراده نموده باشد از نوال کردن از عملهای نهان و فعلهای پنهان، و بگرداند ایشان را دو فرقه انعام بفرماید بر این فرقه و انتقام بکشد از آن فرقه.

پس أما أهل طاعت و صلاح پس جزا می دهد ایشان را بجوار رحمت خود و جاوید گرداند ایشان را در سرای خود، در مکانی که کوچ نکنند فرود آیندگان و متغیر نشود بایشان احوال، و نرسد بایشان خوفها، در نیاید بایشان ناخوشیها، و عارض نمی شود بایشان خطرها، و از جای بجائی نفرستد ایشان را.

و أمّا أهل معصیت و شقاوت پس نازل میکند ایشان را در بدترین سرا، و ببندد دستهای ایشان را بسوی گردنها، و پیوست گرداند پیشانی ایشان را بقدمها، و بپوشاند برایشان پیراهن های قطران جامهای آتش سوزان، در عذابی که سخت

باشد گرمی آن، و در میان دری که بهم آورده باشد بروی أهل آن، در آتشی که باشد او را شدّه و صدا و زبانه بلند شده و او را سخت ترساننده که کوچ نکند اقامه کننده در آن، و فدیه گرفته نشود از اسیران، و شکسته نشود قیدهای آن، مدّت و نهایت نباشد آن سرا را تا فانی شود، و وقت معیّنی نباشد آن قوم را تا بآخر برسد.

الفصل الرابع

اشاره

منها فی ذکر النبی صلی الله علیه و آله قد حقّر الدّنیا و صغّرها، و أهونها و هوّنها، و علم أنّ اللّه زویها عنه اختیارا، و بسطها لغیره احتقارا، فأعرض عنها بقلبه، و أمات ذکرها عن نفسه، و أحبّ أن تغیب زینتها عن عینه، لکیلا یتّخذ منها ریاشا، أو یرجو فیها مقاما، بلّغ عن ربّه معذرا، و نصح لامّته منذرا، و دعا إلی الجنّه مبشّرا، نحن شجره النّبوه، و محطّ الرّساله، و مختلف الملائکه، و معادن العلم، و ینابیع الحکم، ناصرنا و محبّنا ینتظر الرّحمه، و عدوّنا و مبغضنا ینتظر السّطوه.

اللغه

(هان) الشیء هونا و هوانا ذلّ و حقر فهو هیّن بالتّشدید و هین بالسّکون و یتعدّی بالهمزه فیقال أهنته و بالتّضعیف فیقال هوّنته أی أذللته و فی بعض النّسخ أهون بها بدل أهونها أی لم یعتدّ بها و لم تکن عزیزه علیه و (زواه) زیّا و زویّما نحاه

ص:۳۷۲

و زوى المال عن صاحبه طواه و (الرّيش) و الرّياش واحد و هو ما ظهر من اللّباس الفاخر و (السّطوه) القهر و الذلّه.

الاعراب

اختيارا منصوب بنزع الخافض و يحتمل الحال من فاعل زوى أو من ضمير عنه على تاويله بالمشتق أى مختارا، و احتقارا إما منصوب على المفعول له أو حال من فاعل بسط على التأويل بالمشتق أيضا و معذرا و منذرا و مبشّرا منصوبات على الحال

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام متضمّن لأمرين: أحدهما وصف زهد النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فيه تعريض على ذمّ الدّنيا و زخارفها، و الثانى افتخاره و مباهاته عليه السّلام بكمالاته النفسانيّه و اختصاصه الخاصّ الذى كان له برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المستلزم سبقه على غيره و تقدّمه على الكلّ.

اما الامر الاول

فهو ما أفصح عنه بقوله عليه السّلام (قد حقّر الدّنيا و صغّرها) التشديد للتكثير فيقتضى زياده تحقيره و تصغيره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو أبلغ فى الثناء عليه (و أهونها و هوّنها) أى عدّها هيّنه ذليله فى نظره و لم يعتدّ بها (و علم أنّ اللّه زويها) أى صرفها و طويها (عنه اختيارا) أى مختارا بصيغه الفاعل و باختيار منه سبحانه زويها و حقّه أو اختيار منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك لنفسه و رضاه (و بسطها لغيره احتقارا) أى محتقرا بالكسر أو لحقارتها عنده سبحانه.

و يشهد بذلك كلّه ما رواه فى الكافى باسناده عن عبد اللّه بن القاسم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا أراد اللّه بعبد خيرا زهّده فى الدّنيا و فقّهه فى الدّين و بصّر عيوبها و من اوتيهنّ فقد اوتى خير الدّنيا و الآخره.

و عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: خرج النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو محزون فأتاه ملك و معه مفاتيح خزائن الأرض فقال يا محمّد هذه مفاتيح خزائن الأرض

يقول لک ربّک افتح و خذ منها ما شئت من غير أن ينقص شيئا عندى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الدّنيا دار من لا دار له و لها يجمع من لا عقل له، فقال الملک و الذى بعثک بالحقّ لقد سمعت هذا الكلام من ملک يقوله فى السّماء الرابعه حين اعطيت المفاتيح.

و عن جميل بن دراج عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بجدى أسک ملقى على مزبله ميّتا فقال لأصحابه: كم يساوى هذا؟ فقالوا: لعله لو كان حيّا لم يساو درهما، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الذى نفسى بيده الدّنيا أهون على اللّه من هذا الجدى على أهله.

و فى احياء العلوم للغزالى قال: قال نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ ربّى عزّ و جلّ عرض علىّ أن يجعل لى بطحاء مكه ذهبا فقلت: لا- يا ربّ أجوع يوما و أشبع يوما، فأمّا اليوم الذى أجوع فيه فأتضرّع اليک و أدعوک، و أمّا اليوم الذى أشبع فيه فأحمدک و اثنى عليک.

و يأتى انشاء اللّه فى فصول الخطبه المأه و السّابعه و الخمسين أخبار اخر مناسبه للمقام.

(فأعرض عنها بقلبه و أمات ذكرها عن نفسه و أحبّ أن تغيب زينتها عن عينه) قال الغزالى: روى أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مرّ فى أصحابه بعشار من النوق حصل و هى الحوامل و كانت من أحبّ أموالهم اليهم و أنفسها عندهم، لأنها تجمع الظهر و اللّحم و اللّبن و الوبر، و لعظمها فى قلوبهم قال اللّه تعالى: و إذا العشار عطّلت، قال:

فأعرض عنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أغمض بصره، فقيل له: يا رسول اللّه هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر إليها؟ فقال: قد نهانى اللّه عن ذلک ثمّ تلا قوله تعالى:

«وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا » - الآيه.

(كيلا- يتّخذ منها رياشا) أى لباسا فاخرا (أو يرجو فيها مقاما) أى اقامه مع الايمان و الاسلام و الشرائع و الأحكام (بلّغ عن ربّه معذرا) أى مزيلا للعذر عن

ص:٣٧۴

النّاس لئلاّ يكون للنّاس على اللّه حجّه و ليهلك من هلك عن بيّنه و يحيى من حىّ عن بيّنه و لئلّا يقولوا يوم القيامه انّا كنّا عن هذا غافلين (و نصح لأمّته منذرا) لهم عن أليم العذاب و شديد العقاب (و دعا إلى الجنّه مبشرا) بجزيل الثّواب و حسن المآب.

و أما الامر الثانى

فهو قوله (نحن شجره النبوّه) أراد به رسول اللّه و نفسه الشريف و زوجته الصّديقه و أولاده الطّيبين الطّاهرين سلام اللّه عليهم أجمعين و به فسّر قوله سبحانه: كشجره طيّبه أصلها ثابت و فرعها فى السّماء الآيه، و قد مضى توضيحه فى شرح الكلام السّادس و السّتين، و شرح الخطبه الثّالثه و التّسعين فتذكّر.

(و محطّ الرّساله) لم يرد بذلك أنهم عليهم السّلام جميعا رسل اللّه جعلهم محالّ الرّساله و موضعها كما توهّمه بعض الغلاه و زعموا أنّ الأئمه يوحى اليهم كالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد كذبوا لعنهم اللّه و انما هم محدثون مفهمون، بل المراد به أنّ قبيلتهم محلّ نزول الرساله أو نزلت فى بيتهم، أو أنّ رسول اللّه مرسل من عند اللّه و جميع ما أرسله به و وصل إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد وصل اليه سلام اللّه عليه و أولاده الطّاهرين فهم موضع الرّساله و محطّها بهذا المعنى.

و يشهد بذلك ما فى الكافى باسناده عن حمران بن أعين عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ جبرئيل أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم برمّانتين فأكل رسول اللّه إحداهما و كسر الاخرى بنصفين فأكل نصفا و أطعم عليا نصفا، ثمّ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يا أخى هل تدرى ما هاتان الرّمانتان؟ قال: لا، قال: أمّا الاولى فالنبوّه ليس لك فيها نصيب، و أمّا الاخرى فالعلم فأنت شريكى فيه، فقلت: أصلحك اللّه كيف يكون شريكه فيه؟ قال: لم يعلم اللّه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علما إلاّ و أمره أن يعلّمه عليّا و عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول، نزل جبرئيل عليه السّلام على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم برمّانتين من الجنّه فلقاه علىّ عليه السّلام فقال: ما هاتان الرّمانتان اللتان فى يديك؟ فقال: أمّا هذه فالنبوّه ليس لك فيها نصيب، و أمّا هذه فالعلم،

ص:۳۷۵

ثمّ فلقها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنصفين فأعطاه نصفها و أخذ رسول اللّه نصفها ثمّ قال: أنت شريكى فيه و أنا شريكك فيه و قال عليه السّلام فلم يعلم و اللّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حرفا مما علّمه اللّه إلاّ و قد علّمه عليا عليه السّلام، ثمّ انتهى العلم إلينا ثمّ وضع يده على صدره و بالجمله فالمراد أنّهم مخزن علم الرساله و أسرارها (و مختلف الملائكه) أى محلّ اختلافهم و تردّدهم و مجيئهم و ذهابهم مرّه بعد اخرى، أما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فظاهر، و أما الأئمه عليهم السّلام فلأنّهم ينزلون اليهم مرّه بعد اولى و طائفه بعد اخرى لزيارتهم و التشرّف بهم و إنزال الأخبار اليهم.

و يدلّ عليه ما فى الكافى باسناده عن مسمع كردين البصرى قال: كنت لا أزيد على اكله باللّيل و النّهار فربّما استأذنت على أبى عبد اللّه و أجد المائده قد رفعت لعلّى لا أراها بين يديه فاذا دخلت دعابها فاصيب معه من الطعام و لا أتأذّى بذلك و اذا عقبت بالطعام عند غيره لم أقدر على أن أقرّ و لم أنم من النفخه، فشكوت ذلك إليه عليه السّلام و أخبرته بأنّى اذا أكلت عنده لم أتأذّبه، فقال: يا با سيّار إنّك تأكل طعام قوم صالحين تصافحهم الملائكه على فرشهم، قال: قلت: و يظهرون لكم قال، فمسح يده على بعض صبيانه فقال: هم ألطف بصبياننا منّا بهم.

و عن الحسين بن أبى العلا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال يا حسين و ضرب بيده إلى مساور فى البيت: مساور طال ما اتّكت عليها الملائكه و ربّما التقطنا من زغبها و المساور جمع المسوره و هو المتّكاء، و الزّغب محرّكه صغار الريش و لينه.

و فيه عن أبى حمزه الثمالى قال: دخلت على علىّ بن الحسين عليهما السّلام فاحتبست فى الدار ساعه ثمّ دخلت البيت و هو يلتقط شيئا و أدخل يده من وراء الستر فناوله من كان فى البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذى أراك تلتقطه أىّ شىء هو؟ فقال:

فضله من زغب الملائكه نجمعه إذا خلونا نجعله سبحا لأولادنا، فقلت جعلت فداك و انّهم ليأتونكم؟ فقال: يا با حمزه انّهم ليزاحمونا على تكائتنا و السبح بالباء الموحده النّوم و السّكون، و فى بعض النّسخ سيحا بالياء المثناه التحتانيّه و هو الكساء المخطط، و فى البحار عن بصائر الدّرجات سحابا بدله

ص:۳۷۶

و هو ككتاب خيط ينظم فيه خرز و يلبسه الصبيان و الجوارى، و التّكأه كهمزه ما يتّكا عليه.

و فى الكافى أيضا عن علىّ بن أبى حمزه عن أبى الحسن قال: سمعته يقول:

ما من ملك يهبطه اللّه فى أمر ما يهبطه إلاّ بدء بالامام فعرض ذلك عليه، و أنّ مختلف الملائكه من عند اللّه تبارک و تعالى إلى صاحب هذا الأمر.

و فى البحار من بصائر الدرجات عن أحمد عن الحسين عن الحسن بن بره الأصم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: إنّ الملائكه لتنزل علينا فى رحالنا و تنقلب على فرشنا و تحضر موائدنا و تأتينا من كلّ نبات فى زمانه رطب و يابس، و تقلب أجنحتها على صبياننا، و تمنع الدّواب أن تصل الينا و يأتينا فى وقت كلّ صلاه لتصلّيها معنا، و ما من يوم يأتى علينا و لا ليل إلاّ و أخبار أهل الأرض عندنا، و ما يحدث فيها، و ما من ملك يموت فى الأرض و يقوم غيره إلاّ و تأتينا بخبره، و كيف كان سيرته فى الدّنيا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره، و فى ما ذكرناه كفايه، و قد عقد العلاّمه المجلسى (ره) فى المجلد السابع من البحار بابا فى أنّ الملائكه تأتيهم و تطاء فرشهم و أنهم يرونهم صلوات اللّه عليهم أجمعين.

(و معادن العلم) أى مستقرّه و محلّه و قد مضى بيان ذلك فى التذييل الثالث من الفصل السابع عشر من فصول الخطبه الاولى، و فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الثانيه.

(و ينابيع الحكم) أى منهم عليهم السّلام يخرج الأحكام إلى العباد يجرى إلى الموادّ القابله على حسب الاستعداد حسبما يجرى المياه من مجاريها و منابعها فتربط الجاش و تسقى العطاش كما يروّى الماء للغليل و يقوى للعليل، و المراد بالحكم إمّا الأحكام الشرعيه أو فصل الخطاب أعنى القضاء و قطع الخصومات بالصّواب فى كلّ باب على ما مضى تحقيقه و تفصيله فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الثانيه، و شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه الثالثه هذا.

ص:۳۷۷

و يحتمل أن يراد بالحكم الحكمه كما فسّربه قوله سبحانه: «وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا »، قال الباقر عليه السّلام فى روايه الكافى: مات زكريّا فورثه ابنه يحيى الكتاب و الحكمه و هو صبىّ صغير، ثمّ تلى هذه الآيه و يؤيّد هذا الاحتمال ما فى بعض النّسخ من ضبط الحكم بكسر الحاء و فتح الكاف و هو جمع الحكمه و الحكمه هو الفهم و العقل و به فسّره الكاظم عليه السّلام فى قوله سبحانه: و لقد آتينا لقمان الحكمه و فى مجمع البيان أى أعطيناه العقل و العلم و العمل به و الاصابه فى الامور، و كيف كان فلا غبار على كون الأئمه متّصفين بالحكم بأىّ معنى يراد، و هم الحاكمون بين العباد بالحقّ و الصّواب و السّداد.

ثمّ اعلم أنّ الشّارح المعتزلى قد أورد فى شرح المقام بعض الأخبار الدالّه على غزاره علم أمير المؤمنين عليه السّلام و قال بعد ذلك: و بالجمله فحاله عليه السّلام فى العلم رفيعه جدا لم يلحقه أحد فيها و لا قاربه و حقّ له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم و ينابيع الحكم فلا أحد أحقّ به منها بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

أقول: و بعد الاعتراف بسبقه على غيره فى العلم و الحكم و أنّه لم يدانيه فى ذلك أحد و لم يقاربه فيه، كيف يجوز أن يقدّم غيره عليه و يؤتمّ به دونه «قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ » «وَ ما يَسْتَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ وَ لَا الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ وَ لَا الظِّلُّ وَ لَا الْحَرُورُ وَ ما يَسْتَوِى الْأَحْياءُ وَ لَا الْأَمْواتُ إِنَّ اللّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ».

ثمّ إنّه لما أشار إلى بعض فضائله و مناقبه الجميله عقّب ذلك بذكر ما لعلّه هو الغرض الأصلى من ذكر هذه المناقب و هو الحثّ و الترغيب فى نصرته ببشرى ناصريه بالثّواب، و التحذير و التنفير عن عداوته بانذار مبغضيه من العقاب و هو قوله:

(ناصرنا و محبّنا ينتظر الرّحمه و عدوّنا و مبغضنا ينتظر السّطوه) لما كان

نزول الرّحمه فی حقّ ناصریه و السّخط و العقوبه فی حقّ معاندیه معلوما محقق الوقوع لا محاله، جعل کلا من الفریقین بمنزله المنتظرین لما یستحقّه من الأمرین کمن أیقن بشیء فانتظره و إلاّ فلا انتظار للمعاندین حقیقه و أمّا المحبّون و الأنصار فلهم الانتظار حقیقه برحمه اللّه الغفّار و شفاعه الشفعاء الأطهار سلام اللّه علیهم ما تعاقب اللّیل و النّهار.

و یدلّ علی ما ذکر ما فی البحار من أمالی الشیخ باسناد أخی دعبل عن الرّضا عن آبائه علیهم السّلام أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی «قرء ظ» الآیه: لا یستوی أصحاب النّار و أصحاب الجنّه، أصحاب الجنّه هم الفائزون. فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أصحاب الجنّه من أطاعنی و سلّم لعلیّ بن أبی طالب بعدی و أقرّ بولایته، فقیل و أصحاب النّار قال من سخط الولایه و نقض العهد و قاتله بعدی.

و من امالی الصّدوق باسناده عن عباد الکلبیّ عن جعفر بن محمّد عن أبیه عن علیّ بن الحسین عن فاطمه الصغری عن الحسین بن علیّ عن امّه فاطمه بنت محمّد صلوات اللّه علیهم قالت خرج علینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عشیّه عرفه فقال: إنّ اللّه تبارک تعالی باهی بکم و غفر لکم عامّه و لعلیّ خاصّه، و إنّی رسول اللّه إلیکم غیر محاب(۱) لقرابتی، هذا جبرئیل یخبرنی أنّ السّعید کلّ السّعید حقّ السّعید من أحبّ علیّا فی حیاته و بعد موته، و أنّ الشقیّ کلّ الشقیّ حقّ الشّقی من أبغض علیّا فی حیاته و بعد وفاته.

و من العیون باسناده عن الرّضا علیه السّلام قال: قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلیّ علیه السّلام من أحبّک کان مع النّبیّین فی درجتهم یوم القیامه، و من مات و هو یبغضک فلا یبالی مات یهودیا او نصرانیا.

و الأخبار فی هذا المعنی کثیره جدا و قد تقدّم فی التذنیب الثّالث من تذنیبات الفصل الرّابع من فصول الخطبه الاولی روایات مناسبه للمقام.

۱- (۱) غیر محاب بتخفیف الباء أی لا أقول فیهم ما لا یستحقونه محاباه لهم و المحاباه المیل و المحبه

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه در ذکر حضرت رسالتمآب و وصف زهد آن جناب است که فرموده:

بتحقیق که حقیر شمرد و کوچک گردانید آن بزرگوار دنیای غدّار را در نظر خود، و اعتنا نفرمود بآن و خوار نمود آن را در نزد خود، و دانست بعلم یقین که خداوند سبحانه دور نمود و پیچیده کرد دنیا را از او از جهه برگزیدن او و سبحانه دوری آن را در حق او، و بسط کرد آن را در حق غیر او و از برای خوار داشتن آن پس اعراض نمود رسول مختار از دنیا بقلب خود، و میرانید یاد دنیا را از نفس خود و دوست داشت آنکه غایب شود زینت دنیا از چشم او و تا این که أخذ ننماید از زینت آن لباس فاخر یا این که امید بدارد در آن اقامه و آسایش را تبلیغ نمود از جانب پروردگار شریعت و أحکام را در حالتی که زایل کننده بود عذر را از خلقان و نصیحت فرمود بامت خود در حالتی که ترساننده بود ایشان را، و دعوت کرد بسوی بهشت در حالتی که بشارت دهنده بود بمزدمان.

ما درخت نبوّت هستیم و موضع نزول رسالت می باشیم، و محلّ تردّد فرشتگان و معدنهای علم و عرفان و سرچشمه های أحکام، نصرت کننده و دوست دارنده ما منتظر میباشد رحمت پروردگار را، و خصم و دشمن دارنده ما منتظر میباشد قهر و سطوت کردگار را.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأه و التاسعه من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و هی ملتقطه من خطبه طویله معروفه بالدیباج رواها حسن بن علی ابن شعبه فی تحف العقول حسبما تطلع علیه بعد شرح ما فی المتن و هو قوله:

إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّـلون إلى اللّه سبحانه الإيمان به و برسوله، و الجهاد فى سبيله، فإنّه ذروه الإسلام، و كلمه الإخلاص فإنّها الفطره، و إقام الصّـلوه فانّها الملّه، و إيتاء الزّكوه فإنّها فريضه واجبه، و صوم شـهر رمضان فإنّه جنّه من العقاب، و حجّ البيت و اعتماره فإنّهما ينفيان الفقر و يرحضان الـذّنب، و صـله الرّحم فإنّها مثراه فى المال و منسأه فى الأجل، و صدقه السّـرّ فإنّها تكفّر الخطيئه، و صـدقه العلاـنيه فإنّهـا تـدفع ميته السّوء، و صـنايع المعروف فإنّها تقى مصارع الهوان. أفيضوا فى ذكر اللّه فإنّه أحسـن الـذكر، و ارغبوا فيما وعـد المتّقين فإنّ وعده أصدق الوعد، و اقتدوا بهدى نبيّكم فإنّه أفضل الهدى، و اسـتنّوا بسـنّته فإنّها أهدى السّنن، و تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، و تفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فإنّه شفاء الصّدور، و أحسنوا تلاوته فإنّه أنفع القصـص، فإنّ العالم العامل بغير علمه، كالجاهل الحائر الّـذى لا يسـتفيق من جهله، بل الحجّه عليه أعظم، و الحسـره له ألزم، و هو عند اللّه ألوم.

اللغه

(و سل) الى اللّه توسيلا عمل عملا تقرّب به اللّه كتوسّل و(الايمان)إفعال من الأمن الّذى هو خلاف الخوف ثمّ استعمل بمعنى التصديق، فالهمزه فيه إمّا للصّيروره كان المصدق صار ذا أمن من أن يكون مكذّبا، أو للتعديه كانّه جعل المصدّق هنا من التكذيب و المخالفه، و يعدى بالباء لاعتبار معنى الاقرار و الاعتراف كما فى عبارته، و نحوه قوله: يؤمنون بالغيب، و باللّام لاعتبار معنى الاذعان نحو قوله تعالى: و ما أنت بمؤمن لنا، و قد اجتمعا فى قوله تعالى: يؤمن باللّه و يؤمن للمؤمنين.

(ذروه) الشيء أعلاه و (الجنّه) بالضمّ كلّ ما وقى و (و اعتمر) الرّجل زار البيت و المعتمر الزائر و منه سميّت العمره عمره لأنها زياره البيت يقال اعتمر فهو معتمر أى زار و قصد، و فى الشرع زياره البيت الحرام بشروط مخصوصه مذكوره فى محالها و (رحض) الثوب و نحوه بالحاء المهمله و الضاد المعجمه من باب منع غسله كأرحضه فهو رحيض و مرحوض و (ثرى) المال ثرا كثر و نمى، و الثروه كثره العدد من الناس و المال، و هذا مثراه للمال بهمز و غيره تكثره و (المنسأه) بالهمز و غيره أيضا كمثراه وزان مفعله بالفتح فالسكون محل النّساء يقال نسأت التى نسأ أخرته و منه الحديث: صله الرّحم تنسىء الأجل أى تؤخّره و (صرعه) كمنعه طرحه على الأرض و المصرع وزان مقعد موضع الصّرع و (الافاضه) الاندفاع و منه افاض الناس من عرفات أى اندفعوا و قيل اسرعوا منها الى مكان آخر قوله تعالى إذ تفيضون فيه، أى تدفعون فيه بكثره و (الهدى) بالضمّ الرّشاد مصدر يقال هداه اللّه هدى و هدايه أرشده، و بالفتح وزان تمر الهيئه و السيره و الطريقه و منه قولهم:

هدى هدى فلان أى سلك مسلكه و (الحائر) المتحيّر.

الاعراب

قوله: إلى اللّه سبحانه لفظ سبحانه منصوب على المصدر محذوف عامله وجوبا

ص:٣٨٢

باضـافته إلى الضـمير، و المعنى اسبّحك سبحانا لـك، و لنجم الأئـمه الرّضـى فى حـذف عوامل المصادر تحقيق نفيس أحببت ايراده.

قال فى شـرح قول ابن الحاجب: و قـد يحـذف الفعل لقيام قرينه جوازا كقولك لمن قدم خير مقدم و وجوبا سـماعا نحو سـقيا و رعيا و خيبه و جـدعا و حمـدا و شـكرا و عجبا: أقول: الـذى أرى أنّ هـذه المصادر و أمثالها إن لم يأت بعدها ما يبيّنها و يعيّن ما تعلّقت به من فاعل أو مفعول إما بحرف جرّ أو باضافه المصدر إليه فليست مما يجب حذف فعله بل يجوز نحو سـقاك اللّه سقيا و رعاك اللّه رعيا فأمّا ما يبيّن فاعله بالاضافه نحو كتاب اللّه و سـنه اللّه و وعد اللّه، أو يبيّن مفعوله بالاضافه نحو ضرب الرقاب و سبحـان اللّه و لبيّـك و سـعديك و معـاذ اللّه، أو يبيّن فـاعله بحرف الجرّ نحو بؤسـا لك و سـحقا لك أى بعـدا، أو يبيّن مفعوله بحرف جرّ نحو عقرا لک أى جرحا و شرّا لک و حمدا لک و عجبا منک، فيجب حذف الفعل فى جميع هذا قياسا.

و المراد بالقياس أن يكون هناك ضابط كلّى يحـذف الفعل حيث حصل ذلک الضّابط، و الضّابط ههنا ما ذكرنا من ذكر الفاعل أو المفعول بعد المصدر مضافا إليه أو بحرف الجرّ.

و إنّما وجب حذف الفعل مع هذا الضّابط لأنّ حقّ الفاعل و المفعول به أن يعمل فيهما الفعل فيتصلا به، و استحسن حذف الفعل فى بعض المواضع إما إبانه لقصد الدوّام و اللزوم بحذف ما هو موضوع للحدوث و التجدّد أى الفعل فى نحو حمدا لک و شكرا لک و عجبا منک و معاذ اللّه و سـبحان اللّه، و إمّا لتقدّم ما يدلّ عليه كما فى قوله تعالى: كتاب اللّه عليكم، و صـبغه اللّه، و وعد اللّه، أو لكون الكلام ممّا يسـتحسن الفراغ منه بالسـرعه نحو لبيک و سعديک، فبقى المصدر مبهما لا يدرى ما تعلق به من فاعل أو مفعول فـذكر ما هو مقصود المتكلّم من أحـدهما بعد المصدر ليختصّ به، فلمّا بيّنها بعد المصدر بالاضافه أو بحرف الجرّ قبح اظهار الفعل بل لم يجز فلا يقال كتاب كتاب اللّه و وعـد وعـد اللّه و اضـربوا بضـرب الرّقاب و اسـبّح سـبحان اللّه و أحمد حمدا لک و عقر اللّه عقرا لک.

و ذلک لما ذکرناه من أنّ حقّ الفاعل و المفعول أن یتّصلا بالفعل معمولین له، فلما حذف الفعل لأحد الدّواعی المذکوره و بین المصدر إمّا بالاضافه أو بحرف الجرّ فلو ظهر الفعل رجع الفاعل أو المفعول إلی مکانه و مرکزه متصلا بالفعل و معمولا له.

فاحفظ ذلک فانه ینفعک فی کثیر من الموارد و اعراب سایر الفقرات واضح.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشریفه مسوقه للارشاد إلی بعض أسباب القرب و الوسایل التی یتوسل بها إلی اللّه سبحانه، و للأمر بالافاضه إلی ذکر اللّه، و ببعض ما یدرک به رضوان اللّه حسبما تطلع علی تفصیله انشاء اللّه، و لما کان

أسباب الزلفی و التقرّب

اشاره

کثیره

خصّ أفضلها بالبیان و هو علی ما ذکره عشره:

اولها الایمان کما أشار الیه بقوله:

(إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون الی اللّه سبحانه الایمان به و برسوله) و تقدیمه علی غیره لکونه أصلا بالنسبه الیه، و المراد به هنا التصدیق المجرّد عن الاقرار و العمل بقرینه ذکر کلمه الاخلاص التی هو الاقرار و سایر العبادات التی هو من باب الأعمال بعده، و تحقیق المقام یحتاج إلی بسط فی المقال و بیان الفرق بین الاسلام و الایمان.

فأقول: إنّک قد عرفت المعنی اللّغوی للایمان و أنه التّصدیق، و أما الاسلام فمعناه لغه هو التّسلیم و الانقیاد، و أمّا فی لسان الشرع فقد یستعملان علی التساوق و الترادف کما فی قوله تعالی:

«فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ».

و لم يكن بالاتفاق إلّا بيت واحد و قال تعالى:

«يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ » و قال تعالى: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ ».

و ربما استعملا على التقابل كما فى قوله تعالى:

«قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ ».

فقد نفى عنهم الايمان مع اثبات وصف الاسلام و المستفاد من كلام أكثر الأصحاب و معظم أخبار الأئمه الأطهار الأطياب أنّ الاسلام أعمّ من الايمان.

قال الصّادق عليه السّلام فى روايه الفضيل بن يسار عنه عليه السّلام: الايمان يشارك الاسلام و الاسلام لا يشارك الايمان.

و فى روايه سماعه بن مهران قال: سألته عن الايمان و الاسلام قلت: أفرق بين الاسلام و الايمان؟ قال: فأضرب لك مثله قال: قلت أراد «أورد خ» ذلك قال: مثل الايمان و الاسلام مثل الكعبه الحرام من الحرم، قد تكون فى الحرم و لا تكون فى الكعبه و لا تكون فى الكعبه حتى تكون فى الحرم، و قد يكون مسلما و لا يكون مؤمنا و لا يكون مؤمنا حتى يكون مسلما.

و فى روايه أبى الصباح الكنانى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أيّهما أفضل الايمان أو الاسلام؟ فانّ من قبلنا يقولون إنّ الاسلام أفضل من الايمان، فقال: الايمان أرفع من الاسلام، قلت: فاوجدنى ذلك، قال: ما تقول فيمن أحدث فى المسجد الحرام

متعمّدا؟ قال: قلت: يضرب ضربا شديدا، قال: أصبت فما تقول فيمن أحدث فى الكعبه متعمّدا؟ قلت: يقتل، قال: أصبت ألا ترى أنّ الكعبه أفضل من المسجد و أنّ الكعبه تشرك المسجد و المسجد لا يشرك الكعبه، و كذلك الايمان يشرك الاسلام و الاسلام لا يشرك الايمان.

فانّ المستفاد من هذه الرّوايات و أمثالها أنّه كلّما وجد الايمان وجد الاسلام لا بالعكس و ذلك.

اما من جهه أنّ الاسلام عبار عن التصديق بالظاهر أعنى الاعتراف باللّسان و الايمان عباره عن التّصديق بالباطن، و الأوّل غير مستلزم للثّانى و لذلك كذب اللّه سبحانه الأعراب بقوله: قل لم تؤمنوا، فى دعويهم وصف الايمان لأنفسهم، حيث قالوا آمنّا، و ذلك لأجل أنهم لم يكونوا مصدّقين بالباطن و لم يكونوا على ثقه و طمأنينه فيما أقرّوا به ظاهرا، و أثبت لهم وصف الاسلام بقوله: و لكن قولوا أسلمنا باعتبار شهادتهم بالتوحيد و الرّساله و اعترافهم ظاهرا.

و يدلّ على ما ذكرنا ما رواه فى الكافى باسناده عن سماعه قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أخبرنى عن الاسلام و الايمان أهما مختلفان؟ فقال عليه السّلام: إنّ الايمان يشارك الاسلام و الاسلام لا يشارك الايمان فقلت: فصفهما لى، فقال عليه السّلام:

الاسلام شهاده أن لا إله إلا اللّه و التصديق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم به حقنت الدّماء و عليه جرت المناكح و المواريث و على ظاهره جماعه النّاس، و الايمان الهدى و ما يثبت فى القلوب من صفه الاسلام و ما ظهر من العمل به، و الايمان أرفع من الاسلام بدرجه، إنّ الايمان يشارك الاسلام فى الظّاهر، و الاسلام لا يشارك الايمان فى الباطن، و ان اجتمعا فى القول و الصفه.

و نحوه روايه فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ الايمان يشارك الاسلام و لا يشاركه الاسلام، إنّ الايمان ما و قر فى القلوب، و الاسلام ما عليه المناكخ و المواريث و حقن الدّما، و الايمان يشارك الاسلام، و الاسلام لا يشارك الايمان.

ص:۳۸۶

فان قلت: إذا جعلت الايمان عباره عن التصديق بالباطن فلا بدّ أن تكون النسبه بينهما عموما من وجه إذ كما أنّ التّصديق ظاهرا لا يستلزم التصديق بالباطن كلّيا، فكذلك العكس، إذ ربّما يذعن المرء باللّه و برسوله من دون أن ينطق بكلمتى الشهاده، بأن يصدّق بالقلب و لا يساعده من العمر مهله النطق، نعم لا يحكم بايمانه إلّا بعد النطق و الكلام، لكون اللّسان ترجمان القلب، لكنه لا يقدح فيما ذكرنا لأنّ الكلام فى منع الملازمه بين نفس الايمان و الاسلام لا فى الحكم بكون الرجل مسلما و مؤمنا، فافهم.

قلت: التصديق بالباطن ملازم عاده للتصديق بالظاهر و إن لم يكن ملازما له عقلا كما فيما ذكرته من المثال، فانّ العرف و العاده قاضيه بأنّ من كان مصدّقا بالباطن يكون لا محاله مصدّقا بالظاهر، و المثال المذكور فرد نادر نعم لو قيل بأنّ الايمان عباره عن التصديق بالجنان و الاقرار باللّسان و العمل بالأركان أعنى مجموع الثلاثه ارتفع الاشكال رأسا، و كذا على مذهب من يعتبر فيه الاقرار باللّسان فقط شطرا كما عزى إلى المحقق الطّوسى حيث قال: بأنه مركب من الاقرار و التّصديق، أو شرطا كما نسب الى المتكلّمين من الخاصّه و بعض العامه.

و اما من جهه أنّ الاسلام عباره عن الشّهاده بالتوحيد و الرساله مع التصديق الباطنى و بدونه، سواء كان معه الاقرار بالولايه و الاذعان بها أم لا، و الايمان يعتبر فيه ذلك.

و يرشد إليه ما رواه ثقه الاسلام الكلينى باسناده عن سفيان بن السمط قال:

سأل رجل أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الاسلام و الايمان ما الفرق بينهما فلم يجبه ثمّ سأله فلم يجبه، ثمّ التقيا فى الطريق و قد أزف من الرجل الرحيل فقال له أبو عبد اللّه عليه السّلام:

كأنه قد أزف منك رحيل، فقال: نعم، فقال: فالقنى فى البيت فلقاه فسأله عن الاسلام و الايمان ما الفرق بينهما؟ فقال عليه السّلام: الاسلام ما هو الظاهر الذى عليه الناس شهاده أن لا إله إلا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه و إقام الصّلاه و ايتاء الزكاه و حجّ البيت و صيام شهر رمضان

فهذا الاسلام، و قال: الایمان معرفه هذا الأمر مع هذا، فان أقرّ بها و لم یعرف هذا الأمر کان مسلما و کان ضالا.

و عن عجلان بن أبی صالح قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أوقفنی علی حدود الایمان، فقال: شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الاقرار بجمیع ما جاء من عند اللّه و صلاه الخمس و أداء الزکاه و صوم شهر رمضان و حجّ البیت و ولایه ولیّنا و عداوه عدوّنا و الدخول مع الصّادقین.

فانّ المراد بالدّخول مع الصادقین الدّخول فی زمره آل محمّد سلام اللّه علیهم و الکون معهم کما قال: یا أیّها الّذین آمنوا اتّقوا اللّه و کونوا مع الصّادقین، علی ما تقدّم تفصیله فی شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه السّادسه و الثمانین.

و اما من جهه أنّ الایمان یعتبر فیه العمل دون الاسلام أعنی العمل بما یقتضیه ذلک التّصدیق.

و یدلّ علیه ما فی الکافی عن محمّد بن مسلم عن أحدهما علیهما السّلام قال: الایمان إقرار و عمل و الاسلام إقرار بلا عمل.

فانّ الظّاهر أنّ قوله: و الاسلام إقرار بلا عمل هو أنّ العمل غیر معتبر فیه لا أنّ عدمه فیه معتبر، و یدلّ علیه أخبار أخر.

و فیه أیضا باسناده عن عبد الرّحیم القصیر قال: کتبت مع عبد الملک بن أعین إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام أسأله عن الایمان ما هو، فکتب الیّ مع عبد الملک بن أعین: سألت رحمک اللّه عن الایمان، و الایمان هو الاقرار باللّسان و عقد فی القلب و عمل بالارکان، و الایمان بعضه من بعض، و هو دار و کذلک الاسلام دار و الکفر دار، فقد یکون العبد مسلما قبل أن یکون مؤمنا و لا یکون مؤمنا حتی یکون مسلما، فالاسلام قبل الایمان و هو لا یشارک الایمان فاذا أتی العبد کبیره من کبائر المعاصی أو صغیره من صغائر المعاصی التی نهی اللّه عزّ و جلّ عنها کان خارجا من الایمان ساقطا عنه اسم الایمان و ثابتا علیه اسم الاسلام، فان تاب و استغفر عاد إلی دار الایمان و لا یخرجه إلی الکفر إلاّ الجحود و الاستحلال، أن یقول للحلال هذا حرام، و للحرام هذا حلال، و دان بذلک فعندها یکون خارجا من الاسلام و الایمان، داخلا فی الکفر، و کان بمنزله من

دخل الحرم ثمّ دخل الكعبه و أحدث فى الكعبه حدثا فاخرج عن الكعبه و عن الحرم فضربت عنقه و صار إلى النار فقد ظهر لك مما ذكرنا كلّه أنّ الاسلام يصدق على مجرّد الاقرار باللّسان من غير تصديق، و على الاقرار و التّصديق مجرّدا عن الولايه، و على جميع ذلك مجرّدا من العمل، و الايمان يعتبر فيه ذلك، فيكون الايمان أخصّ لكنّ الانصاف أنّ العمل ليس داخلا فى مفهوم الايمان حقيقه و إن كان شرطا فى كماله.

أما أنّه غير داخل فى حقيقته فللتبادر و عدم صحّه السلب و لقوله تعالى:

«وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا » و قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى » و قوله «اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ ».

دلّ اقتران الايمان بالمعاصى فيها على أنّ العمل غير داخل فى حقيقته و قوله تعالى «اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ».

دلّ على التّغاير و أنّ العمل ليس بداخل فيه لأنّ الشىء لا يعطف على نفسه و لا الجزء على كلّه و مثله كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا المقام و أمّا أنه شرط فى كماله فللخبرين السابقين.

لا يقال: إنّ ظاهرهما كون العمل داخلا فى مفهومه لا شرطا فى كماله.

لأنا نقول: بعد تسليم الظهور لا بدّ من حملهما على ما ذكرنا بمقتضى الجمع بينهما و بين الأدلّه الّتى قدّمناها آنفا فان قلت: ما الدّليل على هذا الجمع؟ قلت: الدليل على ذلك ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم بن بريد قال: حدّثنا أبو عمر الزبيرى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام

قال: قلت له: أيها العالم أخبرنى أىّ الأعمال أفضل عند اللّه؟ قال: ما لا يقبل اللّه شيئا إلّا به، قلت: و ما هو؟ قال: الايمان باللّه الذى لا إله إلّا هو أعلى الأعمال درجه و أشرفها منزله و أسناها حظا قال: قلت: ألا تخبرنى عن الايمان أقول هو و عمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الايمان عمل كلّه و القول بعض ذلك العمل بفرض من اللّه بيّن فى كتابه واضح نوره ثابته حجّته يشهد له به الكتاب و يدعوه اليه قال: قلت له: صفه لى جعلت فداك حتّى أفهمه، قال: الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل: فمنه التامّ المنتهى تمامه، و منه الناقص البيّن نقصانه، و منه الراجح الزّايد رجحانه قلت: إنّ الايمان ليتمّ و ينقص و يزيد؟ قال: نعم، قلت: كيف ذاك؟ قال: لأنّ اللّه تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها و فرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحه إلّا و قد وكّلت من الايمان بغير ما وكّلت به اختها، فمنها قلبه الذى به يعقل و يفقه و يفهم، و هو أمير بدنه الذى لا ترد الجوارح و لا تصدر إلّا عن رأيه و أمره، و منها عيناه اللّتان يبصر بهما، و اذناه اللّتان يسمع بهما و يداه اللّتان يبطش بهما و رجلاه اللّتان يمشى بهما، و فرجه الذى الباه من قبله «قلبه خ» و لسانه الذى ينطق به، و رأسه الذى فيه وجهه فليس من هذه جارحه إلّا و قد وكلت من الايمان بغير ما وكّلت به اختها بفرض من اللّه تبارك و تعالى اسمه، ينطق به الكتاب لها و يشهد به عليها، ففرض على القلب غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على اللّسان، و فرض على اللّسان غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرّجلين، و فرض على الرّجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فاما ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار و المعرفه و العقد و الرّضا و التسليم بأن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له إلها واحدا لم يتّخذ صاحبه و لا ولدا و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلوات اللّه عليه و آله، و الاقرار بما جاء من عند اللّه من نبىّ أو كتاب، فذلك ما فرض اللّه على القلب من الاقرار و المعرفه و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

«إِلاّـ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً » و قال: «أَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » و قال: «اَلَّذِينَ قالُوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ » و قال: «إِنْ تُبْدُوا ما فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ».

فذلك ما فرض اللّه عزّ و جلّ على القلب من الاقرار و المعرفه و هو عمله و هو رأس ايمان.

و فرض الله على اللّسان القول و التعبير عن القلب بما عقد عليه و أقرّ به قال اللّه تبارك و تعالى اسمه:

«وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً » و قال: «قُولُوا آمَنّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ».

فهذا ما فرض اللّه على اللّسان و هو عمله.

و فرض على السّمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ما حرّم اللّه و أن يعرض عمّا لا يحلّ له مما نهى اللّه عزّ و جلّ عنه و الاصغاء إلى ما اسخط اللّه عزّ و جلّ فقال فى ذلك:

«وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ ».

ثمّ استثنى اللّه عزّ و جلّ موضع النسيان فقال:

«وَ إِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلاـ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ » و قال: «فَبَشِّرْ عِبادِ اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ »

«اَلَّذِينَ هَداهُمُ اللّهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ » و قال عزّ و جلّ: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاهِ فاعِلُونَ » و قال: «وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ » و قال: «وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً ».

فهذا ما فرض اللّه على السّمع من الايمان أن لا يصغى إلى ما لا يحلّ له و هو عمله و هو من الايمان.

و فرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرّم اللّه عليه و أن يعرض عمّا نهى اللّه عنه مما لا يحلّ له و هو عمله و هو من الايمان فقال تبارك و تعالى:

«قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ».

فنهيهم عن أن ينظروا إلى عوراتهم و أن ينظر المرء إلى فرج أخيه و يحفظ فرجه أن ينظر إليه و قال:

«وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ».

من أن ينظر احديهنّ إلى فرج اختها و تحفظ فرجها من أن تنظر اليها و قال عليه السّلام كلّ شيء فى القرآن من حفظ الفرج فهو من الزّنا إلّا هذه الآيه فانّها من النظر ثمّ نظم ما فرض اللّه عزّ و جلّ على القلب و اللّسان و السّمع و البصر فى آيه اخرى فقال:

«وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ ».

يعنى بالجلود الفروج و الافخاذ و قال:

ص:٣٩٢

«وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً ».

فهذا ما فرض اللّه على العينين من غضّ البصر عمّا حرّم اللّه و هو عملهما و هو من الايمان و فرض على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرّم اللّه و أن يبطش بهما إلى ما أمر اللّه عزّ و جلّ و فرض عليهما من الصّدقه و صله الرّحم و الجهاد فى سبيل اللّه و الطّهور للصّلوات فقال:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاهِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَکُمْ وَ أَيْدِيَکُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ إِلَى الْکَعْبَيْنِ » و قال: «فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ کَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمّا فِداءً حَتّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها » فهذا ما فرض اللّه على اليدين لأنّ الضّرب من علاجهما.

و فرض على الرّجلين أن لا يمشى بهما إلى شيء من معاصى اللّه و فرض عليهما المشى إلى ما يرضى اللّه عزّ و جلّ فقال:

«وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً » و قال: «وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِکَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِکَ إِنَّ أَنْکَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ».

و قال فيما شهدت الأيدى و الأرجل فى أنفسهما و على أربابهما من تضييعهما لما أمر اللّه عزّ و جلّ به و فرضه عليهما:

ص:۳۹۳

«اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ » فهذا أيضا ممّا فرض اللّه عزّ و جلّ على اليدين و على الرّجلين و هو عملهما و هو من الايمان.

و فرض على الوجه السّجود له باللّيل و النهار فى مواقيت الصّلاه فقال:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ».

و هذه فريضه جامعه على الوجه و اليدين و الرّجلين و قال فى موضع آخر:

«أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً ».

و قال فيما فرض على الجوارح من الطّهور و الصلاه بها و ذلك أنّ اللّه عزّ و جلّ لمّا صرف نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى الكعبه عن بيت المقدّس أنزل اللّه عزّ و جلّ:

«وَ ما كانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ » فسمّى الصّلاه إيمانا فمن لقى اللّه عزّ و جلّ حافظا لجوارحه موفيا كلّ جارحه من جوارحه ما فرض اللّه عزّ و جلّ عليها لقى اللّه عزّ و جلّ مستكملا لايمانه و هو من أهل الجنّه، و من خان فى شيء منها أو تعدّى ما أمر اللّه عزّ و جلّ فيها لقى اللّه عزّ و جلّ ناقص الايمان قلت: قد فهمت نقصان الايمان و تمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال عليه السّلام: فول اللّه عزّ و جلّ «وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ » و قال: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ »

«بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَهٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً ».

و لو كان كلّه واحدا لا زياده فيه و لا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر و لاستوت النعم فيه، و لاستوى الناس و بطل التفضيل و لكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنّه، و بالزّياده فى الايمان تفاضل المؤمنون بالدّرجات عند اللّه، و بالنقصان دخل المفرطون النّار.

فانّ صدر هذه الرّوايه الشريفه أعنى قوله عليه السّلام: الايمان عمل كلّه، و إن كان موهما فى بادى الرأى كون العمل داخلا فى مفهوم الايمان، إلاّ أنّ ذيلها أعنى قوله: لقى اللّه عزّ و جلّ مستكملا لايمانه، إلى قوله: لقى اللّه عزّ و جلّ ناقص الايمان، إلى آخر الرّوايه نصّ صريح فى كونه شرطا فى كماله لاجزء من مفهومه و قد استفيد منها أيضا كونه قابلا للزّياده و النقصان كما هو مذهب المحقّقين من الفريقين.

و أمّا ما توهّمه كثير من المتكلّمين من أنه إن كان الايمان هو التّصديق فلا يقبلهما، لأنّ الواجب هو اليقين، و هو غير قابل للتفاوت لا بحسب ذاته و لا بحسب متعلّقه أمّا بحسب الذّات فلأنّ التفاوت باعتبار احتمال النقيض و لو بأبعد وجه و هو ينافى اليقين و لا يجامعه، و أمّا بحسب المتعلّق فلأنّ متعلّقه جميع ما علم مجىء الرّسول به و الجميع من حيث هو جميع لا يتصوّر فيه تعدّد، و إلاّ لم يكن جميعا، و إن كان هو العمل وحده أو مع التّصديق فيقبلهما و هو ظاهر، و ما وردت فى الكتاب و السّنّه ممّا يدلّ على قبوله إيّاهما فباعتبار الأعمال فيزيد بزيدها و ينقص بنقصانها ففيه منع ذلك أمّا باعتبار الذّات فلأنّ التّصديق من الكيفيات النّفسانيّه المتفاوته قوّه و ضعفا فيجوز أن يكون التفاوت فيه بالقوّه و الضّعف، فانّ عين اليقين أعلى مرتبه و أقوى من علم اليقين، و للفرق الظاهر بين ايمان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمه و آحاد الرعيّه، قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و امّا باعتبار المتعلّق فلأنّ التّصديق التّفصيلى فى أفراد ما علم

مجیء الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم به جزء من الایمان یثاب علیه، مضافا إلی ثوابه علی تصدیقه بالاجمال فکان قابلا للزّیاده، و اللّه الهادی إلی المنهج القویم، و الصراط المستقیم.

(و) الثانی من الوسایل إلی اللّه سبحانه (الجهاد فی سبیله فانه ذروه الاسلام) لما کان ذروه کلّ شیء عباره عن أعلاه جعل الجهاد ذروه الاسلام باعتبار رفعته و علوّ رتبته فیه و تقدّمه علی سایر العبادات البدنیّه باعتبار اقتضائه قوّه التصدیق و الیقین بما جاء به خاتم النبیین ما لا یقتضیه سایر الطّاعات و القربات و إلاّ لما ألقی المجاهد نفسه إلی المهالک مع غلبه ظنّه بأنه عاطب هالک و لو لا سیف المجاهدین لما اخضرّ للاسلام عود و لا قام له عمود و قد تقدّم فی الخطبه السّابعه و العشرین انه باب من أبواب الجنّه فتحه اللّه لخاصّه أولیائه إلی آخر ما ذکره من فضائله و بیّنا فی شرحها ما فیه کفایه لمن له علم و درایه.

(و) الثالث (کلمه الاخلاص) أی الکلمه المتضمّنه لاخلاص اللّه تعالی و تنزیهه عن الشرکاء و الأنداد و هی کلمه التّوحید أعنی لا إله إلاّ اللّه و قد تقدّم فی شرح الفصل الثّانی من فصول الخطبه الثانیه فضایل تلک الکلمه الطیّبه المبارکه و فوایدها و علل علیه السّلام کونها من أفضل القرب بقوله(فانها الفطره)أی الفطره المعهوده الوارده فی الکتاب العزیز المأمور باتّباعها بقوله:

«فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها » و أصلها الخلقه من الفطر بمعنی الخلق ثمّ جعلت للخلقه القابله لدین الحقّ علی الخصوص، و ربما تطلق علی التّوحید و المعرفه و به فسّرت الآیه الشریفه و فسّر قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: کلّ مولود یولد علی الفطره حتّی یکون أبواه هما اللّذان یهوّدانه و ینصّرانه و یمجّسانه، قال فی مجمع البیان أی اتبع فطره اللّه و هی التّوحید التی

فطر النّاس أی خلق النّاس علیها و لها و بها، أی لأجلها و التمسّک بها فیکون کقوله: و ما خلقت الجنّ و الانس إلاّ لیعبدون، و هو کما یقول القائل لرسوله:

بعثتک علی هذا و لهذا و بهذا، و المعنی واحد.

و عن الصّدوق فی التوحید فی أخبار کثیره عن الصّادق علیه السّلام قال: فطرهم علی التوحید و باسناده عن زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه:

«حُنَفاءَ لِلّهِ غَیْرَ مُشْرِکِینَ بِهِ ».

و عن الحنیفیّه فقال: هی الفطره التی فطر النّاس علیها لا تبدیل لخلق اللّه، قال:

فطرهم اللّه علی المعرفه قال زراره و سألته عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ » - الآیه.

قال علیه السّلام أخرج من ظهر آدم ذریّته إلی یوم القیامه فخرجوا کالذّرّ فعرفهم و أرادهم و لو لا ذلک لم یعرف أحد ربّه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: کلّ مولود یولد علی الفطره بأنّ اللّه عزّ و جلّ خالقه فذلک قوله تعالی:

«وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللّهُ ».

و قد تقدّم فی شرح الفصل الرّابع عشر من فصول الخطبه الاولی أخبار أخر فی هذا المعنی هذا.

و لما کانت کلمه الاخلاص متضمّنه للفطره التی هی التوحید و المعرفه دالاّ علیها جعلها نفس الفطره تسمیه للدّال باسم مدلوله.

(و) الرابع (إقام الصّلاه فإنّها الملّه)و قال الطّریحی الملّه فی الأصل ما شرع اللّه لعباده علی ألسنه الأنبیاء لیتوصلوا به إلی جوار اللّه و یستعمل فی جمله الشرائع دون آحادها و لا یکاد توجد مضافه إلی اللّه و لا إلی آحاد امّه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بل یقال ملّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

ص:۳۹۷

قال تعالى: ملّه أبيكم إبراهيم، أى دينه.

أقول: لما كان الصّلاه هو الركن الأعظم من الدّين اطلق اسمه عليها و أتى بالملّه معرفه بلام الجنس قصدا للحصر مبالغه من باب زيد الأمير و نحوه الحديث النّبوىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الصّلاه عماد الدّين، فانه لما كان قوام الدّين و ثباته بها جعلها عمادا له كما صرّح بذلك فى روايه اخرى قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: مثل الصّلاه مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبتت الأطناب و الأوتاد و الغشاء، و إذا انكسر العمود لم ينفع طنب و لاوتد و لا غشاء، و فى روايه اخرى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، الصّلاه عماد الدّين فمن ترك صلاته متعمّدا فقد هدم دينه و كيف كان فالآيات و الروايات فى فضلها و عقوبه تاركها فوق حدّ الاحصاء قال تعالى:

«أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً » و فى سوره النّساء: «فَأَقِيمُوا الصَّلاهَ إِنَّ الصَّلاهَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً » و فى سوره مريم: «أَضاعُوا الصَّلاهَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » و فى سوره العَنكبوت: «وَ أَقِمِ الصَّلاهَ إِنَّ الصَّلاهَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ » و فى سوره أرأيت: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ ».

أى غافلون غير مبالين بها قال علىّ بن إبراهيم القمّى: عنى به تاركون لأنّ كلّ انسان يسهو فى الصّلاه، و فى المجمع عن الصّادق عليه السّلام هو التّرك لها و التوانى عنها، و عن الخصال عن أمير المؤمنين عليه السّلام: ليس عمل أحبّ إلى اللّه عزّ و جلّ من الصّلاه فلا يشغلكم عن أوقاتها شىء من امور الدّنيا، فانّ اللّه عزّ و جلّ ذمّ أقواما فقال:

الذين هم عن صلاتهم ساهون، يعنى أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها.

و فى الكافى باسناده عن معاويه بن وهب قال سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم و أحبّ ذلك إلى اللّه عزّ و جلّ ما هو؟ فقال عليه السّلام: ما أعلم شيئا بعد المعرفه أفضل من هذه الصّلاه، أ لا ترى أنّ العبد الصّالح عيسى بن مريم قال: و أوصانى بالصّلاه و الزّكاه ما دمت حيّا.

و عن زيد الشّحام عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعت يقول: أحبّ الأعمال إلى اللّه عزّ و جلّ الصّلاه، و هى آخر وصايا الأنبياء عليهم السّلام فما أحسن الرّجل يغتسل أو يتوضّأ فيسبغ الوضوء ثمّ يتنحىّ حيث لايراه أنيس فيشرف عليه و هو راكع أو ساجد، إنّ العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويله أطاعوا و عصيت و سجدوا و أبيت، و نحوه فى الفقيه إلاّ أنّ فيه فيشرف اللّه عليه.

و عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إذا قام العبد المؤمن فى صلاه نظر اللّه إليه أو قال أقبل اللّه عليه حتى ينصرف، و أظلّته الرّحمه من فوق رأسه إلى افق السماء و الملائكه تحفّه من حوله إلى افق السّماء، و وكل اللّه به ملكا قائما على رأسه يقول: أيّها المصلّى لو تعلم من ينظر إليك و من تناجى ما التفتّ و لا زلت من موضعك أبدا.

و عن محمّد بن الفضيل عن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام قال: الصّلاه قربان كلّ تقىّ.

و عن حفص بن البخترى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من قبل اللّه منه صلاه واحده لم يعذّبه و من قبل منه حسنه لم يعذّبه.

و عن الحسين بن سيف عن أبيه قال: حدّثنى من سمع أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف و ليس بينه و بين اللّه ذنب.

و فى الفقيه قال الصّدوق: قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما من صلاه يحضر وقتها إلاّ نادى ملك بين يدى النّاس: أيّها النّاس قوموا إلى نيرانكم الّتى أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم.

ص:٣٩٩

قال: و قال الصّادق عليه السّلام: أوّل ما يحاسب به العبد الصّلاه فاذا قبلت منه قبل ساير عمله، و إذا ردّت عليه ردّ عليه ساير عمله

قال: و قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّما مثل الصّلاه فيكم كمثل البرى و هو النهر على باب أحدكم يخرج إليه فى اليوم و اللّيله يغتسل منه خمس مرّات فلم يبق الدّرن على الغسل خمس مرّات، و لم يبق الذّنوب على الصّلاه خمس مرّات.

و فى جامع الأخبار قال: قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا تضيّعوا صلاتكم، فانّ من ضيّع صلاته حشره اللّه تعالى مع قارون و فرعون و هامان لعنهم اللّه و أخزاهم و كان حقا على اللّه أن يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته.

قال: و قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من ترك الصّلاه حتّى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله، ثمّ قال: بين العبد و بين الكفر ترك الصّلاه.

و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من ترك الصّلاه لا يرجو ثوابها و لا يخاف عقابها فلا ابالى يموت يهوديّا أو نصرانيّا أو مجوسيّا.

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من أعان تارك الصّلاه بلقمه أو كسوه فكأنّما قتل سبعين نبيّا أوّلهم آدم و آخرهم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هذا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره جدا و فيما أوردناه كفايه للمهتدى المسترشد و إنما المهمّ الاشاره إلى علّه وجوب الصلوات الخمس و بعض أسرارها.

اما عله وجوبها فقد روى فى الفقيه عن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام أنّه قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول اللّه فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما ساله أنه قال له: أخبرنى عن اللّه لأىّ شىء فرض اللّه عزّ و جلّ هذه الخمس الصّلوات فى خمسه مواقيت على امّتك فى ساعات اللّيل و النّهار؟ فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ الشمس عند الزّوال لها حلقه(۱) تدخل فيها فاذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبّح كلّ شىء دون العرش بحمد ربّى جلّ جلاله و هى السّاعه التى يصلّى

۱- (۱) الظاهر أنّ المراد بها دائره نصف النهار، منه

فيها على ربّى فقرض اللّه علىّ و على امّتى فيها الصّلاه و قال:

«أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ »(۱).

و هى السّاعه التى يؤتى فيها بجهنّم يوم القيامه فما من مؤمن يوافق تلك السّاعه أن يكون ساجدا أو راكعا أو قائما إلّا حرّم اللّه جسده على النّار.

و أمّا صلاه العصر فهى السّاعه التى اكل آدم فيها من الشجره فأخرجه اللّه من الجنّه فأمر اللّه ذرّيته بهذه الصّلاه إلى يوم القيامه و اختارها لامّتى فهى من أحبّ الصّلوات إلى اللّه عزّ و جلّ و أوصانى أن أحفظها من بين الصّلوات.

و أمّا صلاه المغرب فهى السّاعه التى تاب اللّه على آدم عليه السّلام و كان بين ما اكل من الشجره و بين ما تاب اللّه عليه ثلاثمأه سنه من أيّام الدّنيا و فى أيّام الآخره يوم كألف سنه(۲) ما بين العصر إلى العشاء فصلّى آدم ثلاث ركعات و ركعه لخطيئته و ركعه لخطيئه حوّا، و ركعه لتوبته فافترض اللّه هذه الثلاث ركعات على امّتى و هى السّاعه التى يستجاب فيها الدّعا فوعدنى اللّه أن يستجيب لمن دعاه فيها و هى الصّلاه التى أمرنى ربّى بها فى قوله:

«فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ ».

و أمّا صلاه العشاء الآخره فانّ للقبر ظلمه، و ليوم القيامه ظلمه أمرنى اللّه بهذه الصّلاه و امّتى لتنوّر الصّور و ليعطنى و امّتى النّور على الصّراط، و ما من قدم مشت الى صلاه العتمه(۳) إلّا حرّم اللّه جسدها على النّار و هى الصّلاه التى اختارها اللّه للمرسلين قبلى.

۱- (۱) غسق الليل منتصفه لا ظلمه اوله كما قال بعض اللّغويين، مفتاح الفلاح

۲- (۲) أى يوم واحد من أيام الآخره كألف سنه من أيام الدنيا و قوله ما بين العصر الى العشاء اى كان ثلاث مأئه سنه من أيام الدنيا ما بين العصر الى العشاء من أيام الاخره، حاشيه فقيه

۳- (۳) العتمه محركه ثلث الليل الاول بعد غيبوبه الشفق او وقت صلاه الاخره، حاشيه فقيه

و أمّا صلاه الفجر فانّ الشّمس إذا طلعت تطلع على قرن شيطان، فأمرنى اللّه أن اصلّى قبل طلوع الشّمس صلاه الغداه و قبل أن يسجد لها الكافر لتسجد امتى للّه عزّ و جلّ و سرعتها أحبّ الى اللّه و هى الصّلاه التى يشهدها ملائكه اللّيل و ملائكه النّهار و عله اخرى لذلك و هو ما رواه فى الفقيه أيضا عن الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: لما هبط آدم عليه السّلام من الجنّه ظهرت به شأمه سوداء فى وجهه من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه و بكاؤه على ما ظهر به، فأتاه جبرئيل فقال له: ما يبكيك يا آدم؟ فقال: لهذه الشامه التى ظهرت بى، قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الاولى، فقام فصلّى فانحطت الشامه إلى عنقه، فجاءه فى الصّلاه الثانيه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الثالثه، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى سرّته، فجاءه فى الصّلاه الثالثه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الثالثه فقام فصلّ فانحطت الشامه إلى ركبتيه، فجاء فى الصّلاه الرّابعه فقال: يا آدم قم فصلّى فهذا وقت الصّلاه الرابعه، فقام فصلّى فانحطت الشامه إلى قدميه، فجاءه فى الصّلاه الخامسه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الخامسه، فقام فصلّى فخرج منها، فحمد اللّه و أثنا عليه فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك فى هذه الصّلاه كمثلك فى هذه الشّامه، من صلّى من ولدك فى كلّ يوم و ليله خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشّامه، و يأتى لها علّه ثالثه انشاء اللّه فى شرح الخطبه المأه و الحاديه و التسعين.

و أما أسرار الصلاه فهى كثيره لا يمكن استقصاؤها و إنّما نشير إلى نبذ منها مما اشير إليها فى الروايات و وصل إلينا من أولى الألباب و الدّرايات و أرباب المعرفه و الاشارات فنقول و باللّه التوفيق:

إنّ الصّلاه الكامله قد خصّت من بين ساير العبادات بأنّها بمنزله انسان كامل مشتمل على روح و جسد، منقسم إلى ظهر و بطن و سرّ و علن، و لروحه و سرّه أخلاق و صفات، و لجسده و علن أعضاء و أشكال، فروح الصّلاه أهل معرفه الحقّ و العبوديّه له بالاخلاص و التوحيد.

ص:۴۰۲

أمّا أخلاقها و صفاتها الباطنه فيجمعها امور و هى: حضور القلب، و التفهّم و التعظيم، و الهيبه، و الرجاء، و الحياء، و هذه ستّ خصال شريفه و حالات كريمه و ملكات عظيمه لا يوجد جميعها إلاّ فى مؤمن امتحن اللّه قلبه بنور الايمان و العرفان اما حضور القلب فهو تفريغ القلب عن غير ما هو ملابس له و متكلّم به و صرفه إلى ما يتلبّس به من الأفعال و يتكلّم به من الأقوال، و لا يحصل ذلك إلاّ بعد معرفه المصلّى بانّ الغرض المطلوب منه هو الايمان و التصديق بأنّ الآخره خير و أبقى، و أنّ الصّلاه وسيله اليها، فاذا اضيف إلى تلك المعرفه العلم بحقاره الدّنيا و خسّتها و زوالها انصرف القلب عن مهمّات الدّنيا لا محاله و توجّه إلى صلاته الموصله و إلى سعادات الآخره و هو معنى حضور القلب.

روى إبراهيم الكرخى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال: إنّى لاحبّ الرّجل المؤمن منكم إذا قام فى صلاه فريضه أن يقبل بقلبه إلى اللّه تعالى و لا يشغل قلبه بأمر الدّنيا، فليس من عبد يقبل بقلبه فى صلاته إلى اللّه تعالى إلاّ أقبل اللّه إليه بوجهه، و أقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبه بعد حبّ اللّه إليه ايّاه.

و عن الخصال باسناده عن علىّ عليه السّلام فى حديث الأربعمائه قال: لا يقومنّ أحدكم فى الصّلاه متكاسلا، و لانا عسا، و لا يفكّرن فى نفسه، فانه بين يدى ربّه عزّ و جلّ، و إنما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه.

أقول: و مرّ ذلك أنّ الصّلاه فى الحقيقه معراج المؤمن و مناجاه الرّب المعبود، فلا بدّ فيه من الاقبال، لأنّ من لا يقبل عليك لا يستحقّ اقبالك عليه، كما لو حاربك من تعلم غفلته من محاربتك و إعراضه عن محاورتك، فانّه يستحق إعراضك عن خطابه و اشتغالك بجوابه.

قال الصّادق عليه السّلام من أراد أن ينظر منزلته عند اللّه فلينظر منزله اللّه عنده، فانّ اللّه ينزل العبد مثل ما ينزل العبد إليه من نفسه.

و أما التفهم فهو التّدبر فى معنى اللّفظ، و هو أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ و لا يكون حاضرا مع معنى اللّفظ، فاشتمال القلب

القلب على العلم بمعنى اللّفظ هو المراد بالتفهم، و قد ذمّ اللّه أقواما على ترك التدبّر حيث قال:

«أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها ».

و روى سيف بن عمير عمّن سمع أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف و ليس بينه و بين اللّه ذنب إلّا غفر له.

ثمّ الناس فى هذا المقام أى مقام التفهّم متفاوتون، إذ ليس يشترك الجميع فى تفهّم معانى القرآن و التّسليمات، و كم من معانى لطيفه يفهمها المصلّى فى أثناء الصّلاه و لم يكن خطر بقلبه قبل ذلك، و من هذا الوجه كانت الصّلاه تنهى عن الفحشاء و المنكر، فانّما يفهم امورا هى مانعه من الفحشاء لا محاله.

روى يونس بن ظبيان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: اعلم أنّ الصّلاه حجزه اللّه فى الأرض فمن أحبّ أن يعلم ما أدرك من نفع صلاته فلينظر، فان كانت صلاته حجزته عن الفواحش و المنكر فانّما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز، و من أحبّ أن يعلم ماله عند اللّه فليعلم ما للّه عنده و اما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب و الفهم، فربما يخاطب الرّجل عبده بكلام و هو حاضر القلب فيه و متفهّم لمعناه، و لا يكون معظما له، فالتعظيم أمر زايد عليهما، و هو حاله للقلب منشاها معرفه جلال الرّب سبحانه و كبريائه و عظمته مع معرفه حقاره النّفس و خسّتها و كونها عبدا مسخّرا مربوبا، فيتولّد من هاتين المعرفتين الاستكانه و الانكسار و الخشوع للّه سبحانه، فيعبّر عنه بالتعظيم.

روى الحلبىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا كنت فى صلاتك فعليك بالخشوع و الاقبال على صلاتك، فانّ اللّه تعالى يقول: الّذينهم فى صلاتهم خاشعون، ثمّ الخشوع كما يكون فى القلب كذلك يكون فى الجوارح، و يدلّ عليه ما رواه الطّبرسى فى مجمع البيان أنّ النبىّ رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

ص:۴۰۴

و اما الهيبه فأمر زايد على التعظيم، و هى عباره عن خوف منشاه التعظيم، لأنّ من لا يخاف لا يسمّى هايبا، و المخافه من العقرب و الحيّه و ساير الموذيات و من العقوبه و سوء خلق العبد و ما يجرى مجرى ذلك من الأسباب الخسيسه لا تسمّى مهابه، فالهيبه خوف مصدره الاجلال، و هى متولّده من المعرفه بقدره اللّه و سطوته و نفوذ أمره و مشيّته فيه مع قلّه مبالاته به، و أنّه بحيث لو أهلك الأوّلين و الآخرين لم ينقص من ملكه مثقال ذرّه، لا سيّما إذا انضمّ إلى ذلك ملاحظه ما جرى على الأنبياء و الأولياء من أنواع المحن و المصائب و البلاء، و كلّما زاد العلم باللّه و كبريائه زادت الهيبه و الخشيه، و لأجل ذلك قال تعالى: إنّما يخشى اللّه من عباده العلماء.

روى فضيل بن يسار عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام اذا قام إلى الصّلاه تغيّر لونه، فاذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا و عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام إنى رأيت علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا قام إلى الصلاه غشى لونه لون آخر، فقال لى: و اللّه إنّ علىّ بن الحسين عليهما السلام كان يعرف الذى يقوم بين يديه.

و عن جهم بن حميد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أبى: كان علىّ بن الحسين إذا قام إلى الصّلاه كأنّه ساق شجره لا يتحرّك منه شىء إلّا ما حرّكت الرّيح منه و قد اخرجت هذه الرّوايات و سابقتها من الوسايل رواها فيه باسنادها من الكافى و غيره.

و اما الرجاء فلا شك أنّه زايد على ما سبق، فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته و لا يرجو انعامه و مبرّته، و العبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب اللّه كما أنه خائف بتقصيره عقاب اللّه، و منشا الرّجا معرفه لطف الحقّ و كرمه و عميم جوده و احسانه و شمول رحمته و انعامه و معرفه صدقه فى وعده على الصلاه بالثواب و بشراه بالجنّه و حسن المآب، فبمجموع المعرفه بلطفه سبحانه و المعرفه بصدقه يحصل الرجاء.

ص:۴۰۵

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الصّلاه مرضاه اللّه، و حبّ الملائكه، و سنّه الأنبياء و نور المعرفه، و أصل الايمان، و اجابه الدّعاء، و قبول الاعمال، و بركه فى الرّزق و راحه فى البدن، و سلاح على الأعداء، و كراهه الشّيطان، و شفيع بين صاحبها و ملك الموت، و السراج فى القبر، و فراش تحت جنبه، و جواب منكر و نكير، و مونس فى السّراء و الضّراء، و صائر معه فى قبره إلى يوم القيامه.

و أما الحياء فزيادته على ما سبق واضحه، لأنّ مستنده استشعار تقصير و توهّم ذنب، و يتصوّر التعظيم و الخوف و الرّجاء من غير حياء، حيث لا يتوهّم تقصير و خطاء و منشا استشعار التقصير و توهّم الذّنب علم المكلف بالعجز عن القيام بوظائف العبوديّه و التعظيم على ما يليق بحضره الرّبوبيّه سبحانه، و يزيد ذلك بالاطلاع على كثره عيوب النّفس و آفاتها، و فرط رغبتها فى أفعالها و حركاتها و سكناتها إلى الدّنيا و شهواتها، و قلّه اخلاصها فى طاعاتها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال اللّه و عظمته و كبريائه، و مع المعرفه بأنه خبير بصير مطلع على السرائر، عالم بالضمائر، و هذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها الحياء.

و أما اعضاء الصلاه و أشكالها فهى: القيام، و القعود، و القرائه، و التشهد و الركوع، و السجود، و ظاهرها يرتبط بظاهر الانسان، و به يكلف العوام الذين درجتهم درجه الأنعام، ليمتازوا بذلك التعبّد الظاهرى عن ساير أنواع الحيوان فى العاجل، و يستحقوا به نوعا من الثواب فى الاجل، و باطنها يلتزم بباطن الانسان ممن له قلب أو ألقى السّمع و هو شهيد.

أمّا صلاه الظاهر المأمور بها شرعا و المفروضه على كافه المكلّفين سمعا فاعدادها معلومه، و أوقاتها مرسومه، و أركانها مضبوطه، و أحكامها فى الكتب مسطوره، لا حاجه بنا إلى تفصيلها الشهرتها، و كفايه الكتب الفقهيّه فى تعيين شرايطها و أحكامها و أمّا صلاه الباطن و صلاه أهل الخصص فنشير إلى بعض أسرارها و يسير ممّا ينبغى لها لتكون على ذكر منها عند القيام بها، و تأتى بها على وجه البصيره و المعرفه إن كنت من أهل القرب و الطّاعه فنقول و باللّه التوفيق:

اما الطهاره فاذا أتيت بها فى مكانك و هو طرفك الأبعد، ثمّ فى ثيابك و هو غلافك الأقرب، ثمّ فى بشرتك و هو قشرك الأدنى فلا تغفل عن تطهير ذاتك و إزاله رجس الشيطان عن لبّك بالتوبه و النّدم على التفريط فى جنب اللّه كما قال سبحانه:

و ثيابك فطهّر و الرّجز فاهجر، فطهّر قلبك فانّه منظر معبودك.

و اما ستر العوره فمعناه تعطيه مقابح بدنك عن أبصار الخلق أعنى سكّان عالم الأرض، فاذا وجب عليك ستر ظاهر البدن عن الخلق و هم مخلوق مثلك فما ظنك فى عورات باطنك و فضايح سترك الذى هو موضع نظر معبودك و خالقك، فانها أولى بالسّتر و أحرى، فاحضر تلك الفضايح ببالك، و طالب نفسك بسترها بالنّدم و الخوف و الحياء، و نزل نفسك منزله العبد المجرم المسىء الآبق الذى ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء و الخوف.

و اما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك من ساير الجهات إلى جهه البيت الحرام، أفترى أنك مأمور بذلك و لست مأمورا بتوجيه قلبك إلى معبودك، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، و كما لا يمكن التوجّه بالبيت إلاّ بالالتفات عن ساير الجهات، فكذلك لا يمكن التّوجّه إلى الحقّ، إلاّ بالاعراض عن كلّ ما عداه، و الانقطاع بكلّيته إلى اللّه.

و أما القيام فليكن على ذكرك فى الحال خطر القيام بين يدى الربّ المتعال فى القيامه و هو المطّلع فى مقام العرض و السّؤال حين ما أيقن أهل الجرائم بالعقاب و عاينوا أليم العذاب، فقم بين يديه سبحانه قيام عبد ذليل بين يدى ملك جليل، و عليك بخفوت أطرافك و هد و أطراقك و سكون جوارحك و خشوع أجزائك و حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وزن نفسك قبل أن توزن.

و أما النيه فاعلم أنّ الأعمال بالنيات و أنّ النّيه رأس العبادات، فاجتهد فى تحصيل الاخلاص، رجاء للثّواب و خوفا من العقاب و طلبا للقرب إلى ربّ الأرباب قال الصادق عليه السّلام إذا كان أوّل صلاته بنيّه يريد بها ربّه فلا يضرّه ما دخله بعد ذلك فليمض فى صلاته و ليخسأ الشّيطان.

و أما التكبير فاذا نطق به لسانک فينبغی أن لا يکذّبه قلبک، فان کان هواک أغلب عليک من أمر اللّه و أنت أطوع له منک للّه فقد اتّخذته إلها لک و معبودا من دون اللّه کما قال عزّ من قائل: أرأيت من اتّخذ إلهه هويه، فقولک: اللّه أکبر يکون حينئذ کلاما بمجرّد اللّسان من دون أن يساعده القلب و الجنان، فيشهد اللّه سبحانه عليک بأنک لکاذب فی تکبيره و تعظيمه کما شهد علی المنافقين بأنهم لکاذبون فی قولهم: نشهد أنّک لرسول اللّه، و ما أعظم الخطر فی ذلک لو لا التّدارک بالتوبه و الاستغفار.

و اما القرائه فالناس فيها علی ثلاثه أقسام: السّابقون و هم المقرّبون، و أصحاب اليمين و هم أهل الجنّه، و أصحاب الشّمال و هم أهل النّار، فرجل يتحرّک لسانه و قلبه غافل عما هو فيه و يتکلّم به، بل مشغول الفکر بأغراض نفسه و معاملاته و تجاراته و خصوماته و غيرها، و رجل يتحرّک لسانه و قلبه يتبع اللّسان فيفهم و يسمع منه کانه يسمعه من غيره و هو مقام أصحاب اليمين، و رجل يسبق قلبه إلی المعانی أوّلا ثمّ يخدم اللّسان القلب فيترجمه کما ربّما يخطر ببالک شیء فينبعث منک داعيه الشّوق إلی التکلّم به و فرق بين أن يکون اللّسان ترجمان القلب و بين أن يکون القلب ترجمانا تابعا للسان، و المقرّبون لسانهم ترجمان قلوبهم.

و توضيح ترجمه المعانی أنک اذا قلت: أعوذ باللّه من الشيطان الرّجيم، فادفع وساوس قلبک و عجب نفسک، و طهّر ساحه قلبک من خطرات ابليس و أحاديث النفس ليتيسّر لک الدّخول فی باب الرّحمه فينفتح لک باب الملکوت بالمغفره و باب الجبروت بالفضل و الکرامه، و إذا قلت: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، فانو به التبرّک باسمه، و اعلم أنّ الامور کلّها باللّه و هی من فيض رحمته فی الدّنيا و الآخره فاذا کانت النعم الدّنيويّه و الاخرويّه مبدؤها وجوده و کانت کلّها من بحر کرمه وجوده کما قال عزّ من قائل: و ما بکم من نعمه فمن اللّه، فاعلم أنه لا يليق الحمد و الثناء إلاّ للّه سبحانه، فقل: الحمد للّه، فلو کنت تری نعمه من عند غيره و تتوقّع منه

الوصول اليها و تقرع بيد السّؤال بابه بزعم استقلاله فيها لاـ باعتقاد أنه واسطه فى ايصالها إليك و آله لوصولها إلى يديك فتشكره بذلك، ففى تسميتک و تحمیدک نقصان و أنت بقدر التفاتک إلى غيره كاذب فيهما.

ثمّ اعلم أنّک تأسّيت فى تحميدک للّه بالملائكه المقرّبين حيث قالوا قبل أن يخلق اللّه سبحانه هذه النشأه: نحن نسبّح بحمدک و نقدّس لک، و بعباد اللّه الصّالحين، حيث إنّهم بعد ما يحكم بينهم و بين المجرمين يوم الحاقه بالحقّ فيحمدون ربهم كما اخبر عنهم بقوله: و قضى بينهم بالحقّ و قيل الحمد للّه ربّ العالمين، و بعد ما يعتبرون الصراط و يجدون رايحه الجنان يقولون: الحمد للّه الذى هدانا لهذا، و بعد ما يتمكنون فى قصور الجنّات و يجلسون وسط الرّوضات يقولون: الحمد للّه الذى صدقنا وعده، و بعد ما ينالون غايه الآمال و يجزون الحسنى بالأعمال يكون آخر كلامهم حمد الرّب المتعال، و آخر دعويهم أن الحمد للّه رب العالمين، فاذا كان بديه العالم و نهايته مبتيّه على الحمد فاجتهد أن يكون بدايه عملک و نهايته كذلک، و كما أنّ حمد هؤلاء المقرّبين ناش عن وجه الاخلاص و اليقين، فليكن ثناؤک كذلک و إذا قلت: ربّ العالمين، فاعلم أنّه سبحانه مربّيک و مربّى ساير الخلائق أجمعين، حيث إنه خلقهم و ساق اليهم أرزاقهم و دبّر امورهم و قام بمصالحهم و بدء بالآمال قبل السؤال، و أنه رباهم بعظيم ما لديه من دون جلب ربح و منفعه منهم إليه كما هو شأن ساير المربّين و المحسنين فانهم انما يربون و يحسنون ليربحوا على ذلک و ينتفعوا بذلک إما ثوابا أو ثناء، فاذا كان تربيته كذلک فلينبعث منک مزيد شوق و رجاء إلى فضله و نواله.

و ليشتدّ ذلک الرّجاء إذا قلت: الرّحمن الرّحيم، فانّ رحمته سبحانه لانهايه لها، فبرحمته الرّحمانيه خلق الدّنيا و ما فيها، و برحمته الرّحيميّه يجزى لمؤمنين الجزاء الأوفى، و هو الذى ينادى عبده و يشرفه بألطف الخطاب حين ما وارده فى التراب، و ودّعه الأحباب و يقول: عبدى بقيت فريدا وحيدا فأنا أرحمک اليوم رحمه يتعجّب الخلائق منها.

ص:۴۰۹

ثمّ لا تغترّ بذلک و لا تأمن من غضبه و استشعر من قلبک الخوف، و إذا قلت:

مالک یوم الدّین، فاحضر فی نظرک أنواع غضبه و قهره علی أهل الجرائم و الجوائز و اعلم أنّه لا مانع ذلک الیوم من سخطه و لا رادّ من عقابه، لانحصار الملک یومئذ فیه، فلیس لأحد لجأ یؤویه.

ثمّ إذا حصلت بین الخوف و الرّجاء فجرد الاخلاص و التوحید و قل: إیّاک نعبد، أی لا یستحقّ العباده إلاّ أنت و لا معبود سواک و لا نعبد إلاّ إیّاک، و تفطّن لسرّ التکلّم بصیعه الجمع نکته تشریک الغیر معک فی الاذعان بالعبودیّه، و هو أنّ من باع أمتعه کثیره صفقه بعضها صحیح و بعضها معیب فاللاّزم علی المشتری إمّا قبول الجمیع أو ردّ الجمیع، و لا یجوز له ردّ المعیب و أخذ الصحیح، فههنا قد مزجت عبادتک بعباده غیرک من الأنبیاء و المرسلین و الملائکه المقرّبین و عباد اللّه الصّالحین، و عرضت الجمیع صفقه واحده علی حضره ربّ العالمین، فهو سبحانه أجلّ من أن یردّ المعیب و یقبل الصحیح، فانّه قد نهی عباده عن ذلک فلا یلیق بکرمه ذلک، کما لا یلیق به ردّ الجمیع لکون بعضها مقبولا البته فلم یبق إلاّ قبول الجمیع و هو المطلوب.

ثمّ القیام منک بوظایف العبودیه و الاتیان بلوازم الطّاعه لما لم یکن ممکنا إلاّ باعانه منه سبحانه و إفاضه منه الحول و القوّه الیک فتضرّع إلیه تعالی و اطلب منه التوفیق و الاعانه و قل: و إیّاک نستعین، و تحقّق أنه ما تیسّرت طاعتک إلاّ باعانته و أنّه لولا توفیقه لکنت من المطرودین مع الشّیطان اللعین و إذا أظهرت حاجتک إلیه سبحانه فی إفاضته الاعانه و التّوفیق فعیّن مسئولک و اطلب منه تعالی أهمّ حاجاتک و لیس ذلک إلاّ طلب القرب من جواره، و لا یکون ذلک إلاّ بالحرکه و السکون نحوه و سلوک السّبیل المؤدّی الیه و لا یمکن ذلک إلاّ بهدایته سبحانه فقل: اهدنا الصّراط المستقیم، قال الصادق علیه السّلام یعنی أرشدنا للزوم الطّریق المؤدّی إلی محبّتک و المبلغ إلی جنّتک و المانع من أن نتبع أهوائنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلک.

ص:۴۱۰

و زد ذلک شرحا و تفصیلا و تأکیدا بقولک: صراط الذین أنعمت علیهم، و هم الذین أنعم علیهم بالتوفیق و الطّاعه لا بالمال و الصّحه و هم الذین قال اللّه تعالی.

«وَ مَنْ یُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِیقاً».

و أمّا الذین انعم علیهم بالمال و الصحّه فربما یکونون کفّارا أو فسّاقا من الذین لعنهم اللّه و غضب علیهم، أو من الضّالین المکذّبین، و لذلک حسن التأکید بأن تقول: غیر المغضوب علیهم، و هم الیهود قال اللّه فیهم: من لعنه اللّه و غضب علیه، و لا الضّالّین، و هم النّصاری قال اللّه فیهم قد ضلّوا من قبل و أضلّوا کثیرا فاذا فرغت من قراءه فاتحه الکتاب فأقرء ما شئت من السّور، و علیک بالترتیل و تعمد الاعراب فی ألفاظ ما تقرؤها و التّفکّر فی معناها، و سؤال الرحمه و التّعوّذ من النقمه عند قراءه آیتیهما، ثمّ إذا فرغت من القرائه فجدّد ذکر کبریاء اللّه سبحانه و عظمته و ارفع یدیک حیال وجهک و قال: اللّه أکبر استجاره بعفوه عن عقابه و اتباعا لسنّه رسوله، ثمّ تستأنف له ذلاّ و تواضعا برکوعک و تجتهد فی ترقیق قلبک و فی استشعار الخشوع له، و علیک بالطمأنینه و الوقار و تسویه ظهرک و مدّ عنقک.

فقد قال أبو جعفر علیه السّلام: من أتمّ رکوعه لم یدخله وحشه فی القبر.

و فی مرفوعه أبی القاسم بن سلام قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا رکع لوصبّ علی ظهره ماء لاستقرّ، و أمّا مدّ العنق فمعناه إنّی آمنت بک و لو ضربت عنقی.

ثمّ تشهد علی ربّک بالعظمه و أنّه أعظم من کلّ عظیم فتقول: سبحان ربّی العظیم و بحمده، و تکرّر ذلک علی القلب و تؤکده بالتکریر، ثمّ تنتصب قائما و تقول: سمع اللّه لمن حمده و الحمد للّه ربّ العالمین، ثمّ تهوی إلی السّجود و هو أعلی درجات التذلّل و الاستکانه حیث الصقت أعزّ جوارحک و أشرفها و هو الجبهه بأذلّ الأشیاء و أخسّها و هو التراب، و قد نهیت عن السجود علی الذهب و الفضّه

و المطاعم و الملابس، لأنها متاع الحياه الدّنيا و السّجده زاد الآخره.

روى الصّدوق باسناده عن هشام بن الحكم أنّه قال لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أخبرنى عمّا يجوز السجود عليه و عما لا يجوز، قال: السجود لا يجوز إلاّ على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلاّ ما أكل أو لبس، فقال له: جعلت فداك ما العلّه فى ذلك، قال: لأنّ السّجود خضوع للّه عزّ و جلّ فلا ينبغى أن يكون على ما يؤكل و يلبس، لأنّ أبناء الدّنيا عبيد ما يأكلون و يلبسون، و الساجد فى سجوده فى عباده اللّه عزّ و جلّ فلا ينبغى أن يضع جهته فى سجوده على معبود أبناء الدّنيا الذين اغترّوا بغرورها.

و أمّا تعدّد السجود فسّره ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السّلام حيث سأله رجل ما معنى السجده الاولى؟ فقال عليه السّلام: تأويلها اللّهم منها خلقتنا يعنى من الأرض، و تأويل رفع رأسك: و منها أخرجتنا و السجده الثانيه: و إليها تعيدنا، و رفع رأسك منها: و منها تخرجنا تاره اخرى.

أقول: و هو مأخوذ من قوله سبحانه فى سوره طه:

«مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى ».

ثمّ تجلس لتشهد على يسارك و ترفع يمينك و تأويل ذلك: اللّهمّ أمت الباطل و اقحم الحقّ، فتجدّد العهد للّه سبحانه بالشهاده بالتوحيد و للنبيّ بالشهاده بالرّساله، و تصلّى عليه و آله الذين هم وسايط الفيوضات النازله، و بهم قبول الصّلاه و ساير العبادات، و بالتقرّب اليهم يرجى نزول الرّحمه من الحقّ، لكونهم واسطه بينك و بين الرسول كما أنّه واسطه بين اللّه و بين الخلق.

ثمّ احضر شخصه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قلبك و قل: السّلام عليك أيّها النّبيّ و رحمه اللّه و بركاته، لتدخل فى زمره المؤمنين المجيبين لنداء يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليما، ثمّ سلّم على نفسك و على عباد اللّه الصّالحين، و تأمّل أنّ اللّه يردّ عليك سلاما بعدد عباده الصالحين، و أما قولك: السّلام عليكم و رحمه اللّه و بركاته، فتقصد بخطابك فيه الأنبياء و الملائكه و الأئمه عليهم السّلام و المؤمنين من الجنّ و الانس

و تحضرهم ببالك و تخاطبهم به، و إلّا كان التسليم بصيغه الخطاب لغوا و إن كان مخرجا عن العهده، و حقيقه هذا التسليم هو الرّجوع عن الحقّ إلى الخلق، فانّ الصّلاه معراج للمؤمن و مناجاه للعبد مع معبوده و حضور له مع اللّه و غيبته له عما سواه، فاذا انصرف منه لزم عليه تجديد العهد بالخلق و التسّليم عليهم كما يسلم الغائب إذا قدم من سفره.

هذا قليل من كثير و نبذ يسير من أسرار الصّلاه، و المقام لا يسع الزياده، و اللّه ولىّ التوفيق و الهدايه.

(و) الخامس من الوسايل (إيتاء الزّكاه فانها فريضه واجبه) و الاتيان بالوجوب بعد الفرض لمحض التأكيد و الاشاره إلى تأكّد وجوبها نظير قوله سبحانه:

«إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ وَ فِى الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَهً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ».

فانّه سبحانه بعد الأمر بها بالجمله الخبريه التى هى فى معنى الانشاء، عقّبه بقوله: فريضه، تأكيدا للوجوب، قال الزّجاج: فريضه منصوب على التوكيد، لأنّ قوله: إنّما الصّدقات لهؤلاء جار مجرى قوله: فرض اللّه الصّدقات لهؤلاء فريضه و ذلک كالزجر عن مخالفه هذا الظاهر.

قال رفاعه بن موسى: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: ما فرض اللّه على هذه الأمه أشدّ عليهم من الزّكاه و فيها تهلك عامّتهم.

أو الفريضه من الفرض بمعنى القطع و التقدير و منه قوله سبحانه: «لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِکَ نَصِيباً مَفْرُوضاً » أى منقطعا محدودا و يطلقون الفقهاء فى باب المواريث

على ذوى السهام المقدّره ذوى الفرائض باعتبار أنّ سهامهم مقدّره معيّنه فى كتاب اللّه سبحانه و على هذا فيكون معنى قوله عليه السّلام: انّها فريضه واجبه أنها شيء مقدّر منقطع متّصف بالوجوب، و كيف كان فهى من أعظم دعائم الدّين و أقوى أركان الاسلام، و الكلام فيها فى مقامين.

المقام الاول فى علّه وجوبها و فضلها و عقوبه مانعها.

أمّا فضلها و وجوبها فكفى بذلك أنّ أكثر الآيات المتضمّنه للأمر باقامه الصّلاه متضمّنه للأمر بايتاء الزّكاه، فجعل الزّكاه تالى الصّلاه، و الأخبار فى هذا المعنى فوق حدّ الاحصاء.

ففى الكافى باسناده عن محمّد بن مسلم و أبى بصير و بريد عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام قالا: فرض اللّه الزّكاه مع الصّلاه.

و عن مبارك العقرقوفى قال: قال أبو الحسن عليه السّلام إنّ اللّه عزّ و جلّ وضع الزّكاه قوتا للفقراء و توقيرا لأموالكم.

و عن أحمد بن محمّد بن عبد اللّه و غيره عن رجل من أهل ساباط قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام لعمّار السّاباطى: يا عمّار أنت ربّ مال كثير؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: فتؤدّى ما افترض اللّه عليك من الزّكاه؟ فقال: نعم، قال: فتخرج الحقّ المعلوم من مالك؟ قال: نعم، قال: فتصل قرابتك؟ قال: نعم، قال: فتصل اخوانك؟ قال: نعم، فقال عليه السّلام: يا عمّار إنّ المال يفنى و البدن يبلى و العمل يبقى و الدّيان حىّ لا يموت، يا عمّار إنّه ما قدّمت فلن يسبقك، و ما أخّرت فلن يلحقك. و رواه الصّدوق فى الفقيه عنه عليه السّلام مثله.

و فيه أيضا عن معتب مولى الصّادق عليه السّلام قال: قال الصّادق عليه السّلام: إنما وضعت الزّكاه اختبارا للأغنياء و معونه للفقراء، و لو أنّ النّاس ردّوا زكاه أموالهم ما بقى مسلم فقيرا محتاجا، و لا ـ ستغنى بما فرض اللّه له، إنّ النّاس ما افتقروا و لا احتاجوا

و لا جاعوا و لا غروا إلّا بذنوب الأغنياء، و حقيق على اللّه أن يمنع رحمته ممن منع حقّ اللّه فى ماله، و اقسم بالذى خلق الخلق و بسط الرّزق إنه ما ضاع مال فى برّ و لا بحر إلّا بترك الزّكاه، و ما صيد فى برّ و لا بحر إلّا بتركه التسبيح فى ذلك اليوم و إنّ أحبّ النّاس إلى اللّه أسخاهم كفا، و أسخى النّاس من أدّى زكاه ماله و لم يبخل على المؤمنين بما افترض اللّه لهم فى ماله.

و فيه أيضا أنّه كتب الرّضا علىّ بن موسى عليهما السلام إلى محمّد بن سنان فيما كتب إليه من جواب مسائله: أنّ علّه الزكاه من أجل قوت الفقراء و تحصين أموال الأغنياء، لأنّ اللّه كلّف أهل الصّحه القيام بشأن أهل الزّمانه و البلوى كما قال تعالى.

«لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ».

فى أموالكم اخراج الزكاه، و فى أنفسكم توطين النفس على الصبّر مع ما فى ذلك من أداء شكر نعم اللّه و الطمع فى الزّياده مع ما فيه من الرفاده و الرأفه و الرّحمه لأهل الضعف، و العطف على أهل المسكنه و الحثّ لهم على المواساه، و تقويه الفقراء و المعونه لهم على أمر الدّين، و موعظه لأهل الغنى، و عبره لهم ليستدلّوا على فقراء الآخره بهم و ما لهم عن الحثّ فى ذلك على الشكر للّه لما خوّلهم و أعطاهم و الدّعا و التضرّع و الخوف من أن يصير و امثلهم فى امور كثيره فى أداء الزكاه و الصّدقات و صله الأرحام و اصطناع المعروف.

قال الصّدوق: و قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام: من أخرج زكاه ماله تامّا فوضعها فى موضعها لم يسأل من أين اكتسب ماله.

قال: و قال الصّادق عليه السّلام: إنما جعل اللّه الزكاه فى كلّ ألف خمسه و عشرين درهما، لأنّ اللّه تعالى خلق الخلق فعلم غنيّهم و فقيرهم و قويّهم و ضعيفهم، فجعل من كلّ ألف خمسه و عشرين مسكينا لو لا ذلک لزادهم اللّه لأنه خالقهم و هو أعلم بهم.

ص:۴۱۵

اما عقوبه تارک الزکاه و مانعها فقد قال تعالی فی سوره آل عمران:

«وَ لاٰ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمٰا آتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مٰا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » و فی سوره البراءه: «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاٰ يُنْفِقُونَهٰا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهٰا فِي نٰارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهٰا جِبٰاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هٰذٰا مٰا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ».

و لا یخفی ما فی الآیتین من وجوه الحثّ علی الانفاق و الوعید علی الامساک.

أما الایه الاولی فجهات الانذار فیها غیر خفیّه الأولی أنّه سبحانه نهی عن حسبان الممسکین إمساکهم خیرا لهم و نفعا فی حقّهم و أکّد ذلک بالنون المفیده للتوکید الثانیه أنّه وصف الممسکین بصفه البخل و هو صفه ذمّ الثالثه أنّ ما بخلوا به هو ممّا آتاهم اللّه فاللّازم علیهم أن یتصرّفوا فیه بما أمر اللّه و یصرفوه إلی ما أراده اللّه الرابعه أنّ ذلک شرّ لهم و ضرّ فی حقّهم الخامسه أنّهم یطوّقون ما بخلوا به یوم القیامه.

روی الصّدوق عن حریز عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه قال: ما من ذی ذهب أو فضه تمنع زکاه ماله إلّا حبسه اللّه یوم القیامه بقاع قرقر(۱) و سلّط علیه شجاعا أقرع(۲) یریده و هو یحید عنه فاذا رأی أنه لا یتخلّص منه انکسه فقضمها کما یقضم الفجل ثمّ یصیر طوقا فی عنقه و ذلک قوله:

۱- (۱) قاع قرقر ای مستو مصباح.

۲- (۲) الاقرع من الحیات المتمعط شعر رأسه ای الابیض لکثره سمه، ق.

«سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَهِ ».

و ما من ذى ابل أو بقر أو غنم يمنع زكاه ماله إلّا حبسه اللّه يوم القيامه بقاع قرقر تطاه كلّ ذات ظلف بظلفها، و ينهشه كلّ ذات ناب بنابها، و ما من ذى نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاته إلّا طوّقه اللّه ريعه أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامه.

و فى الكافى باسناده عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامه، فقال: يا محمّد ما من أحد يمنع من زكاه ماله شيئا إلّا جعل اللّه ذلک يوم القيامه ثعبانا من نار مطوّقا فى عنقه ينهش من لحمه حتّى يفرغ من الحساب، ثمّ قال هو قول اللّه عزّ و جلّ: سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامه، يعنى ما بخلوا به من الزكاه السادسه أنّ ميراث السماوات و الأرض كلّه للّه سبحانه بمعنى أنّه وحده يبقى و غيره يفنى و يبطل ملک كلّ مالک إلّا ملكه، فاذا كان المال فى معرض الفناء و الزّوال فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بالانفاق، و لا يحرص على الامساک، فيكون وزره عليه و نفعه لغيره السابعه أنّه سبحانه خبير بما يعمله المكلّفون بصير بمخالفتهم لأمره لا يعزب عن علمه بخلهم بالانفاق و منعهم عن أهل الاستحقاق، فسيذيقهم و بال أمرهم عند المساق، اذا التفّت السّاق بالساق.

و اما الآيه الثانيه فقد روى الطبرسىّ عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه لما نزلت هذه الآيه قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: تبّا للذّهب و الفضّه، يكرّرها ثلاثا، فشقّ ذلک على أصحابه فسأله عمر: أىّ المال نتّخذ؟ فقال: لسانا ذاكرا، و قلبا شاكرا، و زوجه مؤمنه تعين أحدكم على دينه.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام ما زاد على أربعه آلاف فهو كنز أدّى زكاته أو لم يؤدّ و عن التّهذيب عن الصادق عليه السّلام ما أعطى اللّه عبدا ثلاثين ألفا و هو يريد به خيرا و قال ما جمع رجل قطّ عشره ألف درهم من حلّ و قد يجمعها لأقوام إذا أعطى القوت و رزق العمل فقد جمع اللّه له الدّنيا و الآخره.

و محصّل المعنى أنّ الذين يجمعون المال و لا يؤدّون زكاتهم فأخبرهم بعذاب موجع، و للتعبير عن ذلك بلفظ البشاره مبنىّ على التهّكم، لأنّ من يكنز الذّهب و الفضّه فانما يكنزهما لتحصيل الوجاهه بهما يوم الحاجه، و التوسل الى الفرج يوم الشدّه فقيل له: هذا هو الوجاهه و الفرج كما يقال تحيّتهم ليس إلاّ الضرب و إكرامهم ليس إلاّ الشتم «يوم يحمى عليها» أى يوقد على الكنوز «فى نار جهنّم» حتى تصير نارا «فتكوى بها» أى بتلك الأموال و الكنوز التى منعوا حقوقها الواجبه «جباههم و جنوبهم و ظهورهم» و تخصيص هذه الأعضاء بالكىّ بوجوه.

أحدها أنّ منظورهم بكسب الأموال و ترك الانفاق ليس إلاّ الأغراض الدّنيويّه و هو حصول الوجاهه لهم عند النّاس و حصول الشّبع لهم بأكل الطّيبات فينفتح منه الجنبان و لبس ثياب فاخره يطرحونها على ظهورهم فوقع الكىّ على هذه الأعضاء جزاء لأغراضهم الفاسده.

الثانى أنّ الجباه كنايه عن مقاديم البدن و الجنون عن طرفيه و الظهور عن المآخير، و المراد به أنّ الكىّ يستوعب تمام البدن.

الثالث أنّ الجبهه محلّ السّجود فلم يقم فيه بحقّه و الجنب مقابل القلب الّذى لم يخلص فى معتقده، و الظّهر محلّ الأوزار قال: يحملون أوزارهم على ظهورهم.

الرّابع أنّ هذه الأعضاء مجوفه و ليست بمصمته و فى داخلها آلات ضعيفه يعظم التألم بسبب وصول أدنى أثر اليها، بخلاف ساير الأعضاء.

الخامس و هو أحسن الوجوه و ألطفها أنّ صاحب المال إذا رأى الفقير أوّلا قبض جبهته و عبس وجهه و إذا دار الفقير يوليه جنبه و إذا دار يولّيه ظهره و قوله «هذا ما كنزتم لأنفسكم» أى يقال لهم فى حاله الكىّ هذا هو الذى ادّخرتموه لأنفسكم، و هو تبكيت لهم بأنّ المال الذى بخلتم بانفاقه و ادّخرتموه لتنتفعوا به صار عذابكم به، فكأنّكم أكنزتموه ليجعل عقابا لكم «فذوقوا» عقاب «ما كنتم تكنزون» به لا بغيره.

ص:۴۱۸

قال الطّبرسیّ صاحب التفسیر قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ما من عبد له مال لا یؤدّی زکاته إلّا جمع یوم القیامه صفایح یحمی علیها فی نار جهنم فتکوی بها جبهته و جنباه و ظهره حتّی یقضی اللّه بین عباده فی یوم کان مقداره خمسین ألف سنه ممّا تعدّون، ثمّ یری سبیله إما إلی الجنه و إما إلی النّار قال و روی ثوبان عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من ترک کنزا مثل له یوم القیامه شجاعا أقرع له زبیبتان ینتبعه و یقول: ویلک ما أنت، فیقول أنا کنزک الذی ترکت بعدک فلا یزال یتبعه حتی یلقمه یده فیقضمها ثمّ یتبعه سایر جسده المقام الثانی فی أسرار الزّکاه و دقایق بذل المال و هی امور:

الاول أنّ المؤمن الموحّد إذا أقرّ بالتّوحید باللّسان لزم إذعانه به بالجنان و معنی التوحید إفراد المعبود بالمحبوبیّه و اخلاص القلب عمّا سواه و الفراغ عن کلّ ما عداه، فانّ المحبّه أمر لا یقبل الشرکه و الأموال محبوبه عند الخلایق، لأنّها آله تمتّعهم بالدّنیا، و بسببها یأنسون بهذا العالم و ینفرون عن الموت مع أنّ فیه لقاء المحبوب، فجعل اللّه بذل المال امتحانا لهم و تصدیقا لدعوتهم المحبّه له سبحانه و الناس فی ذلک ثلاثه أصناف:

صنف صدقوا التوحید و حذفوا عن ساحه قلوبهم ما سوی المعبود و بذلوا أموالهم من غیر تعرّض بوجوب الزّکاه و لم یدّخروا لأنفسهم دینارا و لا درهما، و لم یترکوا بعدهم صفراء و لا بیضاء، و هم الذین قال اللّه سبحانه فی حقهم:

«وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ » «وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلی حُبِّهِ مِسْکِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً ».

روی فی الکافی باسناده عن محمّد بن سنان عن المفضّل قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فسأله رجل فی کم تجب الزّکاه من المال؟ فقال علیه السّلام له: الزکاه الظاهره أم الباطنه ترید؟ فقال: أریدهما جمیعا، فقال علیه السّلام: أمّا الظّاهره ففی

كلّ ألف خمسه و عشرون، و أمّا الباطنه فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك.

و صنف درجتهم دون درجه الصنف السابق و هم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات و مواسم الخيرات، فيكون قصدهم فى الادّخار الانفاق على نفسه و عياله الواجب النفقه بقدر الحاجه، و صرف الفاضل إلى وجوه البرّ مهما ظهر، و هؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزّكاه و هم الذين فى أموالهم حقّ معلوم للسائل و المحروم.

روى فى الكافى باسناده عن أبى بصير قال: كنّا عند أبى عبد اللّه عليه السّلام و معنا بعض أصحاب الأموال، فذكروا الزكاه فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إنّ الزكاه ليس يحمد بها صاحبها، و انما هو شىء ظاهر إنما حقن بهادمه و سمّى بها مسلما، و لو لم يؤدّها لم يقبل له صلاه، و إنّ عليكم فى أموالكم غير الزكاه، فقلت أصلحك اللّه و مالنا فى أموالنا غير الزكاه؟ فقال عليه السّلام: سبحان اللّه أما تسمع اللّه عزّ و جلّ يقول فى كتابه:

«وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ ».

قال: ما ذا الحقّ المعلوم الذى علينا؟ قال عليه السّلام: هو الشىء يعلمه الرجل فى ماله يعطه فى اليوم أو فى الجمعه أو فى الشهر قلّ أو كثر غير أنه يدوم عليه.

و عن إسماعيل بن جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ «وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ ».

أهو سوى الزكاه؟ فقال عليه السّلام: هو الرّجل يؤتيه اللّه الثروه من المال فيخرج منه الألف و الألفين و الثلاثه آلاف و الأقلّ و الأكثر فيصل به رحمه و يحمل به الكلّ عن قومه.

و عن القاسم عبد الرّحمن الأنصارى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ

رجلا جاء إلى أبى علىّ بن الحسين عليهما السّلام فقال له: أخبرنى عن قوله اللّه عزّ و جلّ:

«وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُوم »، ما هذا الحقّ المعلوم؟ فقال له علىّ بن الحسين عليهما السّلام: الحقّ المعلوم الشىء يخرجه الرّجل من ماله ليس من الزّكاه و لا من الصّدقه المفروضين، قال: فاذا لم يكن من الزكاه و لا من الصدقه فما هو؟ فقال عليه السّلام: هو الشيء يخرجه الرّجل من ماله إن شاء أكثر و إن شاء أقلّ على قدر ما يملك، فقال له الرّجل: فما يصنع به؟ قال: يصل به رحما و يقوى به ضعيفا و يحمل به كلّا أو يصل به أخا له فى اللّه أو لنائبه تنوبه فقال الرّجل: اللّه أعلم حيث يجعل رسالاته هذا.

و المحروم الرّجل الذى ليس بعقله بأس و لم يبسط له فى الرزق، و رواه الكلينىّ عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام.

و الصنف الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه و لا ينقصون منه و هى أدون الرتب، و قد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال و فرط ميلهم إليه و ضعف حبّهم للاخره.

السر الثانى من أسرار الزّكاه أنها مطهّره من صفه البخل و هى صفه مذمومه من جنود النفس قال سبحانه:

«خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها » و قال: «وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ».

الثالث أنّ شكر النّعمه واجب عقلا و شرعا و هو على ما قاله العلماء عباره عن صرفها إلى طلب مرضات المنعم، فالعبادات البدنيّه شكر لنعمه البدن، و العبادات الماليه شكر لنعمه المال، فيحكم العقل بوجوبها لكونها شكرا للمنعم، و ما أخسّ من ينظر إلى الفقير و قد ضيق عليه الرزق و انتقع لونه من مسّ الجوع ثمّ لا يسمح نفسه أن يؤدّى شكر اللّه تعالى على إغنائه عن السّؤال و إحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله.

قال الصّادق عليه السّلام فى روايه سماعه بن مهران المرويّه فى الكافى: و من أدى

ما فرض اللّه عليه فقد قضـى ما عليه و أدّى شـكر ما انعم اللّه عليه فى ماله إذا هو حمده على ما أنعم اللّه عليه فيه بما فضّله به من السّعه على غيره، و لما وفّقه لأداء ما فرض اللّه عزّ و جلّ عليه و أعانه عليه.

الرابع أنّ النفس النـاطقه لهـا قوّتان: نظريّه و عمليّه، فالقوّه النظريّه كما لها فى التعظيم لأمر اللّه، و القوّه العمليّه كمالها فى الشـفقّه على خلق اللّه فـأوجب اللّه الزّكـاه ليحصـل لجوهر الرّوح هـذا الكمـال، و هو اتّصـافه بكونه محسـنا إلى الخلق، ساعيـا فى ايصال الخيرات إليهم، دافعا للآفات عنهم.

الخامس أنّ المال سـمّى مالا لميل كلّ أحـد إليه و هو فى معرض التلف و الزّوال مهادم فى يـده فهو غاد و رائـح، و إذا أنفق فى مصارف الخير و وجوه اللّه بقى بقاء لا يزول، لأنّه يوجب الثناء الجميل فى الدّنيا و الثواب الجزيل فى الآخره، و قد مرّ فى الخطبه الثـانيه و العشـرين أنّ لسان الصـدق يجعله اللّه للمرء فى النّاس خير له من المال يورثه غيره، فانّ المراد بلسان الصـدق هو الـذكر الجميل، قال حاتم لامرأته ماريه:

أمارىّ إنّ المال غاد و رائح و يبقى من المال الأحاديث و الذكر

لقد علم الأقوام لو أنّ حاتما أراد ثراء المال كان له و قر

السادس أنّ كثره المال موجبه لحصول الطغيان و الانحراف عن سبيل الرحمن كما قال عزّ من قائل:

«إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى ».

فـأوجب اللّه الزكـاه لتقليـل سـبب الطغيـان و جبرا لمفسـدته، إلى غير ذلک من الأسـرار التى يسـتنبطها العقل بأدنى توجّه، و اللّه الهادى إلى الخيرات.

(و) السادس (صوم شهر رمضان فانّه جنّه من العقاب) و وقايه من النّار يوم الحساب،

و انما خصّه بهذه العله مع كون ساير العبادات كذلك لكونه أشدّ وقايه من غيره، بيان ذلك أنّ استحقاق الانسان للعقوبه إنّما هو بقربه من الشيطان و اطاعته له و للنفس الامّاره، و بشدّه القرب و ضعفه يتفاوت العقاب شدّه و ضعفا، و بكثره الطاعه و قلّتها يختلف العذاب زياده و نقصانا، و سبيل الشّيطان على الانسان و وسيلته إليه إنّما هى الشّهوات، و قوّه الشهوه بالأكل و الشرب، فبالجوع و الصوم يضعف الشهوه و ينكسر صوله النفس و ينسد سبيل الشيطان و ينجى من العقوبه و الخذلان، كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع.

و قال صلوات اللّه عليه و آله لعايشه: و ادمى قرع باب الجنّه، قالت: بماذا؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بالجوع.

قال الغزالى فى احياء العلوم فى تعداد فوائد الجوع و يأتى إنشاء اللّه جميعها فى التّذييل الثانى من شرح الفصل الثانى من الخطبه المائه و التاسعه و الخمسين:

«الفائده الخامسه» و هى من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى كلّها و الاستيلاء على النّفس الاماره بالسّوء، فانّ منشأ المعاصى كلّها الشهوات و القوى و مادّه الشهوات و القوى لا محاله الأطعمه، فتقليلها يضعف كلّ شهوه و قوّه، و إنّما السعاده كلّها فى أن يملك الرّجل نفسه، و الشقاوه فى أن تملكه نفسه، و كما أنّك لا تملك الدّابه الجموح إلاّ بضعف الجوع، فاذا شبعت قويت و شردت و جمحت فكذلك النفس، و هذه ليست فائده واحده، بل هى خزائن الفوائد، و لذلك قيل الجوع خزانه من خزائن اللّه.

فقد اتّضح بذلك كون الصّوم جنّه من النّار، و وقايه من غضب الجبّار، و أنّ فيه من إذلال النّفس و قهر إبليس و كسر الشهوات ما ليس فى ساير العبادات و هو واجب بالضروره من الدّين و اجماع المسلمين و نصّ الكتاب المبين قال سبحانه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ »

ص:۴۲۳

«قبْلِكَمْ لَعَلَّكَمْ تَتَّقُونَ أَيّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكَمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اللّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ».

قال الصادق عليه السّلام فى هذه الآيه: لذّه ما فى النداء أزال تعب العباده و العناء و فى قوله: لعلّكم تتّقون، إشاره إلى ما ذكرنا سابقا من أنّ الصوم جنّه و وقايه به يتّقى من العقاب و ينجى من العذاب.

و المستفاد من الآيه الشريفه أنّ الصّوم كان مكتوبا مفروضا على الامم السالفه كما أنه مكتوب على الامه المرحومه، و لا خلاف فى ذلك، و إنّما الخلاف فى أنّ الصوم المفروض علينا بهذه الكيفيه المخصوصه فى وقته و عدده هل كان فى ساير الامم كذلك ذهب بعض العامّه إلى ذلك على ما حكاه فى مجمع البيان، حيث روى فيه عن الشعبى و الحسن أنهما قالا إنه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النّصارى، و كان يتّفق ذلك فى الحرّ الشديد و البرد الشديد فحوّلوه إلى الرّبيع و زادوا فى عدده.

و ذهب آخرون إلى أن التّشبيه فى الآيه بين فرض صومنا و فرض صوم من تقدّمنا من الامم، أى كتب عليكم صيام أيّام كما كتب عليهم صيام أيّام، و ليس فى ذلك تشبيه عدم الصوم المفروض علينا و لا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم و لا

وقته، قال الطبرسی: و هو اختیار أبی مسلم و الجبائی.

أقول: و هذا هو الأقوی و یدلّ علیه صریحا ما رواه فی الفقیه عن سلیمان ابن داود المنقری عن حفص بن غیاث النخعی قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

إنّ شهر رمضان لم یفرض اللّه صیامه علی أحد من الامم قبلنا، فقلت له: فقول اللّه عزّ و جلّ:

«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیامُ کَما کُتِبَ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ ».

قال علیه السّلام: إنما فرض اللّه صیام شهر رمضان علی الأنبیاء دون الامم، ففضّل اللّه به هذه الامّه و جعل صیامه فرضا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و علی امّته هذا.

و الکلام بعد فی علّه وجوب الصوم و فضله و فضل صوم شهر رمضان خصوصا و الآداب التی یکون علیها الصایم.

أما عله وجوب الصوم ففی الفقیه سأل هشام بن الحکم أبا عبد اللّه علیه السّلام عن علّه الصّیام فقال علیه السّلام: إنما فرض اللّه الصیام لیستوی به الغنی و الفقیر، و ذلک إنّ الغنی لم یکن لیجد مسّ الجوع فیرحم الفقیر، لأنّ الغنیّ کلّما أراد شیئا قدر علیه، فأراد اللّه أن یسوّی بین خلقه و أن یذیق الغنی مسّ الجوع و الألم لیرقّ علی الضعیف و یرحم الجائع.

و کتب أبو الحسن علیّ بن موسی الرّضا علیه السّلام إلی محمّد بن سنان فیما کتب من جواب مسائله: علّه الصّوم عرفان مسّ الجوع و العطش لیکون ذلیلا مستکینا مأجورا محتسبا صابرا و یکون ذلک دلیلا له علی شداید الآخره مع ما فیه من الانکسار له عن الشّهوات واعظا له فی العاجل دلیلا علی الآجل لیعلم شدّه مبلغ ذلک من أهل الفقر و المسکنه فی الدّنیا و الآخره.

و روی عن الحسن بن علیّ بن أبی طالب علیهم السّلام أنّه قال: جاء نفر من الیهود إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فسأله أعلمهم من مسائل فکان فیما سأله أنّه قال: لأیّ شیء

فرض اللّه الصّوم على امّتک بالنّهار ثلاثين يوما و فرض على الامم أكثر من ذلک؟ فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ آدم عليه السّلام لما أكل من الشجره بقى فى بطنه ثلاثين يوما ففرض اللّه على ذرّيته(۱) ثلاثين يوما الجوع و العطش، و الذى يأكلونه باللّيل تفضّل من اللّه عليهم و كذلک كان على آدم ففرض اللّه عزّ و جلّ ذلک على امتى ثمّ تلى هذه الآيه.

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيّاماً مَعْدُوداتٍ ».

قال اليهودى صدقت يا محمّد فما جزاء من صامها؟ فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتسابا إلّا أوجب اللّه له سبع خصال: أولها يذوب الحرام من جسده و الثانيه يقرب من رحمه اللّه و الثالثه يكون قد كفّر خطيئه أبيه آدم عليه السّلام و الرابعه يهوّن اللّه عليه سكرات الموت و الخامسه أمان من الجوع و العطش يوم القيامه و السادسه يعطيه اللّه برائه من النّار و السابعه يطعمه اللّه من طيّبات الجنّه، قال: صدقت يا محمّد.

و أما فضل الصوم مطلقا ففى الكافى و الفقيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: بنى الاسلام على خمسه أشياء: على الصّلاه، و الزكاه، و الصّوم، و الحجّ، و الولايه، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الصّوم جنّه من النار.

و فيهما عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لأصحابه: ألا أخبركم بشىء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: الصوم يسوّد وجهه، و الصّدقه تكسر ظهره، و الحبّ فى اللّه و الموازره على العمل الصّالح يقطع دابره، و الاستغفار يقطع و تينه، و لكلّ شىء زكاه و زكاه لأبدان الصّيام.

۱- (۱) اى ذريته من امه محمد و من الانبياء السالفين دون الامم السالفه كما ظهر من روايه حفص بن غياث و يظهر من قوله فى هذه الروايه ففرض اللّه ذلک على امتى منه

و فيهما عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: أوحى اللّه إلى موسى ما يمنعك من مناجاتى؟ فقال: يا ربّ اجلّك عن المناجاه لخلوف فم الصّايم، فأوحى اللّه إليه يا موسى لخلوف فم الصّايم أطيب عندى من ريح المسك.

و عنه عليه السّلام للصّائم فرحتان: فرحه حين افطاره، و فرحه حين لقاء ربّه.

و قال عليه السّلام من صام اللّه يوما فى شدّه الحرّ فأصابه ظماء وكّل اللّه به ألف ملك يمسحون وجهه و يبشّرونه حتّى إذا أفطر قال اللّه عزّ و جلّ: ما أطيب ريحك و روحك يا ملائكتى اشهدوا أنى قد غفرت له.

و فى الكافى عن أبى الصباح عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اللّه تبارك و تعالى يقول: الصوم لى و أنا اجزى عليه، و رواه فى الفقيه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثله إلاّ أنّ فيه به بدل عليه.

و تخصيصه من بين ساير العبادات مع كون جميعها للّه سبحانه من جهه مزيد اختصاصه به تعالى، إمّا لأجل أنّ الصّوم عباده لم يعبد بها غير الحقّ سبحانه بخلاف ساير العبادات و الرّكوع و القيام و القربان و نحوها، فانها ربما تؤتى بها للمعبودات الباطله كما يعبد بها للمعبود بالحقّ، و أما الصّوم فلم يتعبّد به إلاّ للّه سبحانه و تعالى، أو لأنّ الصوم عباده خفيّه بعيده عن الرّيا و ليست مثل ساير العبادات التى تعلّقها بالجوارح و الأعضاء الظاهره غالبا، و لذلك لم تسلم من الشرك الخفى و الرياء كثيرا.

و أما فضل شهر رمضان و فضل صومه ففى الوسايل عن جابر بن عبد اللّه قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اعطيت أمّتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطها اللّه امه نبىّ قبلى إذا كان أوّل يوم منه نظر اللّه إليهم فاذا نظر اللّه عزّ و جلّ إلى شىء لم يعذّبه بعدها، و خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند اللّه من ريح المسك، و يستغفر لهم الملائكه كلّ يوم و ليله منه، و يأمر اللّه عزّ و جلّ جنّته فيقول تزّينى لعبادى المؤمنين يوشك أن يستريحوا من نصب الدّنيا و اذاها إلى جنّتى و كرامتى، فاذا كان آخر ليله منه غفر اللّه عزّ و جلّ لهم جميعا.

ص:۴۲۷

و عن علىّ بن موسى الرّضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

رجب شهر اللّه الأصبّ و شهر شعبان تتشعّب فيه الخيرات و فى أوّل يوم من شهر رمضان تغلّ المرده من الشياطين و يغفر فى كلّ ليله لسبعين ألفا فاذا كان ليله القدر غفر اللّه لمثل ما غفر فى رجب و شعبان و شهر رمضان إلى ذلك اليوم إلاّ رجل بينه و بين أخيه شحناء، فيقول اللّه عزّ و جلّ انظروا هؤلاء حتّى يصطلحوا.

و عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام كان يقول: إنّ للّه عزّ و جلّ فى كلّ ليله من شهر رمضان عند الافطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كلّ قد استوجب النار، فاذا كان آخر ليله من شهر رمضان اعتق مثل ما اعتق فى جميعه.

و عن الصّادق عليه السّلام قال: حدّثنى أبى عن أبيه عن جدّه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث قال: من صام شهر رمضان و حفظ فرجه و لسانه و كفّ أذاه عن النّاس غفر اللّه له ذنوبه ما تقدّم منها و ما تأخّر، و أعتقه من النّار، و أدخله دار القرار، و قبل شفاعته بعدد رمل عالج من مذنبى أهل التّوحيد.

و فى العيون باسناده عن حسن بن فضال عن أبيه عن الرّضا عن آبائه عن علىّ عليهم السّلام إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خطب ذات يوم فقال:

أيّها النّاس إنه قد أقبل إليكم شهر اللّه بالبركه و الرّحمه و المغفره، شهر هو عند اللّه أفضل الشّهور، و أيّامه أفضل الأيام، و لياليه أفضل اللّيالى، و ساعاته أفضل السّاعات، و هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافه اللّه، و جعلتم فيه من أهل كرامه اللّه، أنفاسكم فيه تسبيح، و نومكم فيه عباده، و عملكم فيه مقبول، و دعاؤكم فيه مستجاب فاسألوا اللّه ربّكم بنيّات صادقه و قلوب طاهره أن يوفقكم لصيامه و تلاوه كتابه فانّ الشقىّ من حرم غفران اللّه فى هذا الشهر العظيم، و اذكروا بجوعكم و عطشكم فيه جوع يوم القيامه و عطشه، و تصدّقوا على فقرائكم و مساكينكم، و وقّروا كباركم، و ارحموا صغاركم، و صلوا أرحامكم، و احفظوا ألسنتكم، و غضّوا عما لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، و عما لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم و تحنّنوا على أيتام الناس يتحنّن على أيتامكم، و توبوا إلى اللّه من ذنوبكم، و ارفعوا اليه أيديكم

بالـدّعاء فی أوقـات صـلاتکم، فانّهـا أفضـل السّاعـات ینظر اللّه عزّ و جـلّ فیها إلی عباده یجیبهم إذا ناجوه، و یلبّیهم إذا نادوه، و یعطیهم إذا سألوه، و یستجیب لهم اذا دعوه.

أیّهـا النـاس إنّ انفسـکم مرهونه بأعمـالکم ففکّوها باسـتغفارکم، و ظهورکم ثقیله من أوزارکم فخفّفوا عنها بطول سـجودکم، و اعلموا أنّ اللّه أقسم بعزّته أن لا یعذّب المصـلّین و السّاجدین، و أن لا یروّعهم بالنار یوم یقوم الناس لربّ العالمین أیّها النّاس من فطر منکم صائما مؤمنا فی هـذا الشـهر کان له بذلک عند اللّه عتق نسـمه، و مغفره لما مضـی من ذنوبه، فقیل یا رسول اللّه فلیس کلّنا نقـدر علی ذلک، فقال صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: اتّقوا النّار و لو بشقّ تمره، اتّقوا النّار و لو بشـربه من ماء، أیها الناس من حسن فی هـذا الشـهر منکم خلقه کان له جوازا علی الصّـِراط یوم تزلّ فیه الأقـدام، و من خفّف فی هـذا الشّـهر عمّا ملکت یمینه خفّف اللّه علیه حسابه، و من کفّ فیه شـرّه کفّ اللّه عنه غضـبه یوم یلقاه، و من أکرم فیه یتیما أکرمه اللّه یوم یلقاه، و من وصل فیه رحمه وصـله اللّه برحمته یوم یلقـاه، و من تطوّع فیه بصـلاه کتب اللّه له برائه من النّـار، و من أدّی فیه فرضا کان له ثواب من أدّی سـبعین فریضه فیما سواه من الشـهور، و من أکثر فیه من الصـلوات علیّ ثقّل اللّه له میزانه یوم تخفّ الموازین، و من تلی فیه آیه من القرآن کان له مثل أجر من ختم القرآن فی غیره من الشهور.

أیّهـا النـاس إنّ أبواب الجنـان فی هـذا الشـهر مفتّحه فاسألوا ربّکم أن لا یغلقها علیکم، و أبواب النیران مغلقه فاسألوا ربّکم أن لا یفتحها علیکم، و الشیاطین مغلوله فاسألوا ربّکم أن لا یسلّطها علیکم.

قال أمیر المؤمنین علیه السّـِلام فقمت و قلت یا رسول اللّه ما أفضل الأعمال فی هذا الشـهر؟ فقال صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: یا أبا الحسن أفضل الأعمال فی هذا الشـهر الورع عن محارم اللّه عزّ و جلّ، ثمّ بکی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فقلت: ما یبکیک یا رسول اللّه؟ فقال: أبکی لما یستحلّ منک فی هذا الشهر، کأنّی بک و أنت تصلّی لربّک و قد انبعث أشقی الأوّلین

و الآخرين شقيق عاقر ناقه ثمود، فضربك ضربه على قرنك فخضب منها لحيتك، فقلت: يا رسول اللّه و ذلك فی سلامه من دينی؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فی سلامه من دينك ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا عليّ من قتلك فقد قتلنی، و من أبغضك فقد أبغضنی، لأنك منّی كنفسی و طينتك من طينتی و أنت وصيّی و خليفتی على امتی.

و أما آداب الصوم و الحالات التی يجب أن يكون الصّائم عليها فنقول: إنّ الصّوم على ثلاث مراتب و درجات بعضها فوق بعض الاولى صوم العموم الثانيه صوم الخصوص الثالثه صوم الأخصّ.

أما صوم العموم فهو المفروض على عامه المكلّفين، و هو الكفّ عن المفطرات من طلوع الفجر الثانی إلى الغروب الشرعی مع النّيه، و المشهور فی المفطرات أنها عشره: الأكل، و الشرب، و الجماع، و البقاء على الجنابه عمدا، و فی حكمه النوم بعد انتباهتين، و الغبار الغليظ، و فی حكمه الدخان كذلك، و الكذب على اللّه سبحانه و رسوله و الأئمه عليهم السّلام، و الارتماس، و الاستمناء مع خروج المنی، و الحقنه، و القیء و التفصيل مذكور فی الكتب الفقهيّه.

و أمّا صوم الخصوص فهو أن يكون جامعا لشرائط الكمال مضافه إلى شرايط الصحّه كما أشار إليه الامام سيّد السّاجدين و زين العابدين عليه السّلام فی دعائه عند دخول شهر رمضان حيث قال: «اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و ألهمنا معرفه فضله و اجلال حرمته و التحفّظ ممّا حظرت فيه، و أعنّا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك و استعمالها بما يرضيك حتّى لا نصغی بأسماعنا إلى لغو و لا نسرع بأبصارنا إلى لهو، و حتّى لا نبسط أيدينا إلى محظور و لا نخطو بأقدامنا إلى محجور، و حتّى لا تعی بطوننا إلّا ما أحللت، و لا تنطق ألسنتنا إلّا بما مثلث، و لا نتكلّف إلّا ما يدنی من ثوابك و لا نتعاطى إلّا ما يقی من عقابك، ثمّ خلص ذلك كلّه من رياء المرائين و سمعه المسمعين لا نشرك فيه أحدا دونك، و لا نبغی به معبودا سواك».

و محصّل شروط الكمال أن لا يكون يوم صومه كيوم فطره، و مداره

على امور:

ص:۴۳۰

منها غضّ السّمع و البصر عن محارم اللّه

، و عن كلّ ما يلهى النّفس عن ذكر اللّه، و كذلک حفظ ساير الأعضاء عن المعاصى و الآثام.

قال أبو عبيد اللّه عليه السّلام فى روايه الكافى: إذا صمت فليصم سمعک و بصرک و شعرک و جلدک و عدّد أشياء غير هذا و قال: لا يكون يوم صومک كيوم فطرک، و تقدّم ما يدلّ على ذلک، و سيأتى أيضا.

و منها حفظ اللّسان عن الهذيان و الكذب و الغيبه و النّميمه و الفحش و الخصومه

بل عن مطلق التّكلّم الاّ بذكر اللّه.

روى فى الكافى عن جراح المداينى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الصيام ليس من الطّعام و الشراب وحده ثمّ قال عليه السّلام: قالت مريم: إنّى نذرت للرحمن صوما أى صمتا، فاحفظوا ألسنتكم و غضّوا أبصاركم و لا تنازعوا و لا تحاسدوا.

قال: و سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم امرأه تسبّ جاريه لها و هى صائمه، فدعى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بطعام فقال لها: كلى، فقالت: إنّى صائمه، فقال: كيف تكونين صائمه و قد سببت جاريتک، إنّ الصّوم ليس من الطعام و الشّراب.

قال: و قال أبو عبد اللّه عليه السّلام إذا صمت فليصم سمعک و بصرک من الحرام و القبيح و دع المراء و أذى الخادم، و ليكن عليک و قار الصّيام، و لا تجعل يوم صومک كيوم فطرک.

و يأتى إنشاء اللّه فى شرح الكلام المأه و الأربعين فى ضمن الأخبار الوارده فى حرمه الغيبه حديث الفتاتين الصّائمتين الذى رواه المحدّث الجزائرى فى الأنوار النعمانيه و فيه تنبيه على عظم خطر الغيبه فى حال الصيّام فانتظر لما يتلى عليک و تبصّر.

و عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما من عبد صالح يشتم فيقول: إنّى صائم سلام عليک لا أشتمک كما تشتمنى إلاّ قال الرّب تبارک و تعالى: استجار عبدى بالصّوم من شرّ عبدى و قد أجرته من النّار.

و عن حمّاد بن عثمان و غيره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لا ينشد الشعر بليل

و لا ينشد فی شهر رمضان بليل و لا نهار، فقال له إسماعيل: يا أبتاه و إن كان فينا، فقال عليه السّلام: و إن كان فينا.

و بـالجمله فاللازم علی الصّائم التحفظ من سـقطات اللّسان و فضول البيان و المواظبه علی الاسـتغفار و الـدّعاء و تلاوه القرآن و ساير الأذكار.

قـال أمير المـؤمنين عليـه السّـلام: عليكم فی شـهر رمضـان بكـثره الاسـتغفار و الـدّعاء، فأمـا الـدّعاء فيـدفع به عنكم البلاء، و أمّا الاستغفار فتمحی به ذنوبكم.

و قـال أبو عبـد اللّه عليه السّـلام و كـان علیّ بن الحسـين عليهما السّـلام إذا كان شـهر رمضان لم يتكلّم إلّا بالـدّعاء و التسبيـح و الاستغفار و التكبير فاذا أفطر قال: اللّهم إن شئت أن تفعل فعلت.

و منها ترک شمّ الرّياحين

و لا سيّما النرجس.

و منها الكفّ عن الافطار علی الشّبهات

، روی فی الوسائل عن أبی عبد اللّه عليه السّـلام عن أبيه عليه السّلام قال: جاء قنبر مولی علیّ عليه السّلام بفطره اليه فجاء بجراب فيه سويق و عليه خاتم قال عليه السّـلام: فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إنّ هذا لهو البخل تختم علی طعامک قال: فضـحک عليه السّلام ثمّ قال: أو غير ذلک لا أحبّ أن يدخل بطنی شیء لا أعرف سبيله.

و منها أن لا يكثر من الحلال وقت الافطار

بحيث يمتلی و يثقل فما من وعاء أبغض الی اللّه من بطن مملوّ.

روی فی البحـار عن مجالس ابن الشّـيخ (ره) باسـناده عن جعفر بن محمّـد عن آبائه عليهم السّـلام فی حـديث طويل لابليس مع يحيی عليه السّـلام قـال: قـال يحيی عليه السّـلام: فهل ظفرت بی ساعه قطّ؟ قال: لا، و لكن فيک خصـله تعجبنی، قال يحيی عليه السّـلام: فمـا هی؟ قـال: أنت رجـل أكول فاذا أفطرت أكلت و بشـمت، فيمنعک ذلک من بعض صـلاتک و قيامک باللّيل، قال يحيی: فـانی اعطی اللّه عهـدا أنی لا أشـبع من الطعام حتی ألقاه، قال له إبليس: و أنا أعطی اللّه عهـدا أنی لا أنصـح مسـلما حتّی ألقاه ثمّ خرج فما عاد اليه.

و منها أن يكون قلبه بعد الافطار مضطربا بين الخوف و الرّجاء

إذ لا يدرى أنّ صومه مقبول فهو من المقرّبين أو مردود فهو من المحرومين.

مرّ بعض أصحاب العقول بقوم يوم عيدهم و هم ضاحكون مستبشرون فقال:

إنّ اللّه سبحانه جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته فسبق أقوام ففازوا و تخلّف أقوام فخابوا فالعجب كلّ العجب للضاحك اللاّعب فى اليوم الذى فاز فيه المسارعون و خاب فيه المبطلون(۱).

و أمّا صوم أخص الخواصّ فصوم القلوب عن الهمم الدّنيويه و الأغراض الدّنيه و كفّه عن التوجّه إلى ما سوى اللّه بالكلّيه لدوام استغراقه بالحقّ عن الالتفات بغيره، فالفطر فى هذا الصّوم الذى هو فيه هو الفكر فيما سوى اللّه و اليوم الآخر و صرف الهمه فى غير طاعه اللّه و طاعه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أغراض النفس و مقاصد الطبع (و) السابع (حجّ البيت و اعتماره فانّهما ينفيان الفقر و يرحضان الذّنب) أى يغسلانه و يطهّرانه و قد مضى الكلام فى فضل الحجّ و المشاعر العظام و فضل البيت الحرام بما لا مزيد عليه فى شرح الفصل الثامن عشر من فصول الخطبه الاولى، و نورد هنا ما لم يسبق ذكره هناك.

فأقول: تعليل الحجّ و الاعتمار بنفى الفقر و رحض الذنب إشاره إلى أنّ فيهما جمعا بين منفعه الدنيا و منفعه الآخره و إلى ذلك أشار سبحانه فى سوره الحجّ بقوله:

«وَ أَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ ».

قال ابن عباس: يعنى بالمنافع التجارات، و قال سعيد بن المسيّب و عطيّه: هى منافع

۱- (۱) هذا الذى ذكره المصنف «قد» عن بعض أصحاب العقول نسبه الفاضل النراقى أعلا اللّه مقامه فى «جامع السعادات» الى الإمام (عليه السلام) حيث قال: روى أنّ الامام أبا محمد الحسن المجتبى (عليه السلام) مرّ بقوم يوم العيد و هم يضحكون فقال (عليه السلام) انّ اللّه تعالى «إلخ» إلاّ أنّ فيه «لطاعته» بدل «بطاعته» و قال فى آخره: أما و اللّه لو كشف الغطا لاشتغل المحسن باحسانه و المسىء عن اسائته «المصحح»

الآخره و هی العفو و المغفره، و قال مجاهد: هی التّجاره فی الدّنیا و الأجر و الثّواب فی الآخره.

و یشعر به المرویّ عن الصّادق علیه السّلام حیث قال فی روایه: إنّی سمعت اللّه عزّ و جلّ یقول: لیشهدوا منافع لهم فقیل: منافع الدّنیا أو منافع الآخره؟ فقال علیه السّلام: الکلّ.

و فی الفقیه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما من حاجّ یضحّی ملبّیا حتّی تزول الشمس إلّا غابت ذنوبه معها، و الحجّ و العمره ینفیان الفقر کما ینفی الکیر خبث الحدید و فی الکافی باسناده عن خالد القلانسی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال علیّ ابن الحسین علیهما السّلام: حجّوا و اعتمروا تصحّ أبدانکم و تتّسع أرزاقکم و تکفون مؤنات عیالاتکم، و قال علیه السّلام الحاجّ مغفور له و موجوب له الجنّه و مستأنف له العمل و محفوظ فی أهله و ماله.

و عن السّکونی عن أبی عبد اللّه عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الحجّه ثوابها الجنّه، و العمره کفّاره لکلّ ذنب.

و عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّی قد وطنت نفسی علی لزوم الحجّ کلّ عام بنفسی أو برجل من أهل بیتی بما لی، فقال علیه السّلام و قد عزمت علی ذلک؟ قال: قلت: نعم، قال: إن فعلت فأیقن بکثره المال.

و عن الفضیل بن یسار قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا یخالف(۱) الفقر و الحمی مدمن الحجّ و العمره.

و عن أبی محمّد الفرا قال: سمعت جعفر بن محمّد علیه السّلام یقول: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تابعوا بین الحجّ و العمره فانهما ینفیان الفقر و الذّنوب کما ینفی الکیر خبث الحدید و عن ابن الطیّار قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: حجج تتری و عمر تسعی یدفعن عیله الفقر و میته السّوء.

أقول: المستفاد من هذه الروایات أنّ للحجّ و العمره بذاتهما مدخلیّه فی زیاده المال و نفی الفقر لا من حیث التجاره الحاصله فی موسم الحجّ و قیام الأسواق حینئذ کما زعمه الشارح البحرانی.

۱- (۱) ای لا یأتی «منه» و قال فی الوافی: المحالفه بالحاء المهمله: الملازمه و المعاقده «المصحح»

(و) الثـامن (صـله الرّحم فانهـا مثراه فی المـال و منسـاه فی الأجل) یعنی أنها موجبه للزیاده فی المال و التأخیر فی الأجل، و محلّ لهما، و قد مرّ الکلام فیها مستوفی فی شرح الفصل الثانی من الخطبه الثالثه و العشرین.

قال الشارح البحرانی: کونها مثراه فی المال من وجهین:

أحـدهما أنّ العنایه الالهیه قسـمت لکلّ حیّ قسـطا من الرّزق یناله مدّه الحیاه الدّنیا و تقوم به صوره بدنه، فاذا اعدّت شـخصا من النّاس للقیـام بـأمر جمـاعه و کفله بامـدادهم و معونتهم وجب فی العنـایه إفاضه أرزاقهم علی یـده و ما یقوم بامـدادهم بحسـب اسـتعداده لـذلک، سواء کـانوا ذوی أرحـام أو مرحومین فی نظره حتّی لو نوی قطع أحـدهم فربما نقص ماله بحسب رزق ذلک المقطوع، و ذلک معنی کونه مثراتا للمال.

الثّانی أنّ صـله الرّحم من الأخلاق الحمیـده التی یسـتمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم فی نظر الکلّ، فیکون ذلک سـببا لامداده و معونته من ذوی الأمداد و المعانات کالملوک و نحوهم فکان صله الرّحم مظنّه لزیاده المال.

و کونها منساه فی الأجل من وجهین:

أحـدهما أنّ صـله الرّحم توجب تعـاطف ذوی الأرحام و توازرهم و معاضـدتهم لواصـلهم، فیکون عن أذی الأعـداء أبعـد و فی ذلک مظنّه تأخیره و طول عمره.

الثّانی أنّ مواصـله ذوی الأرحام توجب تعلّق هممهم ببقاء و اصـلهم و اعداده بالدّعاء، و یکون دعاؤهم و تعلّق هممهم ببقائه من شرایط بقائه و نساء أجله فکانت مواصلتهم منساه فی أجله.

(و) التاسع الصدقه و هی علی قسمین:

أحـدهما (صـدقه السرّ فانّها تکفّر الخطیئه) و تطفی غضب الرّبّ سـبحانه، و إنما خصّـها بـذلک مع کون سایر العبادات کذلک لکونها أبعد من الرّیاء و تضمّنها

من الخلوص و التقرّب ما ليس فى غيرها.

روى فى الكافى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام قالا: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

صدقه السرّ تطفى غضب الرّب تبارك و تعالى.

و عن عمار السّاباطى قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا عمار الصّدقه و اللّه فى السّر أفضل من الصّدقه فى العلانيه، و كذلك و اللّه العباده فى السّر أفضل منها فى العلانيه.

و عن معلّى بن خنيس قال: خرج أبو عبد اللّه عليه السّلام فى ليله قد رشت و هو يريد ظلّه بنى ساعده فاتّبعته فاذا قد سقط منه شىء فقال: بسم اللّه اللّهمّ ردّ علينا، قال: فأتيته فسلّمت عليه فقال عليه السّلام: معلّى قلت: نعم، جعلت فداك، فقال لى: التمس بيدك فما وجدت من شىء فادفعه الىّ، فاذا أنا بخبز منتشر كثير فجعلت أدفع عليه ما وجدت فاذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز، فقلت: جعلت فداك أحمله على رأسى «عاتقى خ» فقال: لا، أنا أولى به منك و لكن امض معى، قال: فأتينا ظلّه بنى ساعده فاذا نحن بقوم نيام، فجعل يدسّ الرغيف و الرّغيفين حتى أتا على آخرهم ثمّ انصرفنا، فقلت: جعلت فداك يعرف هؤلاء الحق؟ فقال: لو عرفوه لو اسيناهم بالدّقه و الدّقه هى الملح إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يخلق شيئا إلّا و له خازن يخزنه إلّا الصدقه فانّ الرّب يليها بنفسه و كان أبى عليه السّلام إذا تصدّق بشىء وضعه فى يد السائل ثمّ ارتدّه منه فقبّل و شمّه ثمّ ردّه فى يد السّائل، إنّ صدقه اللّيل تطفى غضب الرّب و تمحو الذّنب العظيم و تهوّن الحساب، و صدقه النهار تثمر المال و تزيد فى العمر، إنّ عيسى بن مريم عليهما السلام لما أن مر على شاطىء البحر رمى بقرص من قوته فى الماء، فقال له بعض الحواريّين يا روح اللّه و كلمته لم فعلت هذا و انما هو من قوتک؟ قال عليه السّلام: فعلت هذا لدابه تأكله من دوابّ الماء و ثوابه عند اللّه عظيم.

(و) الثّانى (صدقه العلانيه فانّها تدفع ميته السّوء) كالغرق و الحرق و الهدم و نحوها.

و يدلّ عليه روايات اخر مثل ما رواه ثقه الاسلام الكلينىّ عطّر اللّه مضجعه

باسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ الصّدقه باليد تقى ميته السّوء و تدفع سبعين نوعا من أنواع البلاء و تفكّ عن لحى سبعين شيطانا كلّهم يأمره أن لا يفعل.

و عن أبى ولّاد قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: بكروا بالصّدقه و ارغبوا فيها، فما من مؤمن يتصدّق بصدقه يريد بها ما عند اللّه ليدفع اللّه بها عنه شرّ ما ينزل من السّماء إلى الأرض فى ذلك اليوم إلّا وقاه اللّه شرّ ما ينزل فى ذلك اليوم.

و عن السّكونى عن جعفر عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ اللّه لا إله إلّا هو ليدفع بالصّدقه الدّاء و الدّبيله(۱) و الحرق و الغرق و الهدم و الجنون و عدّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سبعين بابا من السّوء.

و عن سالم بن مكرم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: مرّ يهودىّ بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: السّام عليك، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: عليك، فقال أصحابه انما سلّم عليك بالموت، فقال الموت عليك قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و كذلك رددت، ثمّ قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، إنّ هذا اليهودى يعضّه أسود فى قفاه فيقتله، قال: فذهب اليهودى فاحتطب حطبا كثيرا فاحتمله ثمّ لم يلبث أن انصرف فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ضعه، فوضع الحطب، فاذا أسود فى جوف الحطب عاض على عود، فقال: يا يهودى أىّ شىء عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملا إلّا حطبى هذا احتملته و جئت به فكان معى كعكتان فأكلت واحده و تصدّقت بواحده على مسكين، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بها دفع اللّه عنك، فقال: إنّ الصدقه تدفع ميته السوء عن الانسان.

و عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ الصّدقه لتدفع سبعين بليه من بلايا الدّنيا مع ميته السوء، إنّ صاحبها لا يموت ميته السوء أبدا مع ما يدخر لصاحبها من الأجر فى الآخره.

(و) العاشر (صنايع المعروف فانها تقى مصارع الهوان) المعروف اسم لكلّ فعل يعرف

ص:۴۳۷

۱- (۱) بضم الدال الطاعون و داء فى الجوف، منه

حسنه بالعقل و الشرع كالاحسان و البرّ و الصّله و الصّدقه على الناس و الرفق معهم و ساير أعمال الخير، و اصطناع المعروف لما كان مستلزما لتأليف قلوب الخلق و جامعا لهم على محبه المصطنع لاجرم كان وقايه له، و النّاس يتّقون قتله و يجتنبون عن فعل ما يوجب الهوان به و ذلّته و هو ظاهر.

و نظير هذا الكلام ما رواه عبد اللّه بن ميمون القداح عن أبى عبد اللّه عن آبائه عليهم السّلام قال: صنايع المعروف تقى مصارع السوء.

و روى عبد اللّه بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ صنايع المعروف تدفع مصارع السّوء.

و هذا من جمله خواصّه فى الدّنيا و منها أيضا زياده البركه.

روى السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ البركه أسرع إلى البيت الذى يمتار(۱) منه «فيه خ» المعروف من الشفره إلى سنام البعير أو من السّيل الى منتهاه.

و أمّا ثمراته الاخرويه فكثيره اشيرت اليها فى أخبار متفرّقه ففى الفقيه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أوّل من يدخل الجنه المعروف و أهله و أوّل من يرد علىّ الحوض، و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أهل المعروف فى الدّنيا أهل المعروف فى الآخره، و تفسيره انه اذا كان يوم القيامه قيل لهم: هبوا حسناتكم لمن شئتم و ادخلو الجنه، و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كلّ معروف صدقه و الدّالّ على الخير كفاعله و اللّه يحبّ اغاثه اللهفان.

و قال الصّادق عليه السّلام: أيّما مؤمن أوصل الى أخيه المؤمن معروفا فقد أوصل ذلك إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و قال عليه السّلام: المعروف شىء سوى الزّكاه فتقرّبوا إلى اللّه عزّ و جلّ بالبرّ و صله الرّحم، و قال عليه السّلام: رأيت المعروف كاسمه و ليس شىء أفضل من المعروف إلاّ ثوابه، و ذلك يراد منه، و ليس كلّ من يحبّ أن يصنع المعروف الى الناس يصنعه و ليس كلّ من يرغب فيه يقدر عليه و لا كلّ من يقدر عليه يوزن له فيه فاذا اجتمعت الرغبه و القدره و الاذن فهنا لك تمّت السّعاده للطالب و المطلوب اليه.

۱- (۱) يمتار فيه اى يأخذ فيه الميره، لغه

و قال الصّادق عليه السّلام أيضا: رأيت المعروف لا يصلح الّا بثلاث خصال: تصغيره، و ستره، و تعجيله فانّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه اليه، و إذا سترته تمّمته، و إذا عجّلته هنّاته، و ان كان غير ذلك محققه و نكدته، و رواه فى الكافى باسناده عنه عليه السّلام نحوه، و هو إشاره إلى بعض آداب صنع المعروف.

و من جملتها أيضا ما اشير اليه فى روايه مفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا مفضّل إذا أردت أن تعلم الى خير يصير الرّجل أم إلى شرّ انظر الى أين يضع معروفه، فان كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير، و إن كان يضع معروفه عند غير أهله فاعلم أنّه ليس له فى الآخره من خلاق.

هنا انتهى الجزء السابع من هذه الطبعه النفيسه القيمه، و تمّ تصحيحه و ترتيبه و تهذيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجى» عفى عنه و عن و الديه و ذلك فى اليوم الثالث من شهر رجب الاصب سنه ۱۳۸۰ و يليه ان شاء الله الجزء الثامن، و الحمد لله أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا

ص:۴۳۹

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ .ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که مـا را در دستیـابی به این هـدف یـاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادنـد تقـدیر و تشـکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصـفهان -خیابان عبـدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شـهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹


قائمیه
مرکز تحقیقات رایانه ای
اصفهان
WWW
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹